منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله

الهاشمي الخوئي قدس سره

من منشورات

المكتبة الإسلامية

طهران، شارع ١٥ خرداد شرقي

تليفون ٥٢٥٣٤٨-٥٢١٩٦٦

مِنهاجُ البَراعَة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

عنى بتصحيحه وتهذيبه العالم الفاضل: السيد ابراهيم الميانجي

الجزء السادس — الطبعة الرابعة

الناشر:
مكتبة الاسلامية بطهران
شارع ابوذرجمهري تليفون (٥٢١٩٦٦)

حق چاپ و عكسبردارى از اين نسخه محفوظ است

طبع في المطبعة الاسلامية بطهران

شبكة الفكر
alfeker.net
يا علي يا فاطمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل السادس

وَاعْلَمُوا أنَّ مَجازَكُمْ عَلى الصِّراطِ وَمَزالِقِ دَحْضِهِ، وَأَهاوِيلِ زَلَلِهِ، وَتاراتِ أَهْوالِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ(١) وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرارَ نَوْمِهِ، وَأَظْمَأَ الرَّجاءُ هَواجِرَ يَوْمِهِ، وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَواتِهِ، وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسانِهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمانِهِ، وَتَنَكَّبَ الْمَخالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فاتِلاتُ الْغُرُورِ، وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهاتُ الْأُمُورِ، ظافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرى، وَراحَةِ النُّعْمى، في أَنْعَمِ

١- بين هذه القرائن العشر السجع المتوازى .

نَوْمِه، وَآمَنٍ يَوْمِه، قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعاجِلَةِ حَمِيداً، وَقَدَّمَ زاداً «قدم خ» الآجِلَةِ سَعِيداً، وَبادَرَ مِنْ وَجَلٍ، وَأَكْمَشَ في مَهَلٍ، وَرَغِبَ في طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وَراقَبَ في يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ قُدُماً أَمامَهُ، فَكَفى بِالْجَنَّةِ ثَواباً وَنَوالاً (١)، وَكَفى بِالنّارِ عِقاباً وَوَبالاً، وَكَفى بِاللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً، وَكَفى بِالْكِتابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذي أَعْذَرَ بِما أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِما نَهَجَ، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً، وَنَفَثَ في الآذانِ نَجِيّاً، فَأَضَلَّ وَأَرْدى، وَوَعَدَ فَمَنّى، وَزَيَّنَ سَيِّئاتِ الْجَرائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقاتِ الْعَظائِمِ، حَتّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ ما زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ ما هَوَّنَ، وَحَذَّرَ ما آمَنَ «أمن خ».

اللغة

(المزالق) جمع المزلق وهو الموضع الذي يزلق فيه القدم ولا تثبت ومكان (دحض) ويحرّك زلق و (التّارات) جمع تارة و هي المرّة والحين و (النّصب) التّعب و (هجد وتهجّد) نام وهجد وتهجّد سهر واستيقظ فهو من الأضداد و (الغرار) بكسر الغين المعجمة القليل من النّوم و (الظماء) العطش و (الهواجر) جمع الهاجرة و هو نصف النّهار عند اشتداد الحرّ يقال أتينا أهلنا مهجرين أى سايرين في الهاجرة و (ظلف) نفسه عنه يظلفها من باب ضرب منعها من أن تفعله أو تأتيه أو كفّها عنه و (أوجف) في سيره أسرع والوجيف ضرب من سير الابل والخيل.

(و قدّم الخوف لأمانه) هكذا في نسختين للمعتزلي و البحراني وفي بعض النّسخ لابانه بالباء الموحّدة المشدّدة بعد الهمزة المكسورة و بعد الباء بالنّون

١- بين هاتين القرينتين حسن المقابلة

قال في القاموس ابّان الشيء بالكسر حينه أو أوّله والأوّل أظهر وأوفق و (نكب) عنه من باب نصر وفرح نكباً ونكباً ونكوباً عدل كنكب وتنكّب ونكبه تنكيبا لازم متعدّ وطريق منكوب على غير قصد.

و (المخالج) المشاغل من خلج يخلج اى شغل وجذب و (الوضح) محجّة الطريق و (فتله) يفتله من باب ضرب لواه وفتل وجهه عنهم صرف و (النّعمى) والنّعيم الخفض و الدّعة و المال كالنّعمة ، و أنعم الله صباحك من النّعومة جعله ذا رفاهيّة و (أكمش) أسرع و (القدم) بالضمّ وبضمّتين والقدمة كالقدم محرّكة السّابقة في الأمر و (نفث) ينفث من باب نصر وضرب من النّفث وهو كالنّفخ ومنه النّفّاثات في العقد و نفث الشّيطان في قلبه ألقاه و (استدرجه) خدعه و أدناه وقرين الشّيطان و (قرينته) التّابع لرأيه.

قال الشّارح المعتزلي : القرينة ههنا الانسان الذي قارنه الشّيطان و لفظه لفظ التّأنيث و هو مذكّر أراد القرين و (غلق) الرّهن من باب فرح اذا استحقّه المرتهن وذلك إذا لم يفتكّه في الوقت المشروط .

الاعراب

شهواته منصوب بنزع الخافض ، و أوجف الذّكر في كثير من النّسخ بنصب الذّكر فيكون الباء في قوله بلسانه للاستعانة وفي بعض النّسخ بالرّفع فيكون الباء زائدة كان المعنى حرك الذّكر لسانه مسرعاً ، و قدم الخوف لأمانه اللاّم للتّعليل ، و عن وضح السّبيل متعلّق بالمخالج ، وحميداً وسعيداً حالان من فاعل عبر وزاد ، قوله : و بادر من وجل ، كلمة تعليليّة كما في قوله ممّا خطيئاتهم اغرقوا ، و الباء في قوله بالجنّة و بالنّار وبالله و بالكتاب زائدة ، و ثواباً ونوالاً وعقاباً ووبالاً منصوبات على التميز ، ومنتقماً ونصيراً وحجيجاً وخصيماً منصوبات على الحال .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل متضمّن للانذار بالصّراط و التّحذير من أهواله والأمر

بالتقوى تأكيداً لأوامره السابقة فأنذر أولاً بالصراط حيث قال (و اعلموا أن مجازكم على الصراط) الذي هو جسر جهنم و عليه ممر جميع الخلائق حسبما تعرفه تفصيلاً (و مزالق دحضه وأهاويل زلله) لكونه أدق من الشعر وأحد من السيف كما يأتي في الأخبار الآتية .

و في النبوي قال ﷺ: ثلاث مواطن لا يذكر أحدأحداً:عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أيقع كتابه في يمينه أم شماله أم من وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهر جهنم حتى يجوز .

قال الشارح المعتزلى (وتارات أهواله) هو كقولك دفعات أهواله و إنما جعل أهواله تارات لأن الأمور الهائلة إذا استمرت لم يكن في الازعاج والترويع كما يكون إذا طرئت تارة وسكنت تارة .

ثم أمر عليه السلام بملازمة التقوى وتحصيله في أقصى مراتب كماله مثل تقوى من كمل في مقام العبودية واستجمع صفات الايمان فقال عليه السلام (فاتقوا الله عباد الله تقية ذي لب شغل التفكر) في الله و في صنعه (قلبه) من التوجه و الالتفات إلى الدنيا وأباطيلها (و أنصب الخوف) من الله ومن عذابه (بدنه) حتى صار ناحل الجسم من ذكر النار وأهاويلها (واسهر التهجد) وعبادة الليل (غرار نومه) فلم تترك له نوماً حتى كان قائم الليل (وأظمأ الرجاء) رجاء ما أعد لأولياء الله (هواجر يومه) فأكثر صوماً حتى كان صائم النهار .

ونسبة السهر إلى الغرار والظماء إلى الهواجر من باب التوسع والمجاز على حد قولهم : قام ليله و صام نهاره ، فاقيم الظرف مقام المظروف أى أسهره التهجد من غرار نومه و أظمأه الرجاء في هواجر يومه .

روى في الوسائل عن سهل بن سعد قال : جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد عش ماشئت فانك ميت ، واحبب ماشئت فانك مفارقه ، واعمل ماشئت فانك تجزى به ، واعلم أن شرف الرجل قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس .

و فيه أيضاً عن المفيد في المقنعة قال : روى أن صلاة الليل تدر الرزق

وتحسّن الوجه وترضى الرّب وتنفي السّيئآت .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنّعاس في عينيه ليرضى ربّه بصلاة ليله باهى الله به الملائكة وقال تعالى : اشهدوا أنّي قد غفرت له

قال : وقال : كذب من زعم أنّه يصلّي باللّيل ويجوع بالنّهار .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ البيوت التي تصلّى فيها باللّيل وبتلاوة القرآن تضيء لأهل السّماء كما تضيء نجوم السّماء لأهل الأرض .

وفيه أيضاً عن جعفربن محمد عليهما السلام قال : المال و البنون زينة الحياة الدّنيا ، وثمان ركعات في آخر اللّيل والوتر زينة الآخرة ،ويأتى أخبار اخر في هذا المعنى إنشاءالله في شرح المختار المأة والثاني والثمانين (وظلف الزّهد)فى الدّنيا (شهواته) وكفّه منها (وأوجف) إلى(الذّكر بلسانه) و لم يبطى فيه أو أسرع الذّكر لسانه فلم يسكت عنه قال تعالى :

« وَاذْكُرْ رَبَّكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ » .

(وقدّم الخوف) من الله (لأمانه) أى ليأمن به من عذابه الأليم (و نكب المخالج عن وضح السّبيل) أى نحاه الشّواغل و الصّوارف عن صراطه المستقيم (و سلك أقصد المسالك) و أعدلها (إلى النّهج المطلوب) الذى هومنهج الشّرع القويم (ولم تفتله فاتلات الغرور) من الاتيان بالطاعات (ولم تعم عليه مشتبهات الأمور) فيقتحم في الهلكات (ظافراً بفرحة البشرى وراحة النّعمى) اى مستبشراً بخطاب بشريكم اليوم جنّات تجرى من تحتها الأنهار ، ومستريحاً بسعة العيشة و لذّة النّعمة في دار القرار (في أنعم نومه وآمن يومه) أى في أطيب راحته وآمن أوقاته واطلاق اسم النّوم على الرّاحة من باب اطلاق اسم الملزوم على اللاّزم وإلى الأمن والاستراحة اُشير في الآية قال سبحانه :

« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ اُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ »

أى يقال لهم ادخلوا الجنّات بسلامة من الآفات و برائة من المكاره والمضرّات آمنين من الاخراج منها ساكني النّفس إلى انتفاء الضرر فيها (قد عبر معبر العاجلة حميداً و قدّم زاد الآجلة سعيداً) أى جاز مجاز الدّنيا العاجلة حميداً في فعاله ، وقدم الزاد الآخرة سعيداً في أحواله .

والمقصود بذلك أنّه زهد في الدّنيا فترك العيش العاجل ورغب في الآخرة فنال الثواب الآجل (وبادرمن وجل واكمش فيمهل) يعنى عليه السلام بادر إلىالطاعات من أجل الخوف من العقوبة وأسرع إلى العبادات في أيّام الرّفق والمهلة (ورغب فيطلبوذهب عن هرب) أى كانطلبه للحقّ وسعيه إليهعنشوقورغبة، وذهابه عن الباطل وبعده عنه عنخوف ورهبة .

قال المحقّق الطوسيّ فيمحكيّ كلامه عن أوصافالأشراف فيتفسيرالرّهبة : هو تألّم النّفس من العقاب بسبب ارتكاب المنهيّات و التّقصير في الطاعات كما في أكثر الخلق ، وقد يحصل بمعرفة عظمة الحقّ ومشاهدة هيبته كما في الأنبياء و الأولياء .

وفرّق بعض العارفين بين الخوف والرّهبة فقال : الخوف هو توقّع الوعيد وهو سوط الله يقوّم به الشّاردين عن بابه ويسيربهم على صراطه حتّى يستقيم به أمر من كان مغلوباً على رشده ، و من علامته قصر الأمل وطولالبكاء، و الرّهبة هى انصباب إلى وجهة الهرب بل هى الهرب رهب و هرب مثل جبذ وجذب ، فصاحبها يهرب أبداً لتوقّع العقوبة و من علاماتها حركة القلب إلى الانقباض من داخل و هربه و انزعاجه عن انبساطه حتّى أنّه يكاد أن يبلغ الرّهابة في الباطن مع

ظهور الكمد (١) والكآبة على الظاهر انتهى .

والرّهابة كسحابة عظم في الصّدر مشرف على البطن (وراقب في يومه غده ونظر قدما أمامه) أي لاحظ في دنياه آخرته فادّخرلها ونظر في سابقة أمره إلى مابين يديه ولم يلتفت إلى غيره.

ثمّ قال عليه السلام (فكفى بالجنّة ثواباً و نوالا) و هو ترغيب إلى السّعي إليها (و كفى بالنّارعقاباً ووبالا) وهوتنبيه على وجوب الهرب منها (و كفى بالله منتقماً ونصيراً) وهوإشارة إلى لزوم قصر الخشية والاستعانة عليه سبحانه (و كفى بالكتاب حجيجاً و خصيماً) أي كفى كتاب الله محاجّاً و مخاصماً ، و هو إشارة إلى وجوب تعليم القرآن وتعلّمه و إكرامه وحرمة إضاعته وإهانته .

قال الشّارح البحراني ونسب الاحتجاج والخصام إلى الكتاب مجازاً .

أقول: بل هوحقيقة إذ المستفاد من الأخبار أنّه يؤتى به يوم القيامة في صورة إنسان فيكون بنفسه حجيجاً خصيماً .

فقد روى في الوسائل عن محمّد بن يعقوب الكليني معنعناً عن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : ياسعد تعلّموا القرآن فانّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق « إلى أن قال » حتّى ينتهى إلى ربّ العزّة فيناديه تبارك و تعالى يا حجّتي في الأرض و كلامي الصّادق النّاطق ارفع رأسك و سل تعط واشفع تشفّع كيف رأيت عبادي؟ فيقول: ياربّ منهم من صانني وحافظ عليّ ، ومنهم من ضيّعني واستخفّ بي و كذب بي وأنا حجّتك على جميع خلقك ، فيقول الله عزّ وجلّ : وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأُثيبنّ اليوم عليك أحسن الثّواب ، ولأُعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب الحديث.

و باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة « إلى أن قال » حتّى ينتهى إلى ربّ العزّة فيقول : ياربّ فلان بن فلان أظمأت هو اجره وأسهرت ليله في دار الدّنيا ، و فلان بن فلان لم

١- الكمد تغير اللون وذهاب صفائه والحزن الشديد .

اظم هو اجره ولم اسهر ليله ، فيقول تبارك و تعالى : ادخلهم الجنّة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن :اقرء وارقه ، قال عليه السلام: فيقرء ويرقا حتّى يبلغ كلّ رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما أوردناه كفاية في المقام و الزّيادة على ذلك تطلب في شرح المأة و الخامسة و السبعين ، و نروى تمام رواية الخفاف السّالفة هناك إنشاءالله من أصل كتاب الكلينيّ

ثمّ عاد عليه السلام إلى الحثّ على التّقوى أيضاً بقوله (اُوصيكم بتقوى الله الذى أعذر بما أنذر) أى أزال العذر عنه بما أنذر كم به من العقوبات (واحتجّ بما نهج)أى أقام الحجّة عليكم بما أوضحه لكم من الأدلّة والآ يات (وحذّ ركم عدوّاً نفذ في الصّدور خفيّاً ونفث في الآذان نجيّاً)أراد به تحذير الله سبحانه و تعالى في غير واحدة من آيات كتابه الكريم من عداوة الشيطان اللّعين كما قال في سورة البقرة « وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » وفي سورة يوسف : « إِنَّ الشَّيْطانَ لِلإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ » و في سورة يس : « أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ »

إلى غير ذلك و توصيفه بالنّفوذ في الصّدور والنّفث في الاذان إشارة إلى أنّه ليس مثل ساير الأعداء يرى بالأبصار ويدرك بالعيان ، بل هو عدوّ ينفذ في القلوب ويجري من ابن آدم مجرى الدّم في العروق ، و يلقى في الآذان زخرف القول و غروره ، ويمكن أن يراد بالعدوّ الأعمّ من شيطان الجنّ والانس فيكون الوصف بالنّفوذ بالنظر إلى شيطان الجنّ ، والوصف بالنّفث بالنظر إلى شيطان الانس كما قال سبحانه « مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النّاسِ »

قال المفسّر أى من شرّ ذي الوسواس الذي يوسوس في الصّدور ، ثمّ فسّره بقوله

من الجنّة والنّاس كما يقال نعوذ بالله من شرّ كلّ مارد من الجنّ والانس ، وعلى هذا فيكون وسواس الجنّة هو وسواس الشّيطان ، و وسواس الانس إغواء من يغويه من النّاس ، فشيطان الجنّ يوسوس و شيطان الانس يأتي علانية و يرى أنه ينصح و قصده الشرّ ويموّه ويلقى في سمعه زخرف القول الذى يستحسن ظاهره ويقبح باطنه .

(فأضلّ وأردى ووعد فمنى) أى أضلّ بنفوذه في الصدور ووسوسته في القلوب عن طريق الهداية و أوقع في أودية الهلاكة أعني هلاكة الآخرة الموجبة لاستحقاق النار و لغضب الجبار و وعدهم بالمواعيد الكاذبة و منّاهم الأماني الباطلة كما قال سبحانه :

« وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاّ غُرُوراً أُولٰئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً » .

أي يمنّيهم الأهواء الباطلة ويلقيها في قلب الانسان فيمنّيه طول البقاء و أنّه ينال من الدّنيا مقصوده ويستولى على أعدائه ويوقع في نفسه أنّ الدّنيا دول فربّما تيسّرت لي كما تيسّرت لغيري ، ويشوّش بذلك فكره في استخراج الحيل الدّقيقة والوسائل اللّطيفة في تحصيل مطالبه الشّهويّة و الغضبيّة ، فيصدّه عن الطاعة و يوقعه في المعصية وتسويف التّوبة .

و هذه الأماني إنّما تنشأ من الثّقة بقوله و الوثوق بوعده ، و وعده تارة يكون بالقاء الخواطر الفاسدة وأخرى بألسنة أوليائه من شياطين الانس ، فربّما يعد بالمغفرة مع الكبيرة كما قال تعالى : يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون سيغفر لنا ، وربّما يعد أنّه لا قيامة و لا حساب ولا ثواب ولا عقاب ويقول للانسان اجتهد في استيفاء اللّذات العاجلة واغتنم الحياة الزّائلة .

(وزيّن سيئات الجرائم وهوّن موبقات العظائم) أي زيّن في نظر الانسان

قبايح المعاصي وهوّن مهلكات الكبائر ومنشأ تزيينه للسّيئآت كتهوينه الموبقات أيضاً مواعيده الكاذبة وأمانيه الباطلة فما لم يثق بقوله ولا يطمئنّ بوعده لا يهوّن الانسان ماهوّن ، ولا يميل إلى ما زيّن .

توضيح ذلك وتحقيقه أنّ مقصود الشّيطان هوالتّرغيب في الاعتقاد الباطل والعمل الباطل والتنفير عن اعتقاد الحقّ وعمل الحقّ ، و معلوم أنّ التّرغيب في الشيء لا يمكن إلاّ بان يقرّر عنده أنّه لا مضرّة في فعله ، و مع ذلك فانّه يفيد المنافع العظيمة والتّنفير عن الشيء لا يمكن إلاّ بأن يقرّر عنده أنّه لا فائدة في فعله ومع ذلك فيفيد المضارّ العظيمة .

إذا ثبت هذا فنقول إنّ الشّيطان إذا دعا إلى المعصية فلابدّ وأن يقرّر أوّلا أنّه لا مضرّة في فعله البتّة ، وذلك لا يمكن إلاّ إذا قال لا معاد ولا جنّة و لا نار و لا حياة بعد هذه الحياة ، فهذا الطريق يقرّر عنده أنّه لا مضرّة البتّة في فعل هذه المعاصي و إذا فرغ من هذا المقام قرّر عنده و زيّن في نظره أن هذا الفعل يفيد أنواعاً من اللّذة و السّرور و لا حياة للانسان إلاّ في هذه الدّنيا فتفويتها غبن و حسرة .

وأمّا طريق التّنفير عن الطاعات فهو أن يقرّر أوّلا عنده أنّه لا فايدة فيها من وجهين **الاول** أنّه لاجنّة ولانارولا ثواب ولا عقاب **والثانى** أنّ هذهالعبادات لا فائدة فيها للعابد و لا للمعبودفكانت عبثاً محضاً ، و إذا فرغ من هذا المقام قال : إنّهاتوجب التّعب والمحنة وذلك أعظم المضارّ فهذه مجامع تلبيس إبليس وتوضيح وعده وأمانيه وتزيينهوتهوينه .

(حتّى إذا استدرج قرينتهواستغلق رهينته)أى إذا خدع قرينه وتابعه بتزيين الباطل في نظره وتنفيره عنالحقّ وأوقعه في الغلق بالذّنوب التي اكتسبهاكالرّهن المغلق في مقابل المال (أنكر ما زيّن واستعظم ما هوّن وحذّر ما آمن) كماقال سبحانه في سورة الأنفال :

« وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لاغالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ

النّاسِ وَ إِنّي جارٌ لَكُمْ فَلَمّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنّي أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنّي أَخافُ اللهَ وَ اللهُ شَدِيدُ الْعِقابِ »

قال الطبرسي : أى اذكر اذ زيّن الشّيطان للمشركين أعمالهم أي أحسنها في نفوسهم و ذلك أنّ إبليس حسّن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، و قال : لا يغلبكم أحد من النّاس لكثرة عددكم وقوّتكم وإنّى مع ذلك جاركم أي ناصر لكم ودافع عنكم السّوء ، وإنّي عاقد لكم عقد الامان من عدوّكم ، فلمّا التقت الفرقتان نكص على عقبيه ، أي رجع القهقرى منهزماً ورائه ، و قال : إنّي بريء منكم ، أي رجعت عمّا ضمنت لكم من الأمان والسّلامة لأ نى أرى من الملائكة الذين جاؤوا لنصر المسلمين مالا ترون ، وكان إبليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه ، إنّي أخاف الله ، أي أخاف عذاب الله على أيدى من أراهم ، والله شديد العقاب ، لايطاق عقابه وفي سورة الحشر :

« كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قالَ إِنّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِي النّارِ خالِدَيْنِ فِيها وَ ذٰلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ » .

أي مثل المنافقين في إغراء اليهود أي بني النّضير للقتال كمثل الشّيطان في إغرائه للانسان ، فانّه أبداً يدعو الانسان إلى الكفر ثمّ يتبرّء منه وقت الحاجة مخافة أن يشاركه في العذاب ويقول : إنّي أخاف الله رب العالمين ، ولا ينفعه ذلك كما قال : فكان عاقبتهما أي الدّاعى والمدعوّ من الشّيطان ومن أغواه ، أنّهما معذّبان في النّار .

قال ابن عبّاس: إنّ المراد بالانسان في هذه الآية هو عابد بني إسرائيل قال: إنه كان في بنى اسرائيل عابد اسمه برصيصا عبد الله زماناً من الدّهر حتّى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوّذهم فيبرؤون على يده ، وأنّه اُتي بامرأة في شرف قد جنّت و كان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشّيطان يزيّن له حتّى وقع عليها فحملت، فلمّا

استبان حملها قتلها ودفنها ، فلمّا فعل ذلك ذهب الشّيطان حتّى لقى أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الرّاهب وأنّه دفنها في مكان كذا .

ثمّ أتى بقيّة إخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرّجل يلقى أخاه فيقول والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره ، فذكر بعضهم لبعض حتّى بلغ ذلك ملكهم فصار الملك والنّاس ، فاستنزلوه فأقرّ لهم بالّذي فعل فأمر الملك به فصلب ، فلمّا رفع على خشبته تمثّل له الشّيطان فقال : أنا الّذي ألقيتك في هذا فهل أنت مطيعي فيما أقول أخلّصك ممّا أنت فيه ؟ قال : نعم ، قال : اسجد لي سجدة واحدة ، فقال : كيف أسجد لك و أنا على هذه الحالة ؟ فقال : اكتفي منك بالايماء ، فأومى له بالسّجود فكفر بالله وقتل الرّجل ، فهو قوله : كمثل الشّيطان إذ قال للانسان اكفر .

اللّهم إنّا نعوذ بك من خداع إبليس ومن شرور الأنفس ومن سوء الخاتمة .

تنبيهات ثلاثة متضمنة لتحقيق بعض ما تضمنه هذا الفصل

الاول

فى تحقيق الصراط و بيانه

فأقول : إنّ الصّراط ممّا يجب الايمان به وهو من جملة ضروريات الدّين وهو جسر جهنّم .

قال الصدوق (ره) في محكيّ كلامه عن اعتقاداته : اعتقادنا في الصّراط أنه حقّ وأنه جسر جهنّم و أنّ عليه ممرّ جميع الخلق قال الله تعالى :

« وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً »

قال (ره) : و الصراط في وجه آخر اسم حجج الله فمن عرفهم في الدّنيا و أطاعهم

أعطاه الله جوازاً على الصراط الذي هوجسر جهنّم **قال** (ره) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : يا عليّ إذا كان يوم القيامة أقعد أنا و أنت وجبرئيل على الصراط ولا يجوز على الصراط أحد إلاّ من كان معه برائة بولايتك **و قال المفيد**«ره»: الصراط بمعنى الطريق ولذلك يقال على ولاية أمير المؤمنين و الأئمة من ذريتهم عليهم السلام : الصراط ، لكونها طريق النجاة.

أقول : الصراط بهذين المعنيين مما اشير إليه في غير واحد من الأخبار ، ففي الصافي والبحار من معاني الأخبار وتفسير الامام عليه السلام في تفسير قوله :

« إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ».

عن الصّادق عليه السلام يعني أرشدنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبّتك و المبلّغ إلى جنّتك والمانع من أن نتّبع أهوائنا فنعطب أوأن نأخذ بآرائنا فنهلك.

وعنه أيضاً هي الطريق إلى معرفة الله وهما صراطان صراط في الدّنيا وصراط في الآخرة، فأمّا الصراط في الدّنيا فهوالامام المفترض الطاعة من عرفه في الدّنيا واقتدى بهداه مرّ على الصّراط الذي هوجسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط في الآخرة فتردى في نار جهنّم ، و في رواية نحن الصّراط المستقيم.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي عن حفص بن غياث قال : وصف أبوعبدالله عليه السلام الصّراط فقال : ألف سنة صعود و ألف سنة هبوط وألف سنة حذال.

وفيه عن سعد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن الصّراط فقال : هوأدقّ من الشّعر وأحدّ من السّيف ، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق ، و منهم من يمرّ عليه مثل الفرس ، و منهم من يمرّ عليه ما شياً ، ومنهم من يمرّ عليه حبواً (١) ، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً فتأخذ النّار بعضه وتترك بعضه.

وفيه قال : حدّثني أبي عن عمر بن عثمان عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : لمّا نزلت هذه الآية :

١- حبا الصبي يحبو إذا مشى على أربع، منه

«وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ».

سئل عن رسول الله فقال ﷺ أخبرني الرّوح الأمين أنّ الله لاإله غيره إذا برز الخلائق وجمع الأوّلين والآخرين أتى بجهنّم تقاد بألف زمام أخذ بكلّ زمام مأة ألف ملك تقودها من الغلاظ الشّداد لها هدّة وغضب وزفير وشهيق و أنّها لتزفر الزّفرة فلولا أنّ الله أخّرهم للحساب لأهلكت الجميع ، ثم يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البرّ و الفاجر ماخلق الله عبداً من عبادالله ملكا و لا نبيّاً إلاّ ينادي ربّ نفسي نفسي و أنت يا نبيّ الله تنادي أمّتي أمّتي ، ثمّ يوضع عليها الصراط أدقّ من حدّ السّيف عليها ثلاث قناطر فأمّا واحدة فعليها الأمانة و الرّحم ، والثّانية فعليها الصّلاة ، والثالثة فعليها ربّ العالمين (١) لا إله غيره فيكلّفون بالممرّ عليها فيحبسهم الرّحم و الأمانة فان نجوا منها حبستهم الصّلاة .فان نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين وهو قوله :

«إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ».

والنّاس على الصراط فمتعلّق بيد و تزلّ قدم وتستمسك بالقدم والملائكة حولها ينادون حولها يا حليم اعف و اصفح وعد بفضلك و سلّم سلّم والنّاس يتهافتون في النّار كالفراش فيها فاذا نجى ناج برحمة الله مرّ بها فقال: الحمدلله وبنعمته تتمّ الصّالحات وتزكو الحسنات والحمدلله الّذي نجاني منك بعدإياس بمنّه وفضله إنّ

١- يعنى عدالة ربّ العالمين قال المحدّث المجلسى فى كتاب حق اليقين بعد رواية هذا الحديث : يمكن أن يكون الامانة فى الاموال والعدل فى المظالم الآخر ، أو يكون الامانة فى حق الله و العدل فى حق الناس ، و لا يبعد أن يكون المراد بالرّحم رحم آل محمد و بالامانة عدم الخيانة فى عهدهم و بيعتهم ، ولذلك قدّمت على الصلاة ، ثمّ قال : ولم يذكر عقبة الولاية فى هذه الرواية و هى من أعظم العقبات و يمكن أن يقال انّ هذه العقبات بالنسبة الى المؤمنين وأما المشركون و المنافقون فيكبون جهنم فى أول الصراط أو يدخلونها قبل الصراط، انتهى كلامه رفع مقامه .

ربّنا لغفور شكور .

وفي غاية المرام للسّيد هاشم البحراني من طريق العامة عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكا أن يسعر النّيران السّبع و أمر رضوان أن يزخرف الجنان الثّمان و يقول : يا ميكائيل مدّ الصّراط على متن جهنّم و يقول : يا جبرائيل انصب ميزان العدل تحت العرش وينادى يا محمد : قرّب أمّتك للحساب .

ثمّ يأمر الله تعالى أن يعقد على الصّراط سبع قناطر طول كلّ قنطرة سبع عشر ألف فرسخ ، و على كلّ قنطرة سبعون ألف ملك قيام فيسألون هذه الامّة نسائهم و رجالهم على القنطرة الأولى عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام و حبّ أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله فمن أتى به جاز على القنطرة الأولى كالبرق الخاطف و من لم يحبّ أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله سقط على امّ رأسه على قعر جهنّم ولو كان معه من أعمال البرّ عمل سبعين صدّيقاً .

وعلى القنطرة الثّانية فيسألون عن الصّلاة، وعلى الثّالثة يسألون عن الزّكاة، وعلى الرّابعة عن الصيام، وعلى الخامسة عن الحجّ، وعلى السّادسة عن الجهاد، وعلى السّابعة عن العدل فمن أتى بشيء من ذلك جاز على الصّراط كالبرق الخاطف ومن لم يأت عذّب وذلك قوله تعالى «وقفوهم انّهم مسئولون» يعني معاشر الملائكة قفوهم يعني العباد على القنطرة الأولى انّهم مسئولون عن ولاية عليّ عليه السلام وحبّ أهل البيت عليهم السلام .

و في البحار من تفسير الامام عليه السلام المفسر باسناده إلى أبي محمد العسكري عليه السلام في قوله :

« إهْدِنا الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ » .

قال : أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ماضي أيّامنا حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا ، والصّراط المستقيم هو صراطان : صراط في الدّنيا ، وصراط في الآخرة فأمّا الصّراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلوّ وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل

إلى شيء من الباطل وأمّا الطريق الآخرفهو طريق المؤمنين إلى الجنّة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنّة إلى النّار ولا إلى غير النّار سوى الجنّة .

الثاني

في تحقيق الذكر و المستفاد من قوله عليه‌السلام: و او جف الذكر بلسانه الحث و الترغيب عليه

فأقول إنّ ذكر الله عزّ وجلّ على أقسام **الاول** أن يذكره تعالى عند إرادة المعصية الّتي يريد ارتكابها فيتركها له **الثاني** ذكره عند الطاعة فيسهل عليه مشقّة العبادة **الثالث** ذكره عندالرّفاهية والنّعمة فيذكره ويؤدّي شكره **الرابع** ذكره عند الابتلاء والمحنة فيتضرّع له لصرف البلاء والصّبر عليه **الخامس** ذكره بالقلب بأن يتفكّر في صفاته الجلالية ونعوته الجماليّة وغيرها من العلوم ومعارف الحقّة **السادس** الذكر باللّسان بأن يسبّح له و يقدّسه ويمجّده و يشتغل بذكر فضائل أهل البيت وتعليم القرآن وتدريس العلوم الشّرعيّة وأنحائها .

وكلّ ذلك ممّا ورد الحثّ عليه في الأخباروالآيات

قال سبحانه : « فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ » . وقال أيضاً : « فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ » وقال : « وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ » .

قال الطبرسيّ (ره) هو عام في الأذكار وقراءة القرآن والدّعاء والتّسبيح والتهليل وتضرّعاً و خيفة أي متضرّعا وخايفاً ، ودون الجهر من القول ، أي ومتكلّماً كلاماً دون الجهر ، لأنّ الاخفاء أدخل في الاخلاص وأبعد من الرّيا وأقرب إلى القبول

و في الكافي و عدّة الدّاعي لأحمد بن فهد الحلّي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : مكتوب في التّوراة الّتي لم تغيّر أنّ موسى سأل ربّه فقال : يارب أقريب أنت فاُناجيك أم بعيد فاُناديك ؟ فأوحى الله إليه يا موسى أنا جليس من ذكرني ، فقال موسى : فمن في سترك يوم لاستر إلاّ سترك ؟ فقال تعالى : الّذين يذكروني فأذكرهم ويتحابّون لي فاحبّهم فاُولئك الّذين إذا أردت أن اُصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم .

و في عدّة الدّاعي عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ما جلس قوم يذكرون الله إلاّ قعد معهم عدّة من الملائكة .

وروى أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما اجتمع قوم في مجلس لم يذكروا الله ولم يذكرونا إلاّ كان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة ، ثمّ قال : قال أبوجعفر عليه السلام إنّ ذكرنا من ذكر الله وذكر عدوّنا من ذكر الشّيطان .

و روى الحسن بن الحسن الدّيلمي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّ الملائكة يمرّون على حلق الذّكر فيقومون على رؤوسهم ويبكون لبكائهم ويؤمّنون لدعائهم ، فاذا صعدوا إلى السّماء يقول الله تعالى : يا ملائكتي أين كنتم ؟ وهو أعلم ، فيقولون : يا ربّنا إنّا حضرنا مجلساً من مجالس الذكر فرأينا أقواما يسبّحونك و يمجّدونك ويقدّسونك ويخافون نارك ، فيقول الله سبحانه : ياملائكتي أذودها عنهم واشهدكم أنّي قد غفرت لهم وأمنتهم ممّا يخافون ، فيقولون : ربّنا إنّ فيهم فلانا وإنّه لم يذكرك فيقول تعالى : قد غفرت له بمجالسته لهم ، الحديث .

وعنه أيضاً من ذكر الله في السّوق مخلصا عند غفلة النّاس وشغلهم كتب الله له ألف حسنة و يغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر .

وفي عدّة الدّاعي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ موسى عليه السلام انطلق ينظر إلى اعمال

العبّاد فأتى رجلا من أعبد النّاس فلمّا أمسى حرّك الرّجل شجرة إلى جنبه فاذا فيه رمّانتان قال فقال : يا عبدالله من أنت إنّك عبد صالح أنا ههنا منذ ماشاءالله ما أجد في هذه الشّجرة إلاّ رمّانة واحدة و لولا أنّك عبد صالح ما وجدت رمّانتين قال أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران .

قال : فلمّا أصبح قال تعلم أحداً أعبد منك ؟ قال : نعم فلان الفلاني ، قال : فانطلق إليه فاذا هو أعبد منه كثيراً فلمّا أمسى أُوتي برغيفين وماء فقال : ياعبدالله من أنت إنّك عبد صالح أنا ههنا منذ ماشاءالله و ما أُوتى إلاّ برغيف واحد و لولا أنّك عبد صالح ما أُوتيت برغيفين قال أنارجل أسكن أرض موسى بن عمران .

ثمّ قال موسى : هل تعلم أحداً أعبد منك ؟ قال : نعم فلان الحداد في مدينة كذا و كذا ، قال : فأتاه فنظر إلى رجل ليس بصاحب العبادة بل إنّما هو ذاكرالله تعالى وإذا دخل وقت الصّلاة قام فصلّى فلمّا أمسى نظر إلى غلّته فوجدها قد اضعفت قال يا عبدالله من أنت إنّك عبد صالح أنا ههنا منذ ماشاء الله غلّتي قرب بعضها من بعض واللّيلة قد اضعفت فمن أنت ؟ قال : أنارجل أسكن في أرض موسى بن عمران .

قال : فأخذ ثلث غلّته فتصدّق بها ، وثلثاً أعطى مولىً له ، وثلثاً اشترى له طعاماً فأكل هو وموسى ، قال : فتبسّم موسى عليه السلام فقال: من أيّ شيء تبسّمت ؟ قال : دلّني نبيّ بني إسرائيل على فلان فوجدته من أعبد الخلق فدلّني على فلان فوجدته أعبد منه فدلّني فلان عليك وزعم أنّك أعبد منه ولستُ أراك شبه القوم .

قال : أنا رجل مملوك أليس تراني ذاكرالله تعالى أوليس تراني أُصلّي الصّلاة لوقتها وإن أقبلت إلى الصّلاة أضررت بغلّة مولاي وأضررت بعمل النّاس أتريد أن تأتي بلادك ؟ قال : نعم .

قال فمرّت به سحابة فقال الحدّاد :ياسحابة تعالي ،قال :فجائت ،قال :اين تريدين؟ فقالت : اريد كذا و كذا ، قال : انصرفي ثمّ مرّت به اخرى قال : يا سحابة تعالي فجائت فقال : اين تريدين ؟ فقالت اريد ارض كذا و كذا ، قال : انصرفي ثمّ مرّت به اخرى قال : ياسحابة تعالي فجائته فقال اين تريدين ؟ قالت أُريد أُرض موسى بن

عمران قال : تعالى و احملي هذا حمل دقيق وضعيه في أرض موسى بن عمران وضعاً دقيقاً .

قال فلمّا بلغ موسى عليه السلام بلاده قال : يارب بما بلّغت هذا ما أرى ؟ قال تعالى : إنّ عبدي هذا يصبر على بلائي ويرضى بقضائي ، ويشكر على نعمائي .

وفي البحار من تفسير الامام عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الا فاذكروا يا امّة محمّد محمّداً و آله عند نوائبكم و شدائدكم لينصرنّ الله بهم ملائكتكم على الشّياطين الّذين يقصدونكم ، فانّ كلّ واحد منكم معه ملك عن يمينه يكتب حسناته وملك عن يساره يكتب سيئاته، ومعه شيطانان من عند إبليس يغويانه .

فاذا وسوسا في قلبه ذكر الله و قال : لاحول و لا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم وصلّى الله على محمّد وآله حبس الشّيطانان ثمّ صارا إلى إبليس فشكواه وقالا له : قد أعيانا أمره فامددنا بالمردة ولايزال يمدّهما حتّى يمدّهما بألف مارد فيأتونه فكلّما راموه ذكر الله وصلّى على محمّد وآله الطّيّبين لم يجدوا عليه طريقاً ولا منفذاً .

قالوا لابليس ليس له غيرك تباشره بجنودك فتغلبه فتغويه فيقصده إبليس بجنوده ، فيقول الله تبارك و تعالى للملائكة : هذا إبليس قد قصد عبدي فلاناً أو أمتي فلانة بجنوده ألا فقاتلوه ، فيقاتلوه بازاء كلّ شيطان رجيم منهم مأة ألف ملك وهم على افراس من نار بأيديهم سيوف من نار ورماح من نار وقسيّ ونشاشيب (١) وسكاكين وأسلحتهم من نار .

فلا يزالون يجرحونهم و يقتلونهم بها ويأسرون إبليس فيضعون عليه تلك الأسلحة فيقول : يا ربّ وعدك وعدك قد أجّلتني إلى يوم الوقت المعلوم ، فيقول الله تبارك و تعالى للملائكة : وعدته أن لا أميته و لم أعده أن لا أسلّط عليه السّلاح و العذاب والآلام اشتفوا منه ضرباً بأسلحتكم فانّي لا أميته فيثخنونه بالجراحات ثمّ يدعونه ، فلا يزال سخين العين (٢) على نفسه و أولاده المقتولين

---

(١) جمع النشاشب بالضم والتشديد وهوالنبل (٢) اى باكي العين .

المقتّلين (١) ولايندمل شيء من جراحاته ، إلاّ بسماعه أصوات المشركين بكفرهم فان بقى هذا المؤمن على طاعة الله وذكره والصّلاة على محمّد وآله بقى إبليس على تلك الجراحات ، فان زال العبد عن ذلك و انهمك في مخالفة الله عزّ وجلّ ومعاصيه اندملت جراحات إبليس ثمّ قوى على ذلك العبد حتّى يلجمه و يسرج على ظهره ويركبه ثمّ ينزل عنه ويركب ظهره شيطاناً من شياطينه ويقول لأصحابه أما تذكرون ما أصابنا من شأن هذا ذلّ وانقاد لنا الآن حتّى صار يركبه هذا

ثمّ قال رسول الله ﷺ فان أردتم أن تديموا على إبليس سخنة عينه و ألم جراحاته فداوموا على طاعة الله وذكره والصّلاة على محمّد وآله ، وإن زلتم عن ذلك كنتم اسراء إبليس فيركب أقفيتكم (٢) بعض مردته هذا ، والله المستعان وبه الاعتصام في النّجاة من مكايد الشّيطان .

الثالث

فى تحقيق معنى الرجاء والخوف على فى ما شرح البحرانى اخذاً من احياء العلوم لابى حامد الغزالى بتغيير وتصرف يسير

فاعلم أنّ الرّجاء من جملة مقامات السالكين وحالات الطالبين ، وهو ارتياح النّفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة لها تصدر عن علم وتقتضي عملا

بيان ذلك أنّ ما يتصوّره النّفس من محبوب أو مكروه فامّا أن يكون موجوداً فى الماضي أو في الحال أو يوجد في الاستقبال ، والأوّل يسمّى ذكراً وتذكيراً ، والثّاني يسمّى وجداً لأنّها حالة تجدها من نفسك ، والثّالث و هو أن يغلب على ظنّك وجود شيء في الاستقبال لنفسك به تعلق يسمّى ذلك انتظاراً

---

(١) المقتلين من باب الافعال اى المعرضين للقتل أو التفعيل لبيان كثرة مقتولهم قال الجوهرى اقتلت فلانا عرضته للقتل وقتلوا تقتيلا شد للكثرة (بحار)

(٢) جمع قفا (منه)

وتوقّعاً ، فان كان مكروها حدث منه في القلب تألم يسمّى خوفاً واشفاقاً ، و إن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلّق القلب به لذّة للنفس وارتياح باخطار وجوده بالبال يسمّى ذلك الارتياح رجاءً .

و لكن ذلك المحبوب المتوقّع لابدّ و أن يكون له سبب ، فان كان توقّعه لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق ، و إن كان انتظاره مع العلم بانتفاء أسبابه فاطلاق اسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء ، و إن كانت الأسباب غير معلومة الوجود ولا معلومة العدم فاسم التمنّى أصدق على انتظاره .

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ أرباب القلوب والعرفان قد علموا أن الدّنيا مزرعة الآخرة ، فالقلب كالأرض والبذر هو الايمان والمعارف الالهيّة وتأثر القلب بالمواعظ والنّصايح والاتيان بالطّاعات جار مجرى تقليب الأرض واصلاحها ومجرى سياق الماء إليها واعدادها للزراعة .

والقلب المستغرق بحبّ الدّنيا والميل إليها كالأرض الصلبة أو السبخة التي لا تقبل الزّرع والانبات ولا ينمو فيها البذر لصلب الأرض أو لمخالطة الأجزاء الملحية ، ويوم القيامة يوم الحصاد ولا حصاد إلاّ من زرع ، ولا زرع إلاّ من بذر وكما لا ينفع الزّرع في أرض صلبة سبخة كذلك لا ينفع إيمان مع حبّ القلب و قساوته وسوء الأخلاق .

فينبغي أن يقاس رجاء العبد لمغفرة الله ورضوانه برجاء صاحب الزّرع وكما أنّ من طلب أرضا طيّبة وقلّبها وألقى فيها بذراً جيّداً غير متعفّن و لا مسوس ثمّ أمدّه بالماء العذب وساير مايحتاج إليه في أوقاته ، ثمّ طهّره عن مخالطة ما يمنع نباته من الشّوك والحشيش ونحوهما ، ثمّ جلس منتظراً من فضل الله رفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتمّ الزّرع ويبلغ غايته كان ذلك رجاء في موضعه واستحقّ اسم الرجاء إذا كان في مظنة أن يفوز بمقصده من ذلك الزّرع .

ومن بذر في أرض كذلك إلاّ أنّه بذر في اخريات النّاس ولم يبادر إليه في

أوّل الأوقات أوقصر في بعض أسبابه مع حصول غالب الأسباب ، ثمّ أخذ ينتظر ثمرة ذلك الزّرع ويرجوالله سبحانه في سلامة له فهو من جملة الرّاجين أيضاً .

ومن لم يحصل بذراً أو بذر في أرض سبخة أو صلبة غير قابلة للانبات ، ثمّ أخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء إنّما يصدق على انتظار ما حصل جميع أسبابه أو غالبها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلاّ مالا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف المضّار والمفسدات .

كذلك حال العبد إن بذر المعارف الالهية في قلبه في وقته وهو انف البلوغ ومبدء التكليف و دام على سقيه بماء الطاعات واجتهد في تطهير نفسه عن شوك الأخلاق الردية التي تمنع نماء العلم وزيادة الايمان وانتظر من فضل الله أن يثبته على ذلك إلى زمان وصوله وحصاد عمله فذلك الانتظار هوالرجاء الحقيقي المحمود وهو درجة السّابقين .

و إن ألقى بذرالايمان في نفسه لكنه قصر في بعض الأسباب إما بتأخير في البذر أو تسامح في السقي في الجملة ثمّ أخذ ينتظر وقت الحصاد و يتوقع من فضل الله تعالى أن يبارك له و يعتمد عليه على أنه الرّزاق ذوالقوة المتين فيصدق عليه أنه راج أيضاً لحصول اكثر الأسباب .

وأما من لم يزرع من قواعد الايمان في قلبه شيئاً أو زرع ولم يسقه بماء الطاعة أو لم يطهر نفسه من رزايل الأخلاق واشتغل بالسيّئآت أو انهمك في الشهوات ثمّ انتظر المغفرة والفضل من الله فانتظاره حمق وغرور .

قال سبحانه : « خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون سيغفرلنا » وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : الأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الجنّة ، قال الشّاعر :

إذا انت لم تزرع وعاينت حاصداً　　ندمت على التفريط في زمن البذر

فأعظم الحمق والاغترار التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة

وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة ، وانتظار زرع الجنّة ببذر النّار و طلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمنّي على الله مع الافراط والتجرّي.

ترجوالنّجاة ولم تسلك مسالكها إنّ السّفينة لا تجري على اليبس

الترجمة

وبدانيد اى مردمان كه عبور شما برصراط است و برمحلّهاى لغزش اوست وخوفهاى لغزيدن اوست وهولهاى مكرر اوست، پس بپرهيزيد ازخدا همچو پرهيز نمودن شخصى كه مشغول نمايد تفكر درمعارف حقه قلب او را ، و بر تعب اندازد ترس خدا بدن او را ، و بيدار گردانيده باشد عبادت شب خواب اندك او را ، وتشنه ساخته باشد رجاء بخدا روزهاى گرم او را.

مانع شده باشد زهد ازشهوت آن وسرعت نمايد ذكر بزبان آن ، و مقدم بدارد خوف را بجهة امن از عقوبت ، و كناره جوئى كند ازچيزهائى كه شاغلست ازراه روشن هدايت ، وسلوك نمايد درأعدل راهها بسوى منهج مطلوب كه عبارتست از ثواب وجزاء مرغوب ، وصارف نشود صوارف نخوت وغرور ، وپوشيده نشود بر او مشتبهات امور درحالتى كه فايز است بشادى بشارت و راحت نعمت در آسوده ترين خواب وايمن ترين وقت .

بتحقيق كه گذشته باشد از گذرگاه دنيا درحالتى كه پسنديده است و مقدم داشته باشد توشۀ آخرت را درحالتى كه سعيد است ، و شتافته است بعمل خير از ترس خداوندگار ، وسرعت نموده است بكردار خوب درمهلت روزگار ، و رغبت نموده درطلب خشنودى ورضاى پروردگار، ودر رفته ازباطل بجهة خوف از كردگار، وملاحظه كرده دردنياى خود آخرت خود را ، ونظر كرده در اول امر خود پيش روى خود را .

پس كفايت است بهشت از حيثيت عطا وثواب ، وكافيست جهنم ازحيثيت عذاب و وبال ، وكافيست خداوند درحالتى كه انتقام كشنده است ويارى كننده ، و كافيست كتاب خدا درحالتى كه حجت آرنده است وخصومت كننده .

وصيت ميكنم شمارا بپرهيز كاری خدا ، آن خدائی كه عذر را زايل نمود ازخود با آنچه كه ترسانيد خلايق را بآن ازانواع عقوبات ، واقامهٔ حجت نمود بر ايشان با آنچه كه روشن نمود از براهين وبينات ، و ترسانيده شمارا از دشمنی كه نفوذ كرد وروان شد درسينه‌ها در حالتی كه‌پنهانست از نظر، ودميد در گوشها در حالتی كه نجوی كننده‌است بسر، پس گمراه كرد تابع خودرا وبهلاكت انداخت ووعده كرد مطيع خودرا .

پس آرزومنـد نمود وزينت‌داد بديهـای‌جرمها رادر نظراو، و آسـان كرد مهلكات معصيتها را درنزد او تا آنكه چون خدعه نمود قرين و همنشين خود را وبغلق انداخت وفروبست رهين‌خودرا انكاركرد آن چيزيرا كه زينت داده بود در نظر او ، وبزرگ شمرد آن چيز را كه آسان كرده بود درنزد او ، وترسانيد ازآن چيزی كه ايمن كرده بود او را ازآن .

ومقصود ازهمه اين تحذير است از مكايد شيطان لعين‌و ازتدليسات آن عدوّ مبين كه انسانرا بارتكاب معاصی‌جری ميكند وبعداز ارتكاب از او تبرّی مينمايد.

بيت

غافل مشو كه مركب مردان راه را درسنگلاخ وسوسه پی‌ها بريده اند

الفصل السابع منها في صفة خلق الانسان

أَمْ هٰذا الَّذي أَنْشَأَهُ في ظُلُماتِ الْأَرْحامِ وَشُغُفِ الْأَسْتارِ نُطْفَةً دِهاقاً ، وَعَلَقَةً مُحاقاً ، وَجَنيناً وَراضِعاً ، وَوَليداً وَيافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حافِظاً، وَلِساناً لافِظاً ، وَبَصَراً لاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً ، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً حَتّىٰ إِذا قامَ اعْتِدالُهُ ، وَاسْتَوىٰ مِثالُهُ ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً ، وَخَبَطَ سادِراً ماتِحاً في غَرْبِ هَواهُ ، كادِحاً سَعْياً لِدُنْياهُ ، في لَذّاتِ طَرَبِهِ ، وَبَدَواتِ أَرَبِهِ ، لا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً ، وَلا يَخْشَعُ تَقِيَّةً ، فَماتَ في فِتْنَتِهِ غَريراً، وَعاشَ

في هفوَته يسيراً ، لم يُفد عوضاً ، ولم يقضِ مُفترضاً ، دَهمتْهُ فجعاتُ المَنيَّةِ في غُبّرِ جماحه ، وَسَنَنِ مِراحِه ، فظلَّ سادِراً ، وَباتَ ساهِراً ، في غَمَراتِ الآلامِ ، وَطَوارقِ الأوجاعِ والأسقامِ ، بَيْنَ أخٍ شقيقٍ ، وَوالِدٍ شَفيقٍ ، وَداعِيَةٍ بالوَيْلِ جَزَعاً ، وَلادِمَةٍ للصَّدْرِ قَلَقاً ، وَالمَرْءُ في سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ ، وَغَمْرَةٍ كارِثَةٍ ، وَأنَّةٍ مُوجِعَةٍ ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ ، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ ، ثُمَّ أُدْرِجَ في أكفانِه مُبْلِساً ، وَجُذِبَ مُنْقاداً سَلِساً ، ثُمَّ أُلقِيَ عَلَى الأعْوادِ رَجيعَ وَصَبٍ ، وَنِضْوَ سَقَمٍ ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الوِلْدانِ ، وَحَشَدَةُ الإخْوانِ ، إلى دارِ غُرْبَتِه ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِه ، حَتّى إذا انْصَرَفَ المُشَيِّعُ ، وَرَجَعَ المُتَفَجِّعُ ، أُقْعِدَ في حُفْرَتِه نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤالِ ، وَعَثْرَةِ الامْتِحانِ ، وَأعْظَمُ ما هُنالِكَ بَلِيَّةً نُزُلُ الحَميمِ ، وَتَصْلِيَةُ الجَحيمِ ، وَفَوْراتُ السَّعيرِ ، وَسَوْراتُ الزَّفيرِ ، لا فَتْرَةٌ مُريحَةٌ ، وَلا دَعَةٌ مُزيحَةٌ ، وَلا قُوَّةٌ حاجِزَةٌ ، وَلا مَوْتَةٌ ناجِزَةٌ ، وَلا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ ، بَيْنَ أطْوارِ المَوْتاتِ ، وَعَذابِ السّاعاتِ ، إنّا بِاللهِ عائِذُونَ .

اللغة

(الشّغف) بضمتين جمع شغاف كسحاب وهو غلاف القلب و (الدّهاق) بالدال المهملة من دهق الماء أفرغه إفراغاً شديداً ، وفي بعض النّسخ دفاقا من دفق الماء دفقا من باب قتل انصب لشدّة و يقال أيضاً دفقت الماء أي صببته يتعدّى فهو دافق و مدفوق ، وأنكر الأصمعي استعماله لازماً قال : وأمّا قوله تعالى من ماءٍ دافق فهو على اسلوب أهل الحجاز و هو أنّهم يحوّلون المفعول فاعلا إذا كان في موضع نعت و المعنى من ماء مدفوق ، و قال ابن القوطبة ما يوافقه سرّ كاتم أى

مكتوم وعارف اى معروف وعاصم اى معصوم.

و (المحاق) بضم الميم والكسر لغة قال الفيومى : محقه محقا من باب نفع نقصه وأذهب منه بركة ، وقيل هو ذهاب الشيء كلّه حتى لا يرى له أثر منه ويمحق الله الربا وانمحق الهلال الثلاث ليال في آخر الشّهر لا يكاد يرى لخفائه و الاسم المحاق بالضم والكسر لغة . وفي القاموس المحاق مثلّثة آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره أو أن يستتر القمر فلا يرى غدوة و لاعشية سمّى به لأنه طلع مع الشّمس فمحقته.

وغلام (يافع) ويفع ويفعة مرتفع و (السادر) المتحير والذى لايهتمّ ولايبالي ماصنع و (الماتح) الذي يستسق الماء من البئر وهو على رأسها و المايح الذي نزل البئر إذا قلّ ماؤها فيملاء الدلاء فالفرق بين المعنيين كالفرق بين النقطتين و (الغرب) الدلو العظيم و (كدح) في العمل من باب منع سعي و (بدا) بدوا و بدوّاً وبداء وبدوءً و بداوة ظهر ، و بداوة الشّيء أول مايبدو منه ؛ و بادى الرأى ظاهره ، وبداله في الأمر بدواً وبداءةً نشأله فيه رأى وهو ذو بدوات .

قال الفيومى و (الارب) بفتحتين والاربة بالكسر والمأربة بفتح الراء وضمّها الحاجة ، والجمع المآرب ، والارب في الأصل مصدر من باب تعب يقال ارب الرّجل إلى الشيء إذا احتاج إليه فهو ارب على فاعل و (دهمه) الشيء من باب سمع ومنع غشيه و (غبّر) الشيء بضم الغين وتشديد الباء بقاياه جمع غابر كركّع و راكع و (جمح) الفرس جمحا وجماحا بالكسر اغترّ فارسه وغلبه وجمح الرّجل ركب هواه و (سنن) الطريق مثلّثة و بضمّتين نهجه و جهته و (مرح) مرحا من باب فرح نشط وتبختر والمراح ككتاب اسم منه .

و (غمرة) الشيء شدّته و مز دحمه والجمع غمرات و غمار و (لهث) لهثا من باب سمع و لهاثاً بالضمّ أخرج لسانه عطشاً و تعباً أو اعياء ، وفي بعض النسخ و سكرة ملهية بالباء أى مشغلة و (كرثه) الغمّ يكرثه من باب نصر اشدّ عليه و بلغ المشقّة و هو كريث الأمر إذا ضعف و جبن و (أنّ) المريض انا إذا تأوّه

و (ابلس) يئس وتحيّر ومنه سمّى إبليس وناقة (رجع) سفر و رجيع سفر قدرجع فيه مراراً و (الوصب) محرّكة المرض والوجع .

و(النضو) بالكسر المهزول من الابل وغيره و (السّقم) كالجبل المرض و (الحشدة) جمع حاشد من حشدت القوم من باب قتل وضرب وحشد القوم يعدي ولايعدى إذا دعوا فأجابوا مسرعين أو اجتمعوا الأمر واحد وحفّوا فى التعاون و (البهت) بالفتح الأخذ بغتة والتحيّر و الانقطاع و (النزل) بضمتين طعام النزيل الذى يهيؤ له قال سبحانه : هذا نزلهم يوم الدّين .

و (الحميم) الماء الحارّ و (تصلية) النار تسخينها و (السورة) الحدّة والشدّة و (زفر) النّار تسمع لتوقّدها صوت و (الدّعة) السعة في العيش والسكون و (الازاحة) الازالة .

الاعراب

اختلف الشراح في كلمة أم في قوله أم هذا الذي أنشأه ، ففي شرح المعتزلي أم ههنا إمّا استفهامية على حقيقتها كأنه قال : أعظكم واذكركم بحال الشيطان واغوائه أم بحال الانسان منذ ابتداء وجوده إلى حين مماته ، وإمّا أن يكون منقطعة بمعنى بل كأنه قال عادلا و تاركالما وعظهم به بل أتلو عليهم نبأ هذا الانسان الذي حاله كذا وكذا .

وفي شرح البحراني أم للاستفهام وهو استفهام في معرض التقريع للانسان وأمره باعتبار حال نفسه ودلالة خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كفرانه لها وكان أم معادلة لهمزة الاستفهام قبلها ، و التقدير أليس فيما أظهره الله لكم من عجايب مصنوعاته عبرة أم هذا الانسان و تقلّبه فى أطوار خلقته و حالته الى يوم نشوره .

أقول : لا يخفى ما فى ما ذكره من الاغلاق و الابهام بل عدم خلوّه من الفساد، إذ لم يفهم من كلامه أنّ أم متصلة أم منفصلة ، فانّ قوله : أم للاستفهام مع قوله : و كان أم معادلة لهمزة الاستفهام يفيد كون أم متصلة إلاّ أنه ينافيه قوله هو استفهام في معرض التّقريع لأنّ أم المتّصلة لابدّ أن تقع بعد همزة التسوية نحو قوله تعالى:

« سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ »

أو بعد همزة الاستفهام الّتي يطلب بها وبأم التعيين مثل أزيد عندك أم عمرو ، ولا بدّ أن يكون الاستفهام على حقيقة لتكون معادلةلها في افادة الاستفهام كمعادلتها لهمزة التسوية في إفادة التّسوية ولذلك أيضاً سمّيت متّصلة لا تصالها بالهمزة حتّى صارتا في إفادة الاستفهام بمنزلة كلمة واحدة، ألا ترى أنهما جميعاً بمعنى أي و ينافيه أيضاً قوله والتقدير أليس فيما أظهره آه بظهوره في كون الاستفهام للانكار التوبيخي وإن جعل أم منفصلة فلا يحتاج إلى المعادل الذي ذكره ، فالأولى ما ذكره الشارح المعتزلي وإن كان هو أيضاً لا يخلو عن شيء .

و التحقيق عندي هو أنّ أم يجوز جعلها متّصلة مسبوقة بهمزة الاستفهام أى ءاذكركم وأعظكم بما ذكرته و شرحته لكم أم اذكركم بهذا الذي حاله كذا و كذا ، ويجوز جعلها منفصلة مسبوقة بالهمزة للاستفهام الانكاري الابطالي، والتقدير أليس فيما ذكرته تذكرة للمتذكر وتبصرة للمتبصر ، بل في هذا الانسان الذي حاله فلان فيكون من قبيل قوله سبحانه :

« أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا »

و هذا كلّه مبنيّ على عدم كون الخطبة ملتقطة و أن لا يكون قبل قوله عليه السلام أم هذا آه ، حذف وإسقاط من السّيد ، وإلّا فمعرفة حال أم موقوفة على الاطلاع والعثور بتمام الخطبة ، هذا

والمنصوبات الاثنان والعشرون أعني نطفة وعلقة وجنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً ومعتبراً ومزدجراً ومستكبراً وسادراً وماتحاً وكادحاً ولا يحسب ولا يخشع و غريراً ومبلساً ومنقاداً وسلساً ورجيع و صب و نضو سقم ونجيّاً ، كلّها أحوال ، والعامل في كلّ حال ماقبله من الأفعال .

و سعيا مصدر بغير لفظ عامله من قبيل أفنضرب عنكم الذكر صفحا ، و في لذّات طربه متعلّق بقوله كادحاً ، ويحتمل الحاليّة ، و تقيّة مفعول لأجله ، ويسيراً

صفة للظرف المحذوف بقرينة المقام اى زماناً يسيراً ، و جزعا و قلقاً منصوبان على المفعول له .

المعنى

اعلم أنّه لما وعظ المخاطبين بالحكم والمواعظ الحسنة عقّب ذلك وأكّده بذكر حال الانسان و ما أنعم الله به عليه من النعم الظاهرة و الباطنة بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً حتّى أنّه إذا كبر وبلغ أشدّه نفر و استكبر ولم يأت ما امر ولم ينته عما ازدجر ثمّ أدركه الموت في حال عتوّه وغروره فصار في محلّة الأموات رهين أعماله مأخوذاً بأفعاله مبتلاً بشدايد البرزخ وأهواله كما قال عليه السلام :

(أم هذا الذي أنشأه) الله سبحانه بقدرته الكاملة و حكمته التامة الجامعة (في ظلمات الأرحام وشغف الاستار) العطف كالتفسير ، و المراد بالظلمات هى ما اشيرت إليها في قوله سبحانه « يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلث » وهى إمّا ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن و الأوّل رواه الطبرسيّ عن أبي جعفر عليه السلام (نطفة دهاقا) أى مفرغة إفراغاشديداً (وعلقة محاقاً) أى ناقصة لم تتصوّر بعد بصورة الانسانية في الاتيان بهذه الأوصاف تحقيراً للانسان كما أومى إليه بالاشارة (وجنيناً و راضعاً و وليداً ويافعاً) و هذه الأوصاف الأربعة كسابقيها مسوقة على الترتب الطبيعي المشار إليه بقوله سبحانه:

« ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلهِ وَقاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطواراً »

فانّه سبحانه قد خلق الانسان أولا عناصر ثمّ مركبات يغذي الانسان ثمّ أخلاطاً ثمّ نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاما ولحوما كما قال « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين ثمّ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثمّ أنشأناه خلقا آخرفتبارك الله أحسن الخالقين » .

ثمّ إنّه مادام في الرّحم يسمّى جنينا كما قال : « و إذ أنتم أجنّة في بطون

امّهاتكم »وبعد ولادته يكون راضعاًيرضع امّه اى يمتصّ ثديها ، ثمّ يكون وليداً أى فطيما فاذا ارتفع قيل يافع .

قال في سرّالأدب في ترتيب أحوال الانسان : هو مادام في الرحم جنين فاذا ولد فوليد : ثمّ مادام يرضع فرضيع ، ثمّ إذا قطع منه اللّبن فهو فطيم ، ثمّ إذادبّ ونمى فهو دارج ، فاذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسي ، فاذا سقطت رواضعه فهو مشغور ، فاذا نبتت أسنانه بعد السّقوط فهومثغر (١) ، فاذا تجاوزالعشر أوجاوزها فهومترعرع وناشى ، فاذا كاد يبلغ الحلم أوبلغه فهويافع ومراهق ، فاذا احتلم واجتمعتقوّته فهو حزوّر ، و اسمه في جميع هذه الأحول غلام فاذا اخضرّ شاربه قيل قد بقل وجهه ، فاذا صارفتاة فهو فتى وشارخ ، فاذا اجتمعت لحيتهوبلغ غاية شبابه فهو مجتمع ، ثمّ مادام بين الثلاثين و الأربعين فهو شابّ ، ثمّ هو كهل إلى أن يستوفى الستين وقيلإذا جاوز أربعاً و ثلاثين إلى إحدى و خمسين ، فاذا جاوزها فهو شيخ .

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح قوله عليه السلام (ثمّ منحه قلبا حافظا و لسانا لافظا وبصراً لاحظا) أى أعطاه عقلا ونطقا ونظراً ومنحه ذلك ومنّعليه بذلك (ليفهممعتبراًويقصرمزدجراً) أى ليعتبر بحال الماضين و ما نزل بساحة العاصين و ينتهى عما يفضيه إلى أليم النّكال و شديد الوبال ، و ليفهم دلايل الصنع والقدرة ويستدلّ بشواهد الربوبية على وجوب الطاعة و الانتهاء عن المعصية فينزجر عن الخلاف والعصيان ويتخلّص عن الخيبة والخسران .

(حتّى إذا قام اعتداله) بالتناسب والاستقامةوالتوسّطبين الحالين في كم أو كيف أى تمّخلقته وصورته وتناسب أعضاؤه وخلت عن الزّيادة والنّقصان و كمل قواه المحتاجإليها (واستوى مثاله) أى اعتدل مقداره وصفته ويقالاستوى الرجل إذا بلغ أشدّه أى قوّته و هو مابين ثمانية عشر إلى ثلاثين (نفر) و فرّعن امتثال

١ـ قال المطرزى : ثغر الصبى فهو مثغور سقطت رواضعه ، و اذا نبت بعدا لسقوط فهو مثغر بالتاء والثاء ، وقد اثغرعلى افتعل ، منه .

الأحكام الشّرعيّة و التّكاليف الالهيّة (مستكبراً) و متعنّتا (وخبط) أى سلك وسار على غير هداية (سادراً) لايبالى ما صنع (ما تحاًفي غرب هواه) شبّه الهوا بالغرب لأنّ ذي الغرب إنما يستبقى بغرب الماء ليروى غلله و كذلك صاحب الهوى يجلب بهواه ما تشتهيه نفسه و تلتذّبه و تروى بـه غليل صدره و ذكر المتح ترشيح للتشبيه .

وأمّا ما قاله البحراني من أنّه استعار الغرب لهواه الذي يملاء به صحايف أعماله من المآثم كمايملاء ذوالغرب غربه من الماء ورشح تلك الاستعارة بذكر المتح فليس بشيء ، أمّا أوّلاً فلأنّ طرفي التشبيه مذكور في كلامه عليه السلام فكيف يكون استعارة بل هو تشبيه بليغ ، و أمّا ثانياً فلأنّ الهوى الذي يكون سبباً لملاء صحايف الأعمال لاربط له بالغرب الذي يملاء فيه الماء إذالمملوّ بالماء هو الغرب والمملو بالمآثم هو الصحايف لا الهوا نفسه ، وكذلك لا مناسبة بين الاثم والماء والوجه ما ذكرناه فافهم جيّدا .

وقوله (كادحاً سعياً لدنياه) أى كان سعيه وهمّته من جميع جهاته مقصورة في دنياه غير مراقب بوجه لآخرته(في لذّات طربه وبدوات اربه)أىحاجته التي تبدوله وتظهروتختلف فيها آرائه ودواعيه (لايحتسب رزيّة ولا يخشع تقيّة) يعني لم يكن يظنّ أن ينزل عليه مصيبة و لم يكن يخشع و يخاف من الله لأجل تقيّة وذلك من فرط اغتراره بالدّنيا وشدّة تماديه في الشّهوات .

(فمات في فتنته) أىفيضلالته (غريراً)ومغروراً(وعاش فيهفوته)وزلّتهزمانا (يسيراً) قليلا (لميفدعوضاولميقضمفترضا)أىلميستفد ولم يكتسب من الكمالات والخيرات عوضاممّا أنعمالله سبحانه به عليه ، ولميأت شيئا من الطاعات والتكاليف التي فرض الله تعالى عليه .

(دهمته فجعات المنيّة فيغبّرجماحه وسنن مراحه) يعني فاجأته دواهى الموت في بقايارکوبه هواه وفيطرقنشاطه (فظلّسادراً) متحيّراً(وباتساهراًفيغمرات الآلام)

و شدايدها (و طوارق الأوجاع و الأسقام) و نوازلها (بين أخ شقيق) عطوف (و والدشفيق) رؤوف وشق الشيء و شقيقه هو نصفه .

وتوصيف الأخ بالشقيق لكونه كالشقّ منه وبمنزلة جزء بدنه وقلبه (وداعية بالويل جزعا) من النسآء والاماء (ولادمة للصدر قلقا) من البنات والأمّهات وهذا كلّه تشريح لحال أهل الميّت فانّه ، إذا يئس عنه الطّبيب وابلس الحبيب فهنالك خفّ عنه عوّاده وأسلمه أهله وأولاده ، فشقّت جيوبها نساؤه ، و لطمت صدورها اماؤه ، واعول لفقده جيرانه ، و توجّع لرزيّته إخوانه؛ و غضّوا بأيديهم عينيه ، ومدّوا عند خروج نفسه يديه ورجليه .

فكم موجع يبكي عليه تفجّعاً و مستنجداً صبراً و ما هو صابر
ومسترجع داعٍ له الله مخلصاً يعدّ و منه خير ما هو ذاكر
وكم شامتٍ مستبشرٍ بوفاته وعما قليل كالّذي صار صائر

هذا حالهم ، وأمّا حال الميّت فقد أشار إليه بقوله (والمرء في سكرة ملهثة) يلوك لسانه و يخرجه تعباً و عطشاً (و غمرة كارثة) أى شدّة بلغ الغاية من المشقّة .

روى في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن عبدالله بن المغيرة عن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الميت إذا حضره الموت أو ثقه ملك الموت و لولا ذلك استقرّ«١»(و أنّة موجعة)أي تأوّه موجب لوجع الحاضرين والسّامعين (وجذبة مكربة و سوقة متعبة) والمراد بهما جذب الملائكة للرّوح وسوقهم له إلى خارج البدن كما قال تعالى :

« وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ » .

---

١ ـ هكذا فى النسخة ، و فى الوافى نقلا عن الكافى : ما استقرّ و هو الصحيح «المصحح»

قال الطّبرسي : أي في شدايد الموت عند النّزع والملائكة الذين يقبضون الأرواح باسطو أيديهم لقبض أرواحهم يقولون أخرجوا أنفسكم من أجسادكم عند معاينة الموت ازهاقاً لهم وتغليظاً عليهم و إن كان إخراجها من فعل غيرهم.

وقال الشّارح البحراني : اعلم أنّ تلك الجذبة يعود إلى ما يجده الميّت حال النّزع وهو عبارة عن ألم ينزل بنفس الرّوح يستغرق جميع أجزائه المنتشرة في أعماق البدن وليس هو كساير ما يجده الرّوح المختصّ ببعض الأعضاء كعضو شاكته شوكة ونحوها ، لاختصاص ذلك بموضع واحد فألم النّزع يهجم على نفس الرّوح و يستغرق جميع أجزائه وهو المجذوب من كلّ عرق و عصب وجزء من الأجزاء ومن أصل كلّ شعرة وبشرة لا تسألنّ عن بدن يجذب منه كلّ عرق من عروقه ، وقد يمثّل ذلك بشجرة شوك كانت داخل البدن ثمّ جذبت منه فهي الجذبة المكربة ، ولمّا كان موت كلّ عضو عقيب الأمراض التي ربّما طالت تدريجا فتلك هى السّوقة المتعبة (ثمّ أُدرج في أكفانه مبلسا) أي آيسا أوحزينا (وجذب) من وطنه إلى الخارج (منقاداً سلساً) اي سهلا ليّنا (ثمّ القي على الأعواد) أى الأسرّة حال كونه (رجيع وصب و نضو سقم) يعني أنّه من جهة ابتلائه بتارات الأمراض وتردّده في أطوار الأتعاب والأوصاب صار كالابل الرّجيع الذي يردّد في الأسفار مرّة بعد اُخرى ولأجل نحول جسمه من الأسقام كان كالجمل النّضو الذي يهزل من كثرة الأحمال والأثقال (تحمله حفدة الولدان وحشدة الاخوان) يعني أنّه بعد الفراغ من تغسيله وتكفينه وحمله على سريره أقبلوا على جهازه وشمّروا لابرازه وحمله أعوانه وولدانه وأحبّاؤه وإخوانه.

فظلّ أحبّ القوم كان لقربه	يحثّ على تجهيزه و يبادر
و شمّر من قد أحضروه لغسله	ووجّه لما فاظ(١) للقبر حافر
و كفّن في ثوبين فاجتمعت له	مشيّعة إخوانه والعشاير

١- فاظ الرجل اى مات ، م .

ثمّ اخرج من بين صحبته «١» (إلى دار غربتهو) من محلّ عزته إلى (منقطع زورته) ومن سعة قصره إلى ضيق قبره فحثّوا بأيديهم التراب وأكثروا التلدّد والانتحاب ، ووقفوا ساعة عليه وقد يئسوا من النّظر إليه ، ثمّ رجعوا عنه معولين ، وولّوا مدبرين (حتّى إذا انصرف المشيّع ورجع المتفجّع) انتبه من نومته وأفاق من غشيتهو (اُقعد في حفرته نجيّا لبهتة السّؤال) ودهشته (وعثرة الامتحان) وزلّته .

ولعلّ المراد به أنّه يقعد في قبره مناجيا للمنكروا لنكير أي مخاطبا ومجاوبا لهما سرّاً لعدم قدرته على الاعلان من أجل الدّهشة والحيرة العارضة له من سؤالهما والعثرة التي ظهرت منه بسبب اختيارهما ، أوالمراد أنّه يناجي ربّه في تلك الحال من هول الامتحان والسؤال ويقول ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحا (وأعظمما هنالك بليّة) وابتلاء (نزل الحميم وتصلية الجحيم) كما قال تعالى :

« وَ إنَّ لِلطّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ هذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسّاقٌ » و في سورة النّبأ « لا يَذُوقُونَ فيها بَرْداً وَلا شَراباً إلاّ حَمِيماً وَ غَسّاقاً »

قال بعض المفسّرين : إنّ الغسّاق عين في جهنّم يسيل إليها سمّ كلّ ذات حمة من حيّة وعقرب ، وقيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه من الحميم ، وقيل هوا لقيح الذي يسيل منهم يجمع و يسقونه ، و قيل إنّ الحميم الماء الحارّ الذي انتهت حرارته والغسّاق الماء البارد الذي انتهت برودته فهذا يحرق ببرده و ذاك يحرق بحرّه .

وقال الطّريحيّ : الحميم الماء الحارّ الشّديد الحرارة يسقى منه أهل النّار أو يصبّ على أبدانهم ، و عن ابن عبّاس لو سقطت منه نقطة على جبال الدّنيا

١- جمع صاحب والملازم للانسان والمصاحب من أولاده وأقربائه وغيرهم .

لأذابتها ، و كيف كان فقوله عليه السلام مأخوذ من الآية الشريفة في سورة الواقعة قال سبحانه :

« وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ »

وأمّا قوله (وفورات السّعير) فأراد به شدّة غليان نار الجحيم ولهبها ، وكذلك أراد بقوله (وسورات الزّفير) شدّة صوت توقد النّار (لا فترة مريحة) لهم من العذاب (ولا دعة مزيحة) عنهم العقاب كما قال سبحانه :

« إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ »

(ولا قوّة حاجزة) تمنعه عن النّكال (ولا موتة ناجزة) أي عاجلة تريحه من ألم الوبال إذ الموت ربّما يكون نعمة و يعده الانسان راحة كما قال مجنون العامري ونعم ما قال : فلا ملك الموت المريح يريحني

(ولا سنة مسلية) لهمّه و نومة منسية لغمّه وفي الحديث إنّ الله ألقى على عباده السّلوة بعد المصيبة لولا ذلك لا نقطع النّسل (بين أطوار الموتات وعذاب السّاعات) أراد بالموتات الآلام الشّديدة والمشاق العظيمة مجازاً فلا ينافي قوله عليه الصّلاة والسّلام : ولا موتة ناجزة ، فانّ المراد به الحقيقة (إنا بالله عائذون) أي ملتجئون من شرّ المآل وسوء الحال؛. و قد راعى في أكثر فقرات هذا الفصل السّجع المتوازي ، هذا

و ينبغي تذييل المقام بامور مهمة

الاول

في تحقيق بدو خلق الانسان فاقول:

قال سبحانه في سورة المؤمنين: « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ

مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ »

وهذه الآية الشّريفة أجمع الآيات لأدوار الخلقة وأشملها لمراتب الفطرة، وهذه المراتب على ما اشيرت إليها فيها سبع.

المرتبة الأولى ما أشار إليه بقوله:

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ »

أي من خلاصة من طين وهو مبدء نشو الآدمي لتولد النّطفة منها، و ذلك لأنّ النّطفة إنّما تتولّد من فضل الهضم الرّابع، وهو إنّما يتولّد من الأغذية، وهي إمّا حيوانية و إمّا نباتية، والحيوانية تنتهي إلى النباتية والنّبات إنّما يتولّد من صفو الأرض والماء، فالانسان بالحقيقة يكون متولّداً من سلالة من طين.

المرتبة الثّانية أنّ السّلالة بعد ما تواردت عليها أدوار الفطرة تكون نطفة في أصلاب الآباء فتقذف بالجماع إلى أرحام النّساء التي هي قرار مكين لها وإليه أشار سبحانه بقوله:

« خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ »

المرتبة الثّالثة أنّ النّطفة بعد ما استقرّت في الرّحم أربعين يوماً تصير علقة وهي الدّم الجامد.

المرتبة الرّابعة أنّ العلقة بعد ما مكثت في الرّحم أربعين يوماً أيضاً تصير مضغة أي قطعة لحم حمراء كأنّها مقدار ما يمضغ.

المرتبة الخامسة أنّ المضغة تمكث فيه أربعين ثالثة و يجعلها الله صلبا فتكون عظاماً.

المرتبة السّادسة ما أشار إليه بقوله : فكسونا العظام لحماً أى ممّا بقى من المضغة أو ممّا أنبته عليها ممّا يصل إليها وإنّما جعل اللحم كسوة لستره العظم كما يستر اللّباس البدن .

المرتبة السّابعة ما أشار إليه بقوله : ثمّ أنشأناه خلقاً آخر أى خلقاً متبايناً للخلق الأوّل باضافة الرّوح إليه مبايناً ما أبعدها ، وذلك بعد تمام ثلاثة أربعين أى كمال أربعة أشهر فكان حيواناً بعد ماكان جماداً ، وحيّاً بعد ماكان ميتاً ، وناطقاً وكان أبكم ، و سميعاً وكان أصم ؛ و بصيراً و كان أعمى ، وأودع باطنه وظاهره بل كلّ عضو من أعضائه عجايب صنعته وبدايع حكمته التي لايحيط بها وصف الواصفين ولا شرح الشّارحين ، فتبارك الله أحسن الخالقين هذا .

وروى الصّدوق (ره) في الفقيه عن محمّد بن عليّ الكوفيّ ، عن إسماعيل بن مهران ، عن مرازم ، عن جابر بن يزيد ، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إذا وقع الولد في جوف أمّه صار وجهه قبل ظهر أمّه إن كان ذكراً و إن كان انثى صار وجهها قبل بطن أمّها و يداه على و جنتيه وذقنه على ركبتيه كهيئة الحزين المهموم ، فهو كالمصرور منوط بمعاء من سرّته إلى سرّة أمّه ، فبتلك السرّة يغتذي من طعام أمّه و شرابها إلى الوقت المقدّر لولادته ، فيبعث الله عزّ وجلّ ملكاً إليه فيكتب على جبهته : شقيّ أو سعيد ، مؤمن أو كافر غنيّ أو فقير ، ويكتب أجله ورزقه وسقمه وصحّته .

فاذا انقطع الرّزق المقدّر له من سرّة أمّه زجره الملك زجرة فانقلب فزعاً من الزّجرة وصار رأسه قبل الفرج ، فاذا وقع إلى الأرض وقع إلى هول عظيم و عذاب أليم إن أصابته ريح أو مشقّة أو مسّته يد وجد لذلك من الألم مايجد المسلوخ عنه جلده .

يجوع فلا يقدر على الاستطعام ، ويعطش فلا يقدر على الاستسقاء ، ويتوجّع فلا يقدر على الاستغاثة ، فيوكّل الله تبارك و تعالى برحمته والشّفقة عليه والمحبّة له أمّه فتقيه الحرّ والبرد بنفسها ، وتكاد تفديه بروحها ، وتصير من التّعطف عليه

بحال لا تبالي أن تجوع إذا شبع وتعطش إذا روى ، وتعرى إذا كسى .

و جعل الله تعالى ذكره رزقه في ثدي أمّه في إحداهما شرابه وفي الأخرى طعامه ، حتّى إذا رضع أتاه الله عزّ وجل في كلّ يوم بما قدرله فيه من رزق ، فاذا أدرك فهمّه الأهل و المال و الشره و الحرص ، ثمّ هو مع ذلك معرض الآفات و العاهات و البليّات من كلّ وجه ، و الملائكة ترشده وتهديه ، والشّياطين تضلّه و تغويه ، فهو هالك إلاّ أن ينجيه الله عزّ وجلّ ، وقد ذكر الله تعالى ذكره نسبة الانسان في محكم كتابه فقال عزّ وجلّ :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنا العِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيٰمَةِ تُبْعَثُونَ »

قال جابر بن عبدالله الأنصارى : فقلت : يا رسول الله هذه حالنا فكيف حالك و حال الأوصياء بعدك في الولادة ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله مليّاً ثمّ قال : يا جابر لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلاّ ذو حظ عظيم ، إنّ الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله عزّ وجلّ ثناؤه يودع الله أنوارهم أصلاباً طيّبة و أرحاماً طاهرة يحفظها بملائكته ويربّيها بحكمته ويغذوها بعلمه ، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف ، وأحوالهم تدقّ عن أن تعلم ، لأنّهم نجوم الله في أرضه ، و أعلامه في بريّته ، وخلفاؤه على عباده ، وأنواره في بلاده ، وحججه على خلقه ، ياجابر هذا من مكنون العلم ومخزونه فاكتمه إلاّ من أهله .

و في توحيد المفضّل عن الصّادق عليه السلام قال . وسنبتدء يا مفضّل بذكر خلق الانسان فاعتبر به ، فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في الرّحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ، وظلمة الرّحم ، وظلمة المشيمة ، حيث لا حيلة عنده

في طلب غذاء ولا دفع أذى ولا استجلاب منفعة و لا دفع مضرّة ، فانّه يجرى إليه من دم الحيض مايغذوه كما يغذ والماء النّبات فلا يزال ذلك غذاء .

حتّى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوى اديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقات الضّياء هاج الطّلق بأمّه فازعجه أشدّ إزعاج وأعنفه حتّى يولد ، فاذا ولد صرف ذلك الدّم الّذي كان يغذوه من دم أُمّه إلى ثدييها ، فانقلب الطّعم واللّون إلى ضرب آخر من الغذاء ، وهو أشدّ موافقة للمولود من الدّم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمظ وحرّك شفتيه طلبا للرّضاع فهو يحدى ثدى أُمّه كالاداوتين المعلّقتين لحاجته ، فلا يزال يغتذي باللّبن مادام رطب البدن رقيق الأمعاء ليّن الأعضاء .

حتّى إذا تحرّك و احتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ ويستوي بدنه وطلعت له الطّواحين «من الاسنان خ» والأضراس ليمضغ به الطعام فيلين عليه و يسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتّى يدرك ، فاذا أدرك وكان ذكراً طلع الشّعر فيوجهه فكان ذلك علامة الذّكر وعزّ الرّجل الذي يخرج به عن حدّ الصّبا وشبه النّساء و إن كانت أُنثى يبقى وجهها نقيّاً من الشّعر لتبقى لها البهجة و النّضارة التي تحرّك الرّجال لمافيه دوام النّسل وبقاؤه ، الحديث .

الثاني

فى تحقيق السؤال فى القبر وذكر شبهة المنكرين له ودفعها

اعلم أنّ كلام الامام عليه السلام في هذا الفصل صريح في ثبوت السؤال في القبر وهوحقّ يجب الايمان والاذعان به، وعليه قدانعقدإجماع المسلمين بلهومنضروريات الدّين ، ومنكره كافر خالد في الجحيم لا يفترّ عنه العذاب الأليم ، و لم يخالف فيه إلاّ بعض من انتسب إلى الاسلام كضرار بن عمر وطايفة من المعتزلة وجمع من الملاحدة مموّهين على العوام الّذين يصغون إلى كلّ ناعق بأنّ الميّت بعد وضعه في قبره إن حشى فمه بالجصّ و نحوه و دفن ثمّ يؤتى إليه في اليوم الآخر

و ينبش قبره فانّك تراه على حاله لم يتغيّر فلو كان في القبر سؤال و حساب لتغيّرت حالته ولا نفتح فمه و سقط الجصّ ، وأيضاً فانا لا نسمع عذابه في القبر مع شدّته وصعوبته .

و فساد ذلك الكلام غنيّ عن البيان ، لأنّ هذه العين و الأذن لاتصلحان لمشاهدة الأمور الملكوتيّة و سماعها ؛ و كلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت .

ألا ترى أنّ الصّحابة كانوا يجلسون عند النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حين نزول جبرئيل عليه و هو يراه و يتكلّم معه في حضورهم و النّاس لا يرونه ولا يسمعون كلامه ؟ وكذلك ملكا القبر لايمكن للنّاس أن يدركوا سؤالهما وجواب الميّت لهمابهذه الحواسّ ، وكذلك الحيّات والعقارب في القبر ليس من جنس الحيّات و العقارب في هذا العالم حتّى تدرك بالحسّ .

ويوضح ذلك أنّ النّائم بحضور الجالسين قديشاهد في نومه الحيّات والعقارب وساير المولمات والموذيات تؤلمه وتؤذيه وتلدغه فيتألم ويتأذي بحيث يرشح جبينه ويعرق ويبكي في نومه من شدّة الألم والأذى ومع ذلك كلّه فلا يرى الحاضرون ممّا يرى ويسمع شيئاً .

و بالجملة فلا يعتدّ بهذه التّرّهات و التمويهات ، و المنكر قد وجد جزاء إنكاره وهو الآن في قبره مقرّ بما أنكر مذعن بما كفر مدرك لما أنكره بالسّمع و البصر ، و الحمدلله الذي منّ علينا بالايمان بالغيب ، و خلّص قلوبنا من الشّك و الرّيب .

قال الصّادق عليه السلام في رواية الصّدوق : ليس من شيعتنا من أنكر ثلاثة : المعراج ، وسؤال القبر ، والشفاعة .

و في كتاب السّماء والعالم للمحدّث المجلسي عن الكافي عن بعض أصحابه عن عليّ بن العبّاس عن الحسن بن عبدالرّحمن عن أبي الحسن الأوّل قال : إنّ الأحلام لم تكن فيمامضى في أوّل الخلق و إنّما حدثت ، فقلت : و ما العلّة في ذلك؟

فقال عليه السلام : إنّ الله عزّ ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته سبحانه فقالوا : إن فعلنا ذلك فمالنا فوالله ما أنت باكثرنا مالاً و لا بأعزّنا عشيرة قال لهم : إنّكم إن أطعتموني أدخلكم الله الجنّة ، وإن عصيتموني أدخلكم الله النّار ، فقالوا : و ما الجنّة وما النّار ؟ فوصف لهم ذلك ، فقالوا : متى نصير إلى ذلك ؟ فقال : إذا متّم ، فقالوا : لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً ، فأحدث الله عزّ وجلّ فيهم الأحلام فأتوا فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك ، فقال لهم : إنّ الله سبحانه أراد أن يحتجّ عليكم بهذا ، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم وإن بليت أبدانكم تصيرا لأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان ، هذا .

وبقي الكلام في عموم سؤال القبر قال العلاّمة المجلسي (ره) المشهور بين متكلّمي الاماميّة عدم عمومه و اختصاصه بمحض المؤمن و محض الكافر وأنّه ليس على المستضعفين ولا على الصّبيان والمجانين سؤال ، وحكى عن الشّهيد (ره) انه قال : إنّ السؤال حقّ اجماعا إلاّ في من يلقّن حجّته .

أقول: ويدلّ على ذلك وعلى اختصاصه بالمؤمن والكافر المحض الأخبار المتظافرة في الكافي وغيره وسيجيء بعضها في ضمن الأخبار الآتية.

الثالث

فى حالات الميت حين اشرف على الموت وحين ازهاق روحه وعند الغسل والتكفين وحمله على سريره واذا وضع فى قبره وكيفية السؤال فى القبر وضغطة القبر وبعض عقوباته فى البرزخ ومثوباته

ونحن نشرح كلّ ذلك بما وصل إلينا في ذلك الباب من الأخبار المرويّة عن أئمّتنا الأطياب الأطهار سلام الله عليهم ماتعاقب اللّيل و النّهار ، فأقول :

اما حالة الاحتضار

و أعني بها حالة إشراف الميّت على الموت فهي حالة يلهو المرء فيها بكليّته

عن الدّنيا و يكون توجّهه إلى الآخرة ، و يحضر حينئذ عنده رسول الله و الأئمة سلام الله عليهم و الملائكة الموكّلون بقبض روحه كما يحضر عنده أهله و عياله وأحبّاؤه و أقرباؤه فتارة يكون مخاطبته مع الأوّلين وأخرى مع الآخرين .

روى عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسير قوله :

« يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنيا وَ فِي الآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ »

باسناده عن سويد بن الغفلة عن أمير المؤمنين عليه‌السلام قال : إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدّنيا وأوّل يوم من الآخرة مثّل له أهله وماله وولده وعمله ، فينظر إلى ماله فيقول : والله إنّي كنت عليك لحريصاً شحيحاً فماذا عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك، ثم يلتفت إلى ولده فيقول: والله إني كنت لكم لمحبّاً وإني كنت عليكم لمحامياً فماذا عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك ونواريك فيها، ثمّ يلتفت إلى عمله فيقول: والله إنّي كنت من الزّاهدين فيك و إنّك كنت عليّ ثقيلا فماذا عندك ؟ فيقول : أنا قرينك في قبرك ويوم حشرك حتّى اعرض أنا و أنت على ربّك .

فان كان لله وليّاً أتاه أطيب النّاس ريحاً و أحسنهم منظراً وأزينهم رياشاً فيقول: ابشر بروح من الله و ريحان وجنّة النّعيم قد قدمت خير مقدم فيقول : من أنت ؟ قال : أنا عملك الصّالح ارتحل من الدّنيا إلى الجنّة و أنّه ليعرف غاسله و يناشد حامله أن يعجّله .

فاذا ادخل قبره أتاه ملكان و هما فتّان القبر يجرّان أشعارهما و يبحثان الأرض بأنيابهما وأصواتهما كالرّعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربّك ، ومن نبيّك ومادينك ؟ فيقول : الله ربّي ومحمّد نبيّي والاسلام ديني فيقولان له : ثبّتك الله بما تحبّ وترضى وهو قول الله :

« يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ » الآية

فيفسحان له في قبره مدّ بصره و يفتحان له باباً إلى الجنّة و يقولان له: نم قرير العين نوم الشّابّ النّاعم، وهوقوله:

«أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً»

وإذا كان لربّه عدوّاً فانّه يأتيه أقبح من خلق الله رياشاً وأنتنه ريحاً فيقول: من أنت؟ فيقول :عملكفيقول:ابشر بنزل من حميموتصليةجحيم، و انّه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يحبسه.

فاذا ادخل قبره أتياه ممتحنا القبر فألقيا أكفانه ثمّ قالا له: من ربّك، ومن نبيّك، وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: لادريت ولا هديت، فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابّة إلاّ وتذعر لها ماخلا الثّقلين، ثمّ يفتحان له باباً إلى النّار، ثمّ يقولان له: نم بشرّ حال.

فهو من الضيق مثل مافيه القنا (١) من الزّج حتّى أنّ دماغه يخرج من ما بين ظفره ولحمه، ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامّها فتنهشه حتّى يبعث الله من قبره. وأنّه ليتمنّى قيام السّاعة ممّا هو فيه من الشّر.

ورواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم مسنداً عن سويد بن غفلة عنه عليه السلام مثله.

وفي الكافي عن أبي اليقظان عمّار الأسدي عن أبيعبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو أنّ مؤمنا أقسم على ربّه أن لا يميته ما أماته أبداً، و لكن إذاكان ذلك أو إذا حضرأجله بعثه الله عزّوجل إليه ريحين: ريحاً يقال لها المنسية وريحاً يقال المسخية، فأمّا المنسية فانّها تنسيه أهله وما له، و أمّا المسخية فانّها تسخي نفسه عن الدّنيا حتّى يختار ما عندالله.

وعن أبي خديجة عن أبيعبدالله عليه السلام قال: ما من أحد يحضره الموت إلاّ وكّل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر و يشكّكه في دينه حتّى يخرج نفسه، فمنكان مؤمنا لم يقدر عليه فاذا حضرتم موتاكم فلقّنوهم شهادة أن لا إله

١- القناجمع قناة وهوالرمح والزج بالضمّ حديدةفى أسفل الرمحمنه.

إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله حتّى يموت.

وفي رواية أُخرى قال عليه السلام: فلقّنه كلمات الفرج والشّهادتين و يسمّى له الاقرار بالأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد حتّى ينقطع عنه الكلام.

و عن سدير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك يابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال عليه السلام: لا والله إنّه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا وليّ الله لا تجزع فوالّذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر قال: ويمثّل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرّيّتهم عليهم السلام فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام رفقاؤك، قال: فيفتح عينيه فينادى روحه منادٍ من قبل ربّ العزّة فيقول:

« يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ » إلى محمد وأهل بيته « ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً » بالولاية « مَّرْضِيَّةً » بالثواب « فَادْخُلِي فِي عِبَادِي » يعني محمداً وأهل بيته « وَادْخُلِي جَنَّتِي » فما شيء أحبّ إليه من استلال روحه.

وعن عليّ بن عقبة عن أبيه قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام: يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلاّ هذا الأمر الذي أنتم عليه، و ما بين أحدكم و بين أن يرى ما يقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه إلى هذه، ثمّ أهوى بيده إلى الوريد، ثمّ اتّكى.

وكان معي المعلّى فغمزني أن أسأله فقلت: يابن رسول الله فاذا بلغت نفسه هذه أيّ شيء يرى؟ فقلت له بضعة عشر مرّة: أيّ شيء يرى، فقال في كلّها: يرى، لا يزيد عليها، ثمّ جلس في آخرها فقال: يا عقبة، فقلت: لبّيك وسعديك، فقال: أبيت إلاّ أن تعلم؟ فقلت: نعم يابن رسول الله إنّما ديني مع دينك فاذا ذهب ديني

كان ذلك كيف لي بك يابن رسول الله كل ساعة وبكيت ،فرقّ لي فقال : يراهما والله ، فقلت: بأبي وأمّي من هما ؟قال: ذلك رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام ياعقبة لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتّى تراهما قلت : فاذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدّنيا؟ فقال: لا ،يمضى أمامه اذا نظر اليهما مضى أمامه فقلت له: يقولان شيئاً؟ قال: نعم يدخلان جميعاً على المؤمن،

فيجلس رسول الله ﷺ عند رأسه وعليّ عليه السلام عند رجليه فيكبّ عليه رسول الله ﷺ فيقول : يا وليّ الله ابشر أنا رسول الله إنّي «أناخ» خير لك ممّا تركت من الدّنيا .

ثمّ ينهض رسول الله ﷺ فيقوم عليّ عليه السلام حتّى يكبّ عليه فيقول: ياولي الله ابشر أنا عليّ بن أبيطالب الذي كنت تحبّ أنالأ نفعنك ،ثمّ قال عليه السلام: إنّ هذا في كتاب الله عزّ وجل ، فقلت : أين جعلني الله فداك هذا من كتاب الله ؟ قال : في يونس قول الله عزّ وجلّ ههنا :

« الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »

وعن أبي بصير قال : قال أبوعبدالله عليه السلام إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله ومن شاء الله فجلس رسول الله عن يمينه والآخر عن يساره فيقول له رسول الله ﷺ : أمّا ما كنت ترجو فهو ذا أمامك ، وأمّا ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه .

ثمّ يفتح له باب إلى الجنّة فيقول هذا منزلك من الجنّة فان شئت رددناك إلى الدّنيا ولك فيها ذهب و فضّة ، فيقول : لاحاجة لي في الدّنيا فعند ذلك يبيض لونه و يرشح جبينه و تقلص شفتاه وتنتشر منخراه و تدمع عينه اليسرى فأيّ هذه العلامات رأيت فاكتف بها ، فاذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليه وهي في الجسد فتختا ر الآخرة الحديث .

أقول : والأخبار في رؤية النّبيّ والأئمّة صلوات الله عليه وعليهم كثيرة كادت

تبلغ حدّ التواتر، ويأتي بعضها بعد ذلك، وبتلك الأخبار يطيب نفوسنا و يسكن قلوبنا إلى الموت، و بها أيضاً يعلم أنّ كراهة المؤمن للموت على ما في الحديث القدسي من قول الله سبحانه: ما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مسائته إنّما هي قبل الاستبشار برؤيتهم عليهم السلام، وأمّا بعد معاينتهم فليس شيء أحبّ إليه من الموت كما عرفت في الرّوايات.

ويدلّ عليه صريحاً ما في الكافي عن عبد الصّمد بن بشير عن بعض أصحابه عن أبيعبدالله عليه السلام قال: قلت: أصلحك الله من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه؟ و من أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه! قال عليه السلام: نعم، قلت: فوالله إنا لنكره الموت، فقال عليه السلام: ليس ذلك حيث تذهب إنّما ذلك عند المعاينة إذا رأى ما يحبّ فليس شيء أحبّ إليه من أن يتقدّم والله تعالى يحبّ لقاءه وهو يحبّ لقاء الله حينئذ وإذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله والله يبغض لقاءه.

وفيه عن يحيى بن سابور قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: في الميّت تدمع عيناه عندالموت فقال عليه السلام: ذلك عند معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله فيرى مايسرّه، ثمّ قال عليه السلام: أما ترى الرّجل يرى ما يسرّه و ما يحبّ فتدمع عينه لذلك و يضحك.

و أما صفة ملك الموت وكيفية قبض الروح

فروى السّيد السّند السّيد نعمة الله الجزائري أنّ الخليل عليه السلام قال لملك الموت يوما: ياملك الموت أُحبّ أن أراك على الصّورة التّي تقبض فيها روح المؤمن، فقال: يا إبراهيم اعرض عنّي بوجهك حتّى أتصوّر على تلك الصّورة، فلمّا رآه إبراهيم عليه السلام رأى صورة شابّ حسن الوجه أبيض اللون تعلوه الأنوار في أحسن ما يتخيّل من الهيئة فقال: يا إبراهيم في هذه الصّورة اقبض روح المؤمن فقال عليه السلام: يا ملك الموت لولم يلق المؤمن إلاّ لقائك لكفاه راحة.

ثمّ قال عليه السلام: أُريد أن أراك على الصفّة التي تقبض فيها روح الكافر، فقال:

يا إبراهيم لا تقدر ، فقال : أحبّ ذلك ، فقال : أعرض بوجهك فأعرض بوجهه ثمّ قال : انظر فنظر إليه فاذاهو أسود كالّليل المظلم وقامته كالنّخل الطّويل والنار والدّخان يخرجان من منخريه وفمه إلى عنان السّماء .

فلمّا نظر إليه غشي على إبراهيم عليه‌السلام فرجع ملك الموت إلى حالته فلمّا أفاق الخليل عليه‌السلام قال : يا ملك الموت لو لم يكن للكافر هول من الموت إلاّ رؤيتك لكفاه عن ساير الأهوال .

فاذا أتى إلى المؤمن سلّ روحه سلاّ رفيقاً لطيفاً حتّى أنّه يحصل له الرّاحة من ذلك السّلّ لما يشاهده من مكانه في الجنّة و إن كان كافراً أتى إليه بحديدة محميّة بنار جهنّم فأدخلها في حلقومه و جذب روحه بها يخيل إليه أنّ أطباق السّماوات والأرض قد وقعت عليه وطبقته حتّى يخرج زبدة على فمه كالبعير.

أقول : ويدلّ عليه ما في الكافي عن ابن الفضيل عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول : إنّ آية المؤمن إذا حضره الموت بياض وجهه أشدّ من بياض لونه ويرشح جبينه و يسيل من عينيه كهيئة الدّموع فيكون ذلك خروج نفسه ، و إنّ الكافر يخرج نفسه سلاّ من شدقه (١) كزبد البعير أو كما يخرج نفس البعير .

وفيه باسناده عن عمّار بن مروان قال : حدّثني من سمع أبا عبدالله عليه‌السلام يقول : منكم والله يقبل ، ولكم والله يغفر إنّه ليس بين أحدكم و بين أن يغتبط و يرى السّرور وقرّة العين إلاّ أن تبلغ نفسه ههنا و أومى بيده إلى حلقه .

ثمّ قال عليه‌السلام : إنّه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله و علي عليه‌السلام وجبرئيل وملك الموت فيدنو منه عليّ عليه‌السلام فيقول : يا رسول الله إنّ هذا كان يحبّنا أهل البيت فأحبّه ، ويقول رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : يا جبرئيل إنّ هذا يحبّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبّه ، ويقول جبرئيل عليه‌السلام : يا ملك الموت إنّ هذا

---

(١) جانب الفم ، منه

يحبّ الله ورسوله و أهل بيت رسوله فأحبّه وارفق به .

فيدنو منه ملك الموت فيقول : يا عبدالله أخذت فكاك رقبتك أخذت أمان براتك تمسّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدّنيا ؟ قال : فيوفّقه الله عزّ وجلّ فيقول : نعم ، فيقول : و ما ذاك ؟ فيقول : ولاية عليّ بن أبيطالب عليه السلام فيقول : صدقت أمّا الذي كنت تحذره فقد آمنك الله منه ، و أمّا الذي كنت ترجوه فقد أدركته ابشر بالسّلف الصّالح مرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة عليهما السلام .

ثمّ يسلّ نفسه سلاّ رفيقاً ، ثمّ ينزل بكفنه من الجنّة و حنوطه من الجنّة بمسك أذفر فيكفن بذلك الكفن و يحنط بذلك الحنوط ، ثمّ يكسى حلّة صفراء من حلل الجنّة .

فاذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب الجنّة يدخل عليه من روحها وريحانها ، ثمّ يفتح له عن أمامه مسيرة شهر وعن يمينه وعن يساره ، ثمّ يقال له : نم نومة العروس على فراشها ابشر بروح وريحان وجنّة نعيم وربّ غيرغضبان .

ثمّ يزور آل محمّد سلام الله عليهم في جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم ، ويشرب معهم من شرابهم ، ويتحدّث معهم في مجالسهم حتّى يقوم قائمنا فاذاقام قائمنا بعثهم الله تعالى فأقبلوا معه يلبّون زمراً زمراً وعند ذلك يرتاب المبطلون ويضمحلّ المحلّون وقليل مايكونون هلكت المحاضرون ونجا المقرّ ون .« بونخ »

من أجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام أنت أخي و ميعاد ما بيني وبينك وادي السّلام .

قال عليه السلام وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام و جبرئيل وملك الموت فيدنو منه عليّ عليه السلام فيقول : يا رسول الله إنّ هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل إنّ هذاكان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه ، فيقول جبرئيل عليه السلام : يا ملك الموت إنّ هذاكان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه واعنف عليه .

فيدنو منه ملك الموت فيقول : يا عبدالله أخذت فكاك رهانك و أمان براتك

تمسّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدّنيا ؟ فيقول : لا ، فيقول : ابشر ياعدوّالله بسخط الله عزّوجلّ وعذابه والنّار ؛ أمّا الذي كنت تحذر فقد نزل بك .

ثمّ يسلّ نفسه سلا عنيفاً ثمّ يوكّل بروحه ثلاثمأة شيطان كلّهم يبزق في وجهه ويتأذى بروحه فاذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النّار فيدخل عليه من فيحها ولهبها .

وعن الهيثم بن واقد عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال صلى الله عليه وآله : يا ملك الموت أرفق بصاحبي فانّه مؤمن ، فقال : ابشر يا محمّد فانّي بكلّ مؤمن رفيق .

واعلم يامحمّد أنّي اقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم فأقول ما هذا الجزع فوالله ما تعجلناه قبل أجله وماكان لنا في قبضه من ذنب فان تحتسبوه وتصبروا توجروا، و إن تجزعوا تأثموا وتوزروا ، و اعلموا أنّ لنا فيكم عودة ثمّ عودة فالحذر ثم الحذر إنّه ليس في شرقها ولا في غربها أهل بيت مدر ولا وبر إلاّ وأنا أتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات ولأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتّى يأمرني ربّي بها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّما يتصفّحهم في مواقيت الصّلاة فان كان ممّن يواظب عليها عند مواقيتها لقّنه شهادة أن لا إله إلاّ الله ونحّى عنه ملك الموت إبليس .

وعن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : إنّ الميّت إذا حضره الموت أوثقه ملك الموت ولولا ذلك ما استقرّ .

و أما التغسيل والتكفين

فقد ورد في الرّوايات أن الرّوح بعد خروجه من الجسد يكون مطلاّ على الجسد وأنّه ليرى مايفعل به .

و في رواية اصبغ بن نباتة أنّه يناشد الغاسل و يقول له عند تغسيله : بالله عليك يا عبدالله رفقا بالبدن الضّعيف فوالله ماخرجت من عرق إلاّ انقطع ، ولا من عضو إلاّ انصدع ، فوالله لوسمع الغاسل ذلك القول لما غسل ميّتاً أبداً .

وفي جامع الأخبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فوالذي نفس محمد بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهبوا عن ميتهم ولبكوا على نفوسهم حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش وهو ينادي: ياأهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي، الحديث هذا.

وفي الوسائل في عدة روايات الأمر باجادة الأكفان والمغالات في أثمانها معللا بأن الموتى يبعثون بها وبأنهم يتباهون بأكفانهم.

وفيه أن موسى بن جعفر عليهما السلام كفن في حبرة استعملت له بمبلغ خمسمأة دينار عليها القرآن كله.

وفيه عن يونس بن يعقوب عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: سمعته يقول: إني كفنت أبي في ثوبين شطويين كان يحرم فيهما وقميص من قمصه و عمامة كانت لعلي بن الحسين عليهما السلام و في برد اشتريته بأربعين ديناراً، ولو كان اليوم ساوى أربعمأة دينار.

وأما حالته اذا حمل على سريره

فهو أنه إن كان مؤمناً خرج روحه يمشي بين يدي القوم قدما وتلقاه أرواح المؤمنين ويبشرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم.

و إن كان عدواً لله سبحانه فهو كما ورد في رواية الكليني عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا حمل عدو الله إلى قبره نادى حملته ألا تسمعون يا اخوتاه إني أشكو إليكم ما وقع فيه أخوكم الشقي إن عدو الله خدعني فأوردني ثم لم يصدرني وأقسم لي أنه ناصح لي فغشني و أشكو إليكم دنيا غرتني حتى إذا اطمأننت إليها صرعتنى، و أشكو إليكم أخلاء الهوى منوني ثم تبرؤوا مني وخذلوني، وأشكو إليكم أولاداً حميت عنهم وآثرتهم على نفسي فأكلوا مالي وأسلموني.

و أشكو إليكم مالاً ضيعت فيه حق الله سبحانه فكان وباله علي و كان نفعه لغيري، وأشكو إليكم داراً أنفقت عليها حربيتي (١) و صار سكانها غيري

١- حربية الرجل مايعيش به، ص

أشكو إليكم طول الثواء في قبري ينادي أنا بيت الدّود وأنا بيت الظلمة والوحشة والضّيق.

يا اخوتاه فاحبسوني ما استطعتم و احذروا مثل ما لقيت فانّي قد بشّرت بالنّار و بالذّل و الصّغار و غضب العزيز الجبّار، واحسرتاه على ما فرّطت في جنب الله وياطول عولتاه فمالي من شفيع يطاع ولا صديق يرحمني فلو أنّ لي كرّة فأكون من المؤمنين.

وفي رواية إنّ أبي جعفر عليه السلام كان يبكي إذا ذكر هذا الحديث.

ثمّ إنّه إذا أتيت بالميّت إلى شفير قبره فأمهله ساعة فانّه يأخذ اهبته للسؤال كما وردت رواية أبي الحسن موسى عليه السلام.

وإذا حضر المؤمنون للصّلاة عليه وشهدوا له بالخير والصّلاح فقد ورد في الخبر ان الله سبحانه يجيز شهادتهم ويكتبه عنده من الأخيار وإن كان في علمه عزّ وجلّ من الأشرار.

قال الصّادق عليه السلام: إذا حضر الميت أربعون رجلا فقالوا: اللهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً، قال الله تعالى: قد قبلت شهادتكم له و غفرت له ما علمت ممّا لا تعلمون.

قال السّيد الجزايري في الأنوار النّعمانيّة روى الشّيخ الكليني قدّس الله روحه باسناده إلى الامام أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام قال:

كان في بني إسرائيل عابد فأوحى الله تعالى إلى داود على نبيّنا و عليه السلام إنّه مرائي قال: ثمّ إنّه مات فلم يشهد جنازته داود، فقام أربعون من بني إسرائيل فقالوا: اللهمّ إنا لا نعلم منه إلّا خيراً و أنت أعلم به منّا فاغفر له «قال فلمّا غسل أتى إليه أربعون غير الأربعين وقالوا: اللّهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً فأنت أعلم به منّا فاغفر له خ ل» قال عليه السلام فأوحى الله إلى داود: ما منعك أن تصلّي قال داود: للّذي أخبرتني به، قال: فأوحى الله إليه انّه قد شهد له قومه فأجزت شهادتهم وغفرت له وعملت مالم تعلموا.

واما حاله بعد وضعه في قبره

ففي الحديث إنّ الرّوح يدخل إلى حقويه ويسمع لفظ أيدي القوم من تراب قبره فعند ذلك ينظر يميناً وشمالاً فلا يرى إلاّ ظلمات ثلاث : ظلمة الأرض ، وظلمة العمل ، وظلمة الوحشة فيالها من داهية عظيمة ورزيّة جسيمة ، و أوّل ملك يدخل عليه يسمّى رومان فتان القبور ، وفي رواية اصبغ بن نباته يسمّي منبّه .

قال السيّد الجزائري رحمه الله : روى عبد الله بن سلام أنّه قال : سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن أوّل ملك يدخل في القبر على الميّت قبل منكر ونكير ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ملك يتلألأ وجهه كالشّمس اسمه رمان (١) يدخل على الميّت ثمّ يقول له : اكتب ماعملت من حسنة ومن سيّئة، فيقول: بأيّ شيء أكتب ؟ أين قلمي ودواتي ومدادي؟ فيقول له : ريقك مدادك و قلمك اصبعك ، فيقول : على أيّ شيء أكتب وليس معي صحيفة ؟ قال : صحيفتك كفنك فاكتبه فيكتب ماعمله في الدّنيا خيراً .

فاذا بلغ سيئآته يستحي منه فيقول له الملك : يا خاطي ماتستحي من خالقك حين عملتها في الدّنيا وتستحي الآن ، فيرفع الملك العمود ليضرب به فيقول العبد : ارفع عني حتّى أكتبها ، فيكتب فيها جميع حسناته وسيئاته ثمّ يأمره أن يطوى ويختم فيقول له : بأيّ شيء اختمه و ليس معي خاتم ؟ فيقول له : اختمه بظفرك وعلّقه في عنقك إلى يوم القيامة كما قال تعالى :

« وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتاباً يَلْقَيهُ مَنْشُوراً »

و في رواية اخرى أنّه يأتي إلى الميّت فيسمه فان عرف منه خيراً أخبر منكراً ونكيراً حتّى يرفقابه وقت السؤال ، وإن عرف منه شرّاً أخبرهما حتّى يشدّدا عليه الحال والعذاب .

و أما السؤال عنه

فقد علمت سابقاً أنّه من ضروريّات الدّين و عليه اتّفاق المسلمين و في

---

١ ـ رومان في دعاء الصحيفة السجادية بالو اوقال السيدعليخان في شرحه هومن الروم بمعني الطلب، وفي هذه الرواية وبعض الروايات الاخر رمان بدون الواو فافهم ، منه .

الأخبار الكثيرة أنّ الله سبحانه ملكين يسمّى أحدهما منكراً و الآخر نكيراً وكّل تعالى السؤال إليهما .

و في بعض الرّوايات أنّهما بالنّسبة إلى المؤمن مبشّر وبشير ، وبالنّسبة إلى الكافر منكر و نكير ، لأنّهما يأتيان إلى المؤمن بصورة حسنة و يبشّرانه بالثواب و النّعيم ، ويأتيان إلى الكافر و المخالف بصورة نكرة مهيبة ويوعدانه بالعذاب والجحيم .

روى في الكافي باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ المؤمن إذا اُخرج من بيته شيّعته الملائكة إلى قبره ويزدحمون عليه حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض مرحباً بك وأهلا أما والله لقد كنت احبّ أن يمشي عليّ مثلك لترينّ ما أصنع بك فيوسع له مدّ بصره

ويدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير فيلقيان فيه الرّوح إلى حقويه فيقعدانه ويسألانه فيقولان له: من ربّك ؟ فيقول : الله تعالى ، فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : الاسلام ، فيقولان : ومن نبيّك ؟ فيقول : محمّد صلّى الله عليه وآله فيقولان : و من امامك؟ فيقول: فلان، قال : فينادي منادٍ من السّماء صدق عبدي افرشوا له في قبره من الجنّة و افتحوا له في قبره باباً إلى الجنّة والبسوه من ثياب الجنّة حتّى يأتينا وما عندنا خير له ، ثمّ يقال له: نم نومة عروس نم نومة لاحلم فيها .

قال عليه السلام : وإن كان كافراً خرجت الملائكة شيّعته إلى قبره تلعنونه حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض : لا مرحبا بك ولا أهلاً أما والله لقد كنت أبغض أن يمشي عليّ مثلك لا جرم لترينّ ما أصنع بك اليوم ، فتضيق عليه حتّى تلتقي جوانحه .

قال عليه السلام : ثمّ يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير .

قال أبو بصير : جعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة ؟

فقال عليه السلام : لا .

قال فيقعدانه فيلقيان فيه الرّوح إلى حقويه فيقولان له: من ربّك ؟ فيتلجلج(١) ويقول: قد سمعت النّاس يقولون ، فيقولان له: لا دريت ، ويقولان له: ما دينك ؟ فيتلجلج فيقولان له: لادريت ، ويقولان له من نبيّك ؟ فيقول: قد سمعت النّاس يقولون فيقولان له: لا دريت ويسأل عن إمام زمانه .

قال عليه السلام وينادي مناد من السّماء كذب عبدي افرشوا له في قبره من النّار وافتحوا له باباً إلى النّار حتّى يأتينا و ما عندنا شرّ له فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلاّ ويتطاير منها قبره ناراً لو ضرب بتلك المرزبة جبال تهامة لكانت رميماً .

وقال أبوعبدالله عليه السلام : ويسلّط الله عليه في قبره الحيّات تنهشه نهشاً والشّيطان يغمّه غمّاً ، قال ويسمع عذابه من خلق الله إلاّ الجنّ والانس ، وقال عليه السلام إنّه ليسمع خفق نعالهم ونفض أيديهم وهو قول الله عزّ وجلّ :

« يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشآءُ » .

وعن إبراهيم بن أبي البلاد عن بعض أصحابه عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : يقال للمؤمن في قبره : من ربّك ؟ قال : فيقول : الله ، فيقال له : ما دينك ؟ فيقول : الاسلام ، فيقال : من نبيّك ؟ فيقول : محمّد صلّى الله عليه وآله ، فيقال : من امامك ؟ فيقول : فلان فيقال : كيف علمت بذلك ؟ فيقول : أمر هداني الله له و ثبّتني عليه ، فيقال له : نم نومة لا حلم فيها نومة العروس ، ثمّ يفتح له باب إلى الجنّة فيدخل إليه من روحها وريحانها ليقول : ياربّ عجّل قيام السّاعة لعلّي أرجع إلى أهلي ومالي .

ويقال للكافر : من ربّك؟ فيقول : الله ، فيقال : من نبيّك ؟ فيقول : محمّد صلّى الله عليه وآله فيقال : ما دينك ؟ فيقول : الاسلام ، فيقال : من أين علمت ذلك ؟ فيقول : سمعت النّاس يقولون فقلته ، فيضربانه بمرزبة لو اجتمع عليه الثّقلان الانس و الجنّ لم

١- اي يتردد .

يطيقوها .

قال عليه السلام فيذوب كما يذوب الرّصاص ، ثمّ يعيدان فيه الرّوح فيوضع قلبه بين لوحين من نار فيقول. ياربّ أخّر قيام السّاعة

وعن جابر قال قال أبوجعفر عليه السلام : قال النّبيّ صلى الله عليه وآله : إنّي كنت أنظر إلى الابل والغنم وأنا أرعاها وليس من نبيّ إلاّ وقد رعى الغنم ، وكنت أنظر إليهاقبل النبوّة وهي متمكّنة في «ممتلية من خ» المكينة ماحولها شيء يهيّجها حتّى تذعر فتطير فأقول ماهذا وأعجب ، حتّى حدّثني جبرئيل عليه السلام أنّ الكافر يضرب ضربة ماخلق الله شيئاً إلاّ سمعها و يذعر لها إلاّ الثّقلين فقلنا : ذلك لضربة الكافر ، فنعوذ بالله من عذاب القبر .

و عن بشير الدّهان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : يجيء الملكان منكر و نكير إلى الميّت حين يدفن أصواتهما كالرّعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف ، يخطّان الأرض بأنيابهما ويطآن في شعورهما فيسألان الميّت من ربّك وما دينك ؟

قال عليه السلام : فاذا كان مؤمناً قال : الله ربّي ، وديني الاسلام ، فيقولان له : ما تقول في هذا الرّجل الذي خرج بين ظهرانيكم ؟ فيقول : أعن محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله تسألاني ؟ فيقولان : تشهد أنّه رسول الله ؟ فيقول : أشهد أنّه رسول الله ، فيقولان له: نم نومة لا حلم فيها و يفسح له في قبره تسعة أذرع و يفتح لـه باب إلى الجنّة ويرى مقعده فيها

وإذا كان الرّجل كافراً دخلا عليه و أُقيم الشّيطان بين يديه عيناه من نحاس فيقولان له : من ربّك و ما دينك ؟ وما تقول في هذا الرّجل الذي خرج من بين ظهرانيكم ؟ فيقول : لا أدري فيخلّيان بينه وبين الشّيطان ، فيسلّط عليه في قبره تسعة وتسعين تنيناً لو أن تنيناًواحداً منها نفخت في الأرض ما أنبتت شجراً ابداً ، ويفتح له باباً إلى النّار ويرى مقعده فيها .

وعن محمّد بن أحمد الخراساني عن أبيه رفعه قال قال أبوعبدالله عليه السلام يسأل الميّت في قبره عن خمس ، عن صلاته و زكاته وحجّه وصيامه و ولايته إيّانا أهل البيت

فتقول الولاية من جانب القبر للأربع : ما دخل فيكنّ من نقص فعليّ تمامه .

وفي الوسائل عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام ما على أحدكم إذا دفن ميّته وسوّى عليه و انصرف عن قبره أن يتخلّف عند قبره ثمّ يقول : يافلان بن فلان أنت على العهد الذي عهدناك به من شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله وأنّ عليّاً أمير المؤمنين إمامك ، و فلان وفلان حتّى يأتي آخرهم ، فانّه إذا فعل ذلك قال أحد الملكين لصاحبه : قد كفينا الوصول إليه و مسألتنا إيّاه فانّه قد لقّن حجّته فينصرفان عنه ولا يدخلان إليه .

و فيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ينبغي أن يتخلّف عند قبر الميّت أولى النّاس به بعد انصراف عنه ويقبض على التّراب بكفّيه ويلقّنه برفيع صوته ، فاذا فعل ذلك كفى الميّت المسألة في قبره .

وفي الكافي باسناده عن أبي بكر الحضرمي قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : لا يسأل في القبر إلاّ من محض الايمان محضاً أومحض الكفر محضاً والآخرون يلهون عنه .

ونحوه أخبار أُخر فيه عنه عليه السلام ، وظاهر الكلينيّ كالصّدوق هو الأخذ بظواهر هذه الأخبار لروايتهما لها من غير تعرّض لتأويلها ، وقد حكى ذلك عن الشّيخ البهائي (ره) .

و قال الشّهيد (ره) في محكيّ كلامه : إنّ هذا الخبر محمول على سؤال خاصّ ليوافق الأخبار العامّة في سؤال القبر

وقال السّيد الجزايري رحمه الله ويمكن أن يراد بالملهوّ عنهم الذين وردت الأخبار في شأنهم أنّهم يكلّفون يوم القيامة بأن تؤجّج لهم نار فيؤمروا بالدّخول فيها مثل البله والمجانين ومن كان في فطرات «فترات ظ» الأنبياء والشّيخ الفاني و العجوز الفانية ونحوهم ، و هؤلاء لم يمحضوا الايمان وهو ظاهر ، ولم يمحضوا الكفر أيضاً لقصورهم عن ورود الموردين فيبقون على حالتهم في قبورهم حتّى يمنحهم الله سبحانه في القيامة قوّة إدراك التّكاليف والعقل القابل له .

وأما ضغطة القبر وضمته

ففي الكافي باسناده عن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : مامن موضع قبر إلاّ وهو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات : أنا بيت التّراب أنا بيت البلاء أنا بيت الدّود ، قال عليه السلام فاذا دخله عبد مؤمن قال : مرحبا وأهلا أما والله لقد كنت أُحبّك وأنت تمشى على ظهري فكيف إذا دخلت بطني فسترى ذلك .

قال عليه السلام : فيفسح لـه مدّ البصر و يفتح لـه باب يرى مقعده من الجنّة ، قال عليه السلام : ويخرج من ذلك رجل لم ترعيناه شيئاً قطّ أحسن منه فيقول : ياعبدالله ما رأيت شيئاً قطّ أحسن منك فيقول : أنا رأيك الحسن الذي كنت عليه و عملك الصالح الذي كنت تعمله.

قال عليه السلام : ثمّ تؤخذ روحه فتوضع في الجنّة حيث رأى منزله ، ثمّ يقال له : نم قرير العين فلاتزال نفحة من الجنّة تصيب جسده ويجد لذّتها وطيبها حتّى يبعث.

قال عليه السلام : وإذا دخل الكافر قبره قالت : لامرحباً بك و لا أهلا أما والله لقد كنت ابغضك و أنت تمشى على ظهري فكيف إذا دخلت بطني سترى ذلك .

قال : فتضمّ عليه فتجعله رميماً ويعاد كما كان ويفتح له باب إلى النّار فيرى مقعده من النّار ، ثمّ قال : ثمّ انّه يخرج منه رجل أقبح من رأى قطّ قال : فيقول ياعبدالله من أنت مارأيت شيئاً أقبح منك ، قال : فيقول: أناعملك السيّىء الذي كنت تعمله ورأيك الخبيث .

قال ثمّ تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النّار ، ثمّ لم تزل نفحة من النّار تصيب جسده فيجد ألمها و حرّها في جسده إلى يوم يبعث ، و يسلّط الله على روحه تسعة وتسعين تنّيناً تنهشه ليس فيها تنّين ينفخ على ظهر الأرض فتنبت شيئاً.

و هذه الضّغطة هى التي ضمنها رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد روى أنّه لمّا حفر لها قبر اضطجع فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له صلى الله عليه وآله في ذلك فقال : إنّي ذكرت ضغطة القبر عندها يوماً وذكرت شدّتها فقالت : واضعفاه

ليس لي طاقة عليها فقلت لها : إنّي أضمن لك على الله فاضطجعت في قبرها لذلك .

وفي الكافي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد ؟ قال : فقال عليه السلام : نعوذ بالله منها ما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر ، إنّ رقيّة لمّا قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها فرفع رأسه إلى السّماء فدمعت عيناه وقال للنّاس : ذكرت هذه وما لقيت فرققت لها واستوهبتها من ضمّة القبر ، قال : فقال : اللّهم هب لي رقيّة من ضمّة القبر فوهبها الله له.

قال عليه السلام و إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في جنازة سعد وقد شيّعه سبعون ألف ملك فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إلى السّماء ثمّ قال : مثل سعد يضمّ ؟ قال : قلت جعلت فداك : إنا نحدّث أنّه كان يستخفّ بالبول ، فقال عليه السلام: معاذ الله إنّما كان من زعارة (١) في خلقه على أهله قال : فقالت امّ سعد هنيئا لك يا سعد ، قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : يا امّ سعد لا تحتمي على الله .

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : يسأل وهو مضغوط .

قال المحدّث المجلسي «ره» في حقّ اليقين : يفهم من الأحاديث المعتبرة أنّ ضغطة القبر للبدن الأصلي وأنّها تابعة للسؤال ، فمن لا سؤال عنه لا ضغطة له.

وفيه عن الصدوق عن الصّاق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ ضغطة القبر للمؤمن كفّارة عمّا صدر عنه من تضييع نعم الله سبحانه .

وفي الكافي عن يونس قال : سألته عن المصلوب يعذّب عذاب القبر ؟ قال : فقال : نعم إنّ الله عزّ وجلّ يأمر الهواء أن يضغطه .

وفي رواية اُخرى سئل أبو عبدالله عليه السلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر، فقال عليه السلام : إنّ ربّ الأرض هو ربّ الهواء فيوحي الله عزّ وجلّ إلى الهواء فيضغطه ضغطة هو أشدّ من ضغطة القبر .

وفيه في رواية أبي بصير التي تقدّم صدرها في ذكر حالة الاحتضار عن أبي

١ـ زعارة بد خوى هدن، كنز

عبدالله عليه السلام ، فاذا ادرج في أكفانه و وضع على سريره خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قدماً و تلقاه أرواح المؤمن و يبشّرونه بما أعدّ الله له جلّ ثناؤه من النّعيم ، فاذا وضع في قبره ردّ إليه الرّوح إلى وركيه ثمّ يسأل عمّا يعلم فاذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيدخل عليه من نورها وبردها وطيب ريحها .

قال : قلت جعلت فداك فأين ضغطة القبر؟ فقال عليه السلام : هيهات ما على المؤمنين منها شيء والله إنّ هذه الأرض لتفتخر على هذه فيقول : و طيء على ظهري مؤمن ولم يطاء على ظهرك مؤمن ، والله لقد كنت أُحبّك وأنت تمشي على ظهري فأما إذا وليتك فستعلم ماذا أصنع بك فتفسح له مدّ بصره ، هذا .

وفي الحقّ اليقين بعد ايراده الأخبار الواردة في الضغطة ممّا قدّمنا روايتها وما لم يتقدّم قال : والجمع بين هذه الأخبار في غاية الاشكال إذ لوحملنا المؤمن فيها على المؤمن الكامل فأيّ كامل أكمل من فاطمة بنت أسد ورقيّة ابنة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسعد بن معاذ .

اللّهمّ إلاّ أن يحمل ما في فاطمة ورقيّة على الاحتياط والاطمينان وحصول الاضطجاع والدّعاء أو يقال المراد بالمؤمن المعصوم و من يتلو مرتبة العصمة كسلمان و أبي ذر ونظرائهما ، ويمكن حمل أخبار عدم الضغطة للمؤمن على عدم الضّغطة الشّديدة أو حمل أخبار عدم الضّغطة له على ما تكون على وجه الغضب ، وما تدلّ عليها على ما تكون على وجه اللطف وليكون قابلا لدخول الجنّة كما أنّ ابتلاءه بمحن الدّنيا وبلاياها كان لذلك .

ويمكن أن يقال: إنّها كانت في صدر الاسلام عامّة للمؤمن وغيره ، ثمّ اختصّت بغيرهم بشفاعة الرّسول والأئمة صلوات الله وسلامه عليه وعليهم هذا .

وبقي الكلام فيما يوجب ارتفاع الضّغطة والأمن من بعض عقوبات البرزخ وهي امور كثيرة .

منها رشّ الماء على القبر فقد روي في الكافي عن أبيعبدالله عليه السلام أنّه قال : يتجافى عنه العذاب مادام النّدى في التّراب .

ومنها الجريدتان ففى الوسائل عن الصّدوق باسناده إلى زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أرأيت الميّت إذا مات لم تجعل معه الجريدتان ؟ فقال عليه السلام يتجافى عنه العذاب أوالحساب مادام العود رطبا إنّما العذاب والحساب كلّه في يوم واحد في ساعة واحدة قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم و إنّما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جفوفهما إنشاءالله .

ومنها الوفاة ليلة الجمعة أويومها ففى الأنوار للسّيد الجزائري رحمه الله قد ورد في الأخبار المعتبرة ، أنّ من مات من المؤمنين ليلة الجمعة أو يومها أمن من ضغطة القبر ، قال «ره» و ربّما ورد أنّ بعض أعمال البرّ والأدعية المأثورة تدفعها أيضاً ، وهو ليس ببعيد فانّ رحمة الله قريب من المحسنين .

ومنها الدّفن في وادي السّلام فقد روى في الأنوار أيضاً من كتاب إرشاد القلوب في فضل المشهد الشّريف الغروي و ما لتربته والدّفن فيها من المزيّة والشّرف .

روي عن أبيعبدالله عليه السلام أنّه قال : الغري قطعة من الجبل الذي كلّم الله موسى عليه تكليما ، وقدّس عليه تقديساً واتّخذ عليه إبراهيم خليلاً ، ومحمّداً صلى الله عليه وآله حبيباً وجعله للنّبيّين مسكناً .

وروي أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام نظر إلى ظهر الكوفة فقال : ما أحسن منظرك و أطيب قعرك ، اللّهمّ اجعل قبري بها .

قال : و من خواصّ تربته اسقاط عذاب القبر و ترك محاسبة منكر و نكير من المدفون هناك كما وردت به الأخبار الصّحيحة عن أهل البيت عليهم السلام .

أقول : ونظيرمارواه عن أميرالمؤمنين عليه السلام ماروواه في الكافي عن حبّة العرني قال : خرجت مع أميرالمؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بوادي السّلام كأنّه مخاطب

لأقوام ،فقمت بقيامه حتّى أعييت ، ثمّ جلست حتّى مللت ، ثمّ قمت حتّى نالني مثل ما نالني أولا ، ثمّ جلست حتّى مللت .

ثمّ قمت وجمعت ردائي فقلت يا أميرالمؤمنين إنّي قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ، ثمّ طرحت الرّداء ليجلس عليه. فقال لي: ياحبة إن هو إلاّ محادثة مؤمن أومؤانسته قال : قلت : ياأميرالمؤمنين وإنّهم كذلك ؟ قال : نعم ، ولو كشف لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون ، فقلت : أجساد أم أرواح ؟ فقال لي : أرواح ومامن مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل : ألحقي بوادي السّلام وإنّها لبقعة من جنّة عدن .

والمستفاد من هذه الرّواية وكثير من الأخبار المعتبرة أنّها جنّة الدّنيا و أنّ أرواح المؤمنين فيها كما أنّ أرواح الكفّار في بئر البرهوت .

فقد روي في الكافي عن أحمد بن عمر رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : إنّ أخي ببغداد و أخاف أن يموت بها ، فقال عليه السلام : ما يبالي حيث مامات أما أنّه لا يبقى في شرق الأرض و غربها إلاّ حشر الله روحه إلى وادي السّلام ، قال : قلت له : وأين وادي السلام ؟ قال عليه السلام : ظهر الكوفة أما أنّي كأنّي بهم حلق حلق قعود يتحدّثون .

و عن محمّد بن أحمد باسناد له قال قال أمير المؤمنين عليه السلام : شرّ بئر في النّار البرهوت الّذي فيه أرواح الكفّار .

و عن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : شرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت ، وهو واد بحضرموت ترد عليه هام الكفّار .

و الأخبار في هذا المعنى كثيرة ولا حاجة إلى ذكرها نعم في المقام خبر يستلذّ النّفس ويسرّ القلب به وهو مارواه في الأنوار عن القاضي بن بدر الهمداني الكوفي وكان رجلا صالحا متعبّداً .

قال : كنت في جامع الكوفة ذات ليلة مطيرة فدقّ باب مسلم جماعة ففتح لهم و ذكر بعضهم أنّ معهم جنازة فأدخلوها وجعلوها على الصّفة التي تجاه باب

مسلم بن عقيل ، ثمّ إنّ أحدهم نعس فنام فرأى في منامه قائلا يقول لآخر : ما تبصره حتّى نبصر هل لنا معه حساب أم لا ، فكشف عن وجه الميّت و قال لصاحبه بل لنامعه حساب و ينبغي أن نأخذه معجّلا قبل أن يتعدّي الرّصافة فما يبقى لنا معه طريق .

فانتبه وحكى لهم المنام وقال : خذوه عجلا فأخذوه ومضوا به في الحال إلى المشهد الشّريف صلوات الله وسلامه على مشرّفها .

أقول : رزقنا الله سبحانه و إخواني المؤمنين مجاورة حضرت مولاي و مولى العالمين عليه الصّلاة والسّلام حيّا وميّتا ، وأنا أوصي خليفتي ووليّ أمري بعدي أن يدفنني في ذلك المقام الشّريف .

و اقول له :

إذا متّ فادفنّي إلى جنب حيدرٍ ... أبي شُبرٍ أكرم به و شبير

فلست أخاف النّار عند جواره ... ولا أتّقى من منكرٍ ونكير

فعارعلى حامي الحمي وهوفي الحمي ... إذا ضلّ في البيدا عقال بعير

ثم اقول :

ولايتي لأمير النّحل تكفيني ... عند الممات و تغسيلي و تكفيني

وطينتي عجنت من قبل تكويني ... بحبّ حيدر كيف النّار تكويني

ثم اناجي ربي واقول :

وفدتُ على الكريم بغير زادٍ ... من الحسنات والقلب السليم

فحمل الزّاد أقبح كلّ شيء ... إذا كان الوفود على الكريم

الترجمة

وبعض ديگر ازاين خطبهٔ شريفه درصفت خلقت انسانست كه ميفرمايد : آيا يادآوري نمايم شمارا باين انساني كه ايجاد فرمود اورا صانع حكيم در ظلمتهاى رحمها ودرغلافهاى پردهها درحالتى كه نطفهٔ بود ريخته شده وعلقهٔ ناقص گشته وبچهٔ پنهان درشكم زنان وطفل شيرخواره واز شيرباز گرفته وبسنّ احتلام رسيده .

پس از آن عطا فرمود اورا قلب حفظ کننده ، وزبان گوینده ، وديدهٔ نگرنده تا فهم کند درحالتی که عبرت گیرنده باشد وباز ایستد ازمعصیت درحالتی که نفس خودرا زجر کننده شود ، تا اینکه قایم شد حدّ اعتدال او ، و راست شد پیکر ومثال او ، رمید ونفرت نمود از حق درحالتی که گردن کش بود ، وخبط کرد در حالتی که بی‌باك بود .

آب کشنده بود در دلو بزرك هوس‌وهوای‌خود ، رنج کشنده بود وسعی کننده ازبرای دنیای خود درلذّتهای شادیش ودرحاجتهای خطور کنندهٔ قلب خويش در حالتی که گمان نمی‌نمود مصیبتی که برسد باو ، ونمی ترسید ازمحذوری که وارد شود باو پس مرد در ضلالت خود درحالتی که غافل بود از غضب مالك الملك ، وزندگانی کرد درلغزیدن خود درزمان اندك .

کسب ننمود عوض نعمتها را دردنیا ، وبجا نیاورد فرایض لازمهٔ برخودرا ، هجوم‌آور شد براو اندوههای مرك دربقایای سواری او برهوای خود ، ودرراههای سرور وشادی خود ؛ پس متحیّر گشت وشب را بربیداری بروزآورد در شدّتهای دردها ونازل شده‌های المها وبیماریها در میان برادر که شقّه ایست از جان و پدر مهربان ومادر واویلا گوینده ازروی جزع وخواهر بسینه زننده از روی اضطراب وفزع وحال‌آنکه آن مرد درسکرات موتست مشتمله بر تعب، وشدت ، ودرغمرات مرگست متّصفه با نهایت مشقّت ، ودر نالهای دردآورنده ، ودر کشش روح اندوه آورنده ، وراندن رنجاننده .

پس پیچیده شد در کفنهای خود درحالتی که مأیوس‌بود وحزین ، وکشیده شد درحالتی که اطاعت کننده بود آسان ولیّن ، پس انداخته شد درچوبهای نعش مثل شتر مردّد در اسفار ، وهمچو شتر لاغر از کثرت بار ، در حالتی که بردارند اورا فرزندان یاری دهنده ، وبرادران جمع شونده بسوی قبر که سرای غربت اوست وجای بریدن زیارت از اوست .

تا آنكه چون رجوع كند تشييع كننده وبر ميگردد اندوه خورنده نشانده ميشود درقبر درحالتى كه رازگوينده باشد ازجهة بهت وحيرتى كه حاصل‌ميشود اورا ازسؤال ، وبجهة لغزش درامتحانى كه اوراست درعقايد واعمال ، وبزرگترين چيزى كه آنجاست ازحيثيت بلا پيشكش آب گرم وجوشانست ، ودرآوردن اوست درآتش سوزان ، وجوششهاى آتش سرخ شده ، وشدّتهاى صداى نار موقده .

نيست آنجا سستى كه راحت كننده از عذاب باشد ، و نه آرميدنى كه زايل كنندهٔ عقاب باشد ، ونه مرگ حاضر كه باعث استراحت او شود ، ونه خواب اندك كه سبب فراموشى زحمت او گردد ، بلكه هميشه در ميان أنواع مرگها باشد ، ودرميان‌عذابهاى ساعت بساعت ، بدرستى كه‌پناه ميبريم بخدا ازاين عذاب وعنا .

الفصل الثامن

عِبادَ اللهِ ، أَيْنَ الَّذينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا ، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا ، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا ، وَسُلِّمُوا فَنَسَوْا ، أُمْهِلُوا طَويلاً ، وَمُنِحُوا جَميلاً ، وَحُذِّرُوا أَليماً ، وَوُعِدُوا جَسيماً ، احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُورِطَةَ ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ ، أُولِي الْأَبْصارِ وَالْأَسْماعِ ، وَالْعافِيَةِ وَالْمَتاعِ ، هَلْ مِنْ مَناصٍ أَوْ خَلاصٍ ، أَوْ مَعاذٍ أَوْ مَلاذٍ ، أَوْ فِرارٍ أَوْ مَحارٍ ، أَمْ لا فَأَنّى تُؤْفَكُونَ ، أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ ، أَمْ بِماذا تَغْتَرُّونَ ، وَإِنَّما حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، ذاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ ، قَيْدُ قَدِّهِ ، مُنْعَفِراً عَلى خَدِّهِ ، الْآنَ عِبادَ اللهِ وَالْخِناقُ مُهْمَلٌ ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ ، في فَيْنَةِ الْإِرْشادِ ، وَراحَةِ الْأَجْسادِ ، وَباحَةِ

الْإِحْتِشادِ، وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ، وَإِنْظارِ التَّوْبَةِ، وَانْفِساحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ، وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ، وَقَبْلَ قُدُومِ الْغائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وَأَخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ.

قال السيّد (ره) وفي الخبر أنّه عليه السلام لمّا خطب بهذه الخطبة اقشعرّت لها الجلود وبكت العيون ورجفت القلوب، ومن النّاس من يسمّي هذه الخطبة الغرّاء.

اللغة

(احذروا) أمر من حذر بالكسر من باب علم و (الورطة) الهلكة وأرض مطمئنّة لا طريق فيها وأورطه ألقاه فيها و (المناص) الملجأ و (المحار) المرجع من حار يحور أي رجع قال تعالى:

«إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ»

و (أفك) من باب ضرب وعلم أفكا بالفتح والكسر والتّحريك كذب وافكه عنه يأفكه صرفه وقلبه أوقلب رأيه و (القيد) كالقاد المقدار و (المعفر) محرّكة التّراب وعفره في التّراب يعفره من باب ضرب وعفّره فانعفر وتعفّر مرّغه فيه أودسّه و (الخناق) ككتاب حبل يخنق به ويقال أخذ بخناقه أى بحلقه لأنّه موضع الخناق فاطلق عليه مجازاً و (فينة) السّاعة والحين يقال لقيتة الفينة بعد الفينة وقد يحذف اللاّم ويقال لقيته فينة بعد فينة.

وفي بعض النّسخ الارتياد بدل (الارشاد) و هو الطّلب و (الباحة) السّاحة والفضاء و (الاحتشاد) الاجتماع و (انف) الشيء بضمّتين أوّله و (الانفساح) من الفسحة وهو السّعة و (الحوبة) الحالة والحاجة و (والضّنك) والضّيق بمعنى واحد و (المضيق) ماضاق من المكان والمراد هنا القبر و (الرّوع) الفزع و (زهق) نفسه من باب منع وسمع زهوقاً خرجت وزهق الشيء بطل وهلك.

و «اقشعرّ جلده» أخذته قشعريرة أي رعدة و «رجفت القلوب» اضطربت

و «الخطبة الغرّاء» بالغين المعجمة أي المتّصفة بالغرّة قال في القاموس: والغرّة من المتاع خياره و من القوم شريفهم ومن الرّجل وجهه و كلّ ما بدا لك من ضوء أو صبح فقد بدت غرّته.

الاعراب

قوله عباد الله منصوب على النّداء بحذف حرفه؛ و كذلك قوله عليه السلام: أولي الأبصار، وقوله: هل من مناص استفهام على سبيل الانكار والابطال، وأم في قوله أم لا منقطعة بمعنى بل فهي مثل أم في قوله:

« هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ »

و الشّاهد في الثّانية فانّه سبحانه بعد إبطال استواء الأعمى والبصير و الظلمات والنّور أضرب عن ذلك و أخبر عن حالهم بأنّهم جعلوا لله شركاء، و كذلك الامام عليه السلام بعد إنكار المناص و الخلاص وإبطاله أضرب عن ذلك وأخبر بأنّه ليس هناك مناص ولا خلاص.

وقوله: فأنّى تؤفكون، أنّى بمعنى كيف أو بمعنى أين و من مقدّرة قبلها أى من أين تؤفكون، صرّح به نجم الأئمة الرّضى في مبحث الظروف من شرح الكافية، وذا في قوله أم بماذا تغترّون إمّا زايدة وهو الأظهر أو بمعنى الذي كما في ماذا لقيت، ومنعفراً حال من الضّمير في قدّه.

و قوله: الآن من ظروف الزّمان مبنىّ على الفتح و اختلفوا في علّة البناء والأظهر ما قاله أبوعليّ من أنّه متضمّن لمعنى ال الحضوري لأنّ معناه الزّمن الحاضر، واللاّم فيه زايدة لازمة وليست للتّعريف كما توهّم السّيرافي وابن عصفور إذ لاتعرف انّ التي للتّعريف تكون لازمة وهذه لازمة لأنّ الآن لم يسمع مجرّداً عنها، و كيف فهو مفعول فيه و العامل محذوف، و التّقدير اعملوا و اغتنموا الفرصة الآن.

وجملة والخناق مهمل ، في محلّ الانتصاب على الحال من عباد الله والعامل النّداء المحذوف لكونه في معنى الفعل ، واللام في الخناق عوض عن المضاف إليه أى خناقكم على حدّ و علّم آدم الأسمآء ، أي أسماء المسمّيات ، وكذا في الرّوح وقوله في فينة الارشاد ، متعلّق بقوله مرسل وفي للظرفية المجازيّة ، و قيل الضنك ظرف للفعل المحذوف الذي جعلناه العامل في الآن .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل متضمّن للتذكير بحال السّلف وللأمر بالكفّ عن المعاصي وللحثّ على التّدارك للذنوب قبل الموت بتحصيل التوبة والانابة وهوقوله :

(عباد الله أين الذين عمّروا فنعموا) أى أعطاهم الله العمر فصاروا ناعمين أى صاحبى سعة في العيش والغذاء (وعلّموا ففهموا) أى علّمهم الأحكام ففهموا الحلال والحرام (وأُنظروا) في مدّة الأجل (فلهوا) بطول الأمل (و سلّموا) فى العاجلة (فنسوا) العاجلة (أُمهلوا) زمانا (طويلا) وأمداً بعيداً (ومنحوا) عطاء (جميلا) وعيشاً رغيداً (وحذروا عذاباً أليماً) و جحيماً (ووعدوا) ثواباً (جسيماً) وعظيماً (احذروا الذنوب المورطة) أى المعاصي الموقعة في ورطة الهلاكة و العقاب (والعيوب المسخطة) أي المساوي الموجبة لغضب ربّ الأرباب .

(أُولي الأبصار و الأسماع و العافية و المتاع) و إنّما خصّ هؤلاء بالنّداء وخصّصهم بالخطاب لأنهم القابلون للاتعاظ والاذكار واللائقون للانتهار والانزجار بما أعطاهم الله من الأبصار والبصاير منحهم من الأسماع والضماير وبذل لهم من الصحّة والسّلامة في الأجساد ومنّ به عليهم من المتاع والأموال والأولاد الموجبة للاعراض عن العقبا و الرّغبة إلى الدّنيا و الباعثة على ترك سبيل الرّحمن و سلوك سبيل الشّيطان والداعية إلى ترك الطّاعات والاقتحام في الهلكات .

ثمّ استفهم على سبيل التكذيب والانكار بقوله : (هل من مناص) من العذاب (أوخلاص) من العقاب (أومعاذ) من الوبال (أو ملاذ) من النكال (أوفرار) من الحميم (أومحار) من الجحيم (أم لا وليس فانّى تؤفكون) و تنقلبون (أم أين

تصرفون) وتلفتون (أم بماذا تغترّون) وتفتنون (و انّما حظّ أحدكم من الأرض) الغبراء (ذات الطول و العرض) و الارجاء (قيد قدّه) و قامته (منعفرا على خدّه) و وجنته .

اعملوا (الآن) واغتنموا الفرصة فيهذا الزّمان يا (عباد الله والخناق مهمل والرّوح مرسل) أي أعناق نفوسكم مهملة من الأخذ بخناق الموت و أرواحكم متروكة من الجذب بحبال الفناء والفوت (في فينة الارشاد) و الهداية إلى الجنان (وراحة الاجساد) واستراحة الأبدان (وباحة الاحتشاد) أي ساحة اجتماع الأشباه والاقران (و مهل البقية و انف المشيّة) أي مهملة بقيّة الحياة و أوّل أزمنة الارادات .

و أشار بذلك إلى أنّ اللاّزم على الانسان أن يجعل أوّل زمان إرادته وميل خاطره إلى اكتساب الفضائل و اجتناب الرّذايل ويكون همّته يومئذ مصروفة في اتيان الطاعات واقتناء الحسنات ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات وارداً على لوح صاف من الكدورات سالم عن رين الشّبهات إذ لوانعكس الأمر وجعل أوايل ميوله وإرادته منصرفة إلى اتيان المعاصي والخطيئات تسوّد وجه نفسه بسوء الملكات فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضائة بنور الحقّ والاهتداء إلى الخيرات .

(وانظار التّوبة وانفساح الحوبة) أراد به إمهال الله لهم لأجل تحصيل التوبة وإعطائه لهم اتساع الحالة ووسعة المجال لاكتساب الحسنات الأعمال (قبل الضّنك والمضيق) أي قبل ضيق الزّمان ومضيق المكان (والرّوع والزّهوق) أى الفزع و خروج الرّوح من الأبدان (و قبل قدوم) الموت الذي هو (الغائب المنتظر وأخذة) الذي هو (العزيز) الغالب (المقتدر) فانّه إذا قدم الموت بطل التكليف واستحال تدارك الذنوب ولا ينفع النّدامة .

ولذلك قال أبوجعفر عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الموت الموت ألا ولابدّ من الموت ، جاء الموت بمافيه جاء بالرّوح و الرّاحة والكرّة المباركة إلى جنّة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم ، وجاء الموت بمافيه

بالشّقوة و النّدامة و الكرّة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم .

ثمّ قال : وقال إذا استحقّت ولاية الله والسّعادة جاء الأجل بين العينين وذهب الأمل وراء الظهر ، و إذا استحقت ولاية الشّيطان جاء الأمل بين العينين و ذهب الأجل وراء الظهر .

قال عليه السلام : و سئل رسول الله صلى الله عليه وآله أيّ المؤمنين أكيس ؟ فقال : أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم له استعداداً .

قال السّيدر (ره) و في الخبر أنّه لمّا خطب بهذه الخطبة اقشعرّت لها الجلود وارعدت وبكت العيون واسكبت (١) ورجفت القلوب واضطربت ومن النّاس من يسمّى هذه الخطبة الغرّاء .

أقول : وهى حقيقة بهذه التسمية لكونها من خيار خطبه وشرايفها ووجوهها لما تضمّنه معناها من الحكمة والموعظة الحسنة و هى كافية في الهداية و الارشاد للطّالب الرّاغب إلى الثّواب ووافية في مقام التحذير و الانذار للهارب الرّاهب من العقاب .

و لما اشتملت عليه الفاظها من انواع المحسّنات البيانيّة و البديعيّة من الانسجاء والترصيع والتجنيس والسّجع والمقابلة و الموازنة و المجاز والاستعارة والكناية وغيرها .

وناهيك حسناً قوله عليه السلام في هذا الفصل: هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار ، وقوله فى الفصل الرّابع ، فاتقوا الله تقيّة من سمع فخشع واقترف فاعترف ووجل فعمل إلى آخر ماقاله .

فانّك إذا لاحظت كلّ لفظة منها و جدتها آخذة برقبة قرينتها ، جاذبة لها إليها دالّة عليها بذاتها و محسّنات كلامه غنيّة عن الاظهار غير محتاجة إلى التّذكار إذ تكلّف الاستدلال على أنّ الشّمس مضيئة يتعب وصاحبه ينسب إلى

١-اى اسكبت الدموع

السّفه وليس جاحدا لأمور المعلومة بالضّرورة بأشدّ سفها ممّن رام الاستدلال عليها

تكملة

اعلم أنّ بعض فصول هذه الخطبة مرويّ في البحار من كتاب عيون الحكمة والمواعظ لعليّ بن محمّد الواسطي باختلاف يسير لما هنا ، و هومن الفصل الخامس إلى آخرها ولا حاجة لنا إلى ايراده نعم روى كلام آخرله عليه السلام فيه من الكتاب الذي اشرنا إليه بعض فصول هـذه الخطبة مدرّج فيه و أحببت ايراده لاقتضاء المقام ذلك .

قال (ره) ومن كلام له عليه السلام إنّكم مخلوقون اقتداراً ، ومربوبون ايتساراً إلى آخر مايأتي إنشاء الله في تكملة الشّرح الخطبة المأتين والرّابعة والعشرين

الترجمة

أى بندگان خدا كجايند آنكسانيكه معمّر شدند پس منعم شدند بناز و نعمت ، و تعليم شدند پس فهميدند بذكاء وفطنت ، ومهلت داده شدند پس غفلت ورزيدند ازطاعات ، وسالم گردانيده شدند پس فراموشي اختيار كردند برتذكيرات حذر نمائيد از ذنوبى كه مياندازد بورطهٔ هلاكت ، و از عيوبى كه باعث ميشود بخشم حضرت عزّت .

اى صاحبان ديدههاى بينا و گوشهاى شنوا وخداوندان سلامتى ومتاع دنيا آيا هيچ پناه گاهى هست ازعذاب ، ياخلاصي هست ازعقاب ،ياهيچ ملجائى هست از شدّت ، يا ملاذي هست ازعقوبت ، يا هيچ گريزى هست ازآتش جحيم ، يامرجعى هست از عذاب أليم ، يا اينكه چاره وعلاج نيست ومفرّ ومناص نه ؟

پس چگونه گردانيده ميشويد ازفرمان خدا ، ياكجا صرف كرده ميشويد يابچه چيز مغرور ميباشيدوجزاين نيست كهنصيب هريكى ازشما از زمينى كه صاحب طولست وعرض مقدار قامت اوست درحالتى كه خاك آلوده باشد بررخسارخود .

عمل بكنيد و فرصت غنيمت شماريد الآن اى بندگان خدا و حال آنكه

آنچيزى كه بآن أخذ كرده ميشود گردنهاى نفوس شما كه مر گست واگذاشته شده است ، و روحهاى شما ترك كرده شده است در ساعت رشادت يعني كسب كردن چيزهائيكه باعث رشد است ودر راحت بدنها ودرمهلت بقية حياة و در اول ازمنهٔ ارادات ودر مهلت دادن بجهت تحصيل توبه ودر وسعت وفراخي حالت پيش اززمان كوتاه و مكان تنك ، وقبل از ترس ورفتن جان از بدن وپيش از آمدن غايب انتظار كشيده شده كه عبارتست ازموت ، وپيش از اخذ نمودن خداى غالب صاحب قدرت اورا در سلسله عقوبت .

قال الشارح عفى الله عنه : وليكن هذا آخر ما أردنا ايراده في هذا المجلّد و هو المجلّد الثّاني (١) من مجلّدات منهاج البراعة في شرح النّهج ، و يتلوه إنشاء الله المجلّد الثّالث إن ساعدنا الوقت و المجال بتوفيق الله الملك المتعال ، وهذه هي النسخة الأصل التي كتبتها بيميني وأرجو من الله سبحانه أن يثبتها في صحايف أعمالي ويرجّح بها ميزان حسناتي و أن يؤتيها بيميني كما أمليتها بيميني إنّه على كلّ شيء قدير و بالاجابة جدير ، و كان الفراغ منه في فجر العشرين من شهر ربيع الآخر ١٣٠٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصّلاة والسّلام على عبده ورسوله محمّد حبيب الله، وعلى آله الذين فضّلهم على العالمين وجعلهم أفضل عباد الله، واختصّهم بالامامة والولاية فصاروا أئمة الدّين وأولياء الله، وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا، ولعنة الله على أعدائهم الذين جعل مأواهم جهنّم لهم فيها زفير وشهيق وسائت مقاماً ومصيرا .

وبعد فهذا هو المجلّد الثالث من مجلّدات منهاج البراعة املاء راجي عفو ربّه الغنيّ « **حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمي العلوى الموسوى** » أعطاه الله كتابه

١ـ هذا على حسب تجزأة المصنف (قده) كما فى الطبعة الأولى .

بيمناه ، وجعل عقباه خيراً من اولاه ، والمرجوّ منه سبحانه أن يمنّ عليّ باتمامه بقرب محمّد و آله .

فأقول : قال السيّد (ره) :

ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص وهو الثالث والثمانون من المختار في باب الخطب

و قد رواه غير واحد من المحدّثين على اختلاف تطلع عليه في التّذنيب الثاني إن شاء الله .

عَجَباً لِابْنِ النّابِغَةِ يَزْعَمُ لِأَهْلِ الشّامِ أَنَّ فِيَّ دُعابَةً وَ إِنّي امْرُءٌ تِلْعابَةٌ أُعافِسُ وَأُمارِسُ ، لَقَدْ قالَ باطِلاً ، وَ نَطَقَ آثِماً ، أَما وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكِذْبُ ، إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ، وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ ، وَ يَسْئَلُ فَيُلْحِفُ ، وَ يُسْئَلُ فَيَبْخَلُ ، وَ يَخُونُ الْعَهْدَ ، وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ ، فَإِذا كانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ ما لَمْ يَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَها ، فَإِذا كانَ ذٰلِكَ كانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ سَبَّتَهُ ، أَما وَ اللهِ إِنَّهُ لَيَمْنَعُني مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيانُ الْآخِرَةِ ، إِنَّهُ لَمْ يُبايِعْ مُعٰوِيَةَ حَتّىٰ شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً ، وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلىٰ تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً .

اللغة

(النّابغة) أمّ عمرو بن العاص سمّيت بها لظهورها وشهرتها بالبغى ، مأخوذة

من نبغ الشيء نبوغا أي ظهر و (يزعم) بمعنى يقول ، قال الفيومي : و عليه قوله تعالى :

« أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ »

أي كما اخبرت قال المرزوقي : أكثر ما يستعمل الزّعم فيما كان باطلا أو فيه ارتياب ، قال الخطابي : ولهذا قيل زعم مطيّة الكذب وزعم غيرمزعم قال غيرمقول صالح وادّعى مالا يمكن ، و قال أبوالبقاء : الزّعم بالضمّ اعتقاد الباطل بلا تقوّل وبالفتح اعتقاد الباطل بتقوّل، وقيل : بالفتح قول مع الظنّ وبالضمّ ظنّ بلا قول ، ومن عادة العرب أنّ من قال كلاماً وكان عندهم كاذبا قالوا : زعم فلان قال شريح : لكلّ شيء كنية و كنية الكذب زعم، وقد جاء في القرآن في كلّ موضع ذمّاللقائلين.

و (الدعابة) بضمّ الدّال المزاح من دعب يدعب مثل مزح يمزح وزنا ومعنىً وفي لغة من باب تعب وفي الحديث قلت : وماالدّعابة ؟ قال : هى المزاح ومايستملح و (التلعابة) بكسر التّاء كثير اللعب و المزاح والتّاء للمبالغة ، و التّلعاب بالفتح مصدر لعب و (العافسة)المعالجة في الصراع من العفس وهو الجذب إلى الأرض في ضغط شديد و الضرب على الأرض بالرّجل و (الممارسة) المعالجة و المزاولة و (ألحف) السائل إلحافاً ألحّ و (الالّ) العهد والقرابة قال تعالى :

« لا يَرْقُبُونَ إِلًّا وَلا ذِمَّةً »

و(السبة) الاست و (الاتية) كالعطية لفظاً ومعنى و(الرضيخة) الرّشوة من رضخ له رضخاً من باب نفع ورضيخة أعطاه شيئاً ليس بالكثير .

الاعراب

عجباً منصوب على المصدرية بحذف عامله ، وجملة يزعم إمّافي محل النّصب على الحال من ابن النابغة لكونه مفعولا بالواسطة ، أولا محلّ لها من الاعراب لكونها استينافا بيانيا، فكأنّه عليه السلام سئل عن علّة التعجب فأجاب بأنّه يزعم وهو الأظهر

وجملة اعافس وامارس في محل الرّفع صفة بعد صفة لامرء وهي في المعنى تأكيد لقوله تلعابة ولكمال الاتّصال بينهما ترك حرف العطف وهومن المحسّنات البيانية

و جملة لقد قال باطلا قسمية و باطلا صفة لمصدر محذوف ، و آثماً منصوب على الحال و يحتمل أن يكون صفة لمحذوف أيضاً أى نطق نطقا آثماً فيكون اسناد آثماً إليه من باب التّوسع .

قوله فأيّ زاجرو آمرهو، لفظة أيّ منصوبة على الحالية وحذف عاملها للقرينة وهي اسم موضوع للدّلالة على معنى الكمال و يستعمل في مقام التّعجب ، تقول : مررت برجل أىّ رجل ، أى كامل في الرّجولية و بزيد أىّ رجل أى كاملاً فيها قالوا : إنّه إذا وقع بعد المعرفة فحال و إذا وقع بعد النكرة فصفة ، و تقدير كلامه عليه السلام فهو زاجرأيّ زاجر .

قال الرّضي فيشرح الكافية بعد ماحكي عنهم كون أيّ إسماموضوعا للدلالة على معنى في متبوعه :والذي يقوي عندي أنّ أىّ رجل لا يدلّ بالوضع على معنى في متبوعه ، بل هو منقول عن أىّ الاستفهاميّة ، وذلك أنّ الاستفهاميّة للسؤال عن التّعيين ، و ذلك لا يكون إلاّ عند جهالة المسئول عنه فاستعيرت لوصف الشّيء بالكمال في معنى من المعاني والتّعجب من حاله ، والجامع بينهما أنّ الكامل البالغ غاية الكمال بحيث يتعجّب منه يكون مجهول الحال بحيث يحتاج إلى السؤال عنه .

المعنى

اعلم أنّ عمروبن العاص اللّعين ابن اللّعين لمّا كان عدوّاً لأمير المؤمنين سلام الله عليه وآله، معلناً بعداوته كما كان أبوه العاص بن وائل عدواً لرسول الله صلى الله عليه وآله لا جرم كان همّة اللّعين مصروفة في الكذب و الافتراء عليه عليه السلام و كان يروم بذلك أن يعيبه عند النّاس و يسقط محلّته عليه السلام من القلوب ومن جملة ما افترى عليه كذباً أنّه قال لأهل الشّام : إنّما أخّرنا علياً لأنّ فيه هزلا لاجدّ معه ، فنسبه عليه السلام إلى الدّعابة و كثرة المزاح كما نسبه عليه السلام إلى ذلك عمر بن الخطاب وهذه النسبة من عمرو سيّئة من سيّئات عمر .

فأراد عليه السلام بكلامه ذلك دفع هذه النسبة و اثبات أنه افتراء وبهتان في حقه وذكر أوّلا ما قاله ابن العاص ثمّ اتبعه بردّه فقال :

(عجباً لابن النّابغة) و إنمّا كنى عنه بأمّه إذ من عادة العرب النسبة إلى الأمّ إذا كانت مشهورة بالخسّة والدّنائة يريدون بذلك ذمّه والقدح فيه ، وقد ينسبونه إليها إذا كانت معروفة بالشّرف يريدون بذلك شرفه ومدحه (يزعم لأهل الشّام) ويقول لهم قصداً للقدح والتّعييب (انّ فيّ) مزاح و (دعابة و انى امرء تلعابة) و كثير الممازحة حتّى أنّي (أعافس) و أصارع (وأمارس) و أعالج فعل من اتّصف بفراغ القلب فاستغرق أوقاته باللّهو واللّعب ، والله (لقدقال) قولا (باطلا ونطق) عاصيا (آثماً) لأنّه كذب فاذنب وافترى فعصى (أماوشرّ القول الكذب) والافتراء من حيث العقل والنّقل والدّين والدّنيا كماستطّلع عليه فيماعليك يتلى .

وهذا الملعون قد اتّصف بذلك وبغيره ممّايوقعه في المهالك ولقدكان جامعاً لجملة من الصّفات الخبيثة الشّيطانية ومتصفا بجمّة من الرّذايل الخسيسة النّفسانية مضافة إلى مافيه من فساد الاعتقاد والكفر والعناد وهي على مانبّه عليها أمور :

الاول (انه ليقول فيكذب) و رذالة هذه الصّفة و قباحته معلومة من حيث العقل و النّقل .

أمّا العقل فلأنّ الوجدان شاهد بأنّ الكذب يوجب اسوداد لوح القلب ويمنعه من انتقاش صور الحقّ والصّدق فيه ويفسد المنامات و الالهامات ، وربمايكون سبباً لخراب البلاد وفساد أمر العباد ، جالباً للعداوة والبغضاء ، باعثا على سفك الدّماء ولذلك اتفق العقلاء من المليّين وغيرهم على قبحه ، وقالت المعتزلة : قبحه معلوم بالضرورة .

و أمّا النّقل فقد قال سبحانه :

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ » وقال في صفة المؤمنين : « وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً » .

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إيّاكم والكذب فانّ الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدي إلى النّار ـ رواه في جامع الأخبار .

و فيه عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله : المؤمن إذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك وخرج من قلبه نتن حتّى يبلغ العرش فيلعنه حملة العرش و كتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية أهونها كمن يزنى مع امّه .

وقال موسى عليه السلام : يا ربّ أيّ عبادك خير عملا ؟ قال : من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه .

وقال العسكري عليه السلام : جعلت الخبائث كلّها في بيت وجعل مفتاحها الكذب

و في عقاب الأعمال عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ جعل للشرّ أقفالا و جعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب والشرّ من الشراب الكذب .

و في الوسائل من الكافي باسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ أوّل من يكذّب الكذّاب الله عزّ وجلّ ثمّ الملكان اللّذان معه ثمّ هو يعلم أنه كاذب .

وعن عبدالرّحمن بن أبي ليلى عن أبيه عمّن ذكره عن أبي جعفر عليه السلام قال : الكذب هو خرّاب الايمان .

و عن عبيد بن زرارة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ مما أعان الله به على الكذّابين النسيان .

وعن محسن بن طريف عن أبيه عمّن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : من كثر كذبه ذهب بهاؤه .

و الأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما أوردناه كفاية لمن له دراية و سيأتي تحقيق الكلام فيه وفي أقسامه في شرح الخطبة الخامسة والثّمانين فانتظر .

(و) **الثاني** أنّه (يعد فيخلف) وهذا أيضاً من شئونات الكذب ففيه ما فيه وزيادة ، ويقابله الوفاء و هو توأم الصدق كما قد مرّ مشروحاً في الخطبة الحادية والأربعين (و) **الثالث** أنه (يسأل فيلحف) ودنائة هذه الصّفة أيضاً واضحة إذ الاصرار

في المطالبة و الالحاح في السّوال من أوصاف الأرذال موجبة للابتذال لا محالة (و) **الرابع** انّه (يسأل فيبخل) يعنى أنّه يمنع السّائل وينهره ويبخل من أداء الحقوق الواجبة وصرفها في جهتها ، وقد قال سبحانه :

« وَ أَمّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ » وقال أيضاً : « وَ الَّذينَ في أَموالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُوم » وقال في موضع آخر : « وَأَمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنىٰ وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ » وفي سورة آل عمران : « وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَ لِلّٰهِ مِيراثُ السَّمٰواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ » و في سورة التّوبة : « وَ الَّذينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها في سَبيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَليمٍ ، يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْها في نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوىٰ بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هٰذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » .

روى في الوسائل من الكافي باسناده عن مسعدة بن صدقة عن جعفر عن آبائه عليهم السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلا يقول : إنّ الشحيح أعذر من الظالم ، فقال له : كذبت إنّ الظالم قد يتوب و يستغفر ويردّ الظلامة على أهلها ، والشّحيح إذا شحّ منع الزكاة والصّدقة وصلة الرّحم وقرى الضيف والنفقة في سبيل الله وأبواب البرّ ، وحرام على الجنّة أن يدخلها شحيح .

وفيه عن عبد العليّ بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ البخيل من كسب

مالا من غير حلّه وأنفقه في غير حقه.

وعن إسماعيل بن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:

«وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ»

أهو سوى الزّكاة؛ فقال: هو الرّجل يؤتيه الله الثروة من المال فيخرج منه الألف والألفين والثلاثة والأقلّ والأكثر فيصل به رحمه ويحمل به الكلّ عن قومه.

ويجيء اشباع الكلام في هذا المقام زيادة على ذلك في شرح المأة والتّسع من المختار في باب الخطب انشاءالله (و) **الخامس** أنّه (يخون العهد) و هي رذيلة داخلة تحت الفجور، و يقابلها الوفاء قال سبحانه:

«وَأَوْفُوا بِعَهْدِاللهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً، وَ لا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً».

وقد مضى تفصيل الكلام فيه في شرح كلماته السّابعة والسّبعين (و) **السادس** أنه (يقطع الالّ) إن كان المراد بالالّ العهد فالعطف بمنزلة التّفسير وإن كان المراد به القرابة كما هو الأظهر فالمقصود به قطع الرّحم، و يقابله الصّلة و قد مضى الكلام فيهما في الفصل الثاني من الخطبة الثالثة والعشرين.

و **السابع** الجبن و يقابله الشّجاعة و إليه أشار عليه السلام بقوله (فاذا كان عند الحرب فأيّ زاجر وآمر هو) بالقتال وبراز الأبطال (مالم يأخذ السّيوف مأخذها) والرّماح مراكزها (فاذا كان ذلك) والتحم الحرب وشبّ لظاها و علاسناها (كان أكبر مكيدته) في الذّب عنه وأعظم حيلته في الخلاص عن حدّ السّيف و النجاة منه (أن يمنح القوم سبّته) كما ستطلع عليه في التّذنيب الآتي.

ثمّ إنّه عليه السلام رجع إلى ابطال دعوى عمرو و بيّن وجه البطلان بأمرين:

أحدهما راجع إليه عليه السلام وهو قوله (أما والله إنّه ليمنعني من اللّعب ذكر الموت)

فانّ مذاكرة الموت ومراقبة الآخرة تكون شاغلة عن الدّنيا معرضة عن الالتفات إليها وإلى شهواتها من اللّعب ونحوه لكونه وجلاً من الله ومترصّداً لهجوم الموت وهو واضح بالمشاهدة والعيان ويشهد عليه البداهة والوجدان ، و ثانيها راجع إلى عمرو وهو قوله (وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة) فانّ نسيان الآخرة يوجب صرف الهمّة إلى الدّنيا وطول الأمل فيها ويبعث على الانهماك في الشّهوات و الانغمار في اللّذات و من كان هذه حاله لا يبالي بما قال و مايقول و يقدّم بدواعي شهواته الكذب على الصدق والباطل على الحقّ ليصل غرضه وينال مناه .

ثمّ نبّه عليه السلام على بعض ما ترتب على نسيان الآخرة بقوله (انّه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه على البيعة أتيّة ويرضخ له على ترك الدّين) والعدول عن الحقّ (رضيخة) فأعطاه مصر ثمناً و طعمةً على ما قد مضى مفصّلاً في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبة السّادسة والعشرين .

تذنيبات الاول

في ذكر نسب عمرو بن العاص اللّعين ابن اللّعين عليه لعنة الله و الملائكة و النّاس أجمعين أبد الآبدين و بيان بعض حالاته الدالة على كفره و شقاوته مع الاشارة إلى ما صدر عنه في صفين من كشف سوئته فأقول :

اعلم أنّ العاص بن وائل أباه كان من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعالنين له بالعداوة والأذى ، وفيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى .

« إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ » .

وكان يلقّب في الاسلام بالأبتر لأنّه قال لقريش : سيموت هذا الأبتر غداً فينقطع ذكره ، يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يشتمه ويضع في طريقه الحجارة ، لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يخرج من منزله ليلاً فيطوف بالكعبة فكان يجعل الحجارة في طريقه ليعثر بها ، وهو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خرجت من مكة

مهاجرة إلى المدينة فروّعوها وقرعوا هودجها بكعوب الرّماح حتى اجهضت جنيناً ميتاً من أبي العاص بن الرّبيع بعلها، فلمّا بلغ ذلك رسول الله نال منه وشقّ عليه مشقّة شديدة ولعنهم، رواه الشّارح المعتزلي عن الواقدي.

وروي عنه وعن غيره من أهل الحديث أنّ عمرو بن العاص هجا رسول الله صلى الله عليه وآله هجا كثيراً كان تعلمه صبيان مكة فينشدونه ويصيحون رسول الله صلى الله عليه وآله إذا مرّ بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلّي بالحجر: اللهمّ إنّ عمرو بن العاص هجاني ولست بشاعر فالعنه بعدد ماهجاني.

قال: وروى أهل الحديث أنّ النّضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص عمدوا إلى سلا (١) جمل فرفعوه بينهم ووضعوا على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد بفناء الكعبة فسال عليه فصبر ولم يرفع رأسه وبكى في سجوده ودعا عليهم فجائت ابنته فاطمة عليها السّلام وهي باكية فاحتضنت ذلك السّلا فرفعته عنه فألقته وقامت على رأسه تبكي فرفع رأسه صلى الله عليه وآله وقال: اللهمّ عليك بقريش قالها ثلاثاً، ثمّ قال صلى الله عليه وآله رافعاً صوته: إنّي مظلوم فانتصر، قالها ثلاثاً، ثمّ قام فدخل منزله وذلك بعد وفات عمّه أبي طالب بشهرين.

قال: ولشدّة عداوة عمرو بن العاص رسول الله صلى الله عليه وآله أرسله أهل مكّة إلى النّجاشي ليزهده في الدّين وليطرد عن بلاده مهاجرة حبشة وليقتل جعفر بن أبي طالب عنده إن أمكنه قتله، فكان منه في أمر جعفر هناك ماهو مذكور مشهور في السّير.

فاما النابغة فقد ذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار قال: كانت النّابغة أمّ عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبدالله بن جذعان التّيمي بمكة فكانت بغيّاً، ثمّ اعتقها فوقع عليها أبولهب بن عبد المطلب واميّة بن خلف الجهمي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبوسفيان بن الحرب والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمراً فادّعاه كلّهم فحكمت أمّه فيه فقالت: هو من العاص

١ـ السلا المشيمة لغة.

ابن وائل ، و ذلك لأنّ العاص بن وائل ينفق عليها كثيراً ، قالوا : و كان أشبه بأبي سفيان .

قال : وروى أبوعبيدة معمّر بن المثنّى في كتاب الأنساب أنّ عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان : أبوسفيان بن الحرب و العاص بن وائل ، فقيل : لتحكم أمّه فقالت أمّه : من العاص بن وائل ، فقال أبوسفيان : أما أني لا أشكّ أني وضعته في بطن (رحم خ ل) أمّه فأبت إلاّ العاص فقيل لها : أبوسفيان أشرف نسباً ، فقالت : إنّ العاص بن وائل كثير النّفقة عليّ وأبوسفيان شحيح ، ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافئاً له عن هجاء رسول الله صلى الله عليه وآله :

أبوك أبوسفيان لا شكّ قد بدت لنا فيك منه بيّنات الشّمائل
ففاخر به إمّا فخرت و لاتكن تفاخر بالعاص الهجين بن وائل
وإنّ الّتي في ذاك يا عمرو حكمت فقالت رجاءً عند ذاك لنايل
من العاص عمرو تخبر الناس كلّما تجمّعت الأقوام عند المحافل

و في البحار من الاحتجاج في حديث طويل قال الحسن عليه السلام مخاطباً لابن العاص : و أما أنت يا عمرو بن العاص الشّاني اللّعين الأبتر فانما أنت كلب أوّل أمرك أمّك لبغيّة أنّك ولدت على فراش مشترك فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبوسفيان بن حرب و الوليد بن المغيرة و عثمان بن الحارث والنّضر بن الحارث بن كلدة والعاص بن وائل كلّهم يزعم أنّك ابنه فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسباً وأخبثهم منصباً وأعظمهم بغية ثمّ قمت خطيباً وقلت أناشاني محمّد ، وقال العاص ابن وائل : إن محمّداً رجل أبتر لاولد له فلو قدمات انقطع ذكره فأنزل الله تبارك وتعالى « إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ » .

وكانت أمّك تمشى إلى عبد قيس يطلب البغية تأتيهم في دورهم وفي رحالهم وبطون أوديتهم ، ثمّ كنت في كلّ مشهد يشهده رسول الله صلى الله عليه وآله من عدوّه أشدّهم له عداوة و أشدّهم له تكذيباً ، الحديث .

وفي البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالى عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم

قال: إن عمرو بن العاص خطب النّاس بالشّام فقال: بعثني رسول الله ﷺ على جيش فيه أبوبكر و عمر فظننت أنّه إنّما بعثني لكرامتي عليه فلمّا قدمت قلت يا رسول الله أي النّاس أحبّ إليك؟ فقال ﷺ: عايشة، فقلت: من الرّجال؟ قال: أبوها، وهذا عليّ يطعن على أبي بكر وعمر وعثمان، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله ضرب بالحقّ على لسان عمر وقلبه، و قال في عثمان: إنّ الملائكة تستحيي من عثمان.

و قد سمعت عليّا و إلاّ فصمّتا يعني اُذنيه يروى على عهد عمر إنّ نبيّ الله نظر إلى أبي بكر و عمر مقبلين، فقال: يا عليّ هذان سيّدا كهول أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين ماخلا النّبيين منهم و المرسلين ولا تحدّثهما بذلك فيهلكا.

فقام عليّ عليه السلام فقال: العجب لطغاة أهل الشّام حيث يقبلون قول عمرو ويصدّقونه و قد بلغ من حديثه و كذبه و قلّة ورعه أن يكذب على رسول الله ﷺ و لعنه رسول الله ﷺ سبعين لعنة ولعن صاحبه الذي يدعو إليه في غير موطن.

و ذلك انّه هجا رسول الله ﷺ بقصيدة سبعين بيتاً فقال رسول الله ﷺ: اللّهم إنّي لا أقول الشّعر ولا اُحلّه فالعنه أنت و ملائكتك بكلّ بيت لعنة تترى على عقبه إلى يوم القيامة.

ثمّ لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فقال: إن محمّداً قد صار أبتر لا عقب له وإنّي لأشنأ النّاس له و أقولهم فيه سوء فأنزل فيه:

« إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ».

يعني هو الأبتر من الايمان من كلّ خير ما لقيت من هذه الأمة من كذابيها ومنافقيها الكائنى بالقرّاء الضعفة المتهجّدين رووا حديثه و صدّقوه فيه و احتجّوا علينا أهل البيت بكذبه: انا نقول خير هذه الأمة أبوبكر و عمر ولو شئت لسمّيت الثالث، والله ما أراد بقوله في عايشة و انتهى الارضاء معاوية بسخط الله عزّوجلّ، ولقد استرضاه بسخط الله.

وأمّا حديثه الذي يزعم انّه سمعه منّي فلا والذي فلق الحبّة وبرىء النسمة

ليعلم أنّه قد كذب عليّ يقيناً وانّ الله لم يسمعه منّي سرّاً ولا جهراً ، اللهمّ العن عمراً والعن معاوية بصدّهما عن سبيلك وكذبهما على كتابك واستخفافهما نبيّك صلّى الله عليه وآله وكذبهما عليه وعليّ .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله المسجد وفيه عمرو ابن العاص والحكم بن أبي العاص قال عمرو : يا أبا الأبتر وكان الرّجل في الجاهليّة إذا لم يكن له ولد سمّي ابتر ثمّ قال عمرو : إنّي لأشنأ محمّداً أي ابغضه فأنزل الله على رسوله صلّى الله عليه وآله :

« إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » إلى قوله : « إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » .

اي مبغضك عمرو بن العاص لادين له ولاحسب ، وبما ذكر كلّه ظهر كفر ابن العاص اللّعين وكفر أبيه كما ظهر عداوته لأمير المؤمنين عليه السلام وبغضه وهو ليس ببعيد من أولاد الزنا ولنعم ما قال الشّاعر :

بحبّ عليٍّ تزول الشّكوك | وتزكو النّفوس وتصفو البخار
ومهما رأيت محبّاً له | فثمّ الذكاء (الزكاء) وثمّ الفخار
ومهما رأيت عدوّاً له | ففي أصله نسب مستعار
فلا تعذلوه على فعله | فحيطان دار أبيه قصار

وأمّا خبر عمرو في صفين ففي البحار من المناقب وبرز أمير المؤمنين عليه السلام ودعا معاوية قال : وأسألك أن تحقن الدّماء وتبرز إليّ وأبرز إليك فيكون الأمر لمن غلب ، فبهت معاوية ولم ينطق بحرف ، فحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الميمنة فأزالها ، ثمّ حمل على الميسرة فطحنها ، ثمّ حمل على القلب وقتل منهم جماعة وأنشد

فهل لك في أبي حسن عليٍّ | لعلّ الله يمكن من قفاكا
دعاك إلى البراز فعكت عنه | ولو بارزته تربت يداكا

فانصرف أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ برز متنكّراً فخرج عمرو بن العاص مرتجزاً

يا قادة الكوفة من أهل الفتن | يا قاتلي عثمان ذاك المؤتمن
كفى بهذا حزناً عن الحزن | أضربكم ولا أرى أبا الحسن

فتناكل عنه علي عليه السلام حتّى تبعه عمرو ثمّ ارتجز :

أنا الغلام القرشي المؤتمن ... الماجد الأبيض ليث كالشّطن
يرضى به السادة من أهل اليمن ... أبو الحسين فاعلمن أبو الحسن

فولّى عمرو هارباً فطعنه أمير المؤمنين عليه السلام فوقعت في ذيل درعه فاستلقا على قفاه وأبدا عورته فصفح عليه السلام استحياء وتكرّما ، فقال معاوية : أحمد الله عافاك و احمد استك الذي وقاك ، قال أبو نواس :

فلا خير في دفع الرّدى بمذلّة ... كما ردّها يوماً بسوئته عمرو

قال وبرز علي عليه السلام ودعا معاوية فنكل عنه فخرج بسر بن أرطاة يطمع في علي عليه السلام فصرعه أمير المؤمنين فاستلقى على قفاه و كشف عن عورته فانصرف عنه علي عليه السلام فقالوا : ويلكم يا أهل الشّام أما تستحيون من معاملة المخانيت لقد علّمكم رأس المخانيت عمرو ، ولقد روى هذه السّيرة عن أبيه عن جدّه في كشف الاستاه وسط عرصة الحروب .

قال الشّارح المعتزلي : وللشعراء فيهما أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر الكلبي والمدايني قول الحرث بن نضر الخثعمي وكان عدوّاً لعمرو بن العاص و بسر بن أرطاة :

أفي كلّ يوم فارس ليس يتّقي (ينتهي خ ل) ... و عورته وسط العجاجة بادية
يكفّ لها عنه عليّ سنانه ... و يضحك منه في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه ... و عورة بسر مثلها حذو حاذية
فقولا لعمرو ثمّ بسر ألا انظرا ... سبيلكما لا تلقيا اللّيث ثانية
و لا تحمدا إلاّ الحيا وخصاكما ... هما كانتا والله للنّفس واقية
و لولا هما لم تنجوا من سنانه ... و تلك بما فيها من العود ماهية
متى تلقيا الخيل المشيحة صبحة ... وفيها عليّ فاتركا الخيل ناحية
وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا ... نحور كما إنّ التجارب كافية

قال نضر بن مزاحم : حدّثنا عمرو بن شمر عن النخعي عن ابن عبّاس قال :

تعرض عمرو بن العاص لعلي عليه السلام يوماً من أيام صفين و ظن أنه يطمع منه في غرة فيصيبه فحمل علي عليه السلام فلما كاد أن يخالطه اذرى نفسه عن فرسه ودفع ثوبه وشفر برجله فبدت عورته فضرب عليه السلام وجهه عنه وقام معفراً بالتراب هازما على رجليه معتصماً بصفوفه فقال أهل العراق : يا أمير المؤمنين أفلت الرجل ، فقال عليه السلام أتدرون من هو ؟ قالوا : لا ، قال عليه السلام : فانه عمرو بن العاص تلقاني بسوئة فصرفت وجهي عنه ، و رجع عمرو إلى معاوية فقال : ما صنعت يا أباعبدالله ؟ فقال : لقيني علي فصرعني قال : احمدالله و عورتك ، والله إني لأظنك لو عرفته لما أقمحت عليه ، وقال معاوية في ذلك :

ألا لله من هفوات عمرو   يعاتبني على تركي برازي
فقد لاقى أبا حسن علياً   فآب الوائلي مآب خازى
فلو لم يبد عورته لطارت   بمهجته قوادم أي بازي
فان تكن المنية أخطأته   فقد غنى بها أهل الحجاز

وروى الواقدي قال : قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة لعمرو بن العاص يا باعبدالله لا أراك إلا ويغلبني الضحك ، قال : بماذا ؟ قال : أذكر يوم حمل عليك أبوتراب في صفين فاذريت نفسك فرقا من شبا سنانه و كشفت سوئتك له ، فقال عمرو : أنا منك أشد ضحكاً إني لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ منخرك وربا لسانك في فمك و عصب ريقك وارتعدت فرائصك و بدا منك ما أكره ذلك ، فقال معاوية : لم يكن هذا كله و كيف يكون و دوني عمك و الأشعرون ، قال : انك لتعلم أن الذي وضعت دون ما أصابك وقد نزل ذلك بك ودونك عمك والأشعرون فكيف كانت حالك لوجمعكما مآقط الحرب ؟ قال : يا باعبدالله خض بنا الهزل إلى الجد إن الجبن والفرار من علي لاعار على أحد فيهما .

الثاني

اعلم أن مارواه السيد (ره) من كلامه عليه السلام مروي في غير واحد من الكتب

المعتبرة ، ففي الاحتجاج مثل الكتاب ، و في البحار من أمالي المفيد عن محمّد بن عمران عن الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبيربن بكار عن عليّ بن محمّد قال : كان عمروبن العاص يقول : إنّ في عليّ دعابة ، فبلغ ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام فقال : زعم ابن النابغة أنّي تلعابة مزاحة ذو دعابة أُعافس وأُمارس ، هيهات يمنع من العفاس والمراس ذكر الموت و خوف البعث و الحساب ومن كان له قلب ففي هذا عن هذاله واعظ وزاجر ، أما وشرّ القول الكذب وانّه ليحدّث فيكذب ويعد فيخلف فاذا كان يوم البأس فأىّ زاجر و أين هو مالم يأخذ السيوف هام الرّجال ، فاذا كان ذلك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم استه .

وفيه من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثقفي قال : بلغ عليّا عليه السلام أنّ ابن العاص ينتقصه عند أهل الشام ، فصعد المنبر فحمدالله و أثنى عليه ثمّ قال : يا عجبا عجباً لا ينقضى لابن النّابغة يزعم لأهل الشّام ، الى آخر الكلام و جمع بين الرّوايتين .

و كيف كان فقد ظهر و تحقّق من هذه الرّوايات وممّا قدّمناه في التذنيب الأوّل أنّ نسبة ابن العاص له عليه السلام إلى الدعابة كان منشاها شدّة العناد والعداوة كما قد ظهر كذب اللّعين ابن اللّعين في ذلك بتكذيبه له عليه السلام مع ما ذكره عليه السلام من البيّنة و البرهان على كذبه ، و هو أنّ من كان قلبه مستغرقا بذكر الآخرة ومافيها لا يكون له فراغ إلى التلفّت إلى الدّنيا ومالها .

قال الشّارح المعتزلي : وأنت إذا تأمّلت حال عليّ عليه السلام فى أيّام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجدته بعيداً عن أن ينسب إلى الدّعابة والمزاح لأنّه لم ينقل عنه شيء من ذلك أصلا لا في الشّيعة ولا في كتب المحدّثين ، وكذلك إذا تأمّلت حاله في أيام أبي بكر وعمر لم تجد في كتب السيرة حديثاً واحداً يمكن أن يتعلّق به متعلّق في دعابته ومزاحه إلى أن قال :

و لعمرالله لقد كان أبعد من ذلك و أىّ وقت كان يتّسع لعليّ عليه السلام حتّى يكون فيه على الصّفات ، فان زمانه كلّها في العبادة و الذكر والصّلاة و الفتاوى

و العلم واختلاف النّاس إليه في الأحكام وتفسير القرآن ، و نهاره كلّه أو معظمه مشغول بالصّوم ، وليله كلّه أو معظمه مشغول بالصّلاة ، هذا في أيّام سلمه فأمّا أيّام حربه فالسّيف الشّهير و النّشاب الطّرير و ركوب الخيل و قود الجيش و مباشرة الحروب .

ولقد صدق عليه السلام في قوله إنّه ليمنعني من اللّعب ذكر الموت ولكن الرّجل الشريف النبيل الذي لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيبا أويعدوا عليه و صمة لابدّ أن يحتالوا و يبذلوا جهدهم في تحصيل أمر ما وإن ضعف يجعلون عذراً له في ذمه ويتوسلون به على أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقتهو الانحراف عنه ، و ما زال المشركون و المنافقون يضعون لرسول الله صلى الله عليه وآله الموضوعات وينسبون إليه ما قد برأه الله عنه من العيوب و المطاعن في حياته و بعد وفاته إلى زماننا هذا ، و ما يزيده الله سبحانه إلاّ رفعة وعلوّا .

فغير منكر أن يعيب عليا عليه السلام عمرو بن العاص و أمثاله من أعدائه بما إذا تأمّله المتأمّل علم أنّهم باعتمادهم و تعلّقهم به قد اجتهدوا في مدحه و الثناء عليه لأنهم لووجدوا غيره عيبا لذكروه .

أقول : ولعلّه إلى ذلك ينظر الشاعر في قوله :

و اذا أتتك مذمّتي من ناقص فهى الشهادة لي بأنّي كامل

ولعمرى انّه لا بيان فوق ماأتى به الشارح من البيان في توضيح برائة ساحته عليه السلام مما قاله ابن العاص في حقّه من الكذب والبهتان إلاّ أنّه لو انصف لعلم أنّ كلّ الصّيد في جوف الفرا وأنّ أوّل من فتح أمثال ذلك الباب لابن العاص و نظرائه هو عمر بن الخطاب إذ هو أوّل من صدر عنه هذه اللّفظة فحذا ابن العاص حذوه كما سبق ذلك في التذييل الثاني من تذييلات الفصل الثالث من فصول الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقيّة .

و قد اعترف به الشّارح نفسه أيضاً ههنا حيث قال : و أمّا ما كان يقوله عمرو بن العاص في عليّ لأهل الشام : إنّ فيه دعابة يروم أن يعيبه بذلك عندهم

فأصل ذلك كلمة قالها عمر فتلقفها أعداؤه حتّى جعلها أعداؤه عيباً له وطعنا عليه .

واستند في ذلك إلى رواية أحمد بن يحيى في كتاب الأمالي قال : كان عبدالله ابن عبّاس عند عمر فتنفّس عمر نفساعاليا قال ابن عبّاس حتّى ظننت أنّ أضلاعه قد انفرجت فقلت له : ما أخرج هذا النّفس منك يا أمير المؤمنين إلاّ همّ شديد ؟ قال : اى والله يابن عبّاس فكرت فلم أدرفيمن أجعل هذا الأمر بعدي ، ثمّ قال : لعلّك ترى صاحبك لهاأهلاً ؟ قلت : وما يمنعه من ذلك من جهاده و سابقته وقرابته وعلمه قال : صدقت ولكنه امرء فيه دعابة

ثمّ ذكر الخمسة الباقية من أمر أهل الشورى وأثبت لكلّ منهم عيباً نحو ما تقدّم ذكره في شرح الخطبة الشقشقية ثمّ قال : إنّ أحراهم أن يحملهم على كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم لصاحبك والله لئن وليها ليحملنّهم على المحجّة البيضاء والصّراط المستقيم .

ثمّ اعتذر الشارح عن جانب عمر بأنّ عمر لماكان شديد الغلظة ، وعر الجانب خشن الملمس ، دايم العبوس ، كان يعتقد أنّ ذلك هو الفضيلة وأنّ خلافه نقص ولوكان سهلا طلقا مطبوعاً على البشاشة وسماحة الخلق لكان يعتقد أنّ ذاك هو الفضيلة وأنّ خلافه نقص حتى لو قدّرنا أنّ خلقه حاصل لعليّ وخلق عليّ عليه السلام حاصل له لقال في عليّ لولا شراسة فيه ، فهو غير ملوم عندي فيما قاله ولا منسوب إلى أنّه أراد الغضّ من عليّ عليه السلام والقدح فيه ولكنه أخبر عن خلقه ظانّاً أنّ الخلافة لاتصلح إلاّ للشديد الشّكيمة العظيم الوعورة .

إلى أن قال : وجملة الأمر أنّه لم يقصد عيب عليّ عليه السلام ولا كان عنده معيباً ولا منقوصاً ، ألاترى أنه قال في آخر الخبر إنّ أحراهم أن يحملهم على كتاب الله وسنّة رسوله لصاحبك ، ثمّ أكّد ذلك بأن قال لئن وليهم ليحملنّهم على المحجّة البيضاء و الصراط المستقيم ، فلو كان أطلق تلك اللّفظة و عنى بها ما حملها عليه الخصوم لم يقل في خاتمة كلامه ما قاله،انتهى ما أردنا ايراده من كلامه .

و أقول : لا أدرى إلىم يتعصّب هذا الرّجل في حقّ عمر ؟ و حتّام يستطعم

عثراته ؟ و أيّ شيء رأى منه حتّى اغترّ به ؟ وأيّ داع له إلى تأويل كلامه ؟ فانّ لفظة الدّعابة في كلام ابن العاص وابن الخطاب واحدة فلم يبقيها في حقّ ابن العاص على ظاهرها ويجريها على أقبح وجهها ويأوّلها في حق ابن الخطاب و يخرجها على أحسن وجهها مع أنّ الشمس لا يستر بالحجاب و الحقّ لا يخفى على اُولى الألباب .

و أهل المعرفة يعرف أنّ كلّ ما يتوجّه في هذا الباب على ابن العاص يتوجّه على ابن الخطاب بل وزيادة إذ هو أوّل من صدر عنه هذا التشنيع وأوّل من اتّهمه عليه‌السلام بهذا الأمر الفظيع .

ثمّ أقول : كيف خفي عن الشارح التناقض في كلام عمر مع وضوحه حيث إنّه صدّق ابن عبّاس أوّلا في كون أمير المؤمنين عليه‌السلام أهلاً للخلافة إلاّ أنّه استدرك بقوله : ولكنه فيه دعابة فجعل الدعابة مانعة له عنها موجبة لسقوطه عن أهليّتها وذلك يناقض صريحاً قوله في آخر الرّواية لئن وليها ليحملنّهم على المحجّة البيضاء

و بعبارة اُخرى إن كانت الدّعابة التي نسبها إليه عليه‌السلام امراً خارجاً عن حدّ الاعتدال مخالفاً للشريعة الغراء كيف يمكن معها حمل الناس على المحجّة البيضاء وعلى الكتاب والسّنة والطريقة المستقيمة وإن لم يكن أمراً منافياً لحملهم على ما ذكر فأيّ ما نعية له عن استحقاق الخلافة والولاية .

و أمّا ما اعتذر به الشارح من أنّ عمر إنمّا قال ذلك بمقتضى شدّة غلظته وخشونة جبلته ظاناً أنّ الخلافة لاتصلح إلاّ للشديد الشكيمة العظيم الوعورة .

ففيه أنّ الشدّة والغلظة لو كانت شرطاً للخلافة كما ظنه عمر لوجب أن يكون شرطاً للنّبوة بطريق اولى مع أنّه سبحانه قال :

« وَلَو كُنْتَ فَظّاً غَليظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ »

و مدح نبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله بقوله : « و إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ ».

فاللازم لعمر الّذي جعلوه خليفتهم أن يكون سيره و سلوكه على طبق الكتاب

لا أن ينبذ الكتاب وراء ظهره ويتكلّم بمقتضى طبيعته ويجانب الاقتداء بنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم في أفعاله وأعماله « وأخلاقه خ ل ».

و الانصاف أنّ من لاحظ وجنات حال عمر يعرف أنّ كلّ ما صدر عنه من الأقوال والأفعال أو أغلبه كان ناشئاً من فرط قوته الغضبية والشّهوية ومقتضى هوى نفسه الأمارة ، و لم يكن ملاحظا جانب الشريعة و مقدّماً لها على دواعي نفسه ومقتضى جبلته ، بل من راجع محاوراته عرف أنّه كان مثل حيّة سمّه في لسانه تلسع المخالف و المؤالف ، وعقرب عوجاء لا تفرق بين البرّ والفاجر .

و كفى بذلك شاهداً ما قاله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وفاته صلى الله عليه وآله وسلم على ما قدّمناه مفصّلا في شرح الكلام السّادس والسّتين في التّنبيه الثاني منه ، وما قاله لأهل الشّورى حين وصيّته كما مرّ في ثاني تذييلات الفصل الثالث من شرح الخطبة الثّالثة ، وما توعد به جبلة بن الأيهم حتى عاد إلى النّصرانية حسب ما مرّ في شرح الفصل الثّاني من الخطبة الثالثة ومرّ هناك أيضا أنّ ابن عبّاس أضمر بطلان القول بالعول في حياته وأظهره بعد وفاته خوفاً منه وأنّه أساء الأدب في الكلام بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في صلح الحديبيّة إلى غير ذلك ممّا لو أردنا إشباع الكلام فيها لطال .

ويؤيد ذلك كلّه ما رواه الشّارح في شرح هذا الكلام من أنه إذا غضب على أهله لم يسكن غضبه حتّى يعضّ يده عضّا شديداً حتّى يدميها .

وبعد ذلك كلّه لايكاد ينقضي عجبي من الشّارح وأمثاله حيث إنّهم يوردون مثل ما أوردناه في كتبهم و يذكرون مثالب عمر و مطا عنه ثمّ يغمضون عنها و لا يعرفون مع فضلهم و ذكائهم في العلوم أنّ أدنى شيء من ذلك يوجب سقوط الرّجل عن مرتبة الكمال وعن درجة القبول و الاعتبار فكيف بذلك كلّه و كيف بمرتبة الخلافة ومنصب الولاية .

ولا أدرى بأيّ مناقبه يجعلونه قابلا لولاية الله ، ومستحقاً لخلافة رسول الله ، ولابقاً لرياسة الدّين ، و أهلا لامارة المؤمنين أبحسن حاله ؟ أم مزيد كماله ؟ أم

شرافة نسبه؟ أم كرامة حسبه؟ أم عذوبة لسانه؟ أم فصاحة بيانه؟ أم علوّ قدره؟ أم طهارة مولده؟ أم كثرة علمه؟ أم وفور فضله؟

« بَل الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفّيهُ حِسابَهُ وَ اللهُ سَرِيعُ الحِسابِ ».

الثالث

في تحقيق الكلام في جواز المزاح وعدمه فأقول إنّ الأخبار في طرفي النفى و الاثبات كثيرة جداً إلاّ أنّ مقتضى الجمع بينها هوحمل أدلّة النّفى على الكثير منه الخارج عن حدّ الاعتدال وأدلّة الجواز على القليل كما قال الشّاعر :

أفد طبعك المصدود بالجدّ راحة يجمّ (١) و علّله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما يعطى الطّعام من الملح

ويدلّ على هذا الجمع الأدلّة المفصلة والسّيرة المستمرة ، فان المشاهد من حالات النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة أنهم كانوا قد يمزحون إدخالاً للسّرور في قلب المؤمنين ومداراة للخلق ومخالطة معهم أو نحو ذلك ، و كذلك نوّابهم القائمون مقامهم من المجتهدين والعلماء العاملين ، فانّهم مع كثرة زهدهم و شدّة ورعهم ربما يمزحون ويدعبون .

وبالجملة فالحقّ في المقام هوالجواز في الجملة للأدلّة الدّالة على ذلك قولاً وفعلاً و تقريراً .

فمنها ما في الوسائل عن الكلينيّ باسناده عن معمّر بن خلاد قال : سألت أبا الحسن عليه السلام فقلت جعلت فداك الرّجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون ، فقال ، لا بأس ما لم يكن ، فظننت أنه عنى الفحش ثمّ قال : إنّ رسول

١ـ اى يستريح منه

الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتيه الأعرابي فيأتي إليه الهدية ثمّ يقول مكانه أعطنا ثمن هديتنا فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وكان إذا اغتمّ يقول ما فعل الأعرابي ليته أتانا .

وعن إبراهيم بن مهزم عمّن ذكره عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال : كان يحيى بن زكريّا يبكي ولا يضحك ، وكان عيسى بن مريم يضحك و يبكي ، و كان الّذي يصنع عيسى عليه السلام أفضل من الّذي كان يصنع يحيى عليه السلام .

وعن الفضل بن أبي قرة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال : ما من مؤمن إلاّ وفيه دعابة ، قلت : وما الدّعابة ؟ قال :المزاح .

وعن يونس بن الشيباني قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : كيف مداعبة بعضكم بعضاً ؟ قلت : قليل قال : فلا تفعلوا فانّ المداعبة من حسن الخلق و إنّك لتدخل بها السّرور على أخيك ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يداعب الرّجل يريد أن يسرّه .

أقول : ويستفاد من هذه الرّواية استحبابها لشمول أدلّة استحباب حسن الخلق و إدخال السّرور في قلب المؤمن عليها .

روى في الوسائل عن الصّدوق في المجالس مسنداً عن محمّد بن عليّ الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام إنكم لن تسعوا النّاس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللّقاء فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوها بأخلاقكم .

وفي شرح المعتزلي روى الناس قاطبة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال إني أمزح ولا أقول إلاّ حقاً .

وفيه أتت عجوز من الأنصار إليه صلى الله عليه وآله وسلم فسألته أن يدعو الله تعالى لها بالجنّة فقال صلى الله عليه وآله وسلم إنّ الجنّة لاتدخلها العجز ، فصاحت فتبسّم عليه السلام فقال :

« إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً »

قال و كان صلى الله عليه وآله يمازح ابني بنته مزاحا مشهوراً و كان يأخذ الحسين عليه السلام فيجعله على بطنه وهو صلى الله عليه وآله نائم على ظهره ويقول ترّقه ترقّه ترّق عين بقّة .

قال : وجاء في الخبر أن يحيى عليه السلام لقي عيسى عليه السلام وعيسى متبسّم فقال يحيى: مالي أراك لاهيا كأنّك آمن فقال أراك عابساً كأنّك آيس فقال : لانبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله إليهما أحبّكما إلى الطّلق البسّام أحسنكم ظنّاً بي.

قال : ورأى نعيمان يبيع أعرابي عكّة عسل فاشتراها منه فجائها إلى بيت عايشة في يومها ، وقال خذوها فظنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه أهداها إليه ومضى نعيمان فنزل الأعرابيّ على الباب فلما طال قعوده نادى يا هؤلاء إمّا أن تعطونا ثمن العسل أو تردّوه علينا ، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله بالقصة وأعطى الأعرابي الثمن وقال صلى الله عليه وآله لنعيمان : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : رأيتك يا رسول الله تحبّ العسل و رأيت العكّة مع الأعرابي ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينكر.

وفي زهر الرّبيع تأليف السّيد نعمة الله الجزايري «قده» روي أنّه كان يأكل رطباً مع ابن عمّه أمير المؤمنين عليه السلام وكان يضع النوى قدام عليّ عليه السلام فلما فرغا من الأكل كان النّوى مجتمعاً عنده ، فقال صلى الله عليه وآله :يا علي إنّك لأكول ، فقال : يا رسول الله الأكول من يأكل الرطب والنواة.

وروى أنه أُتته امرئة في حاجة لزوجها فقال لها : و من زوجك ؟ قالت : فلان فقال صلى الله عليه وآله : الّذي في عينه بياض فقالت : لا ، فقال : بلى فانصرفت عجلا إلى زوجها وجعلت تتأمّل عينه فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ في عينك بياضا ، فقال : أما ترين بياض عيني أكثر من سواده ؟

قال : واستدبر صلى الله عليه وآله رجلا من ورائه وأخذ بعضده وقال من يشترى هذا العبد يعني أنه عبد الله.

وقال : قال صلى الله عليه وآله لرجل : لا تنس ياذا الاذنين.

ورأى جملا يمشي وعليه حنطة فقال عليه السلام : تمشي الهريسة.

وجاء أعرابيّ فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله بلغنا أنّ الدّجال يأتي بالثريد و قد هلكوا جميعاً جوعاً أفترى بأبي أنت واُمّي أن أكفّ عن ثريده تعفّفا ؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين.

وقبّل خالد القسري خدّ امرئة فشكت إلى النبيّ ﷺ فارسل إليه فاعترف وقال : إن شائت أن تقتصّ فلتقتصّ فانّ من دينك القصاص فتبسّم رسول الله ﷺ وأصحابهوقال: أولا تعود ؟ فقال : لا والله يا رسول الله فعفى ﷺ .

و قال رجل : احملني يا رسول الله ، فقال ﷺ أنا حاملوك على ولد ناقة فقال : ما أصنع بولد ناقة ؟ قال ﷺ : وهل يلد الابل إلاّ النّوق ؟ .

الرابع

في طايفة من طرايف الكلم و ظرايف الحكم ونوادر الأخبار ، وغرائب الآثار،أردت أن اوردها هنا ليرتفع بها الكلال ويرجع اليها عند الملال،فانّ القلوب قدتملّ والأرواح تكلّ كما تكلّ الأبدان فتحتاج إلى التنزّه والارتياح والتّفرّج والسّراح .

فأقول : روى إنّ أبا حنيفة قال يوما لمؤمن الطاق : يابا جعفر أنت قائل بالرّجعة ؟ قال : نعم ، قال : فاقرض لي خمسماة دينار اؤدّيك في الرّجعة ، فأجاب «ره» إنّ من جملة أحكام الرجعة عندنا أنّ بعض مبغضي آل محمّد سلام الله عليه وعليهم يرجعون بصورة الكلاب والخنازير فلابدّ أن تؤتيني ضامنا على أنّك ترجع بصورة الانسان وأخاف أن ترجع بصورة الخنزير .

وقال أيضاً له يوماً : ياباجعفر لو كان لعليّ حقّ في الخلافة فلم لم يطالبها ؟ قال : خاف أن يقتلها الأجنّة بحماية أبي بكر وعمر كما قتلت سعدبن عبادة .

قال الراغب في المحاضرات : إنّ بقزوين قرية أهلها متناهون بالتشيّع فمرّ بهم رجل فسألوه عن اسمه فقال : عمر ، فضربوه ضرباً شديداً ، فقال : ليس اسمى عمربلعمران ، فقالوا : هذا أشدّ من الأوّل فانّ فيه عمر وحر فان منعثمان فهو أحقّ بالضّرب .

ومضى رجل إلى بغداد فاتّهموه بسبّ الشّيخين فأخذوه إلى القاضي فسأله القاضي ، فقال : كذبوا عليّ أنا رجل عاقل أعرف أنّ هذه البلاد بلاد أهل الخلاف لا ينبغي اللعن والسبّ والطّعن فيها هذا شيء يجوز في بلادنا أمّا هذه البلاد فلا

وكان القاضي منصفا فضحك وخلاه .

روى في حواشي المغني عن أبي بكر الأنباري يسنده إلى هشام بن الكلبي قال : عاش عبيد بن شرية الجرهمي ثلاثمأة سنة وأدرك الاسلام فأسلم ودخل على معاوية بالشام و هو خليفة ، فقال : حدثني بأعجب ما رأيت ، فقال : مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتاً لهم فلما انتهيت إليهم اغرو رقت عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر :

يا قلب إنك من أسماء مغرور فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ماتخفيه من أحد حتى جرت لك اطلاقا محاضير
تبغي أموراً فما تدري أعاجلها أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستقدرالله خيراً و ارضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبط إذ صار فى الرمس يعفوه الأعاصير
يبكي عليه الغريب ليس يعرفه وذو قرابته في الحى مسرور

قال : فقال لي رجل : أتعرف من قال هذا الشعر ؟ قلت : لا ، قال : إن قائله هوالذي دفناه الساعة وأنت الغريب تبكي عليه ولا تعرفه ، و هذا الذي خرج من قبره أمس الناس رحما به وأسرهم بموته فقال له معاوية : لقد رأيت عجباً فمن الميت قال:هو عنتر بن لبيد الغدري .

روى أن مؤمن الطاق كان بينه وبين أبي حنيفة مزاح وكان يمشي معه يوماً فنادى رجل : من يدلني على صبي ضال ؟ فقال مؤمن الطاق أما الصبي الضال فلا أدري إن كنت تبغي الشيخ الضال فهو هذا . وأشار إلى أبي حنيفة .

وقيل إن أبا حنيفة كان جالساً مع أصحابه فجاء مؤمن الطاق فقال أبوحنيفة لأصحابه : جائكم الشيطان وسمعه مؤمن الطاق فقرأ .

« إِنّا أَرسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (١) »

---

١ ـ اى تزعجهم ازعاجاً

أقول : مؤمن الطاق لقب هشام بن الحكم عند الشيعة وهو من أصحاب الصادق عليه السلام ويسمّونه المخالفون شيطان الطاق وله بسطة يد في المناظرات .

قيل : مكتوب في خاتمة التوراة هذه الكلمات : كلّ غنيّ لا راحة له من ماله فهو والأجير سواء ، وكلّ امرئة لا تجالس في بيتها فهي والأمة سواء ، وكلّ فقير تواضع الأغنياء لغناه فهو والكلب سواء ، وكلّ ملك لا عدل له فهو وفرعون سواء وكلّ عالم لا يعمل بعلمه فهو وإبليس سواء .

المدايني ، رأيت رجلا يطوف بين الصّفا والمروة على بغل ثمّ رأيته راجلاً في سفر فقلت له : تمشي ويركب الناس؟ فقال : ركبت حيث يمشي الناس وحقّ على الله أن يرجلني حيث يركب النّاس .

ارسطاطاليس ، حركة الاقبال بطيئة حركة الادبار سريعة لأنّ المقبل كالصّاعد من مرقاة إلى مرقاة والمدبر كالمقذوف به من علوّ إلى سفل .

أرسل رجل سنّي إلى شيعي مقداراً من الحنطة وكانت حنطة عتيقة فردّها عليه ثمّ أرسل إليه عوضا جديدة ولكن فيها تراب فقبلها وكتب إليه بهذا الشّعر :

بعثت لنا بدال البرّ برّاً	رجاء للجزيل من الثّواب
رفضناه عتيقاً و ارتضينـا	به إذ جاء وهو أبو تراب

أقول : وغير خفيّ لطفه فانّ عتيق اسم أبي بكر وأبو تراب كنية أمير المؤمنين عليه السلام

سئل نصرانيّ عيسى عليه السلام أفضل أم موسى ؟ فقال : إنّ عيسى يحيى الموتى وموسى وكز رجلا فقضى عليه ، وعيسى تكلّم في المهد صبيّاً وموسى قال بعد ثمانين سنة : واحلل عقدة من لساني فانظر أيّهما أفضل .

نقل انّه لما مات عمر بن عبد العزيز و تخلّف بعده يزيد بن عبد الملك قال لوزرائه : دلّوني على خزائن ابن عبد العزيز فدلّوه على حجرة كان يخلو فيها ، فلمّا فتحوا قفلها رأوها قاعاً بيضاء و في وسطها تراب متحجّر من بكائه و فيها ثياب خشنة وغلّ من الحديد يضعه في عنقه و يبكى إذا تفرّد بنفسه

قيل إنّ أهل خراسان علموا بموته بالشام يوم وفاته قالوا : كنّا نرى الذئب

مع الغنم والسباع مع الانعام حتى افترقت ذات يوم من الأيّام فعلمنا أنه قد مات

وقال الشّيخ الرّئيس : النساء من ثلاث إلى عشر سنين لعبة اللاّعبين ، ومن عشرة إلى خمسة عشرهنّ حورعين ، ومن خمسة عشر إلى عشرين هنّ لحم وشحم ولين ، ومن عشرين إلى ثلاثين هنّ امّهات البنات والبنين ، ومن ثلاثين إلى أربعين هنّ عجوز في الغابرين ، و من أربعين إلى خمسين اقتلوهنّ بالسّكين ، و من خمسين إلى ستّين عليهنّ لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين .

قيل دخلت امرئة على داود النّبيّ عليه السلام فقالت : يا نبيّ الله ربّك عادل أم ظالم ؟ فقال عليه السلام : ويحك هو العدل الّذي لا يجور ثمّ قال لها : ما قصّتك ؟ قالت : انّى امرئة أرملة و عندى ثلاث بنات و إنّي أقوم عليهنّ من غزل يدي فلمّا كان أمس شدّيت غزلى في خرقة حمراء وأردت أن أذهب به إلى السوق وأبيعه فأشترى الطعام للأطفال فاذا بطاير قد انقضّ عليّ و أخذ الخرقة و الغزل و طار ، و بقيت حزينة مالي شيء أبلغ به أطفالي .

قال الراوي فبينما المرئة مع داود عليه السلام في الكلام فاذا بطارق يطرق الباب فأذن داود عليه السلام بالدّخول وإذاهم عشرة من التجار ومع كلّ واحد مأة دينار فقالوا: يا نبيّ الله بمستحقّها فقال عليه السلام لهم وما سبب إخراجكم هذا المال ؟ قالوا : كنّا في مركب فهاجت علينا الريح فعاب المركب وأشرفنا على الغرق وإذا نحن بطاير قد ألقى إلينا خرقة حمراء وفيها غزل فسددنا به عيب المركب فانسدّ و نذرنا أن يصدّق كلّ واحد منّا مأة دينار من ماله ، وهذا المال بين يدك تصدّق به على من أردت ، فالتفت داود إلى المرأة و قال عليه السلام : ربّك يتّجر لك في البحر و تجعلينه ظالما ؟ ثمّ أعطاها الألف دينار و قال : اذهبي بها و أنفقيها على أطفالك والله أعلم بحالك .

حكى إنّ جماعة من المصريّين لعنهم الله نقبوا في جوار روضة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقصدوا إخراج جسده الشريف ونقله إلى مصر وكان ذلك في نصف اللّيل فسمع أهل المدينة من الجوّ : احفظوا نبيّكم صلى الله عليه وآله ، فأوقدوا السّراج وطافوا فرأوا ذلك النقب

في الجدار وحوله الجماعة موتى .

قال السيّد الجزايري : حكى لي جماعة من الثقات أنّه في بعض السّنين نزلت صاعقة فيها نار من السّماء على الضّريح المقدّس النبويّ ﷺ في المدينة فاحرقت طرفاً منه فقال بعض النواصب شعراً :

لم يحترق حرم النبيّ لحادث و لكلّ شيء مبتدأ و إزار
لكنّما أيدي الرّوافض لامست ذاك الجناب فطهّرته النّار

فقال بعض الشّيعة في الجواب :

لم يحترق حرم النبيّ لحادث و لكلّ شيء مبتدأ و عواقب
لكنّ شيطانين قد نزلا به و لكلّ شيطان شهاب ثاقب

روى في البحار انّ يحيى بن خالد البرمكي سأل مؤمن الطّاق هشام بن الحكم بمحضر من الرّشيد فقال : أخبرني يا هشام هل يكون الحقّ في جهتين مختلفتين ؟ قال هشام : الظاهر لا قال فأخبرني عن رجلين اختصما في حكم في الدّين و تنازعا هل يخلو من أن يكونا محقّين أو مبطلين أو أن يكون أحدهما محقّاً والآخر مبطلا ؟ فقال هشام : لا يخلو من ذلك .

قال يحيى : فأخبرني عن عليّ والعبّاس لمّا اختصما إلى أبي بكر في الميراث أيّهما كان المحقّ ومن المبطل إذ كنت لا تقول أنّهما كانا محقّين ولا مبطلين ؟ قال هشام : فنظرت فاذا انّني إن قلت إنّ عليّاً عليه السلام كان مبطلا كفرت و خرجت من مذهبي ، و إن قلت : إنّ العبّاس كان مبطلا ضرب الرّشيد عنقي و وردت عليّ مسألة لم اكن سئلت عنها قبل ذلك الوقت ولا أعددت لهاجوابا .

فذكرت قول أبي عبدالله عليه السلام يا هشام لاتزال مؤيّداً بروح القدس مانصرتنا بلسانك فعلمت أنّي لا اخذل وعنّ لي الجواب في الحال فقلت له : لم يكن لأحدهما خطاءحقيقة وكانا جميعاً محقّين ولهذا نظيرقد نطق به القرآن في قصّة داود عليه السلام يقول الله عزّ وجلّ :

« هَلْ أَتيٰكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ » إلى قوله : « خَصْمَانِ بَغىٰ بَعْضُنَا عَلىٰ بَعْضٍ » .

فأيّ الملكين كانا مخطئاً وأيّهما كان مصيباً أم تقول انهما كانا مخطئين فجوابك في ذلك جوابي فقال يحيى : لست أقول إنّ الملكين أخطآ بل أقول إنهما أصابا وذلك إنّهما لم يختصما في الحقيقة ولم يختلفا في الحكم وإنّهما أظهرا ذلك لينبّهاعلى داود عليه السلام في الخطيئة ويعرّفاه الحكم ويوقفاه عليه .

قال هشام : قلت له : كذلك عليّ عليه السلام و العبّاس لم يختلفا في الحكم و لم يختصما في الحقيقة و إنما أظهرا الاختلاف و الخصومة لينبّها أبابكر على خطائه ويدلاّه على أنّ لهما في الميراث حقّا و لم يكونافي ريب من أمرهما وإنما كان ذلك منهما على حدّ ما كان من الملكين ، فاستحسن الرّشيد ذلك الجواب .

صلّى أعرابي خلف إمام فقرأ .

« إِنّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ » .

ثمّ وقف وجعل يردّدها ، فقال الأعرابيّ : أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلّى آخر خلف إمام فقرأ .

« فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي » .

فوقف وجعل يردّدها ، فقال الأعرابيّ : يا فقيه إن لم يأذن لك أبوك في هذه اللّيلة نظلّ نحن وقوفاً إلى الصّباح ؟ ثمّ تركه وانصرف .

في الأثر انّ الجاحظ كان من العلماء النّواصب و هو قبيح الصّورة حتّى قال الشّاعر :

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ما كان إلاّ دون قبح الجاحظ

قال يوما لتلامذته : ما أخجلني إلاّ امرئة أتت بي إلى صائغ فقالت : مثل هذا ، فبقيت حائراً في كلامها ، فلمّا ذهبت سألت الصّائغ فقال : استعملتني لأصوغ لها

صورة جنّي فقلت : لا أدرى كيف صورته فأتت بك .

في الحديث إنّ شيطاناً سمينا لقى شيطانا مهزولاً فقال : لم صرت مهزولا ؟ قال : إنّي مسلّط علي رجل إذا أكل أو شرب أو أتى أهله يقول : بسم الله فحرمت المشاركة معه فصرت مهزولا ، و أنت لم صرت سمينا ؟ قال : إني مسلّط على رجل غافل عن التّسمية يأكل ويشرب ويأتي أهله غافلا فشاركته فيها كما قال تعالى « وَشارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ » .

حكي إنّ عالما سئل عن مسألة فقال : لا أدرى فقال السّائل: ليس هذا مكان الجهّال، فقال العالم: المكان لمن يعلم شيئاً ولا يعلم شيئاً فأمّا الّذي يعلم كلّ شيء فلا مكان له.

وسئل أبوبكر الواعظ عن مسألة فقال : لا أدرى قيل له : ليس المنبر موضع الجهّال ، فقال : إنّما علوت بقدر علمي ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السّماء .

دخل لصّ دار رجل يسرق طحيناً في اللّيل فبسط ردائه و مضى إلى الطّحين ففطن به صاحب المنزل ومدّ يده وجرّا لرّداء إليه فأتى اللّصّ بالطّحين و وضعه يظن أنّه فوق الرّداء وإذا هوفي الأرض فصاح به صاحب الدّار سارق سارق فانفلت اللّصّ هارباً وهو يقول قد علم أيّنا السّارق أنا أو أنت .

قال الأصمعي : دخلت البادية ومعي كيس فأودعته عند امرئة منهم فلماطلبته أنكرته فقدمتها إلى شيخ فأقامت على إنكارها ، فقال : ليس عليها إلاّ يمين فقلت كأنّك لم تسمع قوله تعالى :

و لا تقبل لسارقة يميناً ولو حلفت بربّ العالمينا

فقال : صدقت ثمّ تهدّدها فأقرّت وردّت إليّ مالي ثمّ التفت إلىّ الشّيخ فقال في أيّ سورة تلك الآية ؟ فقلت في سورة .

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ولاتبقي خمور الأندرينا (١)

١ـ البيت لعمروبن كلثوم التغلبى هب من نومه يهب هباإذا استيقظ و الصحن القدح العظيم والجمع الصحون والصبح سقى الصبوح والفعل صبح يصبح والاندرون قرى بالشام يقول الااستيقظى من نومك ايتها الساقية و استقينى الصبوح بقدحك العظيم ولا تدّخرى خمرهذه القرى، هكذا قال شارح الابيات،منه

قال : سبحان الله لقد كنت ظننت أنها في سورة إنّا فتحنالك فتحاً مبينا .

ونظيره انّ رجلاً احضر ولده إلى القاضي فقال : يا مولانا إنّ ولدي هذا يشرب الخمر و لا يصلّي ، فأنكر ولده ذلك فقال أبوه : أتكون صلاه بغير قرائة ؟ فقال الولد إنّي أقرء القرآن وأعرف القرائة فقال له القاضي : اقرء حتى أسمع فقال :

علق القلب رباباً بعد ما شابت وشابا
إنّ دين الله حقّ لا ترى فيه ارتياباً

فقال له أبوه : إنّه لم يتعلّم هذا إلاّ البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال له القاضي : قاتلكم الله يتعلّم أحدكم القرآن ولا يعمل به .

قيل: ما وضعت سرّي عند أحد فأفشاه فلمته لأ نّي أحقّ باللّوم منه اذ كنت أضيق صدراً منه قال الشّاعر :

إذ المرء أفشا سرّه بلسانه فصدر الّذي يستودع السرّ أضيق
إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه و لام عليه آخراً فهو أحمق

رأى الحسن عليه السلام يهوديّ فى أبهى زيّ وأحسنه واليهودي في حال ردىّ و حال رثة ، فقال : أليس قال رسولكم : الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر ؟ قال عليه السلام نعم ، فقال : هذا حالي وهذا حالك ، فقال عليه السلام : غلطت يا أخا اليهودي ولو رأيت ما وعدني الله من الثّواب و ما أعدّ لك من العقاب لعلمت أنّك في الجنّة و انّي في السّجن .

حكى صاحب الأغاني قال : صلّى دلاّل يوما خلف إمام بمكّة فقال :

« وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذي فَطَرَني » .

فقال: ما أدرى والله ، فضحك النّاس و قطعوا الصّلاة ، فلمّا فرغوا عاتبه الامام وقال : ويلك لا تدع الجنون و السّفه قال : كنت عندي أنّك تعبدالله فلمّاسمعتك تستفهم ظننت أنّك قد شككت في ربّك فتب إليه .

قيل : دخل أعرابيّ في الجامع ليصلّي و كان اسمه موسى و وجد في طريقه

كيساً فيه دنانير فقرأ الامام : « و ما تلك بيمينك يا موسى » فرمى إليه الكيس وقال : والله انك لساحر .

حكى ان بعضهم تمنّى في منزله وقال : يكون عندنا لحم فنطبخه على مرق فما لبث أن جاء جاره بصحن فقال : اغرفوا لنافيه قليلا من المرق ، فقال . إنّ جيراننا يشمّون رايحة الأماني .

قال أبوعليّ بن سينا في رسالة المعراج : إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام مركز الحكمة وفلك الحقيقة وخزانة العقل ، ولقد كان بين الصحابة كالمعقول بين المحسوس .

روى ان طايفة من العامة تناظروا مع شيخنا بهاء الملّة والدّين فقالوا : كيف تجوّزون قتل عثمان مع ما ورد من قوله صلى الله عليه وآله : مثل أصحابي كمثل النّجوم بايّهم اقتديتم اهتديتم ؟ فقال : جوّزنا قتله بهذا الحديث لأنّ بعض الصّحابة افتى بقتله وبعضهم باشر قتله .

قال الحجّاج يوماً لرجل : اقرء شيئا من القرآن فقال :

« إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَ الْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النّاسَ يَخْرُجُونَ مِنْ دِينِ اللهِ أَفْواجاً » .

فقال : ليس كذلك بل هى يدخلون في دين الله ، قال : ذلك قبل ولايتك ولكنّهم الآن يخرجون بسببك ، فضحك وأعطاه .

صلّى معروف الكرخي خلف إمام فلمّا فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل ؟ قال : اصبر حتى اعيد صلاتي خلفك لأنّ من شكّ في رزقه شكّ في خالقه .

قال في مجمع البيان في ذكر حكم لقمان : إنّ مولاه دعاه فقال اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها ، فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان ، فسأله عن ذلك فقال : إنّهما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا .

وفيه قال عبدالله بن دينار : قدم لقمان من سفر فلقى غلامه في الطّريق فقال : ما فعل أبي ؟ قال : مات؛ قال: ملكت أمري ، قال: مافعلت امرأتي؟ قال: ماتت ، قال : جدّد فراشي ، قال : مافعلت اختي ؟ قال : ماتت ، قال : سترت عورتي، قال: ما فعل أخي؟ قال: مات، قال: انقطع ظهري .

عن كشكول البهائي (ره) إنّ أباه حسين بن عبدالصّمد الحارثي وجد في مسجد الكوفة فصّ عقيق مكتوب عليه :

أنا درّ من السّماء نثروني يوم تزويج والد السّبطين
كنت أصفى من اللّجين بياضا صبغتني دماء نحر الحسين

قال نعمة الله الموسوي الجزايري (ره) : وجدنا في نهر تستر (١) صخرة صغيرة صفراء أخرجها الحفّارون من تحت الأرض وعليها مكتوب بخط من لونها: بسم الله الرّحمن الرّحيم لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله عليّ وليّ الله لمّا قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب بأرض كربلا كتب دمه على أرض حصباء : وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

في رياض الجنّة تأليف بعض أصحابنا انّ البارى عزّ وجلّ قال لعزرائيل : هل رحمت أحداً وهل هبت من أحد ؟ فقال : يا ربّ أنت أعلم ، فقال سبحانه تعالى صدقت يا عزرائيل ولكن احبّ أن تقول ذلك ، فقال عزرائيل : إني يا ربّ رحمت طفلا يرتضع ثدي امّه و كان هو وامّه في مركب في البحر فغرق المركب فأمرتني ان أقبض روح امّه فقبضتها وبقى الولد في البحر طايفا على صدر امّه فرحمته، و إنّي يا ربّ خفت (هبت خ ل) من رجل أمرتني أن أقبض روحه وكان ذاسلطان و مملكة و غلمان كثيرة و هو جالس على سريره في نهاية العافية فلما اردت قبض روحه دخلني خوف ورعب ، فقال البارى سبحانه : يا عزرائيل الذي رحمته هو الذي خفت منه ، ثمّ قال : المشهور أنّ الرّجل المذكور هو الشّداد المعروف ، و العلم عندالله .

١- وزان جندب اسم بلد يقال له ششتر منه

و فيه و في غيره أنّ بهلول وقت جنونه مرّ يوماً على باب دار أبي حنيفة فوقف عند الباب ساعة فسمع أبا حنيفة يحدّث أصحابه و يقول : إنّ جعفر بن محمّد الصّادق عليه‌السلام يقول : إنّ الله لا يمكن رؤيته و محال عليه الرؤية ، و أيضاً إنّ العبد فاعل مختار يفعل فعله بالاختيار ، ويقول : إنّ الشّيطان يعذّب بالنار وهذه الأقوال الثّلاثة غير معقولة عندي .

أمّا الأوّل فلأنّ الله تعالى موجود وكلّ موجود يمكن رؤيته ، والثّاني إنّ العبد لا اختيار له ، والثالث إنّ الشّيطان خلق من النّار فلا يعذّب إذ النّار لا يعذّب بعضها بعضاً .

فلمّا سمع البهلول ذلك الكلام اغتاظ و أخذ مدراً من الأرض فضرب أبا حنيفة فأصاب رأسه وأوجعه ومضى بعدو ، فتلاحقه أصحاب أبي حنيفة وجاؤوا به إليه ولأجل قرابته من المنصور الخليفة لم يقدروا أن يصلوا إليه بشيء من الضرب قال أبوحنيفة : اذهبوا به إلى الخليفة وأخبروه بما فعل ، فلما اخبر المنصور بالقصّة عاتبه وقال له: لم فعلت ذلك وطلب أبا حنيفة يعتذر إليه بحضرة البهلول، فطلب البهلول الرخصة منه في التّكلم مع أبي حنيفة فأذن له .

فقال : يابا حنيفة ما أصابك منّي ؟ قال : ضربتني بالمدر فوجع رأسي ، فقال البهلول: أرني الوجع حتّى أنظر اليه ، فقال أبوحنيفة : يا مجنون الوجع كيف يرى ؟ وكيف يمكن أن تنظر اليه ؟ فقال بهلول : يا ملعون الوجع موجود أم لا ؟ قال : بل موجود ، قال بهلول :إنّك ادّعيت أنّ الله يرى لأنّه موجود والوجع أيضاً موجود فلم لا يرى ؟ فلمّا سمع أبوحنيفة ذلك أطرق رأسه وافحم .

ثمّ قال : ياباحنيفة ينبغي أن لا يوجع المدر رأسك لأنّك خلقت من التّراب وهو تراب ، ثمّ قال : يابا حنيفة العبد لا فعل له ولا اختيار حسب ما زعمت فلأيّ شيء تؤاخذني بما صدر منّي ولا قدرة لي عليه ؟ فلما سمع الخليفة أقواله استحسن مقاله ورخصه في الانصراف بغير عتاب .

في زهر الرّبيع انّ أبا العلي المعرّي كان يتعصّب لأبي الطيب فحضر يوماً مجلس المرتضى «ره» فذكر أبو الطيب فأخذ المرتضى في ذمّه والازراء عليه

فقال المعرّى : لولم يكن له من الشعر إلاّ قصيدته اللّامية وهي :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهنّ منك أواهل

لكفى في فضله ، فغضب المرتضى وأمر بسحب المعرّى فسحب وضرب ، فلما اخرج قال المرتضى لمن بحضرته : هل تدرون ما عنى الأعمى إنّما عنى قول المتنبّي في اثناء قصيدته :

و إذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشّهادة لي بأنّي كامل

ولمّا بلغ الخبر إلى أبي العلى قال : قاتله الله ما أشدّ فهمه و ذكاه ، والله ما عنيت غيره .

أقول : أبوالعلى ذلك كان من النّواصب فصار من الزنادقه و معروف أنّ المرتضى «ره» أمر بقلع عينيه و له اعتراضات على الشريعة و حكمة الله سبحانه ومن جملتها قوله :

يد بخمس مئين عسجدٍ وديت ما باله قطعت في ربع دينار

و أجابه المرتضى بقوله :

عزّ الامانة أغلاها و أرخصها ذلّ الخيانة فانظر حكمة البارى

وربما ينسب هذا الجواب إلى أخيه الرضي «ره» .

في البحار من كتاب الفردوس عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأيت حية في الطّريق فاقتلها فانّي قدشرطت على الجنّ أن لايظهروا في صورة الحيات فمن ظهر فقد أحلّ بنفسه .

أقول : ويناسب ذلك ويؤيّده ماذكره شارح ديوان أمير المؤمنين في فواتحه عن استاده جلال الدّين الدّواني عن السّيد صفيّ الدّين عبدالرحمن اللايجي أنه قال : ذكرلي العالم الفاضل المتّقي شيخ أبوبكر عن الشّيخ برهان الدّين الموصلي وهو رجل عالم فاضل ورع أنا توجّهنا من مصر إلى مكّة نريد الحجّ ونزلنا منزلا وخرج عليه ثعبان فثار الناس إلى قتله فقتله ابن عمّي فاختطف ونحن نرى سعيه وتبادر النّاس على الخيل والركاب يريدون ردّه فلم يقدروا على ذلك فحصل للناس

من ذلك أمر عظيم .

فلما كان آخر النّهار جاء وعليه السّكينة والوقار فسألناه ماشأنك ؟ فقال: ما هو إلاّ أن قتلت هذا الثّعبان الذي رأيتموه فصنع بي ما رأيتم ، فاذا أنا بين قوم من الجنّ يقول بعضهم قتلت أبي وبعضهم قتلت ابن عمّي فتكاثروا عليّ و إذا رجل لحق بي وقال لي قل : أنا أرضي بالله وبالشريعة المحمدية صلّى الله عليه وآله فقلت ذلك فأشار إليهم أن سيروا إلى الشّرع فسرنا حتّى وصلنا إلى شيخ كبير على مصطبة ، فلما صرنا بين يديه قال : خلّوا سبيله وادّعوا عليه فقال الأولاد ندّعي عليه أنّه قتل أبانافقلت : حاشالله انا نحن وفد بيت‌الله الحرام نزلناهذا المنزل فخرج علينا ثعبان فتبادر النّاس إلى قتله فضربته فقتلته فلما سمع الشّيخ مقالتي قال : خلّوا سبيله سمعت ببطن نخل عن النبيّ صلّى الله عليه وآله من تزيّا بغير زيّه فقتل فلادية ولا قود .

في البحار عن حيوة‌الحيوان ، روى البيهقي في دلائل النّبوّة عن أبي دجانة واسمه سماك بن خرشة قال : شكوت إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّي نمت في فراشي‌فسمعت صريراً كصرير الرحى و دويّا كدويّ النحل ولمعاناً كلمعان البرق فرفعت رأسي فاذا أنا بظلّ أسود يعلو و يطول بصحن داري فمسست جلده فاذا هو كجلد القنفذ فرمى في وجهي مثل‌شرر النّار فقال صلّى الله عليه وآله : عامر دارك ياباد جانة ثمّ طلب دواتاً وقرطاساً و أمر عليّاً عليه السلام أن يكتب :

بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا كتاب من رسول ربّ العالمين إلى من طرق الدار من العمار و الزوار إلاّ طارقا يطرق بخير أمّا بعد فانّ لناولكم في الحقّ سعة فان يكن عاشقا مولعاً فاجراً مقتحماً فهذا كتاب الله ينطق‌علينا وعليكم إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون ، اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى‌عبدة‌الأصنام‌وإلى‌من‌يزعم‌أنّ مع الله الها آخر لاإله‌الاّ هو كلّ شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون حمّ لا ينصرون حمعسق تفرق أعداء الله و بلغت حجّة الله و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله فسيكفيكهم الله و هو السّميع العليم .

قال أبو دجانه فأخذت الكتاب و أدرجته و حملته إلى داري و جعلته تحت رأسي فبتّ ليلتي فماانتبهت إلاّ من صراخ صارخ يقول: يابادجانه أحرقتنا هذه الكلمات فبحقّ صاحبك إلاّ ما رفعت عنا هذا الكتاب فلا عودلنا في دارك و لا في جوارك ولا في موضع يكون فيه هذا الكتاب قال أبودجانه: لا أرفعه حتّى استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال أبودجانه و لقد طالت عليّ ليلتي ممّا سمعت من أنين الجنّ و صراخهم وبكائهم حتّى أصبحت فغدوت فصلّيت الصّبح مع رسول الله صلى الله عليه وآله و أخبرته بماسمعت من الجنّ و ما قلت لهم فقال صلى الله عليه وآله: يابادجانه ارفع عن القوم فوالذي بعثني بالحقّ نبيّا إنّهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة.

في المحاسن مسنداً عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا ضللت في الطريق فناد: يا صالح ياباصالح أرشدونا إلى الطريق رحمكم الله، قال عبدالله: فأصابنا ذلك فامرنا بعض من معنا أن يتنحّى و ينادي كذلك قال: فتنحّى فنادى ثمّ أتانا فأخبرنا أنّه سمع صوتا برز دقيقا يقول: الطريق يمنة أو قال يسرة، فوجدناه كما قال.

في البحار قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا أصاب أحداً منكم وحشة أونزل بأرض مجنّة فليقل: أعوذ بكلمات الله التّامات التي لا يجاوزهنّ برّ و لا فاجر من شرّ ما يلج في الأرض وما يخرج منها و ما ينزل من السّماء وما يعرج فيها و من فتن اللّيل ومن طوارق النهار إلاّ طارقا يطرق بخير

إذا قلّ مال المرء قلّ بهاؤه و ضاقت عليه أرضه و سماؤه
إذاقلّ مال المرء لم يرض عقله بنوه و لم يعصب لـه أولياؤه

قيل كلّ عضو من الأعضاء فرد فهو مذكّر إلاّ الكبد و الطحال، و كلّ ماكان في الجسد اثنين فهو مؤنث إلاّ الحاجب و الخدّ و الجنب.

في الأثر انّ الرّبيع بن خثيم حفر في داره قبراً فكان إذا وجد من قلبه قسوة اضطجع فيه فمكث ماشاء، ثم يقول ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيماتركت

ثمّ يردّ على نفسه فيقول قد ارجعتك فجدّ .

قيل كان ملك يسير و معه نديم له فبيناهما كذلك إذا بكلب بال على قبر فقال الملك : لعلّ هذا قبر رافضيّ يبول عليه الكلب ، فقال نديمه : ان كان هذا رافضيّا فالكلب لابدّ أن يكون سنّيا .

قال الرّشيد للبهلول: أتحبّ أن تكون خليفة ؟ قال : لا ، و ذلك إنّي رأيت موت ثلاث خلفاء ولم ير الخليفة موت بهلولين .

و في زهر الرّبيع دخل رجل من أهل حمص إلى بلد فرأى فيها منارة فقال لصاحبه : ما أطول قامة من بنا هذه المنارة ، فقال له صاحبه : يا أخى هل في الدّنيا من يكون قامته مثل هذه المنارة و إنّما بنوها في الأرض وهي نائمة ثمّ أقاموها .

في زهر الرّبيع رأيت رسالة في المشهد الرّضوي على مشرّفه السّلام سنة ثمان بعد المأة و الألف للامام الجويني من أكابر علماء مذهب الشّافعي ردّ بها على مذهب الحنفية و ذكر فيها أشياء كثيرة من أكاذيب أبي حنيفة و زخارفه و خلافه على ملّة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وذكر من جملة الطّعون عليه : أنّ السّلطان محمود بن سبكتكين كان على مذهب أبي حنيفة وكان مولعا بعلم الحديث يقرء بين يديه وهو يسمع فوجد الأحاديث أكثرها موافقا لمذهب الشّافعي فالتمس من العلماء الكلام في ترجيح أحد المذهبين فوقع الاتفاق على أن يصلّوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي وركعتين على مذهب أبي حنيفة لينظر فيه السّلطان ويتفكّر ويختار ماهو أحسن

فصلّى القفال المروزي من أصحاب الشّافعي ركعتين على مذهب الشّافعيّ بالأركان والأذكار والطّمأنينة و الطّهارة ممّا لم يجوّزه غير الشّافعي ، ثمّ أمر القفال أن يصلّي بين يديه ركعتين على مايجوّزه أبوحنيفة ، فقام و لبس جلد كلب مدبوغ و لطخ ربعه بالنجاسة لأنّ أباحنيفة يجوّز الصّلاة على هذا الحال ، و توضّأ بنبيذ التّمر فاجتمع عليه الذّباب وتوضّأ معكوساً منكوساً ثمّ استقبل القبلة فأحرم بالصّلاة من غير نيّة وأتى بالتكبير بالفارسيّة ثمّ قرء آية بالفارسيّة

دو برك سبز (١) ثمّ نقر نقرتين كنقر الدّيك من غير فصل و من غير ركوع و تشهّد .

فقال القفال أيّها السّلطان هذه صلاة أبي حنيفة فقال السّلطان ان لم تكن هذه لقتلتك فأنكر أصحاب أبي حنيفة هذه صلاته فأمر القفال باحضار كتب العراقيين وأمر السّلطان نصرانيّاً يقرأ كتب المذهبين فوجدت الصّلاة على مذهب أبي حنيفة كما حكاه القفال فعدل السلطان إلى مذهب الشّافعي وهذه المقالة نقلها عليّ بن سلطان الهروي الحنفي .

ثمّ عارض الشّافعية بأنّهم يقولون : إذا كان جماعة معهم من الماء قلتين وذلك لايكفيهم لطهارتهم ولو كمّلوه ببولهم لكفاهم فانّه يجب عليهم تكميله بالبول أو الغائط وهذا ممّا تمجّه العقول وتدفعه النقول .

ثمّ عارض تلك الصّلاة بما جوّزه الشّافعي في الصّلاة فقال : إنّ واحداً منهم إذا اجتمع عندهم ماء بالوعة نجس حتّى صار قلّتين فتمضمض به واستنشق منه ثمّ قال نويت ان اطهّر بهذا الماء الطاهر المطهّر للصّلاة ثمّ غسل وجهه ويديه ومسح برأسه على شعرة أو شعرتين ثلاثا أو مرّتين و غسل رجليه ثمّ انغمس فيه معكوساً ومنكوساً لكمال الطّهارة و مع هذا رعف وقاء وفصد واحتجم و لبس جلد خنزير بحريّ ، وتحنى في اليدين والرّجلين مشبّها بالمخانيث والنّساء ، ولطخ جميع بدنه وثيابه بماء مني منفصل عن ذنب حمار حتى اجتمع عليه الذّباب وهو فوق جبل أبي قبيس يقتدي بامام عند الكعبة ، ومع هذا همز الله أو أكبر ثمّ وقف والامام انتقل من ركن إلى ركن وهو يقول : بس بس بسمي الله ونحوه و هو جاهل بالقرآن غير عالم بمخارج الحروف ثمّ يقول : ملك يوم الدّين باسكان اللام والمستقيم بالغين والذين بالزا وأنعمت بتحريك النون ويختم بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين بالقاف عوض الغين أو بالذال بدل الضّاد هذه صفة صلاة الشّافعي وأطال في التشنيع

١- وهو معنى مدها متّان فى سورة الرحمن

عليه قال الشّاعر :

ومصطنع المعروف من غير أهله يلاقي كما لاقى مغيث أُمّ عامر

قيل (١) إنّ أمّ عامر كنية الضبع و انّ صيّاداً أراد صيدها فطردها فالتجأت إلى بيت أعرابي فأجارها فلما جاء اللّيل أطعمها وأنامها فقامت في اللّيل إلى صبيّ فمزّقت بطنه وأكلت رأسه وخرجت ليلا قال أبو الطيب :

ووضع النّدى في موضع السيف بالعلى مضرّ كوضع السّيف في موضع النّدى

قال بعض الخلفاء لبعض الزّهاد : إنّك لعظيم الزّهد ، فقال: إنّك أزهد منّى لأنّك زهدت في نعيم الآخرة و هو نعيم دائم عظيم و زهدت أنا في نعيم الدّنيا الحقير المنقطع .

كان بعضهم في أيّام صغره أشدّ منه ورعاً في أيّام كبره فقال :

عصيت هوى نفسي صغيراً و عند ما أتتني اللّيالي بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني خلقت كبيراً ثمّ عدت إلى الصّغر

الترجمة

از جمله كلام آنجناب ولايت مآب است درذكر عمرو بن عاص بى اخلاص ميفرمايد : تعجب ميكنم تعجب كردنى به پسر نابغه باغيه ميگويد باهل شام بدرستيكه در من است مزاحى و بدرستيكه من مردى هستم بسيار بازى كننده شوخى ميكنم وبازى مينمايم ، بتحقيق كه گفته است آن روسياه حرف باطل وتباه را ، و گويا شده است درحالتى كه گناه كننده است .

١- و قيل انه كان من حديثه ان قوما خرجوا الى الصيد فى يوم حار فعرضت لهم ام عامر فطردوها فألجأوها الى خباء أعرابى فاقتحمته فخرج اليهم الاعرابى و قال: لا تصلون اليها ما ثبت قائم سيفى بيدى ، فرجعوا و تركوها فأسقاها وأطعمها حتى استراحت ، فبينما الاعرابى قائم اذ و ثبت اليه فبقرت بطنه و شربت دمه ، فجاء ابن عمه فرآه مقتولا فأخذ قوسه و تبعها حتى أدركها فقتلها وانشأ يقول :

ومن يصنع المعروف مع غير أهله يلاقى الذى لا قى مجير امّ عامر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من بدا يصنع المعروف فى غيرشاكر ، منه

آگاه باشید که بدترین گفتار دروغ است وبدرستی آن بد بنیاد حرف میزند پس دروغ میگوید ووعده میدهد پس خلف وعده میکند ، وسؤال میکند پس اصرار مینماید درسؤال ، وسؤال کرده میشود پس بخل میورزد از قضاء آمال ، و خیانت میکند در عهد و پیمان ،وقطع رحم میکند ازخویشان،پس اگر واقع شود آن بدخصال در نزد قتال وجدال پس چه بزرك نهی کننده است و امر نماینده مادامیکه شمشیرها شروع نکرده‌اند درمحل شروع خود .

یعنی مادامی که نایره حرب مشتعل نشده است دعوی سر کردگی میکند ومشغول امر ونهی میشود ، پس چون زمان ضرب وشست رسید و شجاعان روزگار مشغول کارزار گردید میباشد بزرگترین حیله آن با تزویر اینکه بذل کند بمردمان دبر خود را وباین واسطه وتدبیر از دم شمشیر آبدار نجات یابد چنانچه درجنك صفین امام عالمیان قصد آن بد بخت بی دین را نمود و او خودش را از اسب بزمین انداخت و آنمردود ابتر علاجی از مرك بغیر از کشف از قبل و دبر خویش نیافت پس آن معدن حیا وعفت از سوئت آن بد بخت رو بتافت وباز گشت.

پس میفرماید آگاه باشید بخدا سوگند که بازمیدارد مرا از بازی کردن ذکر موت ، وبازمیدارد ابن نابغه را از گفتار حق فراموشی آخرت ، وبدرستی که آن بیعت نکرد بمعاویه تا اینکه شرط کرد از برای وی که عطا کند باو عطاء قلیلی و ببخشد او را بر ترك دین رشوت حقیری که عبارت باشد از حکومت دو روزهٔ مصر .

ومن خطبة له علیه السلام وهی الرابعة والثمانون من المختار فی باب الخطب

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، الأَوَّلُ لا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالآخِرُ لا غَايَةَ لَهُ ، لا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلٰى صِفَةٍ، وَلا تَعْقِدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ

عَلى كَيفِيّةٍ ، وَلا تَنالُهُ التَّجزِيَةُ وَالتَّبعيضُ ، ولا تُحيطُ بِهِ الأَبصارُ وَالقُلوبُ .

منها

فَاتَّعظُوا عِبادَ اللهِ بِالعِبَرِ النَّوافِعِ ، وَاعتَبِرُوا بِالآيِ السَّواطِعِ ، وَازدَجِرُوا بِالنُّذُرِ البَوالِغِ ، وَانتَفِعُوا بِالذِّكرِ وَالمَواعِظِ ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتكُمْ مَخالِبُ المَنِيَّةِ ، وَانقَطَعَتْ مِنكُمْ عَلائِقُ الأُمنِيَّةِ ، وَدَهَمَتكُمْ مُفظِعاتُ الأُمورِ ، وَالسِّياقَةُ إلى الوِرْدِ المَوْرُودِ ، وَكُلُّ نَفسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهيدٌ ، سائِقٌ يَسُوقُها إلى مَحشَرِها ، وَشاهِدٌ يَشهَدُ عَلَيها بِعَمَلِها .

ومنها في صفة الجنة

دَرَجاتٌ مُتَفاضِلاتٌ ، وَمَنازِلُ مُتَفاوِتاتٌ ، لا يَنقَطِعُ نَعيمُها ، وَلا يَظعَنُ مُقيمُها ، وَلا يَهرَمُ خالِدُها ، وَلا يَبأَسُ « يَيأَسُ خ ل » ساكِنُها .

اللغة

(العبر) جمع عبرة وهي ما يعتبر به أي يتّعظ و (الآي) جمع آية وهي العلامة و آية القرآن كلّ كلام متصل إلى انقطاعه ، و قيل ما يحسن السّكوت عليه و (سطع) الشيء يسطع من باب منع ارتفع و (النّذر) بضمّتين جمع نذير وهو المنذ رأى المخوف ، قال الشّارح المعتزلي : والأحسن أن يكون النذر هي الانذارات نفسها ، لأنّه قد وصف ذلك بالبوالغ و بوالغ لا تكون في الأكثر إلاّ صفة المؤنث .

أقول : وعليه حمل قوله سبحانه :

« وَكَيفَ كانَ عَذابي وَنُذُر » .

أى كيف رأيتم انتقامي منهم و انذاري إيّاهم مرّة بعد اخرى فالجمع للمصدر باعتبار اختلاف الأجناس والأنواع و (علق) الشوك بالثوب من باب تعب إذا نشب و (المخلب) من الحيوان بمنزله الظفر للانسان و(مفظعات الأمور) بالفاء والظاء المعجمة شدايدها الشنيعة و (ظعن) ظعنا من باب نفع ارتحل (ولا يبأس) بالباء الموحدة مضارع بئس كسمع يقال بئس فلان إذا أصاب بؤساً وهو الضرّ والشدّة ، وفي بعض النّسخ لا ييأس بالياء المثناة التحتانية من اليأس بمعنى القنوط يقال يأس ييأس من باب منع ، ومن باب ضرب شاذّ وفي لغة كحسب .

الاعراب

قوله : فكأن قد علقتكم مخفّفة كأنّ وملغاة عن العمل على الاستعمال الفصيح لفوات مشابهة الفعل بفوات فتحه الآخر ولذلك ارتفع بعدها الاسم في قوله :

ونحرٍ مشرق اللّون كأن ثدياه حقّان .

وان أعملتها قلت ثدييه لكنه استعمال غير فصيح ومثله قوله :

ويوماً توافينا بوجه مقسّمٍ كأن ظبية تعطو إلى وارق السّلم

برفع ظبية على الاهمال و نصبها على الأعمال و يروى جرّها على جعل أن زايدة أى كظبية و إذا لم تعملها ففيه ضمير شأن مقدّر كما في ان المخففة و يجوز أن يقال بعدم التقدير لعدم الدّاعي عليها ، ثمّ هل هي في قوله للتحقيق كما قاله الكوفيّون في قوله :

فأصبح بطن مكة مقشعرّاً كأنّ الأرض ليس بها هشام

أو للتقريب كما في قولهم : كأنّك بالشتاء مقبل ، و كأنّك بالدّنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل، الوجهان محتملان و ان كان الأظهر هو الأوّل و قوله عليه السلام : لا ينقطع نعيمها إما في محلّ النّصب على الحال أو في محلّ الرّفع على الوصف .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة كما يظهر من الكتاب مأخوذة وملتقطة من خطبة طويلة ولم نعثر بعد على أصلها وما أورده السيد «ره» هنا يدور على فصول ثلاثة .

الفصل الاول

في الشّهادة بالتّوحيد وذكر بعض صفات الجمال والجلال وهو قوله : (وأشهد أن لاإله إلاّ الله وحده) في ذاته وصفاته (لاشريك له) في أفعاله ومخلوقاته ، وقد مضى تحقيق الكلام في ذلك في شرح الفصل الثّاني من فصول الخطبة الثانية فلا حاجة إلى الاعادة (الأوّل) بالأزليّة ف(لاشيء قبله والآخر) بالأبديّة ف(لا غاية له) قد مضى تحقيق الأوّل والآخر في شرح الخطبة الرّابعة و السّتّين ، و قدّمنا هناك أنّ أوليّته سبحانه لا تنافي آخريته ، وآخريّته لاتنافي أوّليّته كماتتنافيان في غيره سبحانه .

و نقول هنا مضافاً إلى ماسبق : أنّه سبحانه أوّل الأشياء و قبل كلّ شيء فلايكون شيء قبله ، وذلك لاستناد جميع الموجودات على تفاوت مراتبها و كمالاتها إليه ، و هو مبدء كلّ موجود فلم يكن قبله أوّل بل هو الأوّل الّذي لم يكن قبله شيء .

قال النّيسابوری في محكيّ كلامه : وهو سبحانه متقدّم على ماسواه بجميع أقسام التقدّمات الخمسة التي هي تقدّم التّأثير والطبع والشرف والمكان والزمان ، أمّا بالتّأثير فظاهر ، و أمّا بالطّبع فلأنّ ذات الواجب من حيث هو لا يفتقر إلى الممكن من حيث هو وحال الممكن بالخلاف ، وأمّا بالشّرف فظاهر ، وأمّا بالمكان فلأنّه وراء كلّ الأماكن ومعها كقوله تعالى :

« أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ » .

وقد جاء في الحديث لودليتم بحبل إلى الأرض السّفلى لهبط إلى الله ثمّ قرأ: هو الأوّل والآخر ، وأمّا بالزّمان فأظهر .

وأمّا آخريّته فلأنه هو الباقي بعد فناء وجود الممكنات وإليه ينتهي كلّ الموجودات فهو غاية الغايات فلا يكون له غاية .

قال بعض العارفين : هوالآخر بمعنى أنه غاية القصوى تطلبها الأشياء والخير الأعظم الّذي يتشوّقه الكلّ ويقصده طبعاً و إرادةً ، والعرفاء المتألّهون حكموا بسريان نور المحبّة له و الشوق إليه سبحانه في جميع المخلوقات على تفاوت طبقاتهم وأنّ الكاينات السّفلية كالمبدعات العلويّة على اغتراف شوق من هذا البحر العظيم واعتراف شاهد مقرّ بوحدانيّة الحقّ القديم .

فهو الأوّل الذي ابتدء أمر العالم حتّى انتهى إلى أرض الأجسام و الأشباح وهو الآخر الذي ينساق إليه وجود الأشياء حتى يرتقى إلى سماع العقول والأرواح وهو آخر أيضاً بالاضافة إلى سير المسافرين ، فانهم لايزالون مترقّين من رتبة إلى رتبة حتى يقع الرجوع إلى تلك الحضرة بفنائهم عن ذواتهم واندكاك جبال هويّاتهم ، فهو تعالى أوّل من حيث الوجود ، وآخر من حيث الوصول و الشهود ، وقيل أوليّته اخبار عن قدمه وآخريّته اخبار عن استحالة عدمه .

وفي الكافي باسناده عن ميمون البان قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام وقد سئل عن الأوّل والآخر فقال عليه السلام : الأوّل لا عن أوّل قبله ولا عن بدىء سبقه ، والآخر لا عن نهاية كما يعقل عن صفات المخلوقين ولكن قديم أوّل آخر لم يزل ولايزول بلا بدىء ولا نهاية لايقع عليه الحدوث ولا يحول من حال إلى حال ، خالق كلّ شيء ويأتي إن شاء الله شرح هذا الحديث في شرح الخطبة المأة .

(لا تقع الأوهام له على صفة) أراد عليه السلام أنه لاتناله الأوهام ولاتلحقه فتقع منه على صفة إذ الوهم لا يدرك إلاّ ماكان ذا وضع ومادّة ، فأمّا الأمور المجرّدة عن الوضع و المادّة فالوهم ينكر وجودها فضلا أن يصدق في اثبات صفة لها ، و الباري سبحانه مع بساطه ذاته وتجرّده ليس له صفة زايدة حتّى يدركه الأوهام أو تصفه بصفة ، وقد مرّ بعض القول في ذلك في شرح الفصل الثّاني من الخطبة الأولى .

(ولا تعقد القلوب منه على كيفيّة) إذ ليس لذاته تعالى كيفيّة حتّى تعقد عليها القلوب فلا يعرف بالكيفوفية ، و تحقيق ذلك يتوقّف على معرفة معنى الكيف فنقول : إنّ الكيف كما قيل هي هيئة قارّة في المحلّ لا يوجب اعتبار

وجودها فيه نسبة إلى أمر خارج عنه ولا قسمةً في ذاته ولانسبة واقعة في اجزائه ، وبهذه القيود تفارق الأعراض الثمانية الباقية .

و أقسام الكيفيّات و أوايلها أربعة ، لأنّها إمّا أن تختصّ بالكميّات من جهة ماهي كمّ كالمثلّثيّة و المربّعيّة للأشكال ، و الاستقامة و الانحناء للخطوط ، و الزوجية و الفردية للأعداد و إمّا أن لا تختصّ بها وهي إمّا أن تكون مدركة بالحسّ راسخة كانت كصفرة الذهب وحلاوة العسل ، أوغيرراسخة كحمرة الخجل و صفرة الوجل و إمّاأن لاتكون مدركة بالحسّ و هي إمّا استعدادات للكمالات كالاستعداد للمقاومة والدّفع وللانفعال وتسمّى قوّة طبيعية كالصّلابة و المصحاحية ، أو للنّقايص كالاستعداد بسرعة للانفعال و تسمّى ضعفاً و لا قوّة طبيعيّة كاللين والممراضية وإمّا أن لا تكون استعداداً للكمالات والنقايص بل تكون في أنفسها كمالات أونقايص فما كان منها ثابتاً يسمى ملكة كالعلم و القدرة و الشّجاعة ، وما كان سريع الزوال يسمّى حالا كغضب الحليم وحلم الغضبان فهذه أقسام الكيف واجناسها ويتدرج تحتها أنواع كثيرة .

إذا عرفت ذلك فنقول : إنّ من المحال أن يتّصف سبحانه بها لكونها حادثة بالذّات ممكنة الوجود مفتقرة إلى جاعل يوجدهابرىء الذّات عن الاتّصاف بها ، أمّا حدوثها وإمكانها فلكونها ذات ماهيّة غير الوجود فكونها عرضا قائماً بمحلّه فهي مفتقرة إلى جاعل وينتهى افتقارها بالآخرة إلى الله سبحانه، وأمّا برائة ذاته سبحانه من الاتّصاف بها فلأنّ موجد الشيء متقدّم عليه بالوجود فيستحيل أن يكون المكيِّف بالكسر أى جاعل الكيف مكيَّفاً بالفتح أى منفعلا و إلاّ لزم تقدّم الشيء على نفسه و كون الشيء الواحد فاعلاوقا بلا لشيء واحد.

(و لا تناله التجزية و التبعيض) عطف التبعيض على التجزية إمّا من باب التأكيد أو المراد بالأول نفى الأجزاء العقليّة كالجنس و الفصل و بالثاني نفى الأجزاء الخارجية كما في الأجسام ، وعلى كلّ تقدير فالمقصود به نفى التركيب عنه إذ كلّ مركّب ممكن .

و أمّا ما قاله الشّارح البحراني : من أنّه اشارة إلى نفى الكميّة عنه إذ كانت التجزية و التبعيض من لواحقها و قد علمت أنّ الكمّ من لواحق الجسم والبارى تعالى ليس بجسم وليس بكمّ .

ففيه أنّه خلاف الظاهر إذالتّجزية أعمّ من التجزية العقليّة والخارجيّة ولادليل على التّخصيص بالثانيّة لولم تكن ظاهرة في الأولى حسب ما أشرنا إليه فيكون مفادها على ذلك مفاد قوله عليه السلام في الخطبة الأولى : فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثنّاه ومن ثنّاه فقد جزّاه .

(ولاتحيط به الأبصار والقلوب) وقد مرّ تحقيق ذلك في شرح الخطبة الثالثة والأربعين بما لامزيد عليه وفي شرح الفصل الثاني من الخطبة الأولى .

الفصل الثاني

(منها)في التذكير والموعظة وهو قوله عليه السلام (فاتّعظوا عبادالله بالعبر النوافع) اى اعتبروا بالعبر النافعة و اتّعظوا بماحلّ بأهل القرون الخالية كيف صارت أجسادهم شحبةً بعد بضّتها ، وعظامهم نخرة بعد قوّتها ، وكيف انجلوا عن الرّباع و الدّور و ارتحلوا عن الضياع و القصور ، و طوّحت بهم طوايح الزّمن و هجرتهم « وأزعجتهم خ ل» عن الأموال والأولاد والوطن (واعتبروا بالآى السّواطع) من آثار القدرة وعلامات الجلال والجبروت والعزّة أوبالآيات القرآنية المعذرة والمنذرة وبرا هينها السّاطعة المشرقة .

(و ازدجروا بالنّذر البوالغ) أى بالانذارات الكاملة و التّخويفات البالغة الواردة في الكتاب والسنّة (وانتفعوا بالذكر والمواعظ) النافعة التي تضمّنتها آيات الكتاب المبين وأخبارسيّدالمرسلين (فكأن قد علقتكم مخالب المنيّة)شبّه المنيّة بالسّبع من باب الاستعارة بالكناية و اثبات المخالب تخييل وذكرالعلوق ترشيح (و انقطعت منكم علائق الامنية) لأنّ الأجل إذا حلّ والموت إذا نزل انقطع الأهل وضلّ الحيل وتنغّص اللذات وانتقض الشّهوات (ودهمتكم مفظعات

الامور) أى الامور الموجبة للفطع والدّواهي الموقعة في الفزع من سكرات الموت وغمرات الفوت والجذبة المكربة والسوقة المتعبة والهجرة إلى دار الوحدة وبيت الوحشة ومايليها من شدايد البرزخ وأهوال القيامة .

(والسّياقة إلى الورد المورود) أى المكان الذي يرده الخلايق وعليه محشرها ومنشرها (و كلّ نفس معها سائق وشهيد) اقتباس من الآ ية في سورة قٓ وهو قوله :

« وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ » .

أى تجيء كلّ نفس من المكلّفين يوم الوعيد و معها (سائق) من الملائكة (يسوقها إلى محشرها) أى يحثّها على السّير إليه (و شاهد) منهم أو من الأ نبياء والرّسل والأ ئمة على ما سبق في شرح الخطبة الواحدة و السّبعين أو من الأ عضاء والجوارح كما ورد في غير واحد من الآ يات و يأتي النصريح به في الكلام الماة والثّامن والتّسعين إنشاءالله (يشهد عليها بعملها) وبما يعلم من حالها .

الفصل الثالث

(**منها فى صفة الجنة**) و هو قوله (درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات) كما قال سبحانه :

« يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ »

و قال : « هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ » و قال : « أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » ،

وتفاوت الدّرجات وتفاضل المنازل إنّما هو بتفاوت أهل الايمان في مراتب المعرفة والكمال ، فالمؤمنون الكاملون في مراتب العمل والاخلاص ذوو الدرّجات العلى و النّاقصون فيهما ذوو الدّرجات السّفلى وقد جاء في الخبر أنّ أهل الجنّة ليرون

أهل علّيين كمايرى النجم في افق السّماء .

و في الحديث إنّ في الجنّة مأة درجة بين كلّ درجتين منها مثل ما بين السّماء و الأرض و أعلى درجاتها الفردوس وعليها يكون العرش و هى أوسط شيء في الجنّة ومنها تفجر أنهار الجنّة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس .

و في بعض الرّوايات إنّ اقلّ ما يعطي المؤمن فيهامايقابل الدّنيا و أشرف المنازل وأرفع المراتب هومرتبة الرّضوان كما قال سبحانه :

« وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

أى رضاءالله عنهم ومحبّته أيّاهم أكبرمن كلّ لذّات الجنّة ، وهذه اللّذة لايدركها كلّ أحد وإنما هى مختصّة بالأولياء التامّين في مقام المحبّة الكاملين في العبودية

وفى رواية زرارة الواردة في ثواب البكاء على الحسين عليه السلام عن الصّادق عليه السلام و مامن عبد يحشر إلاّ و عيناه باكية إلاّ الباكين على جدّي فانه يحشر و عينه قريرة والبشارة تلقّاه والسّرورعلى وجهه والخلق يعرضون وهم حدّاث الحسين تحت العرش و في ظلّ العرش لا يخافون سوء الحساب يقال لهم : ادخلوا الجنّة فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه ، وأنّ الحور لترسل إليهم إنّا قد اشتقناكم مع الولدان المخلّدين فما يرفعون رؤوسهم لما يرون في مجلسهم من السّرور والكرامة الحديث .

فلا تظنن أنّ أعلى الدّرجات هو أعالي الجنان والجلوس مع الحوروالغلمان فانّ هذا من لذات البدن والرّضوان من لذّات الرّوح ، ولذاكان مطمح نظرالأئمة عليهم آلاف الصّلاة والتحيّة تلك اللّذة المعنويّة كمايشيرإليه قول أميرالمؤمنين عليه السلام ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعا في جنّتك ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك و تقابل هذه المرتبة أعني مرتبة الرّضوان لأهل السّعادة مرتبة الخذلان لأهل

الشقاوة كما يشير إليه قوله تعالى حكاية عنهم :

« رَبّنا إنّكَ مَنْ تُدْخِلِ النّارَ فَقَدْ أخزَيْتَهُ » .

فانّ قولهم أخزيته دون أحرقته أو عذّبته دليل على أنّ ألم الخزى عندهم أشدّ وأفظع من ألم الاحتراق بالنار ، وذلك لأنّ الخزى عذاب روحانيّ وعذاب الاحتراق والأفاعى والعقارب وساير ما أُعدّ في جهنّم عذاب جسمانيّ ، و لا شكّ أنّ الأوّل أشدّ و آكد .

ثم أشار عليه السلام إلى دوام نعيم الجنّة بقوله : (لا ينقطع نعيمها) وقد أُشير إلى ذلك في غير واحدة من الآيات مثل قوله سبحانه :

« مَثَلُ الْجَنّةِ الّتي وُعِدَ الْمُتّقُونَ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَ ظِلُّها » و قوله : « وَ أَصْحابُ الْيَمينِ ما أَصْحابُ الْيَمينِ ، في سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَماءٍ مَسْكُوبٍ ، وَفاكِهَةٍ كَثيرَةٍ ، لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ » و قوله : « إنّ هذا لَرِزْقُنا مالَهُ مِنْ نَفادٍ »

وإنّما لم يكن لنعمها نفاد وانقطاع لأنّ استحقاق تلك النّعم إنّما نشأ من ملكات ثابتة في جوهره لا تتغيّر و لا تتبدّل ومهما دام الاستحقاق القابل للنعمة و الجود وجب دوام الافاضة والانعام من واجب الوجود ، إذ هو الجواد المطلق الذي لا بخل من جهته ولا نفاد في خزانته (ولا يظعن مقيمها) أى لا يسير عنها والمراد به إمّا نفى سيره عنها إلى الخارج فيكون المقصود به الاشارة إلى أنّها دار خلود و دوام و على ذلك فهذه الجملة تأكيد للجملة السّابقة ، وإمّا نفى السير عن مقامه إلى مقام آخر فيها طلبا لما هو أحسن منه وإلى الأوّل أُشير في قوله تعالى :

« لِلّذينَ اتّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها» الآية و على الثّاني اشير في قوله : « إنّ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ

كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ، خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً »

قال في مجمع البيان : أى دائمين فيها لا يطلبون عن تلك الجنّات تحوّلا إلى موضع آخر يطلبها وحصول مرادهم فيها (ولا يهرم خالدها ولا يبأس ساكنها) لأنّ الهرم والبؤس متلازمان للتعب والنّصب المنفيّين في حقّ أهل الجنّة كما قال سبحانه حكاية عنهم :

« وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ » .

أى لا يمسّنا فيها عناء ومشقّة ولا يصيبنا فيها اعياء ومتعبة

الترجمة

ازجمله خطبهاى آن حضرتست كه مشتمل است بسه فصل

فصل اول در مقام شهادت بتوحيد ميفرمايد : و گواهى ميدهم كه نيست هيچ معبودى بسزا بجز خدا درحالتي كه يگانه است ونيست شريك اورا ، أوّلى است كه نيست هيچ چيزى پيش ازاو دربداية ، وآخريست كه نيست مراورا غاية و نهايت ، واقع نميشود وهمها از براى او برصفتى ، و بسته نميشود عقلها از او بر كيفيّتى ، ازجهة اينكه اومنزّه است ازصفة زايده برذات ، ومبرّ است از كيفية وچگونگى حالات ، ونميرسد بدايرۀ ذات اوتجزّى وتبعّض بجهة اتصاف او بوحدت ، ونميتواند احاطه كند باو أبصار وقلوب و ادراك كنند اورا بحقيقت .

فصل دوم در مقام موعظه و نصيحت ميفرمايد : پس قبول موعظه نمائيد أى بندگان خدا باعبرتهاى نافعه ، وعبرت برداريد بآيات باهره ، ومنزجر بشويد با ترسانيدنهاى بي‌پايان ، و منتفع باشيد بذكر متذكران و موعظهاى واعظان ، پس گويا فرو رفته است بشما چنگالهاى مرگ خون آشام ، وبريده شده است ازشما

علاقهای آرزوها بناکام ، و رسیده است ناگهان بشما قطع آورنده‌کارها ، و راندن بسوی محشر که محل ورود خلایق است آنجا ، وهر نفس اوراست راننده و گواهی دهندهٔ که گواهی میدهد بعمل ناپسندیده او .

فصل سیم در صفة جنّت میفرماید : درجه‌های بهشت بعضی تفاضل دارد ببعضی وبعض دیگر منازل آن باتفاوتست با یکدیگر ، بریده نمیشود نعیم بهشت ورحلت نمیکنند مقیم بهشت ، وپیر نمیشود کسیکه مخلّد است در آن ، و محزون نمیشود یامأیوس نمیگردد کسیکه ساکن است در آن بلکه ساکنان آن جوانان تازه ورعنااست ، ومقیمان آن ملتذّند بالذایذ بی‌حدّ وانتها .

ومن خطبة له عليه السلام وهى الخامسة والثمانون من المختار فى باب الخطب

قَدْ عَلِمَ السَّرائِرَ، وَ خَبَرَ الضَّمائِرَ، لَهُ الْإحاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَ الْقُوَّةُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ ، فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهاقِ أَجَلِهِ ، وَ فِي فَراغِهِ قَبْلَ أَوانِ شُغْلِهِ ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ، وَ لْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَ قَدَمِهِ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دارِ ظَعْنِهِ لِدارِ إِقامَتِهِ .

فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا النّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتابِهِ ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى ، وَ لَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهالَةٍ وَ لا عَمًى ، قَدْ سَمّى آثارَكُمْ ، وَعَلِمَ أَعْمالَكُمْ ، وَ كَتَبَ آجالَكُمْ

وَأنزَلَ عَلَيكُمُ الكتابَ تِبياناً، وَعَمَّرَ فيكُمْ نَبيَّهُ أزماناً، حتّى أكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فيما أنزَلَ مِنْ كتابِهِ دينَهُ الّذي رَضيَ لنفسِهِ، وَأنْهى إليكُمْ على لسانِهِ مَحابَّهُ مِنَ الأعْمالِ وَمَكارِهَهُ، وَنَواهيَهُ وَأوامِرَهُ، فَألقى إليكُمُ المَعْذِرَةَ، وَاتَّخَذَ عَلَيكُمُ الحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إليكُمْ بالوَعيدِ، وَأنذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَديدٍ، فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أيامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَها أنفُسَكُمْ، فَإنَّها قَليلٌ في كَثيرِ الأيّامِ الّتي تَكونُ مِنكُمْ «فيها خ» الغَفْلَةُ، وَالتَّشاغُلُ عَنِ المَوْعِظَةِ، وَلا تُرَخِّصوا لأنفُسِكُمْ، فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ فيها مَذاهِبَ الظَّلَمَةِ، وَلا تُداهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الإدْهانُ عَلى المَعْصِيَةِ.

عِبادَ اللهِ إنَّ أنصَحَ النّاسِ لِنَفْسِهِ أطوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإنَّ أغَشَّهُمْ لِنَفسِهِ أعْصاهُمْ لِرَبِّهِ، وَالمَغْبُونُ مَن غَبِنَ نَفْسَهُ، وَالمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دينُهُ، وَالسَّعيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَواهُ، وَاعْلَمُوا أنَّ يَسيرَ الرِّياءِ شِرْكٌ، وَمُجالَسَةَ أهْلِ الهَوى مَنْسَأةٌ لِلإيمانِ، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطانِ جانِبُوا الكَذِبَ فَإنَّهُ مُجانِبٌ لِلإيمانِ، الصّادِقُ عَلى شَفا مَنْجاةٍ وَكَرامَةٍ، وَالكاذِبُ عَلى شَرَفِ مَهْواةٍ وَمَهانَةٍ، وَلا تَحاسَدُوا فَإنَّ الحَسَدَ يَأكُلُ الإيمانَ كَما تَأكُلُ النّارُ الحَطَبَ، وَلا تَباغَضُوا فَإنَّها الحالِقَةُ، وَاعْلَمُوا أنَّ الأمَلَ يُسْهي العَقْلَ، وَيُنْسي الذِّكْرَ، فَأكْذِبُوا الأمَلَ فَإنَّهُ غُرُورٌ،

وَصاحِبُهُ مَغْرُورٌ .

اللغة

(السّرّ والسّريرة) مايكتم وجمع الأوّل أسرار والثاني السّراير (خبرت) الشيء من باب قتل علمته و امتحنته ، وفي القاموس خبر ككرم وفي بعض النسخ خبر الضّماير بكسر الباء ، قال الشارح المعتزلي : خبر الضمايرا متحنها و ابتلاها ومن رواه بكسر الباء أراد علم انتهى فافهم .

و (ضمير) الانسان قلبه و باطنه كما فى المصباح و الجمع الضّماير ، و فى القاموس الضمير السّر وداخل الخاطر ، وعلى ذلك فهو إمّا حقيقة في الأوّل مجاز في الثاني أوبالعكس بعلاقةالحال والمحل و (المهل) محركةالمهلة و (الارهاق) الاعجال و (الكظم) محركة مخرج النفس و (الظعن) الارتحال و (الانهاء) الاعلام والابلاغ و (الرّخصة) التّسهيل فيالأمر والجمع رخص كغرفة و غرف و (الادهان) والمداهنة اظهار خلاف ماتضمر والغشّ .

و (المنساة) و (المحضرة) محلّ النسيان والحضور ، والتاءفيهماللتكثير كمايقال أرض مسبعة أى كثير فيها السّباع و (الشفا) طرف كلّ شيء و (الشرف) محركة المكان العالى و (المهواة) محلّ السقوط و (المهانة) الذلة و الحقارة و (الحالقة) الخصلة التي فيها حلق اى شؤم قال في القاموس : و الحالق المشؤم كالحالقة فالتاءللمبالغة و في القاموس أيضاً الحالقة قطيعة الرّحم والتىتحلق رأسها في المصيبة ، قال شارح القاموس ومنه الحديث دبّ اليكم داء الأُمم البغضاءالحالقة ، وهى قطيعة الرّحم انتهى .

وأمّا تفسير الحالقةبالمستأصلة للشعر كما في شرح المعتزلي والبحراني فلمأجده في كتباللّغة وكذلك لم أجد تفسيرالحالق بمايحلق بهالشّعربل المستفاد من القاموس خلافه حيث ذكر للحالق معاني ولم يذكر ذلك فيها ، وقال : المحلق كمنبرالموسى فيفهم منه أن مايحلق به الشعر ويستأصل به علىوزن مفعل لاعلى وزن الفاعل والفاعلة .

الاعراب

الفاء في قوله : فليعمل فصيحة ، فالله الله منصوب على الاغراء أى فاتقوا الله ، وتكرير اللّفظ نيابة عن الفعل المقدّر ، وتبيانا منصوب على الحالية، وازمانا على الظرفية ، والباء في قوله بالوعيد زايدة ، و بقيّة أيّامكم منصوب على الظرف ، واصبروا لها اللاّم بمعنى على بدليل قوله: فما أصبرهم على النّار ، وقوله فانّها قليل أى شيء قليل فحذف الموصوف كما حذف في قوله تعالى :

« وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقاً » .

أى قبيلا رفيقا ، ونفسه بالنّصب مفعول غبن ، ودينه بالرفع فاعل سلم .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة مسوقة للتذكير و الموعظة ، و المقصود بها جذب الخلق إلى طرف الحقّ وصدّرها بالاشارة إلى بعض أوصافه سبحانه لتكون مقدّمة للمقصد فقال عليه السلام (قد علم السّرائر) وهو كقوله سبحانه :

« وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى » و قوله تعالى :

« يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ نَجْوَيكُمْ » .

وقد مضى القول في ذلك في شرح الخطبة التاسعة والأربعين ، وتمام القول في علمه تعالى بالكلّيات و الجزئيات والسرّ والاعلان في تنبيهات الفصل السّابع من فصول الخطبة الاولى ونقول هنا مضافا إلى ما سبق : انّ عموم علمه سبحانه مما اتّفق عليه المتكلّمون والحكماء .

أمّا المتكلّمون فظاهر لأنّهم تابعون للشّرع والشرع قد ورد بذلك حسبما عرفت مفصلا فى شرح الخطبتين المذكورتين .

و أمّا الحكماء فملخّص كلامهم على ما في شرح البحراني أنّه يعلم ذاته بذاته ويتّحد هناك المدرك والمدرَك والادراك و لايتعدّد إلاّ بحسب الاعتبارات العقلية التي تحدثها العقول البشرية، وأمّا علمه بمعلولاته القريبة منه فيكون بأعيان ذواتها ،

ويتّحد هناك المدرك والادراك ولا يتعدّدان إلاّ بالاعتبار العقلي ويعايرهما المدرك و أمّا بمعلولاته البعيدة كالمادّيات والمعدومات التي من شأنها إمكان أن توجد في وقت أو تتعلّق بموجود فيكون بارتسام صورها المعقولة من المعلولات القريبة التي هي المدركات لها أوّلاً وبالذّات و كذلك ينتهي إلى ادراك المحسوسات بارتسامها في آلات مدركاتها .

قالوا: وذلك لأنّ الموجود في الحاضر حاضر والمدرك للحاضر مدرك لما يحضر معه فاذاً لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السّموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك و لا أكبر ، لكون ذوات معلولاته القريبة مرتسمة بجميع الصور ، وهي التى يعبّر عنها تارة بالكتاب المبين ، وتارة باللّوح المحفوظ، وتسمّى عندهم عقولاً فعّالة .

هذا ما حقّقه محقّقو الحكماء في كيفيّة علمه سبحانه ، إلاّ أنّ الكلام بعد في صحّة القول بالارتسام ، و قد مضى مافيها في شرح الفصل السّابع من الخطبة الاولى ، و كيف كان فلا ريب في عموم علمه و ان لم نعلم كيفيّة ذلك و لم نعرفه بكنهه (و خبر الضّمائر) اى امتحن القلوب بالخير والشرّ أو أنّه عالم بالقلوب و بما فيها من الأسرار و خبير بما في الصّدور على الاختلاف المتقدّم في بيان اللّغة قال سبحانه :

« أَفَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ » .

قال بعض المحقّقين : الخبير هو الّذى لا تعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرّك ذرّة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولاتطمئنّ إلاّ ويكون عنده خبرة ، وهو بمعنى العليم لكنّ العلم إذا اضيف إلى الخفايا الباطنة سمّي خبرة وسمّي صاحبها خبيراً فهو أخصّ من مطلق العلم (له الاحاطة بكلّ شيء) أى علماً وحفظاً ، أو استيلاء وقدرة كما قال تعالى :

«أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ».

وقد مضى تفسيرها في شرح الفصل السابع من الخطبة الأولى (والغلبة لكلّ شيء) كما قال سبحانه :

«وَاللهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ».

وقد مرّ بعض القول في غالبيّته في شرح الخطبة الرابعة والسّتين و أقول هنا إنّ معنى غلبته بكلّ شيء يعود إلى تمام قدرته عليه وكونه قاهراً على جميع الأشياء، وليس قهره تعالى وغلبته على نحو مايتصوّر فينا ، بل على معنى آخر .

كما أشار إليه أبوالحسن الرّضا عليه السلام في حديث الكافي بقوله : وأمّا القاهر فليس على معنى نصب وعلاج واحتيال ومداراة ومكر كما يقهر العباد بعضهم بعضاً والمقهور منهم يعود قاهراً و القاهر يعود مقهوراً ،ولكن ذلك من الله تعالى على أنّ جميع ماخلق ملبّس به الذلّ لفاعله وقلّة الامتناع لما أراد به لم يخرج منه طرفة عين أن يقول له كن فيكون والقاهر منّا على ماذكرت ووصفت .

توضيحه أنّ الله سبحانه لا يحتاج في قهره وغلبته إلى عمل و آلة و مدافعة وتعب وخديعة و مخالطة و حيلة كما يحتاج العباد في قهر بعضهم بعضاً إلى ذلك ، إذ هذه كلّها من صفات النّقص وزايدة على الذّات ومن العوارض الّتي يجوز انفكاكها عن المعروض فيجوز أن يكون القاهر في وقت ما لوقوع تدبيره على وفق مطلوبه مقهوراً في وقت آخر لعدم وقوع تدبيره على وفق مقصوده أو لوقوع تدبير المقهور على نحو ارادته و غلبته على تدبير القاهر كما هو المشاهد في تدبيرات السّلاطين والملوك وساير النّاس .

بل قاهريّته سبحانه عبارة عن ذلّ الخلايق لفاعلهم القديم ودخولهم في استكانة الامكان تحت غلبته واحتياجهم في اسر الحاجة إلى كمال قدرته بحيث لايقدرون على الامتناع لما أراد من ذواتهم وصفاتهم وهيئآتهم ومقاديرهم و كمالاتهم ونفعهم

و ضرّهم و خيرهم و شرّهم للزوم حاجتهم في الذّوات والصّفات و جميع الحالات إليه ورفع أيدي الامكان والافتقارلهم من جميع الجهات بين يديه .

ولعلّ لفظ القلّة في الحديث اشارة إلى صدور الامتناع عن بعضهم قليلا فيما أراد منهم من أفعالهم الاختيارية ، وليس ذلك لقهرهم وغلبتهم عليه ، بل لأنه تركهم على حالهم ولم يجبرهم تحقيقاً لمعنى التّكليف والاختيار .

و قوله عليه السلام لم يخرج منه طرفة عين أن يقول اه حال عن فاعله أو عن فاعل أراد ، وضمير منه راجع إليه ، و أن يقول فاعل لم يخرج يعني لم يخرج منه سبحانه في سلطانه على الخلق وقهره عليهم طرفة عين قول كن فيكون ، فهو إشارة إلى أنّه قاهر دائماً ولا يصير مقهوراً أبداً ، وفيه تنبيه على أنّ الممكن في بقائه يحتاج إليه سبحانه كما يحتاج إليه في وجوده .

قال بهمنيار في محكيّ كلامه : إنّ كلّ ممكن بالقياس إلى ذاته باطل وبه تعالى حقّ يرشد إليه قوله : كلّ شيء هالك إلاّ وجهه فهو آنافآنا يحتاج إلى أن يقول له الفاعل الحقّ كن ويفيض عليه الوجود بحيث لو أمسك عنه هذا القول والافاضة طرفة عين لعاد إلى البطلان الذاتي والزّوال الأصلي كما أنّ ضوء الشمس لوزال عن سطح المستضيء لعاد الى ظلمته الأصليّة .

(و القوّة على كلّ شيء) وهو أيضاً يعود إلى تمام القدرة ، وليس المراد به قوّة البطش المعروف من المخلوق الذي هو الأخذ الشديد عند ثوران الغضب والتناول عند الصّولة أو قوّة التّعلّق بالشيء و أخذه على الشّدة ، لأنّ القوّة بهذا المعنى من الصّفات الجسمانية كالقوّة الشّهوية والغضبيّة وقابلة للزّيادة والنقصان ، فلا يمكن اتّصاف الواجب القديم بذلك بالبديهة و العيان ، لكونه من صفات الامكان كما مرّ تفصيلا وتحقيقا في شرح الخطبة الرّابعة والستين .

ثمّ إنّه عليه السلام لمّا أشار إلى أنّه سبحانه عالم بما في الصّدور وغالب على كلّ مقدور و كان ذلك مقتضياً لانجذاب الخلق إليه ليفوزوا بما لديه علماً منهم بأنّه سبحانه طالب كلّ راغب و مدرك كلّ هارب أمر بعد ذلك بالطاعات و حذّر عن

الخطيئات فقال :

(فليعمل العامل منكم في أيّام مهله قبل إرهاق أجله) وهو أمر بالمبادرة إلى العمل قبل حلول الأجل ، لأنّ الموت إذا حلّ ارتفع التّكليف وبطل ، فليبادر في أيّام المهل قبل أن يحلّ الموت وينزل و قبل أن يحول بينه وبين العمل .

(وفي فراغه) من شدايد الأهوال (قبل أوان شغله) بفجايع الآجال (و في متنفّسه) أي سعة نفسه وخلاقه (١) (قبل أن يؤخذ بكظمه) وخناقه (٢) (وليمهّد لنفسه و قدمه) قبل أن لا ينفعه ندمه (و ليتزوّد من دار ظعنه) و رحلته (لدار إقامته) ومحلّ فاقته ، و إنّما أمر بذلك لأنّ سفر الآخرة مهول والسّبيل طويل والخطر جليل فمن لم يمهّد لنفسه زاداً يتقوّى به ولا لقدمه محلا يضعها عليه مع حزونة الطّريق و خشونته صعب له الوصول إلى المحلّ بل تاه في المهامه (٣) و ضلّ .

(فالله الله عباد الله فيما استحفظكم من كتابه) وطلب منكم تدبّر مافيه من تكليفه و خطابه (و استودعكم من حقوقه) المؤدّية إلى ثوابه و عقابه (فانّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً) لعباً (ولم يترككم سدى) هملا كالابل الرّتاع والجمل الرّعاع ، وانّما خلقكم على وجه الحكمة والصّواب وجعلكم عاقلا قابلا للتّكليف والخطاب لتستفيدوا محاسن الآداب ، وتنافسوا في المكارم ، وتسارعوا في المغانم وتحصّلوا المعارف والطّاعات ، وتنتهوا عن المعاصي والسّيئات .

فانه قد نصب لكم أعلام الهدى (ولم يدعكم في جهالة و لاعمى) فمن خبط بعد ذلك و طغى فقد ضلّ و غوى ، ومن أطاع فاتّقى فلسوف يعطيه مايرضى و (قد سمّى آثاركم) خيرها و شرّها و رفع أخباركم نفعها و ضرّها (و علم أعمالكم) صغيرها و كبيرها (و كتب آجالكم) طويلها و قصيرها (و أنزل عليكم الكتاب

١ــ الخلاق بالفتح النصيب .

٢ــ والخناق بالكسر والضمّ الحلق ،منه

٣ــ أي المفازة جمع مهمه

تبياناً) و برهاناً (وعمّر فيكم نبيّه) صلّى الله عليه وآله آونة و (أزماناً) لانتظام معاشكم واصلاح معادكم واقامة للحجّة عليكم

« لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيٰى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ » .

(حتّى أكمل له صلّى الله عليه وآله ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الّذي رضى لنفسه) و أتمّ عليكم نعمته الّتي اختارها له ولكم من اسلامه وشرعه كما قال عزّ من قائل :

« أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً » .

(وأنهى إليكم) وأعلمكم (على لسانه) سلام الله عليه وآله (محابّه من الأعمال) الحسنة (ومكارهه) من الأفعال القبيحة (ونواهيه) الموجبة للشّقاوة (وأوامره) المحصّلة للسعادة (فألقى إليكم المعذرة) أى العذر في عقوبتكم يوم القيامة حتّى لا يكون لكم الحجّة عليه بل يكون له الحجّة عليكم (و اتّخذ عليكم الحجّة) بماأنزله في كتابه لئلا تكونوا عن آياته في غفلة (وقدّم اليكم بالوعيد وأنذركم بين يدي عذاب شديد) أى قدّم إليكم الوعيد و خوّفكم أمام العذاب الشّديد ليكون الوعيد قبل حلول العقاب والانذار قبل نزول العقاب ، لأنّ العقاب من دون بيان قبيح والتأديب بعد التّكليف حسن ومليح كما قال تعالى شأنه :

« وَما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً » .

فأر ل سبحانه رسله مبشّرين ومنذرين وبعث رسوله بالكتاب المبين كيلا تقولوا يوم القيامة : إنّا كنّا عن هذا غافلين (فاستدركوا بقيّة أيّامكم و أصبروا لها أنفسكم) أى تداركوا ما أسلفتم من الذّنوب والخطيئات فيما بقي لكم من الأوقات و احبسوا أنفسكم عليها بتحمّل مشاقّ الطاعات .

وفي الحديث الصّبر صبران صبر على ماتكره وصبر عمّا تحبّ ، فالصّبر الأوّل مقاومة النّفس للمكاره الواردة عليها وثباتها وعدم انفعالها ، وقد يسمّى سعة الصّدر

وهو داخل تحت الشجاعة ، والصّبر الثاني مقاومة النّفس لقوّتها الشهوية وهو فضيلة داخلة تحت العفّة (فانّها قليل في كثير الأيام التي تكون منكم الغفلة والتشاغل عن الموعظة) يعني أنّ الأيام الباقية الّتي يمكن فيها الاستدراك والتدارك قليلة في جنب الأيام الّتي تكون فيها الغفلة و التّشاغل وهي كثيرة بالنسبة إليها .

و لعلّ الاتيان بلفظة تكون دون كانت للاشعار بأنّ غفلتهم ليست مختصّة بما مضى ، بل ربما تكون فيما يأتي أيضاً ، و ذلك لما علم من حالهم أنّهم لا يستغرقون أوقاتهم الآتية بالتدارك و الطاعة فأمر عليه السلام بالتدارك فيما هو آت إذ ما مضى قد فات فافهم .

(و لا ترخّصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرّخص فيها مذاهب الظلمة) أى مسالكها ، والظاهر أنّ المراد بالترخيص للنفوس المسامحة والمساهلة لها ، فيكون المقصود بالنّهى المواظبة عليها ومجاهدتها .

روى الكلينيّ باسناده عن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله بعث سرية فلمّا رجعوا قال عليه السلام : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر و بقي عليهم الجهاد الأكبر فقيل : يا رسول الله ما الجهاد الأكبر ؟ قال: جهاد النّفس .

و في الوسايل عن الصّدوق باسناده عن شعيب العقرقوفي عن الصّادق عليه السلام قال : من ملك نفسه إذا رغب و إذا رهب و إذا اشتهى و إذا غضب وإذا رضى حرّم الله جسده على النّار .

وعن الكلينيّ عن عدّة من أصحابنا عن محمّد بن محمّد بن خالد رفعه قال : قال أبو عبدالله عليه السلام أقصر نفسك عمّا يضرّها من قبل أن تفارقك ، واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك فانّ نفسك رهينة بعملك، هذا .

و يحتمل أن يكون المراد به الترخيص في الشبهات المؤدّى إلى الاقتحام في الهلكات فيكون مساقه مساق مارواه الصّدوق عنه عليه السلام قال : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس فقال في كلام ذكره : حلال بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك ، فمن ترك ما اشتبه عليه من الاثم فهو لما استبان له أترك ، والمعاصي حمى الله فمن

يرتع حولها يوشك أن يدخلها .

و نظيره ما رواه في الوسائل عن الكراجكي في كتاب كنز الفوايد مسنداً عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : قال جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيـها النـاس حلالي حلال إلى يوم القيامة وحرامي حرام إلى يوم القيامة ألا و قد بيـنهماالله عزّ وجلّ في الكتاب وبيـنتهما لكم في سنـتي وسيرتي ، وبينهما شبهات من الشيطان و بدع بعدي من تركها صلح له أمر دينه و صلحت لمروّته وعرضه، ومن تلبّس بها ووقع فيها و اتبعها كان كمن رعى غنمه قرب الحمى ، و من رعى ما شيته قرب الحمى نازعته نفسه إلى أن يرعىها في الحمى ، ألا وإنّ لكلّ ملك حمى ألا وإنّ حمى الله عزّ وجلّ محارمه فتوقوا حمى الله ومحارمه ، الحديث .

(و لا تداهنوا فيهجم بكم الادهان على المعصية) و المراد بالمداهنة إمّا المساهلة للنفس فيكون هذه الجملة تأكيداً للجملة السابقة ، وإمـا ترك المناصحة والصّدق وإظهار خلاف ماتضمر أعني النفاق وهو الأظهر .

و منه الحديث القدسي لعيسى عليه السلام قل لمن تمرّد عليّ بالعصيان و عمل بالادهان ليتوقّع عقوبتي .

ومثله في حديث الباقر عليه السلام قال : أوحى الله عزّ وجلّ إلى شعيب النبيّ عليه السلام انـي معذّب من قومك مأة ألف أربعين ألفاً من شرارهم ، وستين ألفاً من خيارهم فقال : يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ فأوحى إليه داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي .

(عبادالله إنّ أنصح النـاس لنفسه أطوعهم لربـه) و ذلك لأنـه لماكان مقصود النـاصح بنصحه ايصال المنفعة إلى المنتصح و كان أعظم المنافع وأجلّهاهو السعادة الأبدية و العناية السرمدية المستفادة من طاعة الحضرة الربوبيـة ، لا جرم كان أنصح النـاس لنفسه أكثرهم طاعة لربـه .

(وإنّ أغشّ النـاس لنفسه أعصاهم لربـه) والغشّ خلاف النـصح وهو عبارة عن عدم الخلوص وعن اظهار خلاف ما يضمر ، ولما كان غرض الغاشّ من غشـه ايصال الضرر إلى المستغشّ

و كان أعظم المضارّ هو الشقاوة الأبديّة و العقوبة الدائمة الناشية من عصيان الحضرة الالهيّة ، لا جرم كان أغشّ النّاس لنفسه أكثرهم معصية لربّه .

وفي هاتين الجملتين من الأمر بالطاعة والتحذير عن المعصية ما لا يخفى ، إذ أحبّ الأشياء إلى الانسان نفس الانسان فهو دائماً طالب لمحابّها و منافعها . هارب عن مضارّها ومكارهها ، فيلزم له الاتيان بالطّاعة والحذر عن المعصية لكون الأولى جالبة للمحبوب والأخرى كاسبة للمكروه .

(والمغبون من غبن نفسه) أصل الغبن هو الخداع فالغابن خادع والمغبون مخدوع و الغبن في البيع هو بيع الكثير بالقليل ، ولمّا كانت الشّهوات الدّنيوية واللّذائذ العاجلة زهيدة قليلة في جنب الثّمرات الأخرويّة والمنافع الآجلة ، وكان المشتغل باللّذات الدّنية والصّارف عمره في الشّهوات الخسيسة قد فوّت على نفسه المنافع الكثيرة والنّعم الخطيرة، فكأنّه قد باع الكثير بالقليل وفوّت على نفسه الخطير بالحقير ، لا جرم كان هو غابناً لنفسه و خادعاً لها حيث بخسها ما تستحقّه من ثواب الله ورضوانه، ومنه قوله تعالى :

« يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ » .

قال الطبرسي في تفسيره : هو تفاعل من الغبن وهو أخذ شرّ وترك خير أو أخذ خير وترك شرّ فالمؤمن ترك حظه من الدّنيا وأخذ حظه من الآخرة فترك ما هو شرّ له وأخذ ما هو خير له فكان غابنا، والكافر ترك حظّه من الآخرة وأخذ حظّه من الدّنيا فترك الخير وأخذ الشرّ فيكون مغبوناً ، فيظهر في ذلك اليوم الغابن والمغبون هذا .

ولما كان السعادات الاخرويّة أنفس متاع لا متاع فوقه ، والغبن فيها أعظم غبن لا غبن مثله ، لذلك حصر عليه السلام المغبون فيمن غبن في ذلك وقال : المغبون من غبن نفسه على طريق المبالغة ، و مثله قوله عليه السلام (و المغبوط من سلم له دينه) فان سلامة الدّين لما كانت أعظم نعمة لا نعمة فوقها كان المنعم بذلك أحقّ بأن يغبط و يتمنّى مثل ماله من غير أن تريد زواله، وبهذا القيد يفترق الغبطة من الحسد

حسبما ستعرف .

(والسعيد من وعظ بغيره) أي السّعيد في الآخرة من لاحظ حال الغير فاتّعظ به بأن ينظر إلى حال الصّالحين و مالهم و ما أعدّ الله لهم و بشّرهم بـه في كتابه الكريم من الجنان و الغلمان و الحور العين والشراب من الكوثر و التّسنيم فيحذوحذوهم ويسلك مسالكهم ويلاحظ مصير المجرمين ومقرّهم وما هيّأ الله لهم و أنذ هم به من الجحيم وظلّ من يحموم وشراب من الزّقوم والحميم فيعدل عن جادّتهم ويتنحّى عن قدّتهم .

(والشّقيّ من انخدع لهواه) وغروره كما قال سبحانه :

« وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰيهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْـدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ » وقال أيضاً : « وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيا إِلّا مَتاعُ الْغُرُورِ »

أي الخداع الذي لا حقيقة له وهوالمتاع الرّدي الذي يدلّس به على طالبه حتّى يشتريه ثمّ يتبيّن له ردائته والشّيطان هوالمدلّس (واعلموا أنّ يسير الرّيا شرك) فكيف بكثيره كمامضى تفصيلا في شرح الخطبة الثالثة والعشرين بمالامزيد عليه (و مجالسةأهل الهوى منساة للايمان و محضرة للشّيطان)أراد بمجالسةأهل الهوى مجالسة أهل المعاصي و قد مضى بعض الأخبار النّاهية عنها في شرح كلامه الثالث عشر .

و أقول هنا : إنّ كون مجالسة أهل المعصية و مخالطتهم موجبة لنسيان الايمان ولحضور الشّيطان واضح ، لأنّ الفساق باقبالهم إلى اللّعب واللّهو والفسق والفجور والسّيئآت بما فيهم من دواعي الهوى والشّهوات يسوّد ألواح خاطرهم و يرين وجه قلوبهم فيغفلون بذلك عن ذكر الحقّ و تذكّر الآخرة ويزيد الغفلة شيئاً فشيئا ويشتدّ فيخرج نورالايمان من قلوبهم ويضمحلّ ويمحو ويحضر الشيطان في مجالسهم لاغوائهم و إضلالهم ، فمن جالس معهم و خالطهم يكون المجالسة والمخالطة لا محالة مؤثّرة فيه ، إذ المرء على دين خليله و قرينه فيقتدى بهم

ويحذو حذوهم و يعمل عملهم فيكون ناسي الايمان وقرين الشيطان مثلهم .

و يدلّ على ذلك الأخبار المستفيضة بل المتواترة ففي الوسائل عن الكلينيّ مسنداً عن غياث بن إبراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال : ما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلاّ حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين ، فان تكلّموا تكلّم الشّياطين بنحو كلامهم ، و إذا ضحكوا ضحكوا معهم ، فاذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم ، فمن ابتلى من المؤمنين بهم فاذا خاضوا في ذلك فليقم ولا يكن شرك شيطان ولا جليسه ، فانّ غضب الله لا يقوم له شيء ولعنته لا يردّها شيء ثمّ قال : فان لم يستطع فلينكر بقلبه وليقم ولو حلب شاة أو فواق ناقة .

وعن عمرو بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند النّاس كواحد منهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المرء على دين خليله وقرينه .

وعن أبي حمزة عن عليّ بن الحسين عليه السلام في حديث طويل إيّاكم و صحبة العاصين ومعونة الظّالمين ومجاورة الفاسقين ، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم.

وفيه من علل الشرايع مسنداً عن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال : قال عليّ بن الحسين عليه السلام ليس لك أن تقعد مع من شئت لأنّ الله تبارك وتعالى يقول :

« وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ » الحديث.

ومن كتاب صفات الشيعة معنعناً عن محمّد بن قيس عن أبي جعفر عن آبائه عن عليّ سلام الله عليه وعليهم قال: مجالسة الأشرار تورث سوء الظّنّ بالأخيار ، ومجالسة الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار ، ومجالسة الفجّار للأبرار تلحق الفجّار بالأبرار

فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه ، فان كانوا أهل دين الله فهو على دين الله ، و إن لم يكن على دين الله فلاحظّ لهم في دين الله ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كان يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يواخينّ كافراً و لا يخالطنّ فاجراً ، ومن آخى كافراً أوخالط فاجراً كان فاجراً كافراً ولنعم ما قيل في هذا المعنى:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلّ قرين بالمقارن يقتدي

ومن مجالس الشّيخ حسن ابن شيخنا الطّوسي قدّس الله رمسهما مسنداً عن أبي الخير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربعة مفسدة للقلوب : الخلوة بالنّساء ، والاستمتاع منهنّ ، والأخذ بأيهنّ ، ومجالسة الموتى فقيل : يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ومامجالسة الموتى؟ قال : كلّ ضالّ عن الايمان وجائر «حائر ظ» عن الأحكام، والأخبار في هذا المعنى كثيرة ولا حاجة إلى الزّيادة .

ثمّ أمر بمجانبة الكذب بقوله : (جانبوا الكذب) وقد مرّ الكلام في قبحه عقلا وشرعا في شرح كلامه الثالث والثمانين ويأتي تفصيل أقسامه في التذنيب الآتي، وعلّل عليه السلام قبحه هنا بقوله : (فانّه مجانب للايمان) و أراد عليه السلام بذلك أنّ كلاًّ من الكذب والايمان مجانب من الآخر وأن بينهما تباعداً و تجانباً .

وذلك على القول بكون الايمان عبارة عن مجموع المعرفة و ما يتبعها من الأعمال الصّالحة واضح ، لأنّ الصّدق على ذلك جزء للايمان والكذب مضادّ له فيكون مضادّاً للايمان ، وأمّا على كونه عبارة عن نفس المعرفة فلأنّ الايمان من أعظم الفضايل المنجية والكذب من أخس الرّذايل المهلكة والتباعد بين الفضيلة والرّذيلة والانجاء والاهلاك أيضاً ظاهر .

كما أشار إلى ذلك و أوضحه بقوله : (الصّادق على شفا منجاة و كرامة) أى على طرف من النجاة والكرامة ومشارف عليهما أوعلى طرف من محلّ النّجاة وقريب منها يكاد أن يقع فيها وفي الكرامة الدنيوية والأُخروية (والكاذب على شرف مهواة و مهانة) أى على مكان عال من الهوى والهوان أومشارف لمحلّ السقوط

والذلّة يكاد أن يسقط منها إلى الجحيم ويقع في العذاب الأليم قال الشاعر :

لا يكذب المرء إلاّ من مهانته أو عادة السّوء أومن قلّة الأدب
لعفن جيفة كلب خير رايحة من كذبة المرء في جدّ وفي لعب

ثمّ نهى عن الحسد بقوله : (ولا تحاسدوا) وهو من أعظم الموبقات على ما ستعرف تفصيلا في التذنيب الآتي إنشاء الله ، و علّله بقوله (فانّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب) و هذا التعليل ممّا تظافرت الأخبار به عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولاده المعصومين سلام الله عليهم .

و قد اتّفق الأخبار ككلام علمائنا الأبرار على أنّ الحسد مضرّ بالنّفس والجسد .

أمّا بالنّفس فقد قال الصّادق عليه السلام : الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود كابليس لعنه الله أورث بحسده له اللّعنة و لآدم عليه السلام الاجتباء والهدى والرّفع إلى محلّ حقايق العهد والاصطفاء ، فكن محسودا ولا تكن حاسداً ، فانّ ميزان الحاسد أبداً خفيف يثقل ميزان المحسود ، والرّزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وماذا يضرّ المحسود الحسد ؟

و قال العلماء : إنّ الحسد يذهل نفس الحاسد و يغرق فكره بالاهتمام بأمر المحسود حتّى لا يبقى له فراغ بتحصيل المنافع العايدة إليها بل و يمحو ما حصلت لها من الملكات الخيريّة والحسنات المنقوشة في جوهرها بطول تعوّد الحسد وتمادى اشتغال الفكر فيه و كثرة الحزن والهمّ ، لأنّ نعم الله سبحانه على عباده غير معدودة ، وفيوضاته غير متناهية ، فاذا كان حسد الحاسد على الخلق بتلك الآلاء والنعم دام عليه الهمّ والغمّ فيضيق وقته بل ينقطع عن اتيان الحسنات ويلقي نفسه في المهلكات وهو معنى قولهم عليهم السلام : إنّه يأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب؛ أى يستأصله ويفنيه و يبطله مثل استيصال النّار للحطب و إفنائها له .

وأمّا بالجسد فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما يرويه السّيد «ره» في الكتاب:

صحّة الجسد من قلّة الحسد .

وسرّه أنّ الحسود إذا دام عليه الحزن والغمّ بتواتر الآلاء والنعم على المنعم أورث ذلك له طول السهر وتمادى الفكر وضيق العيش وضنك المعيشة وقلّة الراحة ومضيق الباحة، فينقطع عنه الابتهاج ويؤدّي ذلك إلى فساد المزاج .

ثمّ نهى عن العداوة والبغضاء بقوله (ولا تباغضوا فانّها الحالقة) أى البغضاء خصلة مشؤمة كما أنّ المحبة والالفة ميمونة ، أو أنّها موجبة لقطيعة الرّحم ، وعلى تفسير الحالقة بما تحلق الشّعر وتستأصله من موسى و نحوه كما في شرحي المعتزلي والبحراني و إن لم أجده في كتب اللّغة فالكلام مبنيّ على الاستعارة ، يعني أنها مستأصلة للخلق أو للدّين أو كليهما كما أنّ موسى مستأصلة للشّعر .

نعم يدلّ على تفسيرهما ما رواه الغزالي في كتاب إحياء العلوم في باب ذمّ الحسد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : وقال : دبّ إليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشّعر و لكن حالقة الدّين والذي نفس محمّد بيده لا تدخلون الجنّة حتّى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتّى تحابّوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السّلام بينكم .

ومثله في الكافي باسناده عن مسمع بن عبدالملك عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حديث : ألا إنّ في التباغض الحالقة لا أعنى حالقه الشّعر ولكن حالقة الدّين .

وكيف كان فيدلّ على كراهة هذه الصّفة وشؤمها وإيجابها للقطيعة ولاستيصال النفوس والدّين والايمان أنّ نوع الانسان مدنيّ بالطّبع يحتاج في انتظام أمر معاشه ومعاده إلى الاجتماع والايتلاف والتعاون والتظافر ، وكان أقوى أسباب الاجتماع والتعاون هو المودّة والمحبّة والمؤاخاة ، ولذلك آخا رسول الله صلّى الله عليه وآله بين الأصحاب وحثّ على الجمعة والجماعة لتصفو الالفة وتخلص المحبّة ، ونهى عن التباغض لما يستلزمه من التقاطع و عدم التعاون و تسلّط أيادي الحاسدين عليهم و تحكّم آراء المعاندين وأهوائهم فيهم ، بل ربما ينجرّ إلى حسد بعضهم بعضا وبغى بعضهم على

بعض ، فلا تسلم لهم نعمة و لا تصفو لهم لذّة ، و لا يكون لهم فراغ العبادة ، بل يكون بذلك بوارهم وهلاكهم في الدّنيا والآخرة .

ولذلك ورد في غير واحد من الأخبار النّهي عنها والحثّ على التّحابّ والالفة.

مثل ما رواه الغزالي قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : سيصيب امّتي داء الأمم ، قالوا : وما داء الأمم ؟ قال عليه السلام : الأشر والبطر والتكاثر والتّنافس في الدّنيا والتباعد والتحاسد حتّى يكون البغى ثمّ الهرج .

وفي الكافي باسناده عن مالك بن أعين الجهني عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أدخل الله عزّ وجلّ يده بين أيديهما و أقبل بوجهه على أشدّهما حبّاً لصاحبه ، فاذا أقبل الله بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذّنوب كما يتحات الورق من الشّجر .

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : من زار أخاه في بيته قال الله عزّ وجلّ : أنت ضيفي و زائري عليّ قراك و قد أوجبت لك الجنّة بحبّك إيّاه .

وعن عدّة من أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : المؤمن مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف .

وعن حبيب الخثعمي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله فاضلكم أحسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافاً الّذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم .

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : المتحابّون في الله يوم القيامة على منابر من نور قد أضاء نور وجوههم ونور أجسادهم ونور منابرهم كلّ شيء حتى يعرفوا به فيقال : هؤلاء المتحابّون في الله .

وعن سماعة بن مهران عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ المسلمين يلتقيان فأفضلهما أشدّهما حبّا لصاحبه .

وعن أبي عبد الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : المتحابّون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء في ظلّ عرشه عن يمينه و كلتا يديه

يمين ، وجوههم أشدّ بياضاً وأضوء من الشّمس الطالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كلّ ملك مقرّب و كلّ نبيّ مرسل يقول الناس : من هؤلاء؟ فيقال : هؤلاء المتحابّون في الله .

وعن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : إذا جمع الله الأوّلين و الآخرين فنادى مناد يسمع النّاس فيقول : أين المتحابّون في الله ؟ قال : فيقوم عنق من النّاس فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنّة بغير حساب ، قال : فتلقّيهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنّة بغير حساب ، قال : فيقولون : فأىّ ضرب أنتم من النّاس ؟ فيقولون : نحن المتحابّون في الله ، قال : فيقولون : وأيّ شيء كانت أعمالكم ؟ قالوا : كنا نحبّ في الله و نبغض في الله ، قال عليه السلام : فيقولون : نعم أجر العاملين .

وعن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك ، فان كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبّك ، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من أحبّ ، هذا .

وبهذه الأخبار يعلم أنّ المقصود بالحبّ والبعض في الأخبار المطلقة الآمرة بالأوّل والناهية عن الثّاني هو حبّ المؤمن وبغضه ، فيجب تقييد اطلاقها بذلك وإلاّ فقد علمت أنّ بغض المنافق و الكافر والعاصي مطلوب كحبّ المؤمن و بغضه منهىّ عنه كحبّهم ، فالمدار في الحبّ والبغض على ماكان لله وفي الله .

ثمّ إنّه نبّه على مفاسد طول الأمل ونهى عنه بقوله (و اعلموا أنّ) طول (الأمل) في الدّنيا (يسهى العقل) ويغفله عمّا يجذبه إلى الله (وينسى الذكر) أى يوجب نسيان ذكر الموت والآخرة وماهو نافع فيها .

وذلك لأنّ طويل الأمل لافتتانه بالدّنيا ولذّاتها وشهواتها وحبّه لها وتمنّيه طول البقاء فيها يكون أوقاته مستغرقة في ذكرها و حديثها ، وهمّته مصروفة إلى تهيّة مقتضيات هواه ، و نظره مقصوراً في تحصيل مآربه ومناه ، فيوجب ذلك غفلة العقل ونسيان الذكر إذ من أحبّ شيئاً كره الفكر فيما يضادّه و يعانده و مضادّة

العقل للهوى وذكر الآخرة لذكر الدّنيا واضح لاغبار عليها كما قد مضى مفصّلا في شرح الخطبة الثّانية والأربعين .

(فاكذبوا الأمل) بكثرة ذكر الموت و دوام اخطاره بالبال في الأيام و اللّيال، و ملاحظة أهوال المعاد و شدايد يوم التّناد ، فانّ ذلك يوجب ردّ الأمل و تكذيبه .

وإنّما سمّى ردّ الأمل تكذيباً له ، لأنّ النفس حال تمنّيها للمأمول تحكم حكماً وهميّاً بنيله وإدراكه ، فاذا رجعت إلى صرف العقل وجوّزت بحكمه إمكان نزول الأجل قبل بلوغ الأمل كان تجويزها ذلك مكذّباً لما جزم به الوهم من الأحكام ورادّاً له عن ذلك .

و علّل تكذيبه بقوله (فانّه غرور وصاحبه مغرور) يعني أنّ الأمل موجب للغرور و الغفلة ولا أصل له ولا حقيقة إذ ربّ شيء تأمله النّفس تنقطع دونه فهو في الحقيقة ونفس الأمر :

« كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ ماءً حَتّىٰ إذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفّيهُ حِسابَهُ وَ اللهُ سَريعُ الحِسابِ » .

تذنيبان الاول في الكذب

وقد مرّ شطر من الكلام في قبحه عقلا وشرعا مع طائفة من الأخبار الواردة فيه في شرح الكلام الثالث و الثمانين ، و أردنا هنا اشباع الكلام فيه وفي تفصيل أقسامه و أحكامه .

فأقول : إنّ الكذب من قبايح الذّنوب و فواحش العيوب و يترتّب عليه من المفاسد الدّينية والدّنيويّة مالا يحصى ، مثل كونه خرّابا للايمان ، وجلاّباً لسخط الرّحمن ، و موجباً لاهراق الدّماء و انتهاب الأموال ، و باعثاً على تحليل الفرج

الحرام و تحريم فرج الحلال .

إذ من دنائة الكذب أنّه يردّ شهادة صاحبه وإن كان صادقاً ، ومن شرافة الصّدق أنّه يقبل شهادة المتّصف به وإن كان كاذباً ، ومنشأ الكذب دنائة الهمّة وقلّة المروّة وغلبة الحرص والخسّة ، ومنشأ الصّدق ارتفاع الهمّة وغلبة المروّة وكمال الفتوّة

والكذب شعار خلق ، ومورد رنق ، وأدب سيّيء ، وخلق رديّ ، وعادة خسيسة ، وصفة خبيثة ، وقلّ مايجلب به الالفة ، وقلّ من ألفه إلاّ أتلفه ، والصّدق لباس بهيّ وجوهر درّيّ ، و صفة وصيفة ، وحالة شريفة. جالبة للالفة ، كاسبة للمودّة ، خدمته القلوب بالمحبّة ، لحظته العيون بالمهابة .

و كفى لقبحه شرعاً لولم يرد به خبر إلاّ قول أمير المؤمنين في رواية الكافي عن أصبغ بن نباتة عنه عليه السلام لا يجد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجدله « جدّه ظ » و كيف بذلك و الأخبار الواردة فيه فوق حدّ الاستفاضة كما مضى سابقاً .

ويزيد على ساير المعاصي بأنّ أصحاب الكباير ربّما يلحقهم الحياء والخجل من سوء عملهم ، ويرجعون عن عملهم القبيح ويتوبون عنه ، و أمّا الكاذب فلا يستحيى من كذبه لكونه كثير الاستعمال ومأنوساً مرفوع القبح عن نظره ، ومن تعوّد نفسه بذلك قلّ أن يرتدع عنه .

و من هنا قيل رأيت شريب خمر نزع ، ولصّاً أقلع ، و صاحب فواحش ارتدع وما رأيت كاذباً رجع .

إذا عرفت ذلك فنقول : إنّ الكذب على قسمين : شرعيّ وغير شرعيّ ، وأعنى بالشّرعي مايجوز في الشّرع جوازاً بالمعنى الأعم ، وبالغير الشرعي خلافه وأعني به الحرام وهو على قسمين جليّ وخفيّ **أما الجلى** فهو على قسمين .

أحدهما الكذب في حقّ النّاس أو في حقّ نفسه أو غيرهما ، بأن يقول : وعدني فلان كذا مع أنّه لم يعده بشيء أو يقول أعطيت فلانا كذا مع أنّه لم يعطه شيئاً ، أو أنّي عالم بكذا مع أنّه جاهل به ، أو نحو ذلك .

ومحصّله أن يخبر عن نفسه أو عن الغير كائنا ماكان بخبر مخالف للواقع، و أكثر الأخبار الواردة فيه محمول على هذا القسم و يزيد شناعته بأن يكذب ثمّ يروّج كذبه بالحلف بالله، وهو الّذي بارز الله بالمحاربة و يمينه هذه تذر الديّار بلاقع من أهلها وتثقل الرّحم وتوجب انقطاع النّسل وتدخل النّار و تبعث غضب الجبّار كما ورد في غير واحد من الأخبار، وقد عقد في الوسائل باباعليها .

وثانيهما الكذب على الله ورسوله والأئمّة قال تعالى :

« فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ».

و من هذا القسم الأخبار الموضوعة و الأحاديث المجعولة في زمن النبيّ صلّى الله عليه وآله وبعده في زمن بني أُميّة وبني العبّاس لعنهم الله .

قال أمير المؤمنين عليه السّلام في رواية الكافي الطّويلة : و قد كذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله في عهده حتّى قام خطيباً فقال : أيّها النّاس قد كثرت على الكذّابة فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من نار، هذا .

وأوّل من فتح باب هذا الكذب بعد النبيّ هم المتخلّفون الثلاثة حيث إنّهم قالوا إنّ النبيّ مات ولم يوص في الخلافة بشيء فاغتصبوا بذلك الخلافة ورووا حديثاً مجعولا من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فنهبوا حقّ فاطمة سلام الله عليها وغصبوا فدك ولحقهم التابعون وحذوا حذوهم .

ومن عجيب ماروى أنّ علم الهدى (قده) وقع بينه وبين علماء العامّة مناظرة فانجرّ الكلام إلى الأخبار التي وضعوها في فضايل مشايخهم قال (ره) : إنّ هذه الأخبار كلّها موضوعة فقالوا من يقدر أن يكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟ فقال لهم : قد ورد في الرواية عنه أنه صلّى الله عليه وآله قال في حياته : ستكثر عليّ الكذّابة بعد موتى

فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النّار ، فهذا الحديث إمّا صدق أو كذب وعلى التّقديرين يثبت المطلوب .

و كيف كان فأكثر من ابتلا بهذا القسم من الكذب العلماء السّوء ، ويلحق به ما اعتاده الناس في محاوراتهم من أنّهم يكذبون ثمّ يقولون: الله ورسوله أعلم .

روى في الوسائل من الكافي باسناده عن وهب بن عبد ربّه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قال الله يعلم فيما لا يعلم اهتزّ لذلك عرشه إعظاماً له .

وعن أبان بن تغلب قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا قال العبد: علم الله و كان كاذباً قال الله : وما وجدت أحداً تكذب عليه غيري ؟ .

و هذا القسم من الكذب أعنى الكذب على الله و رسوله والأئمّة صلوات الله وسلامه عليهم ممّا ورد في الأخبار أنّه ينقض الوضوء و الصّوم .

أمّا نقضه الصّوم فهو المشهور بين علمائنا الأخيار .

و أمّا نقضه الوضوء فليس بذلك ، وحملها الشّيخ قدّس الله روحه على نقضه الفضل والكمال والوجه الذي يستحقّ به الثواب ، وبعض من قال بإبطاله الصّوم ربّما عمّمه بكونه في الدّنيا و الدّين سواء كان في الأحكام أو في الفتاوى، وسواء أسنده إلى الله وإليهم عليهم السلام أم لا ، وسواء كان الإخبار بالقول أم بالكتابة أم الاشارة والتفصيل في كتب الفقه .

و أما الكذب الخفى فهو أن تخبر عن نفسك أو تخاطب ربّك بما لا حقيقة له ولا أصل أو تقول شيئاً و أنت تعمل بخلافه مثل أن تقول : أستغفر الله وأتوب إليه فانّك تظهر التّوبة وأنت غير راجع عن الخطيئة ولا قالع عن المعصية .

ولذلك روى عن ربيع بن خثيم أنّه قال : لا تقل أستغفر الله وأتوب إليه ، فانه كذب بل قل أستغفر الله و أسأله التّوبة .

أو تقوم بين يدي ربّك في كلّ يوم وليلة وتقرء فاتحة الكتاب في صلواتك وأقلّه عشر مرّات وتقول لربّك الحمد والثّناء لك أيّها المربّي لنا الرّحمن الرّحيم

بنا المالك لأمورنا في يوم وفودنا عليك فنحن نخصّك بالعبادة لا نعبد سواك ، فإنّا لو رجعنا إلى أنفسنا وأنصفنا نعرف أنّنا كاذب في ذلك المقال وخاطيء في تلك الدّعوى ، وكيف نكون صادقاً مع ما نحن عليه من إطاعة الشّيطان و عبادته وانقياد أمره ونهيه وانفاذ حكمه والعمل بما يريده ، و من إطاعة النّفس الأمّارة والقيام بما تهويه وتشتهيه مضافاً إلى الرّيا والشّرك الّذي نخفيه .

ونعم ما قال ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى :

« وَلا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ » .

إنّه تعالى نهاك عن الاثنين و أنت اتّخذت الألوف فما أقلّ حياؤك

و قال تعالى :

« أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰيهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً » .

فقد جعل سبحانه إرادة النّفس وامنيّاتها الباطلة إلهاً ، وإذا كان هذه حالنا فكيف يصحّ منّا دعوى تخصيصه تعالى بالعبادة ، وكيف نجترى على مواجهته بذلك الخطاب الكاذب مع علمه بما في الصّدور والضّماير وإحاطتة بالبواطن والسّراير، فكأنه ظننّا أنه سبحانه أعجز من جميع الالهة حتّى خصّصناه بالكذب .

ومثله قولنا : إيّاك نستعين ، على طريق الحصر فانّا إذا رجعنا إلى وجداننا ولا حظنا حالنا عرفنا أنّا نستعين في أمورنا من كلّ من سواه سبحانه نعم إذا آيسنا من الخلق رجعنا إلى الخالق فكيف نخصّه بالاستعانة ونطلب منه الاعانة ، ولو تأمّلنا في هذا الكذب الخفيّ وجدناه أضرّ بأحوالنا من الكذب الجليّ لما نعيّنه من قبول الطّاعات ومن التأهّل للقيام على بساط المناجات ، وإيراثه الحسرة والندامة وملامة النّفس اللوّامة يوم القيامة .

فواحسرتاه على ما فرّطنا في جنب الله ، وواطول كربتاه على ما استخففنا في عبادة الله .

أيّها النّفس الخاطيء والقلب الجاهل القاسي بأنّك لو واجهت أحداً من النّاس وقلت له : إنّي لا أتردّد إلاّ إلى بيتك ، ولا ثقة لي إلاّ بك ، ولاعون لي سواك ، ولا رجاء لي غيرك ، ولا صديق لي دونك ، مع علمك بأنه يعلم أنّك تتردّد إلى كلّ أحد وتثق بكلّ أحد وتستعين من غيره أكثر من التردّد والوثوق والاستعانة منه ، ولك أصدقاء كثيرون سواه ، لاستحييت من عندك وكنت خجلا من هذا المكذب الذي واجهته به وتنفعل من ملاقاته والمراجعة إليه إلاّ بعد زمان طويل ومدّة متطاولة وأنت هنا إذ كان أوّل النّهار قلت إيّاك نستعين ، ثمّ إذا جاء الظّهر قلت مثل ذلك ، وهكذا مع أنّك تعمل بين هذين القولين وفيهما وبعدهما بخلاف ماقلت وتستعين الخلق وتأملهم وترجو منهم .

أفلا تعلم أنّ من توجّه بحاجته إلى الخلق أوجعله سبب نجحها فقد تعرّض للحرمان واستحقّ من عنده سبحانه الخسران وفوات الاحسان .

فان شئت أن تعرف ذلك بعين اليقين فانظر إلى موسى بن عمران فانّه توسّل بالفقر إلى الحقّ وقال :

« رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » .

فقيّض الله له شعيبا عليه السلام حتّى دعاه وآواه وزوّجه بنته وأعطاه العصا واليد البيضاء وبلغ أمره إلى ما بلغ .

وانظر إلى يوسف بن يعقوب كيف خاب حيث استعان من المخلوق .

« وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ » .

روى في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قرء في بعض الكتب ان الله تعالى يقول : وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعنّ أمل كلّ مؤمّل من الناس أمل غيري باليأس ، ولأكسونّه ثوب المذلّة عند النّاس ، ولأنحيّنّه من

قربى ، ولا بعدّنه من وصلي أيؤمّل غيري في الشّدايد والشّدايد بيدي ، و يرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري و بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ، فمن ذا الّذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها ، و من ذا الّذي رجاني لعظيمة فقطعت رجائه منّي، جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممّن لا يملّ من تسبيحي، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي ، فلم يثقوا بقولي ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنّه لا يملك كشفها أحد غيري إلاّ من بعد إذني، فمالي أراه لاهيا عنّي أعطيته بجودي مالا يسألني ثمّ انتزعته عنه فلم يسألني ردّه وسأل غيري ، أفيراني أبدء بالعطاء قبل المسألة ثمّ أسأل فلا أجيب سائلي أبخيل أنا فيبخلني عبدي، أوليس الجود والكرم لي؟ أوليس العفو والرحمة بيدي؟ أو ليس أنا محلّ الآمال فمن يقطعها دوني ؟ أفلا يخشى المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري ؟ فلو أنّ أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعاً ثمّ اعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي مثقال ذرّة ، و كيف ينقص ملك أنا قيّمه ؟ فيا بؤساً للقانطين من رحمتي ، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني هذا .

وبقي الكلام في الكذب الشرعي وأعنى ما هو سايغ في الشرع المطّهر وتحقيقه يحتاج إلى تمهيد مقدّمة وهي :

إنا قد حقّقنا في الأصول أنّ الأحكام الشّرعية تابعة للمصالح والمفاسد الواقعيّة وبيّنا هناك أنّ حكم الشّارع المقدّس بوجوب شيء أو حرمته من جهة أنه أدرك فيه حسنا ملزما واقعياً فحكم بوجوبه ، أو قبحاً ملزما واقعيّاً فحكم بحرمته ، خلافا للأشاعرة القائلين بأنّ الحسن والقبح إنّما هو تابع للأمر والنّهى و بأنّ الصّلاة مثلا إنّما هي حسنة لتعلّق الأمر بها والكذب قبيح لتعلّق النّهى عليه؛ وأنّه لو نهى الشارع عن الأولى وأمر بالثّاني لكان الأولى قبيحة والثّاني حسنا ، وقد حقّقنا بطلان هذا المذهب وفساد هذا القول في الأصول بما لا مزيد عليه .

إذا عرفت ذلك فنقول : إنّ حرمة الكذب إنّما هي من أجل ما فيه من المفسدة الواقعيّة ، كالضّرر على المخاطب أوغيره أو نحو ذلك ممّا قدّمنا ، وأقلّ

درجات تلك المفسدة هو إلقاء المخاطب في بيداء الجهالة واعتقاده للشيء على خلاف ما هو عليه، فتلك المفسدة فيه صارت مقتضية لحرمته.

فلو فرضنا أنّ هذه المفسدة الواقعيّة كانت متعارضة بجهة حسن و مصلحة في الظاهر متداركة بها تلك المفسدة كالكذب المتضمّن لانجاء نفس محترمة من القتل مثلا ارتفعت الحرمة قطعاً، لانتفاء سببها.

ومثله المصلحة الواقعيّة الّتي في الصّدق، فانها اقتضت وجوبها، فلو فرضنا معارضتها لمفسدة ظاهريّة راجحة عليها كالصدق المتضمّن لقتل نبيّ مثلا تبدّل حكم الوجوب فيه بالحرمة فيكون الصدق حينئذ حراما.

ثم أقول: إنّ جهات المفسدة الواقعية في الكذب لو كانت مساوية لجهات المصلحة الظاهرية فيه كان الكذب حينئذ مباحا، لتساوي مقتضيات الحسن والقبح، و ذلك كالكذب في الوعد للأهل والأولاد على ما سيأتي في الأخبار، و لو كانت جهة المفسدة راجحة فهو حينئذ باق على حرمته.

ولو كانت جهة المصلحة راجحة فامّا أن تكون ملزمة له فيكون حينئذ واجبا كالكذب والخديعة في الحرب توصّلاً إلى قتل الكافر الواجب؛ و إمّا أن لا تكون ملزمة فيكون حينئذ مستحبّا كالكذب لا صلاح ذات البين.

و إذا ظهر لك ذلك فاعلم أنّه قد رخّص لنا أهلُ البيت الأطهار سلام الله وصلواته عليهم ما تعاقب اللّيل والنّهار في بعض أقسام الكذب في أخبارهم المأثورة ولا بأس بالاشارة إليها.

فأقول: روى ثقة الاسلام الكلينيّ في الكافي عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد ابن عيسى عن أبي يحيى الواسطي عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الكلام ثلاثة: صدق و كذب و إصلاح بين الناس، قال: قيل له: جعلت فداك ما الاصلاح بين النّاس؟ قال: تسمع من الرّجل كلاما يبلغه فيخبث نفسه فتلقاه فتقول قد سمعت منّ فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه.

وعن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن صفوان عن أبي مخلد السّراج عن عيسى بن

حسان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : كلّ كذب مسئول عنه صاحبه يوماً إلاّ كذبا في ثلاثة : رجل كايد في حربه فهو موضوع عنه ، و رجل أصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما ، و رجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتمّ لهم .

بل المستفاد من الأخبار الاُخر جواز الحلف باليمين الكاذبة لدفع ظلم الظّالم عن نفسه أو ماله أو نفس أخيه المؤمن أو ماله .

مثل ما رواه في الوسائل عن الصدوق باسناده عن ابن بكير عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : نمرّ بالمال على العشّار فيطلبون منّا أن نحلف لهم فيخلّون سبيلنا ولا يرضون منّا إلاّ بذلك، قال عليه السلام فاحلف لهم فهو أحلى «أحلّ خ» من التمر والزّبد ، قال : وقال أبوعبدالله عليه السلام : التّقية في كلّ ضرورة و صاحبها أعلم بها حين تنزل .

و عنه باسناده عن الحلبيّ أنه سأل أبا عبدالله عليه السلام : عن الرّجل يحلف لصاحب العشور يحرز بذلك ماله ، قال : نعم .

قال : وقال الصّادق عليه السلام :اليمين على وجهين إلى أن قال : فأمّا الذي يوجر عليها الرّجل إذا حلف كاذباً و لم تلزمه الكافرة فهو أن يحلف الرّجل في خلاص امرء مسلم أو خلاص ماله من متعدّ يتعدّى عليه من لصّ أوغيره .

و فيه عن الشّيخ باسناده عن السّكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : احلف بالله كاذبا و نجّ أخاك من القتل .

إلى غيره مما رواه فيه و عقد عليه باباً ، والله الهادي وهو العاصم من هفوات الجنان وسقطات اللّسان .

الثاني في الحسد

وهو من أعضل الدّاء وأكبر المعاصي و أفسدها للقلب وجرح لايبرء ، والكلام فيه في مقامات :

المقام الاول فى حده

و قد عرّف بأنه انبعاث القوّة الشهوية إلى تمنّي مال الغير و حاله التي هو عليها وزوالها عن ذلك الغير ، وهو مستلزم لحركة القوّة الغضبيّة وعرّفه الغزالي في احياء العلوم بأنّه كراهة النّعمة وحبّ زوالها من المنعم عليه ، ويقابله الغبطة و هو أن لا تحبّ زوال النعمة و لا تكره وجودها و دوامها ولكن تشتهى لنفسك مثلها ، والثاني أعمّ من الأول لشموله مالو أحبّ زوال النّعمة عن المنعم عليه وإن كان لايتمنّاها لنفسه ، وهو ناش عن غاية خبث الطّينة وسوء السّريرة وأشدّ مما لو أحبّ زوالها عنه وانتقالها إليه فالحدّ الثّاني أولى

الثانى فى الآيات والأخبار الواردة فيه

فأقول قال سبحانه : « وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ » .

فقد أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله بالاسعاذة من شرّ الحاسد بعد أن أمره بالاستعاذة من شرّ السّاحر فأنزله منزلته ، وقال في معرض التوبيخ :

« أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ » وقال : « إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها » .

فانّ مسائتهم من إصابة الحسنة و فرحهم باصابة السّيّئة دليل على حسدهم وقال :

« وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » .

و في الكافي عن داود الرّقي قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : اتّقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا إنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان من شرايعه السيح في البلاد فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللّزوم لعيسى عليه السلام فلما انتهى عيسى إلى البحر قال : بسم الله ، بصحّة يقين منه فمشى على ظهر الماء ، فقال الرّجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام جازه : بسم الله بصحّة يقين منه

فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام فدخل العجب بنفسه فقال: هذا عيسى عليه السلام روح الله يمشي على الماء و أنا أمشى على الماء فما فضله عليّ قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليه السلام فتناوله من الماء فأخرجه ثمّ قال عليه السلام له: ما قلت ياقصير قال: قلت: هذا روح الله يمشى على الماء و أنا أمشى على الماء فدخلنى من ذلك عجب فقال له عيسى عليه السلام: لقد وضعت نفسك في غيرالموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله عزّ وجلّ ممّا قلت قال عليه السلام: فتاب الرّجل وعاد إلى مرتبته الّتي وضعه الله فيها فاتّقوا الله ولا يحسدنّ بعضكم بعضاً.

و عن معاوية بن وهب قال: قال أبوعبدالله عليه السلام آفة الدّين الحسد و العجب والفخر.

و عن داود الرّقي عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله تعالى لموسى بن عمران: لا تحسدنّ النّاس على ما آتيتهم من فضلي و لا تمدّنّ عينيك إلى ذلك ولاتتبعه نفسك فانّ الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الّذى قسمت بين عبادي ومن كان كذلك فلست منه وليس منّي.

و عن فضيل بن عياض عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إنّ المؤمن يغبط و لايحسد والمنافق يحسد ولايغبط.

وعن محمّد بن‌مسلم قال: قال أبوجعفر عليه السلام: إنّ الرّجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر وإنّ الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب.

وفي الوسايل من المجالس مسنداً عن أبي بصير قال: قال أبوعبدالله الصّادق عليه السلام أُصول الكفر ثلاثة: الحرص، والاستكبار، والحسد.

و في الأنوار النّعمانيّة للسّيد المحدّث الجزايري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ستّة يدخلون النّار قبل الحساب بستّة: الأمراء بالجور، و العرب بالعصبيّة والدّهاقين بالكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرّستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد

قال وفي حديث آخر إنّ الحسد عشرة أجزاء منها تسعة بين العلماء وواحد في النّاس و لهم من ذلك الجزء الحظّ الأوفر، وروى ما رواه أولا الغزالي في

احياء العلوم عن النّبيّ ﷺ مثله إلى غير هذه ممّا وردت فيه .

و قد استفيد منها ومن الآيات السّابقة حرمته و كونه من أعظم الموبقات مضافاً إلى اجماع علماء الاسلام عليه .

فان قلت : فكيف التّوفيق بين هذه الأدلّة وبين حديث رفع التسعة المعروف بين الفريقين ، والمرويّ في الوسايل عن الصّدوق في التّوحيد والخصال بسند صحيح عن حريز بن عبدالله عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : رفع عن أمتي تسعة أشياء : الخطاء ، و النسيان ، وما اكرهوا عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون و ما اضطرّوا إليه ، و الحسد ، و الطيرة ، و التّفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطقوا بشفة ، فانّ المراد برفع تلك الأمور إمّا رفع جميع آثارها التي منها المؤاخذة عليها ، أورفع خصوص المؤاخذة ، وعلى التقديرين فيدلّ على رفع المؤاخذة على الحسد وعدم كونه معصية فينا في الأدلّة السابقة .

قلت : قد جمع بينهما شيخنا العلاّمة المرتضى الأنصاري (قد) في الرّسائل بحمله على مالم يظهر الحاسد أثر حسده بلسان أو غيره بجعل عدم النطق باللّسان قيداً له .

قال (ره) : و يؤيّده تأخير الحسد عن الكلّ في مرفوعة الهندي عن أبي عبدالله عليه السلام المرويّة في أواخر أبواب الكفر والايمان من أصول الكافي قال : قال رسول الله ﷺ : وضع عن أمّتي تسعة أشياء : الخطاء ، والنسيان ، ومالا يعلمون ومالا يطيقون ، وما اضطرّوا إليه ، وما استكرهوا عليه ، والطيرة ، والوسوسة في التفكّر في الخلق ، والحسد مالم يظهر بلسان أو يد الحديث .

قال (ره) : و لعلّ الاقتصار في النبويّ الأوّل على قوله ما لم ينطق لكونه أدنى مراتب الاظهار .

قال : و روى ثلاثة لا يسلم منها أحد: الطيرة ، والحسد ، والظّن ، قيل : فما نصنع ؟ قال : إذا تطيّرت فامض ، و إذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلا تحقّق ، والبغي عبارة عن استعمال الحسد .

قال : ولأجل ذلك عدّ في الدّروس من الكبائر في باب الشّهادات إظهار الحسد لانفسه ، وفي الشرايع إنّ الحسد معصية وكذا بغض المؤمن والتظاهر بذلك قادح في العدالة ، ثمّ قال : و الانصاف أنّ في كثير من أخبار الحسد إشارة إلى ذلك انتهى كلامه رفع مقامه .

أقول : أمّا استشهاده بكلام صاحب الشّرايع ففيه مالا يخفى لصراحتها في كون نفس الحسد معصية ، و كون التظاهر به قادحا في العدالة إنّما هو لأجل كونه طريقاً إليه لا من حيث موضوعيّته فيه ، ولعلّ ذلك أيضاً مراد الشّهيد في الدّروس فانظر ما ذا ترى .

و أمّا ماقاله من أنّ في كثير من أخبار الحسد إشارة إلى ذلك فهو صحيح ومن جملة تلك الأخبار ، ما رواه في الوسائل من مجالس الشّيخ حسن ابن شيخنا الطوسي (ره) معنعناً عن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم لأصحابه : ألا إنّه قد دبّ اليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد ليس بحالق الشعر لكنه حالق الدّين وينجى فيه أن يكفّ الانسان يده ويخزن لسانه ولا يكون ذاغمر على أخيه المؤمن .

قال صاحب الوسائل بعد روايته : وتقدّم ما يدلّ على العفو عن الحسد الّذي لا يظهر أثره .

وفيه من الكافي باسناده عن حمزة بن حمران عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ثلاثة لم ينج منها نبيّ فمن دونه : التّفكّر في الوسوسة في الخلق ، والطيرة ، والحسد إلاّ أنّ المؤمن لا يستعمل حسده هذا .

و قال شيخنا السّيد قدّس الله روحه في مجلس الدّرس : الأقرب حمل رفع المؤاخذة على الحسد في حديث رفع التّسعة على ماكان من قبيل الخطرات القلبيّة الزائلة بسرعة و حمل مادلّ على حرمته و كونه من الكباير على ما عداه ممّا اشتدّ و تأكّد .

الثالث في اسباب الحسد

وهي كثيرة وحصرها الغزالي في إحياء العلوم في سبعة : العداوة ، و التعزّز و التكبّر ، والتعجّب ، و الخوف من فوت المقاصد المحبوبة ، و حبّ الرياسة ، و خبث النّفس .

أمّا العداوة وهي أشدّ الأسباب ومعناها أن تكره النّعمة على غيرك لكونه عدوّاً لك و كونك مبغضا له فانّ البغض إذا رسخ في النّفس يقتضي التشفّي والانتقام وربما يعجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه فيتمنّى زوال النعمة من المبغوض ويكون زوالها منه موجبا لفرحه كما أنّه يفرح إذا ابتلى ببليّة أو أصابته مصيبة و يكون ذلك تشفّيا لخاطره ، وقد وصف الله سبحانه الكفار بهذه الصّفة في قوله : « وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ » و قوله : « إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها ».

و هذا القسم من الحسد ربما يفضى إلى القتال و الجدال واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسّعاية وطلب أسباب زوالها على كلّ حال .

وأمّا التعزّز فهو أن يثقل عليه ترفّع غيره عليه فاذا أصاب بعض نظرائه وأمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف من تكبّره عليه و هو يشقّ عليه ذلك ولا يسمح نفسه تحمّل ذلك فلا يرضى بكونه منعما عليه بتلك النّعمة حذراً من ذلك ، ومحصّله الخوف من تفاخر الغير عليه لا حبّ تفاخره على الغير وربما يرضى بمساواته له .

و أمّا التّكبّر فهو أن يكون في طبعه أن يتكبّر على الغير ويترفّع عليه ويكون الغير منقاداً له مطيعا لأمره ونهيه صاغراً عنده ، فاذا نال نعمة خاف من عدم إطاعته و انقياده له و عدم إمكان ترفّعه عليه كما كان أو ترقّيه إلى مقام يترفّع هو عليه فيكون مطيعا بعد ما كان مطاعا، ومتكبّراً عليه بعد ما كان متكبّراً ،

ومن هذا الباب كان حسد كفّار قريش في حقّ النبيّ صلّى الله عليه وآله إذا قالوا كيف يتقدّم علينا غلام يتيم ويكون رسولا علينا ونكون مطيعا له كما حكى الله عنهم بقوله :

« وَ قالُوا لَوْلا أُنزِلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ »

وأرادوا بذلك نزوله على الوليد بن المغيرة لعنه الله أو أبي مسعود عروة بن مسعود الثقفي أو غيرهما لأجل كون هؤلاء من رؤساء القبايل و ذوي الأموال الجسيمة وعظيم المنزلة عندهم لا يثقل عليهم التّواضع والطاعة لهم كما كان يثقل عليهم طاعته صلّى الله عليه وآله .

و أمّا التّعجب فهو أن تكون النّعمة عظيمة و المنصب جليلا فيتعجّب من فوز مثله بمثل تلك النعمة كما حكى الله سبحانه عن الأمم السّابقة بقوله .

« إِذْ قالُوا ما أَنْتُمْ إِلّا بَشَرٌ مِثْلُنا » « وَ قالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا » « وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ » .

فتعجّبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والزلفى من الله بشر مثلهم فحسدوا وأحبّوا زوال النبوّة عنهم إشفاقا من أن يفضل عليهم من هو مثلهم في البشريّة و لم يكن مقصودهم إظهار كبر ولا طلب رياسة و لا بينهم سابقة عداوة أو نحو ذلك من ساير أسباب الحسد .

وأمّا الخوف من فوت المقاصد العظيمة فهو يختصّ بمتزاحمين على مقصود واحد ، فانّ كلّ واحد منهما يحسد صاحبه ويريد انفراده بذلك المقصود ، و من هذا الباب تحاسد الضرّات في مقاصد الزّوجية وتحاسد الاخوة من أجل تزاحمهم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصّل إلى مقاصد الكرامة والشرافة أو المال والعزّة كما وقع من اخوة يوسف عليه السّلام في حقّه ومن قابيل في حقّ هابيل ، ومنه أيضا تحاسد الواعظين والرّائين ونحوهما .

وأمّا حبّ الرّياسة فمنشأه حبّ الاختصاص بنعمة لا يشاركه فيها غيره ، وحبّ

ثناء النّاس له وفرحه بتفرّده بها، فاذا رأى مشاركاً له فيها سائه ذلك، وهو غالب في العلماء السّوء فانّهم يحبّون أن يكونوا مرجعاً للنّاس وملجئاً، ويكون تردّدهم إليهم ولا يرضون بمشاركة الغير لهم.

و من هذا الباب كان حسد علماء اليهود لرسول الله ﷺ، فانّهم كانوا ينكرون معرفته ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم و استتباعهم مهما انسخ علمهم.

و منه أيضاً كان حسد الخلفاء الثلاثة لأمير المومنين عليه السلام مضافاً إلى العداوة و البغضاء التي كانت فيهم وغير ذلك من الأسباب السابقة، إذ لا امتناع في اجتماع الأسباب المتعدّدة.

و الفرق بين هذا القسم و سابقه اشتراط التّزاحم على المقصود في السّابق دون ذلك، إذ ربّما ترى عالما أوصانعا يختصّ بفنّ مخصوص من العلم أو الصّناعة يمدحه النّاس بأنه فريد دهره ووحيد عصره في ذلك الفنّ أو الصّناعة، فانّه لو سمع في أقصى البلاد بنظير له فيه لساءه ذلك وأحبّ موته أو زوال النّعمة عنه.

وأمّا خبث النّفس فالحسد بذلك خارج عن جميع الأقسام السّابقة، فانّك ترى من النّاس من ليس غرضه في رياسة ولا تعزّز ولا تكبّر إذا وصف عنده حال عبد من عباد الله فيما أنعم الله به عليه يشقّ عليه ذلك وإذا وصف له اضطراب أمور النّاس و إدبارهم يفرح بذلك، فهو دائماً يحبّ الادبار لغيره ويبخل بنعم الله على عباده كانّهم يأخذونها من ملكه و خزانته، وليس لذلك سبب ظاهر إلاّ خبث النّفس و شقائها ورذالة الطبع ودنائته و معالجته شديدة إذ الحسد الثابت بساير الأسباب أسبابه عارضة يتصوّر زوالها ويرجى إزالته، و هذا ناش من خبث الطّينة و سوء السريرة فيعسر زواله وإلى ذلك ينظر ماقيل.

كلّ العداوة قد ترجى إماطتها (١) إلاّ عداوة من عاداك من حسد

و هذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعضها أو أكثرها أوجميعها في شخص فيشتدّ حسده و يتضاعف، و أكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب و قلّما

١ـ الاماطة الابعاد.

يتجرّد سبب واحد منها ، نعوذ بالله من شرور النفس وشحّ الأنفس .

الرابع

في بيان سبب كثرة الحسد بين العلماء على ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنّه عشرة أجزاء منها تسعة بين العلماء و واحد في النّاس ولهم من ذلك الجزء الحظّ الأوفر .

فأقول : العلماء إمّا علماء الدّنيا أوعلماء الآخرة ، والمراد بالأوّل من كان غرضه من العلم هو الدّنيا وتحصيل رياستها وحبّ شهواتها وقنياتها و طلب الوقع في قلوب النّاس و ابتغاء إقبالهم إليه ، و بالثّاني هم العارفون بالله و الراغبون في الآخرةوالزّاهدون في الدّنياالمعرضون عنها .

والحسد إنّما هو بين الطائفةالأولى ، وسببه تزاحمهم على غرض واحد إذ كلّ منهم يريد الفضل لنفسه دون صاحبه ، ويتمنّى الاشتهاروالمرجعيّة والرّياسة وصداء النّعلين ونحو ذلك ، ويريد ذلك بعينه غيره من أبناء جنسه فيتزاحمان على غرض واحد .

ومن أجل التّزاحم أيضاًينشأ الحسد بين أفراد جنس واحد وأبناءنوع واحد كالتّاجر للتّاجر، والواعظ للواعظ ، والبزّاز للبزّاز و هكذا ، فانّ الغالب أنّ البزّازيحسد للبزّاز دون العطارودون الواعظ ، والعالم يحسدالعالم دون الصّانع

ولماذكرناه ترى الحسد بين علماء بلدة واحدة أكثر ممابين علماء بلدتين و مابين البلدتين القريبتين أكثر ممّا بين البلدتين النائيتين لزيادة التزاحم في الأولى على الثّانية ، ومنشأ ذلك كلّه هوحبّ الدّنيا ، فانّ الدّنيا هي الّتي تضيق على المتزاحمين .

و أمّا علماء الآخرة العارفون بالله و المبتهجون بمعرفته سبحانه فلايكون بينهم تحاسد ، لأنّ غرضهم هوالآخرة ومقصدهم هوالمعرفة ولاضيق في شيء منهما كالدّنيا ألاترى أنّ منأحبّ معرفته سبحانهومعرفةصفاتهوأفعاله من عجائب ملكوت سمائه و أرضه لا يعادي ولا يبغض غيره ممّن كان يحبّ معرفةذلكأيضاًوذلكلسعة

بحر المعرفة و عدم الضّيق فيه ، بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم و يفرح بمعرفته و يلتذّ به ولا ينتقص لذّة أحدهم بسبب غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين ثمرة الافادة والاستفادة والانس والصّحبة ، وغرضهم إنّما هو تحصيل المنزلة عندالله و الزّلفى لديه و ما عندالله أعظم من أن يضيق على الطّالبين ولا يسع الرّاغبين ، إذ البحر لا ينفد بالقطر ، والشّمس لا ينقص بالذّر ، و ليس كمال الدّنيا إذا وقع في يد أحد خلت عنه يد الآخر أو كجاهها إذا اتّصف بـه شخص حرم عنه غيره ، إذا لجاه عبارة عن ملك القلوب ومهما امتلاء قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أونقص عنه لا محالة فيكون سببا للمحاسدة .

وبالجملة فنعمة العارف وجنّته معرفته الّتي هي صفة ذاته ، وهو دائما يجنى ثمارها و يغتذي بفواكهها ، وهي فاكهة غيرمقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية وإن غمض العين الظاهرة فروحه ترتع كلّ الأوقات في جنّة عالية ورياض زاهرة و كثرتهم لا يوجب تحاسدهم بل كانوا كما قال ربّ العالمين :

« وَ نَزَعْنا ما في صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلىٰ سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ »

و هـذا حالهم و هم في الدّنيـا فماظنّك بهم إذا انكشف عنهم الغطاء و شاهدوا المحبوب في العقبى فأهل العرفان واليقين برآء من الحسد في الدّنيا و الآخرة جميعا ، بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة علّيين إلى ضيق سجّين ، ولذلك وسم به الشّيطان اللّعين ، حيث أظهر الحسد والبغضاء لما رأى اختصاص آدم بالخلافة والاحتباء ولمّا دعى إلى السجود استكبر وأبى ، وتمرّد وعصى ، فاستحقّ الجحيم و قيل له :

« اخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ » .

و إذا عرفت أنّ منشأ الحسد هو التّوارد على مقصود يضيق عن الوفاء لمن ابتغى فعليك بمقصد لاتزاحم فيه أصلاً ولذّة لانفاد لها ونعمة لا زحمة فيها ولا يوجد ذلك في الدّنيا إلاّ في معرفة الحقّ تعالى ومعرفة صفاته العلياء و إن لم تكن تشتاق

إلى ذلك ولاتجد لذّة لذلك فأنت في ذلك معذور لأنّك في يد هواك مغمور مقهور والصّبي لا يعرف لذّة الملك والسّلطنة ، وإنّما لذّته في اللّهو واللّعبة ، فانّ هذه لذّة يختص بإدراكها الرّجال دون الصّبيان و الأطفال ، و المعرفة مختصّة بأهل الكمال وهم الّذين لا غرض لهم إلاّ الله وهم

« رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ » .

ولا يشتاق إلى هذه اللّذة غيرهم ، لأنّ الشّوق بعد الذّوق ، ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ، ومن لم يشتق لم يطلب ، ومن لم يطلب لم يدرك ، و من لم يدرك بقى مع المحرومين في أسفل السّافلين

« وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » .

الخامس

في معالجة الحسد الّذي هو من موبقات الذّنوب و من الأمراض العظيمة للقلوب ، و الدّواء النّافع له هو أن تعرف أنّه مضرّ عليك في الدّنيا و الدّين وغير مضرّ بالمحسود في الدّنيا والدّين ، بل نافع له فيهما ، ومهما عرفت هذا عن بصيرة و كنت صديقا لنفسك شفيقا لها و لم تكن عدوّاً و مبغضا لها فارقت الحسد لا محالة .

أمّا كونه مضرّاً عليك في الدّين فلما مرّ في الأخبار السّابقة من كونه سببا لسخط الجبّار و آكلا للايمان أكل الحطب للنّار ، بل الحاسد في الحقيقة ساخط لقضاء الله وغضبان على قدر الله كاره للنّعم الّتي قسّمت بين عباد الله ، وحسده في الحقيقة اعتراض على الخالق فيما منحه على الخلايق و ايراد على الحكمة وجناية على حدقة التّوحيد ، و فيه متابعة الشّيطان اللّعين و أوليائه من الكفّار والمنافقين حيث إنّه حسد وقال :

« ءَأَسْجُدُ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ » « فَأَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ »

وكذلك أولياؤه لم يزالوا حاسدين معاندين للمؤمنين ، مبغضين لهم وبعداوتهم معلنين متألّمين بفرحهم و بتألّمهم مسرورين ، فمن كان حاسداً فهو للشّيطان وأوليائه قرين ، وهو معهم في أسفل السّافلين .

وأمّا كونه مضرّاً عليك في الدّنيا فلأنّك تتألّم بحسدك فيها وتتعذّب به دائماً ولا تزال في همّ وغمّ ، إذ نعم الله سبحانه في الدّنيا في حقّ البرّ والفاجر والمؤمن والكافر غيرمعدودة ، وفيوضاته غير متناهية ، وأنت كلّما رأيت تنعّم المحسود بنعمة تألّمت وتأثّرت ، فلايحصل لك خلاص من الحزن والألم لعدم انقطاع الآلاء والنّعم ، ولا يكون لك فراغ من الفكر و يطول عليك الهجود والسّهر فليطرق عليك النّصب والآلام ، و يتراكم عليك الأوصاب والأسقام ، لسراية المرض من القلب إلى البدن ومن الخلد إلى الجسد .

ولذلك قال أميرالمؤمنين عليه السلام : صحّة الجسد من قلّة الحسد ، و قيل الحسد يضرّ بنفس الحاسد قبل إضراره بالمحسود .

وقد روي أنّ رجلا كان يغشي بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول : أحسن إلى المحسن باحسانه فانّ المسيء سيكفيكه إسائته ، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال : إنّ هذا الذي يقوم بحذائك و يقول ما يقول يزعم أنّ الملك أبخر ، فقال الملك و كيف يصحّ ذلك عندي قال : تدعوه إليك فانّه إذادنا منك وضع يده على أنفه لئلاّ يشمّ ريح البخر فقال له : انصرف حتّى أنظر.

فخرج من عند الملك فدعى الرّجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم ؛ فخرج الرّجل من عنده فقام بحذاء الملك على عادته فقال : أحسن إلى المحسن باحسانه فانّ المسيء سيكفيكه إسائته ، فقال له الملك : ادن منّي ، فدنا منه فوضع يده على فيه حذراً من أن يشمّ الملك منه رايحة الثّوم فقال الملك : ما أرى فلاناً إلاّ قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطّه إلاّ بجايزة أوصلة ، فكتب له كتاباً بخطّه إلى عامل من عمّاله :

إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه وحشّ جلده تبناً وابعث به إليّ ، فأخذ الكتاب وخرج ، فلقاه الرّجل الذي سعى به فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال : خطّ الملك لي بجايزة ، فقال : هبه لي فوهبه له ، فأخذه ومضى إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك ، قال : إنّ الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتّى تراجع الملك ، فقال : ليس لكتاب الملك مراجعة ، فذبحه و سلخه وحشي جلده تبناً وبعث به .

ثمّ عاد الرّجل كعادته إلى الملك وقال مثل قوله ، فتعجّب الملك و قال : ما فعلت الكتاب ؟ فقال لقاني فلان فاستوهبه منّي فوهبته له ، قال الملك : إنّه ذكر لي أنّك تزعم أنّي أبخر ، قال : ما قلت ذلك ، قال : فلم وضعت يدك على فيك ؟ قال : لأنّه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمّه ، قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء إسائته .

وأمّا عدم كونه مضرّاً بالمحسود في الدّنيا والدّين فواضح .

أمّا الدّنيا فلأنّ النعمة لا تزول عنه بحسدك ، بل ما قدّره الله في حقّه من النعمة والاقبال ومن طيب العيش وحسن الحال لابدّ أن يدوم إلى أجل معلوم ، لارادّ لحكمه و لا دافع لقضائه ، إذ كلّ شيء عنده بمقدار ، و لكلّ أجل كتاب ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر .

ولعلّك تقول : ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي فهذا غاية الجهالة والسفاهة لأنّه بلاء تشتهيه أوّلاً لنفسك ، فانّك أيضاً لا تخلو من حاسد يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد للزم أن تنقطع عنك النعم وعن كلّ أحد بل يزول الايمان عن المؤمنين لأنّ الكفّار حاسدون لهم في ذلك محبّون ارتفاعه عنهم كما قال سبحانه :

« وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » .

و ان اشتهيت أن تزول النعمة عن محسودك بحسدك و لا تزول عنك بحسد حاسدك، فهذا غاية الغباوة والحماقة، لأنّ كلّ واحد من الحسّاد يشتهى الاختصاص بهذا الخاصيّة فأىّ ترجيح لك على غيرك ؟

فان قلت : سلّمنا هذا كلّه ولكن ما تقول فيما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر، فانّ المستفاد من هذه الرّواية أنّ الحسد له تأثير في زوال النعمة .

قلت: هذه لا تكافىء الأدلّة السّابقة، لعدم سلامة سندها وقلّتها بالنسبة إليها، مع إمكان الجمع بينهما بأن يقال بتأثير الحسد في الجملة كالعين الصائبة إلاّ أنه لا يوجب زوال النعمة بالمرّة فيمكن أن يزول النعمة التي صارت سبباً لحسد الحاسد عن المحسود ثمّ ينتقل المحسود إلى نعمة اُخرى أشرف وأجل ممّا زالت منه، لما قد روي في الأخبار من أنّ الرّزق مقسوم، ومن قوله صلى الله عليه وآله لن تموت نفس حتّى تستكمل رزقها فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب فتأمّل .

وأمّا عدم كونه مضرّاً بالمحسود في الدّين فواضح مستغن عن البيان .

وأمّا انتفاعه به في الدّين والدّنيا فظاهر أيضاً.

أمّا الدّين فلأنّه مظلوم من جهتك وأنت ظالم له وميزانه ثقيل و ميزانك خفيف كما مرّ في الأخبار، وأيضاً فانّه بصبره وتحمّله على أذاك يفوز فوزاً عظيماً ويدرك ما أعدّ الله من عظيم الأجر للصّابرين كما يشهد به ما في الوسائل عن الصّدوق باسناده عن معاوية بن وهب عن الصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال : اصبر على أعداء النّعم فانّك لن تكافىء من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه، ومثله رواية عمّار بن مروان عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام ونحوهما أخبار اخر.

و أمّا انتفاعه به في الدّنيا فهو إنّ أهمّ أغراض الخلق مسائة الأعداء وألذّ عيشهم أن يكون أعداؤهم معذّبين، ولاعذاب أشد ممّا أنت فيه من ألم الحسد

وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غمّ وحسرة بسببهم، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم، ولذلك لا يشتهي عدوّك موتك بل يشتهي طول حياتك لتنظر ما أنعم الله به عليه وينقطع نياط قلبك حسداً كلّما رأيته، ولذلك قيل:

لا مات أعداؤك بل خلّدوا حتّى يروا فيك الّذي يكمد
لازلت محسوداً على نعمة فانّما الكامل من يُحسد

و إن شئت زيادة وضوح إضرار الحاسد بنفسه و انتفاع المحسود بحسده فاختبر ذلك بقصّة يوسف عليه السلام و اخوته حيث حسدوه وقالوا:

« اقْتُلُوهُ أوِاطْرَحُوهُ أرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أبِيكُمْ» «فَألْقُوهُ في غَيابَةِ الْجُبِّ» «وشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ».

فأدركه العناية الأزليّة والرّحمة الالهيّة واعطي بمحسوديّته الملك والمملكة والعزّ والسّلطنة وابتلوا بحاسديّتهم بالفقر والفاقة والضّر والمسكنة حتّى صاروا محتاجين إليه بسوء الأعمال فدخلوا عليه ونادوه بلسان الابتهال:

« يا أيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَأهْلَنَا الضُّرُّ » وسوء الحال « فَأوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا إنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ »

فاصبحوا بفضله مذعنين وعن علوّ شأنه مفصحين بقوله:

« تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنا وَ إنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ، وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً»

بعد أن كانوا له حسّداً وأنت أيّها النّاقد البصير والزّكيّ الخبير إذا أحطت خبراً بما تلوناه عليك وعرفت مضارّ الحسد ومفاسده فراقب الانصاف وجانب الاعتساف ولا حظ نفسك وامحض لها نصحك ولا تكسب لها الخسارة في الحال ولا تجلب لها الشّقاوة في المآل، ولا تبخس حظّك عند الخالق، ولا تسقط وقعك من قلوب الخلايق، ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت، باقية كرهت أم رضيت، فلا تكن للشّيطان

وليّاً ولا لنفسك عدوّاً و لا للمؤمنين خصيماً ، فلا تفت على نفسك فوايد المحبّة ، ولا تحرمها من منافع الالفة والمودّة ، و لا توقعها في مضارّ البغضاء والعداوة ، أفما دريت في شرح هذه الخطبة أنّها حالقة للدّين والايمان ، ساخطة للرّحمن ، و بالله أستعيذ من خبث النفس وشرور الأنفس ، وبه أعتصم من مكايد الشّيطان و موبقات الايمان ، ومنه التوفيق وعليه التكلان وهو المستعان .

الترجمة

از جملۀ خطب شريفه آن امام انامست كه فرمود : بتحقيق كه عالم است حقّ سبحانه و تعالى بسرّها و خبير است بضميرها، مراوراست احاطه بجميع أشياء از حيثيّت علم وحفظ وغلبه بجميع مخلوقات با قهر وسلطنت ، وقوّة بهمۀ موجودات با كمال اقتدار وقدرت ، پس بايد عمل نمايد عمل كننده ازشما در أيّام مهلت پيش از سرعت اجل او، ودرزمان فراغت قبل از اشتغال او ، و در زمان وسعت نفس زدن پيش ازآنكه گرفته شود راه نفس او ، و بايست مهيّا نمايد از براى نفس خود توشۀ طاعات و از براى استوارى قدم خود برصراط ، و بايد توشه بردارد ازسراى رحلت خود براى سراى اقامت خود .

پس بترسيد از خدا اى بندگان خدا درآنچه كه خواسته است ازشما حفظ كردن آن را از كتاب خود ، ودرآنچه امانت نهاده پيش شما از حقوق خود ، پس بدرستى خداوند عالم خلق نفرموده شمارا بعبث ، وفرونگذاشته است شمارا مهمل ونگذاشته است شمارا درجهالت و كورى .

بتحقيق كه بلند نموده است خبرهاى شما را ، وعالم است عملهاى شما را ، و نوشته است اجلهاى شمارا ، و نازل كرد برشما كتاب را بجهة بيان هرشيء ، وزندگاني داد درميان شما پيغمبر خودرا زمانى چند تا آنكه كامل ساخت ازبراى او و از براى شما در آنچه كه نازل فرموده بود از كتاب خود دين خودرا كه پسنديده بود از براى خود ، و اعلام نمود بشما بزبان پيغمبر خود محبوب ها ومكروههاى خودرا ازعملها وكارها ونواهى خودرا واوامر خودرا .

پس القا کرد بسوی شما معذرت خودرا درعقوبت شما ،وأخذ نمود بر شما حجّت خودرا ، و پیش انداخت بسوی شما تهدید و وعید را ، و ترسانید شما را پیش از عذاب شدید .

پس تدارك نمائید دربقيّهٔ روزگار خود وباز دارید دربقيّه أيّام نفس خودرا ازعمل ناشایست ، ومتحمل باشید بمشقت عبادت پس بدرستی که آن بقیه ایام کم است درمیان روزگار بسیار که میباشد ازشما غفلت وبی‌خبری ومشغول شدن ازپند گیری ورخصت ندهید نفسهای خودرا تااینکه ببرد شمارا آن رخصتها درراههای ظالمان و ستم کاران ، و مداهنه و مسامحه ننمائید با فاسقان تا اینکه بیاورد شما را آن مداهنه بمعصیت .

ای بندگان خدا بدرستی که نصیحت کننده‌ترین خلق برنفس سرکش خود اطاعت کننده ترین ایشانست پروردگار خودرا ، وبدرستی که فریب دهنده ترین خلق نفس خورا عاصی‌ترین ایشان است برآفرید گارخود ، وزیان‌کار کسی است که زیان رساند نفس خودرا ، وسودمند کسی است که سالم شود از برای او دینٌ او ، و صاحب سعادت آن کسی است که پند گیرد بحال غیر خود ، و صاحب شقاوت آنکسی است که فریب خورد بهوا وغرور خود .

وبدانید که اندکی ازریاشرکست بخدا ، وهمنشینی أهل معصیت وهوا محل فراموشی ایمانست ومکان حضور شیطان ، وکناره جوئی کنید از کذب و بهتان که آن بیگانه است از ایمان ، راستگو برکنارهٔ نجاتست وبزرگواری ، و دروغ گو برگوشهٔ هوس است وخواری ، وبریکدیگرحسد مبرید ، پس بدرستی که میخورد حسد دین را همچنانکه میخورد آتش هیزم را .

بیت

هر که را پیشه بود حقد وحسد هرگز از آتش دوزخ نرهد
کینه از سینهٔ خود بیرون کن زین عمل قدروشرف افزون کن
بیخ حقد وحسد از دل برکن برفلك ساز چه عیسی مسکن

و دشمنى نكنيد بريكديگر پس بدرستى كه عداوت تراشندهٔ ايمان است و بدانيد كه آرزوى دور و دراز باعث سهو عقل ميشود و سبب نسيان ذكر ، پس تكذيب نمائيد آرزوى خودرا ازجهت اينكه آمال و امانى دروغ است وفريب ، وصاحب آن مغرور است ومفتون .

ومن خطبة له عليه السلام وهى السادسة والثمانون من المختار فى باب الخطب

و شرحها في ضمن فصول :

الفصل الاول

عِبادَ اللهِ إنَّ مِنْ أحَبِّ عِبادِ اللهِ إلَيْهِ عَبْداً أعانَهُ اللهُ عَلىٰ نَفْسِهِ ، فَاسْتَشْعَرَ الحُزْنَ وَ تَجَلْبَبَ الخَوْفَ ، فَزَهَرَ مِصْباحُ الهُدىٰ في قَلْبِهِ ، وَأعَدَّ القِرىٰ لِيَوْمِهِ النّازِلِ بِهِ ، فَقَرَّبَ عَلىٰ نَفْسِهِ البَعِيدَ ، وَ هَوَّنَ الشَّدِيدَ ، نَظَرَ فَأبْصَرَ ، وَ ذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ ، وَارْتَوىٰ مِنْ عَذْبٍ فُراتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوارِدُهُ ، فَشَرِبَ نَهَلاً ، وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً ، قَدْ خَلَعَ سَرابِيلَ الشَّهَواتِ ، وَتَخَلّىٰ مِنَ الهُمُومِ إلاّ هَمّاً واحِداً انْفَرَدَ بِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ العَمىٰ وَ مُشارَكَةِ أهْلِ الهَوىٰ ، وَصارَ مِنْ مَفاتِيحِ أبْوابِ الهُدىٰ وَ مَغالِيقِ أبْوابِ الرَّدىٰ ، قَدْ أبْصَرَ طَرِيقَهُ ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ ، وَعَرَفَ مَنارَهُ ، وَ قَطَعَ غِمارَهُ ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ العُرىٰ بِأوْثَقِها ، وَمِنَ الحِبالِ بِأمْتَنِها ، فَهُوَ مِنَ اليَقِينِ

عَلىٰ مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلّٰهِ سُبْحانَهُ في أَرْفَعِ الْأُمُورِ ، مِنْ إِصْدارِ كُلِّ وارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلىٰ أَصْلِه ، مِصْباحُ ظُلُماتٍ ، كَشّافُ عَشَواتٍ ، مِفْتاحُ مُبْهَماتٍ ، دَفّاعُ مُعْضَلاتٍ ، دَلِيلُ فَلَواتٍ ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ ، وَ يَسْكُتُ فَيَسْلَمُ ، قَدْ أَخْلَصَ لِلّٰهِ فَاسْتَخْلَصَهُ ، فَهُوَ مِنْ مَعادِنِ دِينِه ، وَأَوْتادِ أَرْضِهِ ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ ، فَكانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوىٰ عَنْ نَفْسِهِ ، يَصِفُ الْحَقَّ وَ يَعْمَلُ بِهِ ، وَلا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غايَةً إِلاّ أَمَّها ، وَلا مَظِنَّةً إِلاّ قَصَدَها، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتابَ مِنْ زِمامِهِ، فَهُوَ قائِدُهُ وَإِمامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ ، وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كانَ مَنْزِلُهُ .

اللغة

(الشّعار) من الثوب مايلى شعر الجسد و (الجلباب) القميص أوغيره ممّا مضى في شرح الكلام الخامس والستين و (زهر) الشيء يزهر من باب منع صفالونه و أضاء و (القرى) من قرى الضّيف من باب رمى قرى بالكسر و القصر و الفتح والمدّ أضافه ، وفي المصباح قرى بالكسر والقصر والاسم القراء بالفتح والمدّ و (فرات) الماء العذب وباللام اسم نهر معروف .

و(نهل) البعير نهلا من باب تعب شرب الشّرب الأوّل حتّى روى و(الجدد) بالتحريك المستوى من الأرض و (السّربال) القميص و (الغمار) بالكسر إما جمع الغمر كالغمور وهو الماء الكثير ومعظم البحر أوجمع الغمرة كالغمرات و هى الشدة والزحمة و (العرى) بالقصر مثل العروة من الدّلو والكوز ونحوهما مقبضها و (عشوات) بالتحريك جمع العشوة بالتّثليث وهى الأمر الملتبس .

(والمعضلات) الشدايد و الأمور التى لا تهدى لوجهها من أعضل الأمر إذا

اشتدّ و(المعادن) جمع معدن كمجلس و هو محل الجوهر و (أمّه) أمّا من باب قتل قصده و (مظنة) الشيء المكان الذي يظنّ فيه وجوده و (الثقل) متاع المسافر وحشمه و الجمع أثقال كسبب وأسباب .

الاعراب

الفاء في قوله فاستشعر الحزن عاطفة مشعرة بسببية ماقبلها لمابعدها كما في قولك يقوم زيد فيغضب عمرو ، و كذلك أكثر الفاءات بعدها، و قوله فهو من اليقين على مثل آه هو مبتداء وعلى مثل خبر له ومن اليقين حال إمّا من المبتداء والعامل فيه الخبر و هو مبنيّ على جواز الاختلاف بين عامل الحال وعامل صاحبه ، و إمّا من الضمير المستكن في الخبر فيتّحد العاملان و إنّما قدّمت الحال على عاملها لتوسّعهم في الظروف قالوا : و من ذلك البرّ الكرّ بستّين أى الكرّ منه بستّين فمنه حال والعامل فيه بستّين .

وقوله عليه السلام : مصباح ظلمات بالرفع خبر بعد خبر ، و قوله فكان أوّل عدله نفى الهوى يجوز جعل أوّل اسما و نفى الهوى خبراً و بالعكس إلاّ أنّ مقتضى الاعراب الموجود في نسخ الكتاب هو الأوّل حيث اعرب الأوّل مرفوعا والنفى منصوباً وهو أيضا مقتضى الأصل .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السلام مسوق بشرح حال المتّقين وبيان صفات العارفين الكمّلين من عباد الله الصّالحين ، و في الحقيقة و المعنى هو شرح لحال نفسه الشريف وحال أولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، إذ الأوصاف الآتية لم تجمع إلاّ فيهم ولم تشاهد إلاّ منهم .

وهم المتّصفون بالفناء في الله والبقاء بالله ، و المبتغون لمرضاة الله وهم أحبّ النّاس إلى الله والله أحبّ إليهم و أولى بهم من أنفسهم ، فهم التّامّون في محبّة الله والمخلصون في توحيد الله و المظهرون لأمر الله و نهيه وعباده المكرمون

«ٱلَّذِينَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ».

إذا عرفت هذا فأقول قوله عليه السلام (إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه) أراد بمحبّته سبحانه له إفاضته الكمالات النّفسانية عليه المعدّة له بالقرب إليه تعالى والقبول بفضله وجوده ، ويأتي في شرح المختار المأتين والخامس و العشرين إنشاء الله تفصيل الكلام في معنى محبّته تعالى، و معنى إعانته له على نفسه اعانته جنود عقله على جنود جهله وتقوية عقله على قهر نفسه الأمّارة ، فاذا قوى عقله واعين له اتّصف بأوصاف أشار عليه السلام إليها .

أوّلها أنّه (استشعر الحزن) أى اتّصف بالحزن و جعله ملازما لـه لزوم الشّعار للجسد ، و إنّما صار محزوناً لما صدر منه في الأيّام الماضية من التفريط في جنب الله حيث لم يكتسب فيها من موجبات القرب والاختصاص اضعاف ما اكتسبه

(و) الثّاني انه (تجلبب الخوف) أى جعله لازما له لزوم الجلباب للبدن ، وقد مضى تحقيق الكلام في الخوف وفي أقسامه في شرح الخطبة الخامسه والسّبعين

و الثّالث أنّه حيث اتّصف بالحزن و الخوف (ف)استعدّ بذلك لأن (زهر مصباح الهدى في قلبه) أى أضاء أنوار المعارف الحقّة الالهيّة في قلبه فصار سبباً لاهتدائه ووصوله إلى مقام القرب .

(و) الرابع انّه (أعدّ القرى ليومه النّازل به) شبّه يوم الموت و مابعده بالضّيف المتوقّع نزوله و كما أنّ من توقّع نزول ضيف به يهيّأ له قرى ليبيض به وجهه عند الضيف ويكسب به المحمدة منه ولا ينفعل منه عند نزوله ، فكذلك الرّجل الموصوف لمّا توقّع نزول الموت وعلم أنّه قادم لامحالة أعدّ له من وظايف الطّاعات و العبادات ما يكون موجبا لبياض (لابيضاض خ) وجهه عند نزوله و اكتسابه المحمدة و الثّناء ، و ذلك أيضاً من ثمرات الخوف المقدّم ذكره ومن شئوناته .

والخامس أنه حيث أعدّ قرى ضيفه (فقرّب على نفسه البعيد) والظّاهر أنّ

المراد بالبعيد هو الموت الذي يراه الغافلون بعيداً وبتقريبه على نفسه هو مبادرته إليه وجعله له نصب عينيه وترقّبه له وعدم غفلته عنه صباحاً ومساءاً ،لأنّه بعد ما هيّأ أسبابه وأعدّ القرى له لايبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه وأمّا ما ذكره الشّارح البحراني من احتمال كون المراد بالبعيد هو رحمة الله البعيد عن مستحقّها ، وبتقريبه تحسين العمل أو كون المراد به أمله الطّويل في الدنيا وبتقريبه تقصير الأمل فمضافا إلى بعده في نفسه غير ملايم لظاهر العطف بالفاء وإن أمكن توجيهه بتكلّف .

(و) السادس أنّه (هوّن الشديد) يحتمل أن يكون المراد بالشديد شدايد الموت و دواهيه وما يتلو ذلك، فيكون المراد بتهوينها تسهيلها بالأعمال الصّالحة وهو من ثمرات اعداده القرى للموت ، وأن يكون المراد به شدايد الطاعات و كلفة المجاهدات والرّياضات ، فيكون المراد بتهوينها تحملها و الصّبر لها وحبس النّفس عليها ، وهو من فروع شروق مصباح الهدى في قلبه .

والسّابع انّه (نظر فأبصر) أى تفكّر في الملك والملكوت فصار ذا معرفة و بصيرة كما قال سبحانه :

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »

(و) الثّامن أنّه(ذكر فاستكثر) أى ذكر الله فاستكثر من ذكره إذ بذكره تسكن النّفوس كما قال سبحانه :

« أَلَا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » .

وبكثرة ذكره تنال المحمدة والثّناء عند الله كما قال تعالى :

« رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ »

(و) التّاسع أنه (ارتوى من عذب فرات سهلت له موارده) شبّه عليه السلام العلوم الحقّة و المعارف الالهيّة المفاضة على العارف بالماء الصّافي العذب الزّلال فاستعاره لها ورشّحه بذكر الارتواء كما أنّه استعار في الكلام السّابع عشر للعقايد

الباطلة والآراء الفاسدة لفظ الآجن حيث قال عليه السلام في ذكر أوصاف القضاة السوء: حتّى إذا ارتوى من آجن، و المراد بسهولة موارده عدم كونها ردغة و حلة وهو كناية عن سرعة استعداده لقبول تلك العلوم المفاضة من محالّها و مواردها أعني الألواح السّماويّة وألسن الملائكة ولسان النّبيّ صلّى الله عليه وآله والرّوع في القلب والنّكت في القلوب ونحوها إن كان المراد بالموصوف الأئمة عليهم السلام على ما قدّمنا، والنّبي و الأئمة سلام الله عليه و عليهم إن كان المقصود به مطلق العارف هذا و قوله عليه السلام (فشرب نهلا) إشارة إلى أنّه لما شرب من العذب الفرات و ارتوى اكتفى بذلك و صار شربه الأوّل كافياً ولم يحتج بعده إلى الشّرب الثّاني لأنه شرب من رحيق التحقيق ومن عين التوفيق شربة لا ظمأ بعدها أبداً.

(و) العاشر أنّه (سلك سبيلاً جدداً) أى طريقاً مستوية عدلا معونة عن طرفي الافراط و التفريط إذ اليمين والشّمال مضلّة والطريق الوسطى هي الجادّة الموصلة لسالكها إلى حظيرة القدس، وقد مضى تفصيلا و تحقيقا في شرح الفصل الثاني من الكلام السادس عشر فتذكر.

و الحادي عشر أنّه (قد خلع سرابيل الشّهوات) أى نزع لباس الشهوات وخلى نفسه منها لكونها موجبة لصداء مرآت القلب مانعة عن انطباع صور الحقّ فيها.

(و) الثاني عشر أنه قد (تخلّى من الهموم) أى هموم الدّنيا كلّها لكونها مجانبة للحقّ شاغلة عنه (إلاّ همّا واحداً انفرد به) وهو همّه بالوصول إلى مولاه الّذي به لذّته وبالانفراد بذكره ومناجاته سروره وبهجته و بمطالعة جلاله و كبريائه شعفه وفرحته.

و الثّالث عشر أنّه حيثما تخلّى من الهموم و انحصر همّه في الهمّ الواحد (فخرج به من صفة العمى و) عن (مشاركة أهل الهوى) أراد أنه باتّصافه بفضيلة العلم والحكمة خرج من صفة الجهالة وعن مشاركة أهل الهوى والشّهوة لكون الاشتراك معهم موجبا للضّلالة، وإليه الاشارة بقوله سبحانه:

« وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوٰى ».

(و) الرابع عشر أنّه من أجل اتّصافه بالعلم والحكمة أيضاً (صار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الرّدى) فبه ينفتح أبواب الرّشاد والهداية للمهتدين، وينغلق أبواب الغوى والضّلالة للجاهلين ، لكونه فاتحاً لباب المعروف سادّاً لباب المنكر فبنور وجوده يهتدى الجاهلون ، وبكمال ذاته يرتدع الضّالّون .

والخامس عشر أنه (قد أبصر طريقه وسلك سبيله) أى أبصر بنور بصيرته طريقه المأمور بسلوكها فسلكها ، و إلى هذا السّبيل والطريق أشير في قوله :

« إِنَّ هٰذا صِراطي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » و في قوله : « وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً »

كما مضى مشروحاً في شرح الفصل الثاني من الكلام السّادس عشر فتذكر.

(و) السّادس عشر أنّه (عرف مناره) أصل المنار هو العلم المنصوب على الطّريق ليأمن به المارّة من الخروج عن الجادّة فمن عرف مناره أمن الضّلالة ، والمراد به هنا هم أئمة الدّين الّذينهم أعلام اليقين ، فالسّالك إلى الله بقدمي الصّدق والعرفان إذا عرفهم و لزمهم وأخذ بحجزتهم أمن من الضّلال و وصل إلى حظيرة القدس والجلال التي هي منتهى الآمال، هذا إن كان الموصوف بالصّفات مطلق العارف و إن كان المقصود به هم عليهم السلام حسبما أشرنا إليه سابقاً فالمراد بالمنار هو النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

(و) السابع عشر أنه (قطع غماره) أشار بالغمار إلى ما كان مغموراً فيه من مشاق الدّنيا وهمومها والتّألّم بسبب فقدها ومجاذبة أهلها لها و تزاحمهم عليها ، فانّ العارف بمعزل عن ذلك و إنما هو شأن الجاهلين الّذين هم في غمرة ساهون.

(و) الثامن عشر أنّه (استمسك من العرى بأوثقها ومن الحبال بأمتنها) والمراد

بأوثق العرى وأمتن الحبال ما اشير إليها في سورة البقرة بقوله :

«فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا »و في سورة آل عمران بقوله : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا » .

وقد فسّر العروة في الظاهر بالايمان والحبل به و بالقرآن ، و قد فسّرا في الباطن بالولاية ، روى في البحار من كنزجامع الفوائد و تأويل الآيات قال : ذكر صاحب نهج الايمان في تأويل قوله :

« فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى »

روى أبو عبدالله الحسين بن جبير في كتاب نخب المناقب لآل أبي طالب حديثاً مسنداً إلى الرّضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحبّ أن يستمسك بالعروة الوثقى فليستمسك بحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وروى أيضاً في الكتاب المذكور مسنداً عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : نحن حبل الله الذي قال الله تعالى :

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا » .

والأخبار في هذا المعنى متظافرة .

والتاسع عشر أنه لما استمسك بالعروة الوثقى والحبل الأمتن فترقّى بذلك إلى أعلى مدارج العلم والعرفان(ف)كان(هو من اليقين على مثل ضوء الشمس) يعني أنّه رأى بعين اليقين الحقايق وشاهد دقايق الملك والملكوت لايختلجه في ذلك شكّ ووهم كما يرى ببصره نورالشمس في الوضوح والجلا .

والعشرون أنه لكمال ذاته (قد نصب نفسه) و عيّنها(ل)أجل ابتغاء مرضات (اللهسبحانهفي أرفع الأمور منإصدار كل واردعليه وتصيير كلّ فرع إلى أصله) أراد عليه السلام أنه لما كمل ذاته نصب نفسه لأرفع الأمور من هداية الخلق و ارشادهم إلى

ما فيه رشادهم فقام باصدار الأجوبة عن كلّ ما ورد عليه من الأسؤلة و نهض برد كلّ فرع من فروع العلم إلى أصله المتشعّب عنه ، وفيه إشعار وتنبيه على جواز الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلّتها التفصيلية كما عليه بناء المجتهدين من أصحابنا ، خلافا لأصحابنا الأخباريّين والتفصيل معنون في الأصول .

والحادى والعشرون أنّه (مصباح ظلمات) يقتبس منه العالمون أنوار العلم ويهتدى به التائهون في ظلمات الجهل .

والثّاني والعشرون أنّه (كشّاف عشوات) يكشف به و يميّز الأمور الملتبسة وفي بعض النسخ غشوات بالغين المعجمة فالمراد أنه يكشف النقاب عن وجه الحقّ .

والثالث والعشرون أنّه (مفتاح مبهمات) به يفتح أبواب الأحكام المبهمة المغلقة .

والرّابع والعشرون أنّه (دفّاع معضلات) يعني أنه يدفع الأعضال عن المسائل المعضِلة الشرعية ويرفع الاشكال عن الأحكام المشكلة الأصليّة والفرعيّة بكلامه الوافي و بيانه الشافي .

والخامس والعشرون أنّه (دليل فلوات) أراد عليه السلام أنّ السّالك في مسالك الفلوات كما لا يهتدي إليها إلاّ بدلالة الأدلاّء الّذين اعتادوا سلوكها و ضبطوا مراحلها ومنازلها، فكذلك السّاير في فلوات المعقولات الطالب لطيّ مراحلها الباغي للنّزول إلى ساحة الحقّ والوصول إلى حظيرة القدس لا يهتدي إليها و لا يمكنه النّزول فيها إلاّ بهداية دليل هاد و إرشاد مرشد يرشد إلى الرشاد ، و هو العارف المعتاد بسلوك تلك المسالك فمن لم يسلك بدلالته فهو ضالّ وهالك .

والسادس والعشرون أنّه (يقول فيفهم و يسكت فيسلم) يعني أنه يقول : إذا اقتضت الحال فيفهم لمخاطبه المقال و يسكت في مقام السّكوت فيسلم من عثرات اللّسان .

والسابع والعشرون أنّه (قد أخلص لله فاستخلصه) أى أخلص عمله لله وجعله خالصا عن شوب الرّياء و الشّرك على ما مضى في شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبة الأولى ، و حيث إنه أخلص لله فاستخلصه الله واختاره واختصّه من بين أبناء جنسه بالرّضا عنه وإفاضة الكمالات عليه وإدنائه إلى مقام القدس .

والثّامن و العشرون أنّه إذا اتّصف بالاخلاص والاستخلاص (ف) صار (هو من معادن دينه و أوتاد أرضه) شبّهه عليه السلام من حيث كونه محلاّ للدّين و مستقرّاً له بالمعدن الّذى يستقرّ فيه الجوهر فكما أنّ المعدن يستخرج منه الجوهر وينتزع منه ، فكذلك الدّين الّذي هوجوهر عقلائي يستفاد من ذلك الموصوف ويكتسب منه ، وأمّا معنى كونه من أوتاد أرضه فهو أنّك قد عرفت في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبة الأولى أنّه سبحانه وتّدبالصّخور والجبال ميدان أرضه واضطرابه وأنت إذا أخذت بين مجامع هذا الكلام وماتقدّم ظهرلك أنّه عليه السلام جعل الموصوف بمنزلة جبل يكون وتداً للأرض مانعاً لهاعن الاضطراب ، وهوإمّا جارعلى الحقيقة إن أراد بالموصوف نفسه الشّريف و من هو بمنزلته من أولاده المعصومين الّذين لولا هم لما جت الأرض بأهلها و ساخت ، وإمّا على المجاز بأن يكون المراد به العموم فانّالرّجل الموصوف لماكان سبباًلانتظام أمرالدّنيا وعدم اضطراب أحوال أهلها كان كالوتد للأرض فافهم .

و التّاسع و العشرون أنه (قد ألزم نفسه العدل فكان أوّل عدله نفى الهوى عن نفسه) لماكان العدالة ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضلة خلقاً لاتخلّقا و أصولها عبارة عن الحكمة و العفّةوالشجاعة، و ساير الفضايل فروعا لها و كان العارف قد أرضى نفسه بالعبادة وغيرها حتّى حصل على هذه الفضايل الخلقيّة لاجرم كان بسعيه في حصولها قد ألزم نفسه العدل .

قال الشّارح البحراني : و لما كان العدل في القوّة الشّهوية الّذي هو أن يصير عفيفاً لاخامد الشهوة ولافاجراً أصعب (١) من العدل على سايرالقوى لكثرة

١- خبر كان .

موارد الشّهوة و ميلها بالانسان إلى طرف الافراط ، و لذلك قال أكثر المناهي الواردة في الشريعة هي موارد الشهوة لاجرم (١) كان مقتضي المدح أن يبدء بذكر نفي الهوى عن نفسه ، و لأنّ السّالك أوّل مايبدء في تكميل القوّة العمليّة باصلاح القوّة الشهويّة فيقف عند حدود الله ولايتجاوزها في مأكول أو منكوح أو كسب و نحوه .

و الثّلاثون أنّه (يصف الحقّ ويعمل به) أي يطابق فعله قوله ويوافق قوله عمله فانّ من يأمر ولايأتمر و ينهى ولايزدجر لا يؤثّر وعظه ولا يثمر إرشاده فانّ الموعظة إذا صدرت عن اللّسان لايتجاوز الآذان و إذا خرجت من القلب وقع في القلب ،وقد ذمّ الله أقواماً خالفت أفعالهم أقوالهم بقوله :

« يا أيّها الّذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كَبُرَ مقتاً عند الله أنْ تقولوا ما لا تفعلون » .

(و) الحادي والثلاثون أنّه (لايدع للخير غاية إلاّ أمّها و لامظنّة إلاّقصدها) يعني أنّ همّته مقصورة على سلوك مسالك الخير و قصد مظانّ البرّ ليفوز غايته ويدرك نهايته .

والثّاني و الثّلاثون أنّه (قد أمكن الكتاب) أي كتاب الله (من زمامه) أدّى زمام نفسه إلى الكتاب و فوّضه إليه و مكّنه منه وهو كناية عن كونه منقاداًله مطيعاً لما اشتمل عليه من الأوامر والنواهي (فهو قائده و امامه) يقوده إلى الله و يأمّه في سلوك سبيل رضوان الله (يحلّ حيث حلّ ثقله وينزل حيث كان منزله) قال الشارح البحراني : استعار عليه السلام و صفي الحلول والنّزول الّذين هما من صفات المسافر و كنّى بحلوله حيث حلّ عن لزوم أثره والعمل بمقتضاه ومتابعته له في طريق سفره إلى الله بحيث لاينفكّ عنه وجوداً و عدماً .

أقول : هذا إن كان المراد بالموصوف نفسه الشّريف و من حذا حذوه ،

١ـ جواب لما.

و أمّا إن اريد به مطلق العارف فالمراد بمحلّ القرآن و منزلـه هويت الرّسالة و الا مامة أعني مهبط الوحي و معدن الذكر ، فيكون المقصود بحلول الموصوف ونزوله فيه كالقرآن كونه مقتدياً بالرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم والأئمة مقتبساً لهداهم آخذاً بولايتهم صلوات الله وتحيّاته عليه وعليهم أجمعين .

الترجمة

از جملهٔ خطب شريفه آن امام زمان و مقتدای عالميان است در وصف حال متّقين فرموده که :

ای بندگان خدا بدرستی از محبوبترين بندگان خدا است بسوی او بندهٔ که اعانت فرمود وغالب نمود خدای تعالی اورا برنفس خود پس شعار خود گردانيد حزن را ، وسرپوش خود نمود ترس را ، پس روشن شد چراغ هدايت درقلب او ، ومهيا نمود مهمانی را برای روزيکه فرود آيد باو ؛ پس نزديك گردانيد برنفس خود دور را که عبارتست ازموت و احوال آخرت ، وآسان نمود کار سخت را که عبارتست از کلفت ومشاقّ عبادت ، نگاه کرد بديده عبرت بملك وملکوت ، پس شد صاحب معرفت وبصيرت ، وذکر کرد خداوند را پس بسيار نمود ازذکر ربّ العزّت، وسيراب شد ازآب خوش شيرين که آسان گردانيده شد ازبرای او موارد آن پس آشاميد آبرا أول باروسبقت نمود برسايرين ومحتاج نشد بآشاميدن دوّيمين وسلوك کرد راه راست محفوظ ازتفريط وافراط را .

بتحقيق که بر کند از خود پيراهنهای شهوتها را ، و خالی شد ازهمهٔ همّها وغمّها مگرهمّ واحدی که منفرد شده است باو که عبارتست أز همّ وصول بقرب حق ، پس بيرون آمد از صفت کوری و ازمشارکت أهل هوا و غفلت ، و گرديد از کليدهای درهای هدايت واز آلتهای بستن درهای هلاکت .

بتحقيق که ديد راه صواب خودرا وسلوك نمود در راه راست خود و شناخت نشان هدايت خودرا از دلايل واضحات ، وبريد ازخود آنچه فرو رفته بود در آن ازشهوات ، وچنك زد ازبندها بمحکم ترين آنها واز ريسمانها باستوار ترين آنها

پس اوازيقين برمثال نور آفتابست در تابند گی ودرخشند گی ، پس نصب کرد نفس خودرا ازبرای خداوند در بلندترين کارها که عبارت باشد ازباز گردانيدن جواب هروارد کنندهٔ سؤال براو واز ردّ نمودن هر فرع از فروع علوم بسوی اصل خود چراغ تاريکيها است ،کشف کننده امرهای مشتبه است ، راهنمای بيابانها است سخن ميگويد پس ميفهماند ، وساکت ميشودپس بسلامت ميماند .

بتحقيق که خالص‌نمود عبادترا از برای خدا پس خالص نمود خداوند اورا از برای خود و بر گزيد او را بابنای جنس بافاضهٔ فيوضات و کمالات ، پس او از معدنهای دين خدا است واز ميخهای زمين حقتعالی است.

بتحقيق که لازم گردانيده برنفس خود عدلرا پس هست اوّل عدالت او دور نمودن هوا وهوس از نفس خود ، تعريف ميکند حق را وعمل ميکند بآن ، ترك نمينمايد عمل خير را هيچ غايتی مگر اينکه قصد ميکند آن را ، و نميگذارد مظنه خيری مگراينکه آهنك مينمايد آن را .

بتحقيق که متمکّن ساخت کتاب الله المجيد را از مهارخود،وجلوخودرا بدست اوواگذار نمود ، پس کتاب عزيز قائد وپيشوای او است ، حلول ميکند هرجاکه حلول ميکند بار نفيس کتاب ، ونزول مينمايد هرمکانی که منزل نموده درآن کتاب ، والله أعلم بالصّواب .

الفصل الثاني

وَ آخَرُ قَدْ تَسَمَّىٰ عالِماً وَلَيْسَ بِهِ ، فَاقْتَبَسَ جَهائِلَ مِنْ جُهّـالٍ ، وَ أَضالِيلَ مِنْ ضُلاّلٍ ، وَ نَصَبَ لِلنّاسِ أَشْراكاً مِنْ حَبائِلِ غُرُورٍ ، وَ قَوْلِ زُورٍ ، قَدْ حَمَلَ الْكِتابَ عَلىٰ آرائِهِ ، وَ عَطَفَ الْحَقَّ عَلىٰ أَهْوائِهِ ، يُؤَمِّنُ النّاسَ مِنَ الْعَظائِمِ ، وَ يُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرائِمِ ، يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهاتِ

وَ فيها وقع ، وَ يَقُولُ أعتزِلُ البِدَعَ وَ بَيْنَها اضطَجَعَ ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسانٍ ، وَ الْقَلْبُ قَلْبُ حَيْوانٍ ، لا يَعْرِفُ بابَ الْهُدىٰ فَيَتَّبِعَهُ ، وَ لا بابَ الْعَمَىٰ فَيَصُدَّ عَنْهُ ، وَذٰلِكَ مَيِّتُ الْأَحْياءِ .

اللغة

(قد تسمّى) تسمّى بفتح التّاء المثناة الفوقانيّة قال في القاموس تسمّى بكذا و بالقوم و إليهم انتسب ، و في بعض النسخ يسمّى بصيغة المضارع المجهول من باب فعل و هو الأظهر (الجهائل) جمع الجهالة كالعلائق والعلاقة و (الأضاليل) من الضّلال جمع لا واحد له من لفظه و (ضلّال) بضم الضّاد جمع ضالّ كجاهل وجهّال وعامر و عمّار و (الأشراك) جمع الشّرك محرّكة و هو ما يصطاد به و (الزّور) الكذب ومزخرف الكلام قال تعالى : واجتنبوا قول الزّور و(ضجعت) ضجوعا من باب نفع وضعت جنبي بالأرض واضطجعت مثله .

الاعراب

قوله : و آخر بالرّفع صفة لمحذوف معطوف على محلّ اسم انّ السّابق في أوّل الفصل السّابق ، قوله : و ليس به ، من زيادة الباء في الخبر و اسم ليس ضمير مستتر ، واللاّم في الصورة والقلب إمّا عوض عن الضمير المضاف إليه كما هو مذهب الكوفيّين وبعض البصريّين أى صورته صورة إنسان و قلبه قلب حيوان وعليه خرج الكوفيّون قوله سبحانه : فإنّ الجنّة هي المأوى ، والمانعون يقولون في مثل ذلك إنّ اللاّم للعهد والضمير محذوف أى الصورة له أو منه وقالوا في الآية : هي المأوى له .

المعنى

اعلم أنّه لما شرح حال أحبّ العباد إلى الله سبحانه في الفصل السّابق أردف ذلك بشرح حال المبغوضين عنده تعالى فقال (وآخر قد تسمّى عالماً و ليس به) أى وعبد آخر قد انتسب إلى أهل العلم ونسب نفسه إليهم وليس هو بذلك أوسمّاه

العوام عالما (فاقتبس جهائل من جهّال وأضاليل من ضلّال) أى تعلّم جهالات مركّبة و عقايد باطلة من أهل الجهالة واكتسب الآراء الموجبة للانحراف عن قصد السّبيل عن أهل الضّلالة فحذا حذوهم وسلك سبيلهم وصار جاهلا ضالاًّ مثلهم (ونصب للنّاس أشراكا من حبائل غرور و قول زور) يعني أنه يغرّ الخلق بأقواله الباطلة وأفعاله المزخرفة و يجذ بهم بها إليه ويوقعهم في شركه وحبالته كما يغرّ الصّياد الصّيد يخدعه حتّى يوقعه في شركه الّذي نصبه له (قد حمل الكتاب على آرائه) أراد عليه السلام أنه حمل كتاب الله على مقتضى رأيه وهواه ، وذلك لجهله بفحواه ومعناه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النّار ، وكفى بكلامه عليه السلام شاهداً أنّ كلاًّ من الفرق المختلفة كالمشبّهة والمجسّمة والكراميّة والأشعريّة والمعتزلة و غيرها على كثرتها قد تعلّق في إثبات مذهبه بالقرآن ، فكلّ يأوّله على رأيه و يخرجه على معتقده مع أنّ قول الكلّ باطل وتأويل الجميع فاسد .

« وَما يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلاّ اللهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الأَلْبابِ » .

وقوله عليه السلام (وعطف الحقّ على أهوائه) عطف تفسير وتوضيح إذ الكتاب حقّ ومافيه حقّ ومن حمله على رأيه فقد عطف الحقّ على هواه وجعل هواه حقّا بتأويل ما .

« وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمواتُ وَ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ »

(يؤمّن الناس من العظائم ويهوّن) في نظرهم (كبير الجرائم) بذكر الآيات الدّالة على الوعد والأحاديث المحصّلة للطمع والرّجا كقوله تعالى :

« قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً »

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : حبّ عليّ حسنة لايضرّ معها سيئة ، ونحو ذلك وإنما يهوّنها في نظرهم و يؤمّنهم منها استجلا بالقلوبهم و طلباً للوقع عند الجهّال من الأمرا وأرباب المناصب ونحوهم من المنهمكين في الشّهوات والباغين للذّات والمقتحمين في الشبهات والمحرّمات الذين لا يبالون في شيء منها طمعا في أنه سبحانه قابل التّوبات وغافر الخطيئآت وماحي السّيئآت .

وهذا من تسويلات الشّيطان اللّعين و تدليسات ذلك الفاسق المتوسّم بسمة العالم إذ الخوف توأم الرجاءِ والوعد ردف الوعيد ، و هو تعالى قهّار كما أنّه غفّار ، فاللاّزم للعالم أن يلاحظ المقام وينظر مواقع الكلام فيورد أدلّة الرجاء في مجالس الخائفين ، و آيات الخوف في مجالس الآمنين كيلا ييأس الخائف من روح الله ولا يأمن الآمن من غضب الله .

(يقول أقف عند الشّبهات) توقّيا وتورّعا (وفيها وقع) لجهله بها وغفلته عنها والوقوف عندها فرع العلم (ويقول أعتزل البدع) المخالفة للقوانين الشرعية (وبينها اضطجع) لجهله بها أيضا (فالصّورة صورة إنسان) تامّ الأعضاء والأركان بهيّ الهيئة عذب اللسان (والقلب قلب حيوان) له أذنان محجوب عن إدراك حقايق العرفان .

و كاين ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التّكلّم
لسان الفتى نصف و نصف فؤاده فلم يبق إلاّ صورة اللّحم والدّم

(لايعرف باب الهدى فيتّبعه ولا باب العمى فيصدّ عنه) يعني أنه بسبب جهله المركب لا يعرف قانون الهداية إلى الرّشاد فيلزمه ، ولا واجه الدّخول في الباطل فيتركه ، وذلك لأنّ الجاهل المركّب لمّا ألحد عن سبيل الله واعتقد بخلاف الواقع امتنع مع ذلك أن يعرف باب الهدى ومبدء الدّخول إليه فلا يمكن له اتّباعه ، ولمّا اعتقد أنّ ما جزم به من الباطل هو الحقّ امتنع معه أن يعرف مبدء دخوله في الجهل وهو باب العمى فامتنع منه أن يصدّ عنه .

(فذلك ميّت الأحياء) يعني أنّه ميّت في سلك الأحياء ، و إنّما كان ميّتا

إذ المقصود بالحياة في الحقيقة هواستكمال النّفس و اكتساب الفضايل الّتى هي سبب السّعادة الأبدية والعناية السّر مديّة ، و لما كان الجاهل بمعزل عن ذلك فكان بمنزلة الميّت بل ميّتا في الحقيقة قال الشّاعر :

ليس منمات فاستراح بميّت إنّما الميت ميّت الأحياء

تنبيه

هذاالفصل من كلام الامام عليه آلاف التحية والسّلام كاف في ذمّ العلماء السوء والقدح عليهم والطّعن فيهم ، وأعنى بالعلماء السوء المتّصفين بالأوصاف المذكورة في هذا الفصل ، وهم العلماء الآخذون بالبدع والآراء ، والعاملون بالمقائيس والأهواء ، كعلماء العامّة وقضاتها الّذين لم يأخذوا العلم من ينابيعه ، ولم يتعلّموا القرآن من أهله واستغنوا عن عترة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وحيث ضاق بهم المجال في الوصول إلى حقيقة الحال اضطرّوا إلى الأخذ بالرّأي والقياس ففسّروا القرآن بآرائهم ، وعطفوا الحقّ على أهوائهم ، وعملوا في مسائل الحلال والحرام والحدود والأحكام بأقيستهم ، فأبدعوا في الدّين ، وغيّروا شرع سيّد المرسلين صلوات الله عليه وآله أجمعين هذا .

ومثلهم في استحقاق الذّم والطّعن العلماء السوء منّا ، و هم الذين تعلّموا العلم من أهله ، وأخذوه من أحاديث الأئمة ، و رجعوا في تفسير القرآن إلى تفسير خير الامة إلاّ أنّهم لم يعملوا بعلمهم ، ووصفوا الحقّ فخالف فعلهم قولهم، وهم علماء الدّنيا الذين قصدهم من العلم التّنعم بالدّنيا والتّوصّل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها .

والآيات والأخبار في ذمّ هؤلاء و تشديد الأمر عليهم فوق حدّ الاحصاء ومتجاوزة مرتبة الاستقصاء، و ينبغي أن نورد هنا شطراً منها ممّا يناسب المقام .

فأقول : روى ثقة الاسلام الكلينيّ في الكافي عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : منهومان لا يشبعان: طالب

دنيا، وطالب علم، فمن اقتصر من الدّنيا على ما أحلّ الله له سلم، و من تناولها من غير حلّها هلك إلاّ أن يتوب أو يراجع، ومن أخذ العلم من أهله و عمل بعلمه نجا، ومن أراد الدّنيا فهي حظّها.

وعن أبي خديجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أراد الحديث لمنفعة الدّنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، و من أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدّنيا والآخرة.

وعن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فاتّهموه على دينكم، فانّ كلّ محبّ شيء يحوط ما أحبّ و قال عليه السلام: أوحى الله إلى داود عليه السلام لا تجعل بيني و بينك عالما مفتونا بالدّنيا فيصدّك عن طريق محبّتي، فانّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين إليّ، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم.

وعن ربعي بن عبدالله عمّن حدّثه عن أبي جعفر عليه السلام قال: من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السّفهاء أو يصرف به وجوه النّاس إليه فليتبوّء مقعده من النّار، إنّ الرّياسة لا تصلح إلاّ لأهلها.

وعن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد.

وعن حفص أيضاً قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: قال عيسى بن مريم عليه السلام: ويل للعلماء السوء كيف تلظّى عليهم النّار.

وعن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى:

«فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ».

قال: هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثمّ خالفوه إلى غيره.

وعن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يحدّث عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال في كلام له: العلماء رجلان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم

تارك لعلمه فهذا هالك، وإنّ أهل النّار ليتأذّون من ريح العالم التّارك لعلمه ، وإنّ أشدّ أهل النّار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة فأدخل الداعي النّار بترك علمه و اتّباعه الهوى و طول الأمل ، أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحق وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة

و عن عبدالله بن القاسم الجعفري عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصّفا .

أقول : ونعم ما قيل في هذا المعنى :

يا واعظ النّاس قد أصبحت متّهماً إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناساً راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وفيه عن عليّ بن هاشم بن البريد عن أبيه قال: جاء رجل إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب ثمّ عاد ليسأل عن مثلها فقال علي بن الحسين عليه السلام : مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولمّا تعملوا بما علمتم فانّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلّا كفراً ولم يزدد من الله إلّا بعداً.

وعن المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له : بم يُعرف النّاجي ؟ قال عليه السلام : من كان فعله لقوله موافقا فاثبت له الشهادة ، و من لم يكن فعله لقوله موافقا فانّما ذلك مستودع .

أقول: قال الشاعر :

لاتنه عن خلق و تأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

هذا والأخبار العامية في ذلك الباب كثيرة جدّاً وقد أكثر أبوحامد الغزالي في احياء العلوم من روايتها .

ففيه قال صلى الله عليه وآله : إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . وعنه صلى الله عليه وآله انّه قال: لا يكون المرء عالماً حتّى يكون بعلمه عاملا ، و قال صلى الله عليه وآله : العلم علمان علم على اللّسان فذلك حجّة الله على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النّافع

و قال عليه السلام إنّ العالم ليعذّب عذابا يطيف به أهل النّار استعظاماً لشدّة عذابه وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله : يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النّار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرّحى فيطيف به أهل النّار فيقولون مالك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه ، وأنهى عن الشّر وآتيه .

و روى معاذ بن جبل موقوفا و مرفوعا في رواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : من فتنة العالم أن يكون الكلام أحبّ إليه من الاستماع ، و في الكلام تنميق و زيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطاء ، وفي الصّمت سلامة وعلم.

و من العلماء من يخزن علمه فلا يحبّ أن يوجد عند غيره فذلك في الدّرك الأول من النّار، و من العلماء من يكون في علمه بمنزلة السّلطان إن ردّ عليه شيء من علمه أو تهوّن بشيء من حقّه غضب، فذلك في الدّرك الثانى من النار ، و من العلماء من يجعل علمه وغرايب حديثه لأهل الشرف واليسار و لايرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدّرك الثالث من النّار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطاء والله تعالى يبغض المتكلّفين، فذلك في الدّرك الرّابع من النّار، ومن العلماء من يتكلّم بكلام اليهود والنّصارى ليعزّ به علمه، فذلك في الدّرك الخامس من النّار، ومن العلماء من يتّخذ علمه مروّة ونيلا وذكراً في النّاس ، فذلك في الدّرك السادس من النّار، ومن العلماء من يستفزّه الزّهو والعجب فان و عظ أنف ، فذلك في الدّرك السّابع من النار ، إلى غير هذه مما رواه فيه، وهى كافية في الدّلالة على عظم وزر العالم في معاصيه و كون عذابه أشدّ وحسرته أدوم .

وسرّ ذلك أمران : **الاول** أنّ العالم إذا عصى يزلّ بعصيانه خلق كثير كما قيل: إذا فسد العالم فسد العالم ، فمن تناول شيئا من المحرّمات وقال للنّاس لا تتناولوه سخر به النّاس واستهزؤوه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون لولا أنّه أطيب شيء و ألذّه لما كان يستأثر به نفسه و يقدم عليه فيقتدي به الخلق في سوء عمله ويتّبعونه فيلحق به مثل وزرهم ، مضافا إلى وزر نفسه كما قال : من سنّ سنّة سيّئة كان له مثل وزر من عمل بها .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قصم ظهرى رجلان : عالم متهتّك ، وجاهل متنسّك

فالجاهل يغرّ النّاس بتنسّكه والعالم يغرّهم بتهتّكه .

و الثاني أنّ عصيان العالم مع اتّصافه بصفة العلم كاشف عن منتهى خبث طينته وسوء سريرته وغاية جرئته على مولاه ، وذلك بخلاف الجاهل فانه إمّا جاهل ساذج فلا تكليف في حقّه إذ الجهل مانع من أن يتوجّه إليه حكم أو خطاب ، فليس في حقّه أمر ولا نهى فلا ثواب ولا عقاب ، وإمّا جاهل في الجملة فليس له معرفة مثل المعرفة الّتي للعالم ولذلك جعل الله سبحانه ثواب المطيعات من نساء النبيّ ﷺ و العاصيات منهنّ ضعف ما لغيرهنّ ، لكونهنّ عارفات عالمات بادراكهنّ حضور النّبيّ ﷺ وصحبته كما قال عزّ من قائل :

« يا نِساءَ النَّبيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَكانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ، وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّهِ وَرَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً »

و قال سبحانه : « إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ » .

لأنّهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرّاً من النّصارى مع أنّهم ما جعلوا الله تعالى ولداً ولا قالوا : إنّه سبحانه ثالث ثلاثة إلاّ أنّهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله :

« يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ » وقال : « فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكافِرِينَ » و في سورة الجمعة : « مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرٰىةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ وَ اللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ » .

إذا ظهر لك أيّها العالم ذلك فلا يغرّنّك الشّيطان و لا يصدّنّك عن سبيل ربّك و لا ينبغي لك أن تعرّض نفسك للهوان و لغضب الرّحمن ، ولا يجوز لك أن تؤثر

دنياك على آخرتك ولأن تتبّع هوى نفسك أو تأمر النّاس بالبرّ و تنسى نفسك (١)، أو تقول مالا تفعل، فقد كبر مقتا عندالله أن تقولوا مالا تفعلون (٢) فالويل كلّ الويل لمن اتّبع هواه وباع آخرته بدنياه.

عجبت لمبتاع الضّلالة بالهدى و من يشتری دنياه بالدّين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

الترجمة

وشخصی دیگری هست که نسبت داده شده بأهل علم وحال آنکه عالم نیست پس کسب نمود جهالتها را ازجهال روزگار و ضلالتها را از گمراهان نابکار، ونصب نمود ازجهة فریفتن مردم دامهای حیلها را از ریسمانهای فریب واز گفتار دروغ، بتحقیق که حمل کرده کتاب مجید را بر رأیهای باطل خود، ومیل داده حق را بر آرزوهای عاطل خود، أیمن میگرداند مردم را از گناهان عظیم و آسان میگرداند جرمهای بزرك را.

میگوید که وقوف میکنم و باز می‌ایستم از شبهه ها و حال آنکه در آنها افتاده، ومی گوید که اعتزال میکنم و کناره جوئی مینمایم أز بدعتها وحال آنکه در میان آنها خواب کرده، پس صورت آن مثل صورت انسان است وقلب آن مثل قلب حیوان، پس نمیشناسد باب هدایت را تا پیروی کند آن را، ونه باب ضلالت را پس بازایستد ازآن، پس این شخص کذائي مردهٔ زنده است چه متّصف است بجهل ابدی که موت است درصورة حیاة.

الفصل الثالث

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ، وَالْأَعْلامُ قائِمَةٌ، وَالْآياتُ

١- قال تعالى أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم، منه

٢- اقتباس من الآية.

واضِحَةٌ، وَالْمَنارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتاهُ بِكُمْ، بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ، وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ، وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَعْلامُ الدِّينِ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطاشِ، أَيُّهَا النّاسُ خُذُوها عَنْ خاتَمِ النَّبِيِّينَ صلى الله عليه وآله وسلم- إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ ماتَ مِنّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنّا وَلَيْسَ بِبالٍ، فَلا تَقُولُوا بِما لا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيما تُنْكِرُونَ، وَأَعْذِرُوا مَنْ لا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَا هُوَ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ، وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ، وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رايَةَ الْإِيمانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلى حُدُودِ الْحَلالِ وَالْحَرامِ، وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَرَيْتُكُمْ كَرائِمَ الْأَخْلاقِ مِنْ نَفْسِي، فَلا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيما لا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، وَلا يَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ.

اللغة

(أفك) افكاً كذب وافكه عنه صرفه وقلبه أو قلب رأيه و (المنار) العلم المنصوب في الطريق ليهتدى به الضّال والموضع المرتفع الذي يوقد في أعلاه النّار و (تاه) تيها وتيهاناً ضلّ وتحيّر وتاه في الأرض ذهب متحيّراً ومنه قوله تعالى :

« يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ » .

أى يحارون و يضلّون و (عمه) في طغيانه عمها من باب تعب إذا تردّد متحيّراً قال سبحانه :

«فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ».

و رجل عمه وعامه أى متحيّر حاير عن الطريق و (ورد) البعير و غيره الماء ورداً وورودا بلغه و وافاه من غير دخول وقد يحصل دخول فيه و (الهيم) بالكسر الابل العطاش و (بلى) الثوب يبلى من باب رضى بلىً بالكسر والقصر وبلاء بالضمّ والمدّ

و (الثقل الأكبر) في بعض نسخ الكتاب بكسر الثاء و سكون القاف و (الثقل الأصغر) بالتحريك قال بعض شرّاح الحديث في شرح قول النبيّ صلّى الله عليه وآله إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله و عترتي : إنه من الثقيل سمّيا بذلك لكون العمل بهما ثقيلا و الأكثر على أنّه من الثّقل محرّكة قال في القاموس و الثقل محرّكة متاع المسافر وحشمه و كلّ شيء نفيس مصون، ومنه الحديث إنّي تارك فيكم الثّقلين آه و (ركزت الرمح) و نحوه ركزاً من باب قتل أثبتّه بالأرض فارتكز و (فرشت) البساط و غيره فرشا من باب قتل وضرب بسطته و (تغلغل) تغلغلا أسرع .

الاعراب

أين اسم استفهام سؤال عن المكان ، وأنّى تؤفكون بمعنى كيف كما فسّر به قوله «فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ».

والمقصود بالاستفهام التوبيخ ،والواو في قوله عليه السّلام : والأعلام قائمة للحال ، و كذلك في قوله وبينكم ، والفاء في قوله فأنزلوهم فصيحة ، والضمير في قوله خذوها راجع إلى مايفهم من المقام من الفايدة والرّواية ونحوهما على حدّ قوله : توارت بالحجاب و قوله ألم أعمل إمّا استفهام تقريريّ لما بعد النّفى أو إنكار إبطاليّ و هو الأظهر ، وجملة أنه يموت آه بدل من مفعول خذوها، فانّ المشهور جواز إبدال الظاهر من الضمير إذا كان غايباً .

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام لما شرح في الفصلين السّابقين حال المتّقين و الفاسقين

وذكر في بيان صفات الفسّاق انهم أخذوا الجهالة والضّلالة من الجهّال و الضّلال عقّب ذلك بالأمر بملازمة أئمة الدّين و أعلام اليقين لكونهم القادة الهداة أدلّاء على طريق النّجاة و كون لزومهم باعثاً على التّقوى ومحصّلاً للقربى ووبّخ المخاطبين أوّلا بصدّهم عن الحقّ وميلهم إلى الباطل وعدولهم عن أئمة الأنام عليهم الصّلاة و السّلام بقوله : (فأين تذهبون) أي أيّ طريق تسلكون أبين من طريق الحقّ وهذه الجملة مأخوذة من قوله سبحانه في سورة التّكوير:

« وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ، وَلَقَدْ رآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ، وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ، وَما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ، إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ ، لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ » .

روى عليّ بن إبراهيم في تفسير هذه الآية عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال : حدّثنا عبدالله بن موسى عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت : قوله :

« وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ »

قال : يعني النبيّ صلى الله عليه وآله ما هو بمجنون في نصبه أمير المؤمنين عليه السلام علما للنّاس قلت قوله :

« وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ »

قال ماهو تبارك وتعالى على نبيّه بغيبه بضنين عليه قلت :

« وَما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ »

قال : كهنة الّذين كانوا في قريش فنسب كلامهم إلى كلام الشّيطان الّذين كانوا معهم يتكلّمون على ألسنتهم فقال : وما هو بقول شيطان رجيم مثل أولئك قلت :

« فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ »

قال عليه السلام أين تذهبون في عليّ يعني ولايته أين تفرّون منها إن هو إلاّ ذكر للعالمين أخذ الله ميثاقه على ولايته قلت قوله :

« لِمَنْ شَآءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ » .

قال في طاعة عليّ و الأئمة عليهم السلام من بعده (و أنّى تؤفكون) أى تصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره وتقلبون عن طريق الهدى إلى سمت الضلالة والرّدى كما قال تعالى في سورة الأنعام :

« إِنَّ اللهَ فالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوٰى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذٰلِكُمُ اللهُ فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ » وفي سورة الملائكة :

« يا أَيُّهَا النّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ » وفي سورة المؤمن:

« ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ كَذٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللهِ يَجْحَدُونَ » .

قال الطبرسيّ في تفسير هذه الآية أى الّذى أظهر هذه الدّلالات وأنعم بهذه النّعم هو الله خالقكم و مالككم خالق كلّ شيء من السّماوات و الأرض و ما بينهما لا يستحقّ العبادة سواه فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع وضوح الدّلالة على توحيده هذا .

و لا يخفى عليك أنّ ما ذكرته في شرح هذه الفقرة إنّما هو أخذاً بظاهر كلامه عليه السلام ولكنّ الأظهر بمقتضى السّياق أنّه عليه السلام أراد بها توبيخ المخاطبين على العدول عنه فيكون معنى قوله : أنّى تؤفكون أنّى تقلبون عنّي و عن ولايتي و ملازمتي .

و مثل ذلك قوله عليه السلام (و الأعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة) فانه يجوز أن يراد به أعلام القدرة وآيات المقدرة و آثار التوحيد ومنار التفريد و أدلّة الوجود من المهاد الموضوع و السّماء المرفوع واختلاف اللّيل والنّهار والفلك الجاري في البحر الزخّار والمطر النّازل من السحاب الذي أحيى به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من الدّواب إلى غير هذه من دلايل التوحيد و الجلال وعلائم الكمال والجمال.

إلاّ أنّ الأظهر أنّ المراد بها هو أعلام الدّين وآيات اليقين ومنار الهدى وأئمة الورى، ويشهد بذلك ماورد في حديث وصفهم عليهم السلام : جعلتهم أعلاما لعبادك ومناراً في بلادك أى هداة يهتدى بهم .

ويدلّ عليه الأخبار الواردة في أنّهم عليهم السلام آيات الله و بيّناته ، مثل ما في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم مسنداً عن أبي حمزة قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ :

« اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

قال أبوجعفر عليه السلام : نزلت في الذين كذّبوا في أوصيائهم صمّ و بكم كما قال الله في الظّلمات من كان من ولد إبليس فانّه لا يصدق بالأوصياء ولا يؤمن بهم أبداً ، وهم الذين أضلّهم الله و من كان من ولد آدم عليه السلام آمن بالأوصياء و هم على صراط مستقيم قال : وسمعته يقول : كذبوا بآياتنا كلّها في بطن القرآن ان كذّبوا بالأوصياء كلّهم ، ومنه في قوله :

« وَ الَّذِينَ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ » .

قال: أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم ، والدّليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام : ما لله آية أكبر منّي .

و منه باسناده عن داود بن كثير الرّقي قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله :

«وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ».

قال عليه السلام: الآيات الأئمة والنّذر الأنبياء عليهم السلام.

ومنه عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله:

«إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ»

قال تخضع رقابهم يعني بني أمية، وهي الصّيحة من السّماء باسم صاحب الأمر عليه السلام إلى غير ذلك ممّا ورد عنهم عليهم السلام في تفسير الآيات القرآنيّة ممّا لا نطيل برواياتها، فقد ظهر بذلك كلّه أنهم المراد بالآيات الواضحة فيكون إطلاقها عليهم باعتبار أنهم علامات جليلة واضحة لعظمة الله وقدرته وعلمه ولطفه ورحمته.

فما آيـة لله أكبر منهـم فهم آية من دونهم كلّ آية

سرى سرّهم في الكائنات جميعها فمن سرّهم لم يخل مثقال ذرّة

هذا وقوله (فأين يتاه بكم بل كيف تعمهون) تأكيد لقوله فأين تذهبون وأنّى تؤفكون، فانّه لمّا سألهم عن إفكهم و ذهابهم و وبّخهم عليه أكّده بذلك مشيراً به إلى أنّ الافك والذّهاب موجب لتيههم وتحيّرهم و عمههم و ضلالتهم.

وأكّد الجملة الحالية السّابقة أعني قوله: والأعلام قائمة الخ بقوله (وبينكم عترة نبيّكم) مشيراً به إلى أنّهم المراد بالأعلام والآيات، والمراد بعترة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الأئمة عليهم السلام.

ويدلّ عليه ما في البحار من العيون ومعاني الأخبار عن الهمداني عن عليّ عن أبيه عن ابن أبي عمير عن غياث بن إبراهيم عن الصّادق عن آبائه عليهم السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين عليهم السلام تاسعهم مهديهم و قائمهم لا يفارقون كتاب الله و لا يفارقهم حتّى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوضه.

و سيأتي في شرح الخطبة الثّالثة والتسعين مزيد تحقيق في معنى العترة إنشاء الله (وهم أزمّة الحقّ و ألسنة الصدق) يعني أنّهم عليهم السلام القائدون يقودون الخلق إلى الحقّ كما تقاد النّاقة بالزمام إلى الطريق ، وهم تراجمة الوحي كما أنّ اللّسان ترجمان النفس و يدلّ على الأوّل وصفهم في فقرات الزيارة الجامعة بقوله : وقادة الأمم، يعني أنهم عليهم السلام قادة الأمم إلى معرفة الله و دينه يقودونهم بدعائهم وتعريفهم وأمرهم وترغيبهم إلى المعرفة والدّين ، فمن أجاب قادوه إلى الجنة ومن أناب ساقوه إلى النّار كما قال عليه السلام : أنا قسيم الجنّة والنّار ، وهو نعمة الله على الأبرار ونقمته على الفجّار .

ويدلّ على الثاني وصفهم عليهم السلام في فقرات الزيارة المذكورة بقوله : وتراجمة لوحيه ، يعني أنّهم المؤدّون من الحقّ إلى الخلق فلا يخفى ما بين القرينتين في كلامه عليه السلام من الحسن واللّطف حيث إنّ محصّل معناهما أنهم عليهم السلام دلائل للخلق على الحقّ ووسايط للحقّ إلى الخلق هذا .

ويجوز أن يكون المراد بقوله : وهم أزمّة الحقّ أنّ زمام الحقّ بيدهم عليهم السلام فيكون مساقه مساق قول رسول الله صلى الله عليه وآله الحقّ مع عليّ وهو مع الحقّ أينما دار. ومن طرق الخاصة متواترا عن النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة صلوات الله وسلامه عليه وعليهم : الحقّ مع الأئمة الاثنى عشر ، وفي فقرات الزيارة الجامعة : والحقّ معكم وفيكم ومنكم و إليكم وأنتم أهله و معدنه .

وأن يكون المراد بقوله عليه السلام وألسنة الصدق أنهم لايقولون إلاّ صدقاً وحقّاً فيكون تصديقاً لدعاء إبراهيم حيث إنّه دعا ربّه بما حكاه الله عنه بقوله في سورة الشعراء :

« وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ » .

أى اجعل صادقاً من ذرّيتي يجدد أصل ديني و يدعو النّاس إلى ما كنت أدعوهم إليه ، فاستجاب الله دعوته واصطفى من ذرّيّته محمّداً وآله صلوات الله و سلامه عليه

وعليهم وجعلهم لسان صدق له .

ويؤيّد ذلك ما في تفسير القمّي عند قوله :

« وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ » .

قال : هو أمير المؤمنين عليه السلام وفي مجمع البيان في تفسير قوله تعالى :

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ »

قال الطّبرسيّ أي اتّقوا معاصي الله واجتنبوا وكونو مع الصّادقين الذين يصدقون في أخبارهم ولا يكذبون ، و معناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله وصاحبوهم و رافقوهم وقد وصف الله الصّادقين في سورة البقرة بقوله :

« وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » إلى قوله : « أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » .

فأمر سبحانه بالاقتداء بهؤلاء ، و قيل: المراد بالصّادقين هم الّذين ذكرهم الله في كتابه وهو قوله :

« رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ ».

يعني حمزة بن عبدالمطلب وجعفر بن أبي طالب .

« وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ » يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وروى الكلينيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : كونوا مع الصّادقين مع عليّ عليه السلام وأصحابه .

وروى جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله وكونوا مع الصّادقين ، قال : مع آل محمّد سلام الله عليهم .

ثمّ إنّه عليه السلام بعد توصيف العترة الطّاهرة بأنّهم أزمّة الحقّ وألسنة الصدق أمر بتعظيمهم و إجلالهم بقوله (فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن) قال الشّارح المعتزلي في شرحه إنّه عليه السلام أمر المكلّفين أن يحروا العترة في إجلالها و إعظامها

والانقياد والطّاعة لأوامرها مجرى القرآن .

و قال الشّارح البحراني: اعلم أنّ للقرآن منازل: الأولى القلب و هو فيه بمنزلتين:إحداهما منزلة الاكرام و التّعظيم، والثانية منزلة التصوّر فقط، الثالثة منزلته في الوجود اللّساني بالتلاوة، الرابعة منزلته في الدفاتر والكتب، و أحسن منازله هي الأولى فالمراد إذن الوصية باكرامهم و محبّتهم و تعظيمهم كما يكرم القرآن بالمحبّة والتّعظيم .

أقول : فعلى ما ذكراه يكون معنى كلامه عليه السلام أنزلوهم بأحسن المنازل التي كانت للقرآن ، والأظهر عندي أنّ معناه أنزلوهم بأحسن المنازل التي أثبتها القرآن لهم ، فانّ المنازل الثابتة لهم عليهم السلام بالآيات القرآنيّة متفاوتة مختلفة في العلوّ والرفعة فأمر عليه السلام بانزالهم بأحسن المنازل وأسنى المراتب ، و هو بأن يستمسكوا بأظهر الآيات دلالة على رفعة شأنهم وعلوّ مقامهم مثل قوله سبحانه:

« إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» الدّال على خلافتهم وولايتهم (ع) وقوله:

« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »

الدّالّ على عصمتهم و طهارتهم و قوله : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) الدّال على ملازمتهم ومودّتهم

روى الطّبرسيّ في مجمع البيان في تفسير الآية الأخيرة من كتاب شواهد التنزيل مرفوعا إلى أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله خلق الأنبياء من أشجار شتّى وخلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة فأنا أصلها وعليّ فرعها

والحسن والحسين ثمارها وشيعتنا أوراقها ، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا ، ومن زاغ هوى ، ولو أنّ عبداً عبدالله بين الصّفا والمروة ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ ألف عام حتّى يصير كالشنّ البالي ثمّ لم يدرك محبّتنا أكبّه الله على منخريه في النّار ثمّ تلا :

(قُل لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ في الْقُرْبىٰ) .

قال الطبرسيّ وروى زاذان عن علي عليه السلام قال : فينا في آل حم آية لايحفظ مودّتنا إلاّ كلّ مؤمن ثمّ قرء هذه الآية وإلى هذا أشار الكميت في قوله:

وجدنا لكم في آل حم آية تأوّلها منّا تقيّ و معرب

و في البحار ذكر أبوحمزة الثّمالي في تفسيره حدّثني عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حين قدم المدينة واستحكم الاسلام قالت الأنصار فيما بينهم : نأتي رسول الله فنقول له إنه تعروك امور فهذه أموالنا فاحكم فيها غير حرج ولا محظور عليك ، فأتوه في ذلك فنزل :

(قُلْ لاٰ أسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ في الْقُرْبىٰ)

فقرأها عليهم فقال تودّون قرابتي من بعدي ، فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله ، فقال المنافقون : إنّ هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد بذلك أن يذلّلنا لقرابته من بعده فنزلت :

(أمْ يَقُولُونَ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً) .

فأرسل إليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتدّ عليهم فأنزل الله :

(وَ هُوَ الّذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ) الآية.

فأرسل في أثرهم فبشّرهم وقال: ويستجيب الله الّذين آمنوا وهم الّذين سلّموا لقوله ثمّ قال سبحانه :

(وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً) .

أى من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسناً بأن نوجب له الثواب .

و ذكر أبوحمزة الثمالي عن السدى أنه قال : اقتراف الحسنة المودة لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وصح عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه خطب الناس فقال في خطبته : أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال :

(قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فيها حُسْناً) .

فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

و روى اسماعيل بن عبدالخالق عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : إنها نزلت فينا أهل البيت أصحاب الكساء انتهى كلامه رفع مقامه .

وقال الفخر الرازى في التفسير الكبير نقل صاحب الكشاف عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ألا و من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما يزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة.

ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رايحة الجنة ، قال: هذا هو الذي رواه صاحب الكشاف .

وأنا أقول: آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله أشدّ التّعلّقات ، وهذا كالمعلوم بالنّقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل ، وأيضاً اختلف النّاس في الآل فقيل هم الأقارب ، و قيل هم امّته فان حملناه على القرابة فهم الآل و إن حملناه على الامّة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل، فثبت أنّ على جميع التقديرات هم الآل وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه .

قال: و روى صاحب الكشاف أنّه لمّا نزلت هذه الآية قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم عليّ و فاطمة وابناهما ، فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و إذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التّعظيم

ويدلّ عليه وجوه : الأوّل قوله تعالى «إلاّ المودّة في القربى» والثّاني لاشكّ أنّ النّبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يحبّ فاطمة عليها السلام قال صلى الله عليه وآله وسلم : فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها ، وثبت بالنّقل المتواتر من محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين ، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الامّة مثله لقوله :

(وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ولقوله: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) ولقوله: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ) ولقوله سبحانه : (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) .

الثّالث أنّ الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدّعاء خاتمة التشهّد في الصّلاة وهو قوله : اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد وارحم محمّداً وآل محمّد ، و هذا التّعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل فكلّ ذلك يدلّ على أن حبّ آل محمّد واجب ، وقال الشّافعي:

ياراكباً قف بالمحصّب من منى واهتف بساكن خيفها والنّاهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كما نظم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبّ آل محمّد فليشهد الثّقلان أنّي رافضي

انتهى كلام الرازي خذله الله

اقول : و لا يكاد ينقضي عجبي من هذا النّاصب أنّه مع نقله تلك الأخبار المستفيضة المتفق عليها بين الفريقين و اقراره بهذه الفضايل للآل كيف يتعصّب في حقّ أئمته ويرضى بخلافتهم ويذعن بامامتهم مع أنّ دلالة هذه الأخبار على كفرهم و شقاوتهم غير خفيّة إذ بغضهم لأهل بيت الرّسول في حياته وبعد وفاته ظاهر ، وأذاهم لبضعته في إحراق بابها وإسقاط جنينها وغصب فدك منها واضح ، وتسليطهم بني اميّة و بني أبي معيط على رقاب أهل البيت و ماجرى من الظلم والجور بسبب ذلك عليهم عليهم السلام غني عن البيان ، وإنما أنطق الله لسانه على الحقّ إتماماً للحجّة وإكمالا للبيّنة لئلا يقول يوم القيامة :

(إنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلينَ»«وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلاهادِيَ لَهُ »« وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ).

ثمّ إنّ الشّارح المعتزلي قال في شرح هذه الفقرة أعني قوله عليه السلام : فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن بعد كلامه الذي قدّمنا ذكره :

فان قلت : فهذا القول منه عليه السلام يشعر بأنّ العترة معصومة فماقول أصحابكم في ذلك ؟

قلت : نصّ أبو محمّد بن متنويه في كتاب الكفاية على أنّ علياً عليه السلام معصوم وإن لم يكن واجب العصمة ولاالعصمة شرط في الامامة لكن أدلّة النّصوص قد دلّت على عصمته و القطع على باطنه و نفسه وإنّ ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصّحابة ، والفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم وبين قولنا زيد واجب العصمة ، لأنّه امام و من شرط الامام أن يكون معصوما فالاعتبار الأوّل مذهبنا والاعتبار الثّاني

مذهب الامامية انتهى كلامه هبط مقامه .

و فيه أنك قد عرفت في مقدمات شرح الخطبة الشقشقية بما لامزيد عليه وفي غيرها أيضاً أنّ العصمة شرط في الامامة ، ومحصل ماقلناه هناك : أن غير المعصوم لا يؤمن منه الخطأ و الضلال فكيف يأمنه النّاس في ضلالته و خطائه ، و إن شئت زيادة الاستبصار فارجع ثمّة .

وأمّا قوله عليه السلام (و ردوهم ورود الهيم العطاش) فأشار به إلى اقتباس العلوم و اكتساب الأنوار منهم ، فانهم (ع) لما كانوا ينابيع العلوم وكان علمهم بمنزلة العذب الفرات و كان الخلق محتاجين إليهم في ذلك حسن منه عليه السلام أن يأمرهم بورودهم ويشبّه ورودهم بورود الابل الظمآن على الماء وهو نظير قوله سبحانه .

(فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) .

قال الحارث سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية قال : والله إنّا لنحن أهل الذكر نحن أهل العلم نحن معدن التأويل والتنزيل .

ثم إنه عليه السلام لما ذكر فضايل الآل ومناقبهم عقّب ذلك وأكده بذكر منقبة اُخرى وفضيلة عظمى رواها عن رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال (أيها الناس خذوها عن خاتم النبيّين) وسيد المرسلين (صلّى الله عليه وآله) أجمعين (انه يموت من مات منّا و ليس بميت ويبلى من بلى منّا وليس ببال)

اعلم أن هذا الحديث من مشكلات الأحاديث ومتشابهاتها وقد اختلف في توجيهه أنظار الشرّاح و تأوّله كلّ بما يقتضيه سليقته و مذاقه ، و أعظمهم خبطاً وأشدّهم وهماً الشارح البحراني مع فضله وذكائه وبراعته في علم الحكمة حسبما تطلع عليه و لا غرو وفيه فانّ الحكمة بعيدة عن مذاق الأخبار وحاجبة من اقتباس الأنوار والأسرار المودعة في كنوز أحاديث الأئمة الأطهار .

و أنا أتمسك في شرح المقام بحبل العناية الأزليّة و أستمدّ من الحضرة الالهيّة وأستمسك بذيل أهل بيت العصمة والطّهارة ، وأُبيّن أوّلاً جهة الاشكال و هو

أنّ كلامه عليه السلام بظاهره متناقض حيث إنّه نفى الموت والبلا عنهم بعد إثباتها عليهم والايجاب يناقض السلب و السّلب للايجاب ، وأيضاً أنهم عليهم الصّلاة والسّلام هل يحكم بموتهم و بلاهم في الواقع و نفس الأمر على ما هو مقتضى الشطر الايجابيّ من القضيّتين أولايحكم بشيء منهما في حقّهم علىمايقتضيه الجزء السّلبيّ منهما .

فأقول وبالله التوفيق : إنّ حلّ الاشكال في المقام موقوف علىٰ تحقيق الكلام في كلّ من القضيّتين وبه يرتفع التناقض من البين.

فأمّا القضيّة الأولى فمحصّل القول فيها أنّ النّبيّ و الأئمة صلوات الله وسلامه عليه وعليهم إلاّ الحجّة المنتظر عجّل الله فرجه قد انتقلوا من دارالدّنيا إلى دارالآخرة وخرجت أرواحهم من أبدانهم وجرى الموت عليهم حقيقة كماهو نصّ الجزء الايجابي من هذه القضيّة ، ونفى الموت عنهم إنما هومن مفتريات عبدالله ابن سبا ومن حذا حذوه من الغلاة مخالف لاجماع الامة و لنصّ الكتاب والسنّة وقد قال سبحانه :

(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) وقال: (وَما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ) .

وأمّاسلب الموت عنهم عليهم السلام في الجزء الثّاني من القضيّة فهومحمول على حياتهم بأجسادهم المثالية كما هو مذهب جمع من أصحابنا على ماحكى عنهم الطّبرسيّ في مجمع البيان في تفسيرقوله:

(وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلٰكِنْ لا يَشْعُرُونَ) .

و إليه ذهب المحدّث المجلسيّ في كتاب حقّ اليقين و نسبه فيه على ما ببالي إلى المفيد (ره) .

و قال في البحار في المجلّد الرابع عشر منه: ونحن لا ننكر الأجساد المثالية

و تعلّق الأرواح بها بعد الموت بل نثبتها لدلالة الأحاديث المعتبرة عليها ، بل لا يبعد عندي وجودها قبل الموت أيضا فتتعلّق بها الأرواح في حال النوم و شبهه من الأحوال لضعف تعلّقها بالأجساد الأصلية فيسير بها في عوالم الملك والملكوت ولا أستبعد في الأرواح القويّة تعلّقها بالأجساد المثالية الكثيرة ، وتصرّفها في جميعها في حاله فلا يستبعد حضورهم عليهم السلام في آن واحد عند جمع كثير من المحتضرين و غيرهم .

و قال (ره) في المجلّد التاسع منه بعد نقله رواية البرسي في مشارق الأنوار استقبال أمير المؤمنين وحضوره جنازة نفسه في ظهر الكوفة عند تشييع الحسنين عليهما السلام لها:

ولا أردّ هذه الرّواية لورود الأخبار الكثيرة الدالّة على ظهورهم عليهم السلام بعد موتهم في أجسادهم المثالية كما نقلنا عنه في شرح الكلام التاسع والستّين ، ولا بعد في ذلك أي في ثبوت الأجساد المثالية لهم ، فقد ثبت ذلك في حقّ المؤمنين الّذينهم من فاضل طينتهم و أشعّة أنوارهم فكيف وهو عليه السلام أمير المؤمنين و هو و أولاده المعصومون سادات أهل الايمان واليقين بهم سعد من سعدو بولايتهم فاز من فاز وكلّ الكمالات فيهم ومنهم وبهم وإليهم .

روى الكلينيّ في الكافي باسناده عن القاسم بن محمّد عن الحسين بن أحمد عن يونس بن ظبيان قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فقال : مايقول النّاس في أرواح المؤمنين ؟ فقلت : يقولون تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير ، يا يونس إذا كان ذلك أتاه محمّد صلّى الله عليه وآله و عليّ و فاطمة و الحسن والحسين و الملائكة المقرّبون عليهم السلام فاذا قبضه الله عزّ وجلّ صيّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدّنيا فيأكلون ويشربون ، فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصّورة الّتي كانت في الدّنيا .

ورواه في مجمع البيان عن تهذيب الأحكام للشيخ عن القاسم بن محمّد نحوه .

وفي الكافي باسناده عن أبي بصير قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّا نتحدّث عن أرواح

المؤمنين أنّها في حواصل طيور خضر ترعى في الجنّة وتأوى إلى قناديل تحت العرش فقال عليه السلام: لا إذن ماهي في حواصل طير، قلت: فأين هي؟ فقال عليه السلام في روضة كهيئة الأجساد في الجنة.

وفي مجمع البيان والصافي من التهذيب عن أبي بصير قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن أرواح المؤمنين، فقال: في الجنّة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان.

و كيف كان فلا غبار على ذلك، و إطباق المشايخ على القدح في يونس بن ظبيان و نسبتهم له إلى الغلوّ و الكذب مع مدح بعضهم له وتلقّى جمع منهم روايته هذه بالقبول وبنائهم على مضمونها مع اعتضادها بالرّوايات الأخر لايقدح في روايته هذه والعمل عليها، هذا هو الذي يقتضيه النظر الجليل في توجيه سلب الموت عنهم (ع).

وأمّا الذي يقتضيه النظر الدقيق فهو أن يقال بحياتهم بعد موتهم بأجسادهم الأصلية التي كانت في الدّنيا، ولا غروفيه بعد دلالة الأخبار المعتبرة عليه.

مثل ما في الوسائل في باب كراهة الاشراف على قبر النبيّ صلى الله عليه وآله من فوق عن الكليني عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد البرقي عن جعفر بن المثنى الخطيب قال: كنت بالمدينة و سقف المسجد الذي يشرف على القبر قد سقط، و الفعلة يصعدون و ينزلون ونحن جماعة، فقلت لأصحابنا: من منكم له موعد يدخل على أبي عبدالله عليه السلام الليلة؟ فقال مهران بن أبي نصر: أنا، وقال إسماعيل بن عمّار الصّيرفي: أنا، فقلنا: سلاه عن الصّعود لنشرف على قبر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فلماكان من الغد لقيناهما فاجتمعنا جميعاً، فقال اسماعيل: قد سألناه لكم عمّا ذكرتم فقال: ما أحبّ لأحد منهم أن يعلوه فوقه ولاآمنه أن يرى منه شيئاً يذهب منه بصره أو يراه قائما يصلّي أو يراه مع بعض أزواجه.

و في البحار من المناقب لابن شهر آشوب عن عبدالله بن سليمان و زياد بن المنذر و الحسن العباس بن حريش كلّهم عن أبي جعفر عليه السلام وأبان بن تغلب ومعاوية ابن عمّار و أبوسعيد المكاري كلّهم عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لقى الأوّل فاحتجّ عليه ثمّ قال: أترضى برسول الله صلى الله عليه وآله بيني و بينك؟ فقال:

و كيف بذلك ؟ فأخذ بيده فأتى به مسجد قبا فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله فيه فقضى له على الأوّل .

و فيه من إرشاد القلوب عن الصّادق عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر بحديث الغدير وغيره فقال أبو بكر : لقد ذكرتني يا أمير المؤمنين أمراً لو يكون رسول الله صلى الله عليه وآله شاهداً فأسمعه منه ، فقال أمير المؤمنين: الله ورسوله عليك من الشّاهدين يا أبا بكر إذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً ويقول لك إنّك ظالم لي في أخذ حقّي الّذي جعله الله لي ولرسوله دونك و دون المسلمين أتسلّم هذا الأمر إليّ وتخلع نفسك منه ؟ فقال أبو بكر : يا أبا الحسن وهذا يكون أرى رسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً بعد موته يقول لي ذلك ؟ فقال أمير المؤمنين : نعم يا أبا بكر ، قال : فأرني ذلك إن كان حقّاً ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله ورسوله عليك من الشّاهدين إنّك تفي بما قلت ؟ قال أبو بكر : نعم فضرب أمير المؤمنين عليه السلام على يده و قال : تسعى معي نحو مسجد قبا فلمّا و رداه تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام فدخل المسجد وأبو بكر من ورائه فاذا برسول الله صلى الله عليه وآله في قبلة المسجد ، فلمّا رآه أبو بكر سقط لوجهه كالمغشيّ عليه فناداه رسول الله صلى الله عليه وآله : ارفع رأسك أيّها الضّليل المفتون ، فرفع أبو بكر رأسه وقال : لبّيك يا رسول الله أحياة بعد الموت يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله : ويلك يا أبا بكر

(إنّ الّذي أحياها لمحيي الموتى إنّه على كلّ شيءٍ قديرٌ) الحديث و نحوها أخبار اخر.

و أنت بعد ذلك لو سنحت بخاطرك سوانح الشبهات و خالجتك الشّكوك و احتملت تأويل هذه الأخبار بالأجساد المثالية و أردت أن يطمئنّ قلبك بجواز الحياة على الأجساد الأصلية

فراجع إلى مارواه في البحار من المناقب عن أبان بن تغلب و الحسين بن معاوية وسليمان الجعفري وإسماعيل بن عبدالله بن جعفر كلّهم عن أبي عبدالله عليه السلام

قال : لمّا حضر رسول الله المماة دخل عليه عليّ عليه السلام فأدخل رأسه معه ثمّ قال : ياعلي إذا أنامتّ فغسّلني و كفنّي ثمّ اقعدني وسائلني واكتب ومن تهذيب الأحكام فخذ بمجامع كفني ثمّ اسألني عما شئت فوالله لا تسألني عن شيء إلاّ أجبتك .

ورواه فيه من البصاير والكافي والخرايج عن البزنطي عن فضيل عن أبي عبدالله عليه السلام مثله ، وفيه وفي رواية أبي عوانه باسناده قال علي عليه السلام ففعلت فأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيامة .

وفي البحار أيضاً من الخرايج عن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قال عليّ بن أبيطالب عليه السلام : أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله إذا توفّى أن استسقي سبع قرب من بئر غرس فأغسله بها ، فاذا غسلته وفرغت من غسله أخرجت من في البيت قال: فاذا اخرجتهم فضع فاك على فيّ ثمّ سلني عمّا هو كائن إلى أن تقوم الساعة من أمر الفتن، قال عليّ عليه السلام : ففعلت ذلك فأنبأني بما يكون إلى أن تقوم الساعة ، وما من فئة تكون إلاّ وأنا أعرف أهل ضلالها من أهل حقّها .

ومن الخرايج أيضاً عن حفص بن البختري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين: إذا أنا متّ فغسّلني و كفّنّي وما املي عليك فاكتب قلت : ففعل؟ قال: نعم .

و يزيد توضيحاً لذلك الأخبار الواردة في كتب المقاتل من أنّ الرّأس الأطيب الأطهر الأنور للسّيد الشّهداء روحي و جسمي لـه الفداء كان ينظر ويتحرّك و يتكلّم بعد قتله عليه السلام فيكبّر تارة و يحوقل أخرى و يقرء من القرآن آية الكهف وغيرها على السّنان و يخبر عن ما سنح بخاطر ابن و كيدة بالكوفة ، إلى غير هذه ممّا شوهدت منه من المعجزات والكرامات ، أفيمكن لك أن تقول إنّ ذلك لم يكن رأسه الأصلي وانّما كان رأسه المثالي؟ فاذا جاز الحياة على الرأس الذي هو جزء من البدن الشريف سلام الله عليه فكيف بالبدن تمامه.

وقد روى غير واحد من أرباب المقاتل المعتبرة جلوس الجسد المذبوح عند وداع أهل بيته عليه السلام له ومعانقته لبنته الصغيرة و وصيّته إليها بأن يقول لشيعته :

شيعتي ما إن شربتم ماء عذب فاذكروني أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني

إلى آخر الأبيات التي خرجت من الحلقوم الشّريف لعن الله قاتليه و ظالميه أبد الآبدين ودهر الداهرين.

فحاصل الكلام وفذلكة المرام أنّي لا أمنع من تصرّفات أرواحهم الكلّيّة في أجسادهم الأصليّة كتصرّفها فى الأجساد المثاليّة على ماعليه أساطين العلماء باقدار من الله سبحانه وإفاضة منه الحياة عليهم بعد موتهم إظهاراً لشرفهم ورفعتهم و كرامتهم وإتماماً للحجّة في بعض المقامات

(لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ).

ولا أرى مانعاً من ذلك إلاّ ما في المجلس التّاسع عشر من كتاب أسرار الشّهادات من أنّ القول بتعلّق الأرواح بالأجساد الدّنيويّة الأصليّة قبل قيام الساعة أو قبل الرّجعة ممّا قام الاجماع على بطلانه

ولكنّك خبير بمافيه إذ المسألة غير معنونة في كلام الأصحاب فكيف يمكن دعوى الاجماع وبعد الغضّ عن ذلك غايته أنّه إجماع منقول بخبر الواحد وهو على القول بحجّيته لا يكافؤ الأخبار المستفيضة الدّالّة على خلافه.

ويؤيّد ماذكرته ويقرّبه ما في مجمع البيان في تفسير الآية السّابقة أعني قوله:

(وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ)

فانّه بعد ما اشكل في حياة الشهداء بقوله : فان قيل : فنحن نرى جثّة الشهداء مطروحة على الأرض لا تنصرف ولا يرى فيه شيء من علامات الأحياء ، قال (ره) ما نصّ عبارته :

فالجواب أمّا على مذهب من يقول من أصحابنا أنّ الانسان هو النّفس إنّ الله يجعل لهم أجساماً كأجسامهم في دار الدّنيا يتنعّمون فيها دون أجسامهم التي في القبور فانّ النّعيم والعذاب إنما يحصل عنده إلى النّفس التي هي الانسان المكلّف

عنده دون الجثة إلى أن قال : فأمّا على مذهب من قال من أصحابنا إنّ الانسان هذه الجمل المشاهدة و إنّ الرّوح هوالنّفس المتردّد في مخارق الحيوان و هو أجزاءالجوّ فالقول أنه يلطف أجزاء من الانسان لايمكن أنيكون الحيّ حيّا بأقلّ مما يوصل إليها النّعيم وإن لم تكن تلك الجملة بكمالها ، لأنّه لايعتبر الأطراف وأجزاء السّمن في كون الحيّ حيّا ، فانّ الحيّ لا يخرج بمفارقتها من كونه حيّا.

وربّما قيل : بأنّ الجثّة يجوز ان يكون مطروحة في الصورة ولا يكون ميتة فتصل إليها اللّذات كما أنّ النّائم حيّ وتصل إليه اللّذات مع أنه لايحسّ ولايشعر بشيء من ذلك ، فيرى في النوم ما يجد به السّرور والالتذاذ حتّى يودّ أن يطول نومه فلا ينتبه .

و قد جاء في الحديث أنّه يفسح له مدّ بصره و يقال له نم نومة العروس ، وقريب منه ما في التّفسير الكبير للفخر الرّازي حيث قال :

فان قيل: نحن نشاهد أجسادهم ميتة في القبور فكيف يصحّ ما ذهبتم إليه؟ .

قلنا: أماعندنا فالبنية ليست شرطا في الحياة و لا امتناع في أن يعيدالله الحياة إلى كلّ واحد من تلك الذّرات والأجزاء الصّغيرة من غير حاجة إلى التركيب والتأليف ، و أمّا عند المعتزلة فلا يبعد أن يعيدالله إلى الأجزاء التي لابدّ منها في ماهية الحيّ و لا يعتبر بالأطراف و يحتمل أيضاً ان يحييهم إذا لم يشاهدوا .

وبالجملة فقد تقرّر ممّا ذكرنا جوازالحياة علىالأبدان الأصلية في الجملة وارتفع بعد ذلك فينظرك بما نسبه الطبرسيّ إلىجمع من أصحابنا والفخرالرّازي إلى المعتزلة مع أنه لا يعبؤ باستبعاد العقول بعد دلالة نصّ الآية و قيام الأخبار المستفيضة عليه هذا .

وأمّا القضية الثانية أعنى قوله : و يبلى من بلى منّا وليس ببال ، فقد ظهر تحقيق الكلام فيها مما سبق إذ بعد القول بحياة الأبدان على الوجه الذي قلناه

لا يتصوّر البلى لمنافاتها له، نعم لا ينافيها على الوجه الذي اختاره الأشاعرة والوجه الذي ذهب إليه المعتزلة وجمع من أصحابنا على ما عرفت في نقل كلامهم.

ويدلّ على ذلك أي على عدم البلى ظواهر الأخبار السّابقة مضافة إلى ما في الكافي عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن زياد بن أبي الجلال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من نبيّ ولا وصيّ نبيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيّام حتّى ترفع روحه و عظمه إلى السّماء و إنما يؤتى مواضع آثارهم ويبلغونهم من بعيد السّلام ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب.

وفي الوسائل عن الشيخ باسناده عن محمّد بن سنان عن المفضل بن عمر قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: إنّي اشتاق إلى الغريّ فقال: ما شوقك إليه؟ فقلت: له إنّي أحبّ أن أزور أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام: هل تعرف فضل زيارته؟ قلت: لا إلاّ أن تعرّفني، فقال عليه السلام: إذا زرت أمير المؤمنين عليه السلام فاعلم أنّك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم عليّ بن أبي طالب عليه السلام الحديث.

وما في شرح المعتزلي عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّ الأرض لم تسلّط عليّ وأنها لا تأكل لي لحما ولا تشرب لي دماً.

وفي الفقيه عن الصّادق عليه السلام إنّ الله عزّ وجلّ حرّم عظامنا على الأرض وحرّم لحومنا على الدّود أن يطعم منها شيئاً.

وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، قالوا: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال عليه السلام: أما حياتي فانّ الله عزّ وجلّ يقول: و ما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم، وأمّا مفارقتي إيّاكم فانّ أعمالكم تعرض عليّ كلّ يوم فما كان من حسن استزدت الله لكم وما كان من قبيح استغفرت الله لكم، قالوا: و قد رممت يا رسول الله صلى الله عليه وآله يعنون صرت رميماً فقال عليه السلام: كلاّ إنّ الله تبارك و تعالى حرّم لحومنا على الأرض أن يطعم منها شيئاً، هذا.

ومقتضى الجمع بين هذه الأخبار والأخبار الدالّة على نقل عظام آدم عليه السلام

إلى الغريّ وعظام يوسف إلى الأرض المقدّسة هو اختصاص حكم عدم البلى بهذه الشجرة المباركة أعني خاتم النبيّين وأوصيائه المعصومين سلام الله عليهم أجمعين.

فان قلت: فاذا قلت بعدم البلى على ما يقتضيه قوله عليه السلام ليس ببال فكيف التوفيق بينه وبين قوله و يبلى من بلى منّا المقتضي لثبوت البلى؟

قلت: ذلك محمول على زعم أغلب الخلق فانّ اسراء عالم الحواسّ من الناس لمّا زعموا أنّ الموت ملازم للبلى وقاسوا أولياء الله وعباده المصطفين بساير الخلق ولم يعرفوا أنّهم لا يقاس بهم أحد فأثبتوا البلى في حقّهم و لذلك عقّب عليه السلام الايجاب بالسّلب كما أنّ الله سبحانه ردّ حسبان الخلق و زعمهم لكون القتل مستلزما للموت في سورة البقرة بقوله:

(وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ في سَبِيلِ اللهِ أمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَلكِنْ لا يَشْعُرُونَ) وفي سورة آل عمران بقوله: (لا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ أمواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) فان قوله: (وَلكِنْ لا يَشْعُرُونَ).

في الآية الأولى دليل على أنهم لم يكن لهم شعور بحياتهم فاذا لم يكن لهم شعور بذلك فلا يكون لهم شعور بعدم البلى البتة من حيث الملازمة بينه و بين الموت في نظرهم كملازمة الموت للقتل عندهم، هذا.

وأما حمل البلى على بلى الأكفان فبعيد، وأبعد منه حمله على بلى الأبدان وحمل عدم البلى على عدمه للأرواح كما يظهر من شرح البحراني حيث قال في شرح هاتين الفقرتين ما نصّ عبارته: وإشارة النبيّ صلى الله عليه وآله بهذه الكلمة تقرير لقوله تعالى:

(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوا في سَبِيلِ اللهِ) الآية.

لما اتفقت عليه كلمة العلماء و نطقت به البراهين العقلية أنّ أولياء الله لا

يموتون ولا يبلون و إن بليت أجسادهم .

قال بعض الخائضين فيما لا يعنيه : قوله : و يبلى من بلى منّا ، نصّ جليّ على أنّ أجساد الأولياء تبلى ، و ذلك يخالف ما يعتقده النّاس من أنّ أجسادهم باقية إلى يوم القيامة .

قلت : الاعتقاد المذكور لبعض الناس إنّما نشأ من قول الرسول ﷺ في قتلى بدر : زمّلوهم بكلومهم و دمائهم فانهم يحشرون يوم القيامة وأوداجهم تشخب دماً ، وقوله تعالى : ولا تحسبنّ الذين قتلوا ، الآية وليس ولا واحد منهما بدال على أن الأجساد لا تموت ولا تبلى.

أمّا الخبر فليس مقتضاه أنها تبقى صحيحة تشخب دماً إلى يوم القيامة ، بل ذلك ممّا يشهد ببطلانه الحسّ ، بل يحمل على أنّها كما تعاد يوم القيامة تعاد مجروحة تشخب جراحها دماً كهيئتها يوم موتها .

وأمّا الآية فالذي أجمع عليه علماء المفسّرين أنّ الحياة المذكورة فيها هي حياة النّفوس ، وهو ظاهر في سبب نزولها عن ابن عباس (رض) قال : قال رسول الله ﷺ : لما اصيبت إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنّة و تأكل من ثمارها و تأوى إلى قناديل من ذهب معلّقة في ظلّ العرش ، فلمّا وجدوا طيب مأكلهم و مشربهم و مقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنّا أنّا في الجنّة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتكلّموا عند الحرب ؟ فقال الله عزّ وجلّ : أنا أُبلّغهم عنكم فنزلت : ولا تحسبنّ الذين قتلوا ، الآية .

فاذن لا منافاة بين كلامه عليه السلام وما ورد في القرآن والخبر ، ومقصوده عليه السلام بهذه الكلمة تقرير فضيلتهم و أنّهم أولياء باقون عند ربّهم في ظلّ كرامته انتهى كلامه .

وقد تحصّل منه أنه (ره) يحمل الموت والبلى في كلامه عليه السلام على بلى الأجساد وموتها و يحمل عدم الموت والبلى فيه على حياة النفوس والأرواح و بقائها وأنت

خبير بما فيه:

أمّا أوّلاً فلأنّ القول ببلى أجساد الأئمة و موتها خلاف ما هو المستفاد من الأخبار المستفيضة السّابقة.

و ثانياً أنّ الامام عليه السلام إنّما أتى بالحديث النّبويّ صلى الله عليه وآله إظهاراً للرفعة والكرامة ومقصوده عليه السلام به المفاخرة وبيان فضيلة ومنقبة مختصّة بهم عليهم السلام، ومن المعلوم أنّ بقاء الأرواح مع بلى الأجساد ليس فضيلة مخصوصة بأهل بيت الرسالة بل هي جارية في حقّ ساير النّاس من المؤمنين والكفّار، وقد مرّ في شرح الخطبة الثّانية والثمانين أنّ أرواح المؤمنين في وادي السّلام وأرواح الكفّار في البرهوت، فأىّ معنى لحمل عدم البلى فيه على عدم بلى الأرواح، مع أنّ استعمال لفظ البلى وعدم البلى إنّما هو مصطلح في الأجساد والأجسام دون الأنفس والأرواح و هو واضح لا يخفى، بل الأرواح لا يتصوّر في حقّها البلى فلامعنى لنفي البلى عنها إلاّ على وجه السالبة بانتفاء الموضوع

وثالثاً قوله ره: قلت: الاعتقاد المذكور إنّما نشأ من قول الرسول صلى الله عليه وآله آه فيه أنّ سند الاعتقاد المذكور ليس منحصراً فيما ذكره بل قد دلّ عليه ما قدّمناه من الأدلّة.

و رابعاً أنّ دعوى اتّفاق المفسّرين على كون الحياة المذكورة في الآية هي حياة النفوس ممنوعة، لما عرفت سابقاً اختلاف المفسّرين فيها، فمنهم من يحملها على الحياة بالأجساد المثالية، و منهم من يحملها على الحياة بالأبدان الأصليّة، ومنهم من يحملها على حياة النفوس فكيف يمكن مع هذا الخلاف دعوى الاتفاق، وما أبعد ما بين هذه الدّعوى وبين إنكار البعض حديث الأرواح مستدلاّ بكون الروح عرضاً لايتنعّم، فانّ دعوى الشارح للاتفاق واقع في طرف الافراط كما أنّ انكار هذا البعض في جانب التفريط من حيث أنّ الروح جسم لطيف هوائيّ حسّاسة فعّالة وليس عرضاً كما توهّمه فيجوز أن يتنعّم ويلتذّ.

وخامساً أنّ الحديث الذي نقله عن ابن عباس في مقام الاستظهار به قد عرفت ردّ الصادق عليه السلام له في روايتي يونس بن ظبيان و أبي بصير المتقدّمتين ، والله العالم بحقايق الامور ، والمحصّل لما في الصدور وانّما أطنبت الكلام في المقام لكونه من مزالق الأقدام محتاجاً إلى كشف الحجاب عن المرام وقد وضح لك فيه ما اقتضت الأدلّة من الكتاب والسّنة ومن الله سبحانه أسأل العصمة والسداد من الخطاء في القول والاعتقاد بمحمد وآله الأطهار الأمجاد .

ثمّ إنّه عليه السلام لمّا ذكر مناقب آل العباء ومن خصّه الله بالولاية والولاء وأكّده بحديث سلب الموت والبلى وكان ذلك بعيداً عن مذاق العوام وأمراً عجيباً عند العقول والأوهام ومظنة للردّ والانكار لاجرم أردفه بقوله (ولا تقولوا بما لا تعرفون فانّ أكثر الحقّ فيما تنكرون) و هو نهى لهم عن القول في حقّ العترة بما لايعرفون وعن التسرّع إلى ردّ ما يستعجبون معلّلا بأنّ أكثر الحقّ فيما ينكرون

والمقصود به أنّ صاحب الولاية لايقاس بالنّاس إذ شئونات الولاية المطلقة بعيدة عن الوهم والقياس وإدراكات الخلق أغلبها مقصورة على عالم الحواس ، والجاهل ربما ينكر بداء جهالته الحقّ إذا خالف طبعه أو عجز عن إدراكه فهمه أو سبق إليه اعتقاده ضدّه بشبهة أو تقليد أو بما انقدح في وهمه من شكّ و ترديد ، فلا يجوز الخوض في اللّجاج والعناد بمجرّد الاستغراب و الاستبعاد.

وقوله : (واعذروا من لاحجّة لكم عليه وأنا هو) ، إمّا من الاعذار بمعنى الانصاف من أعذر الرّجل إذا أنصف ، أو من الاعذار بمعنى إثبات العذر وهو الانسب الأظهر، فالمقصود به على ذلك أنّه عليه السلام كان مأموراً من الله سبحانه و من رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالابلاغ والتذكير والانذار والتحذير ، وقد بلّغ وذكّر و أنذر و حذّر ، فكان له الحجّة على المخاطبين وثبت له العذر في مقام السؤال كما أنّ لله وكذلك لرسوله الحجّة على جميع الخلايق حيث احتجّ بما نهج و أعذر بما أنذر ، و هذا بخلاف ما لو فرّط عليه السلام وقصّر في الابلاغ والتذكار فيكون حينئذ لهم الحجّة عليه ويثبت لهم العذر فيما يلحقهم من العذاب بأن يقولوا :

(رَبَّنا إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ)

وبه جاهلين ، فلا يجوز لك أن تؤاخذنا بمالم نعلم وتعذّبنا بمالم نفهم ، فطلب عليه السلام منهم أن يثبتوا له العذر فيما يلحقهم من العذاب ونكال العقاب لا لأنفسهم حيث أوضح لهم المحجّة البيضاء ودلّهم على الطريقة الوسطى وهداهم إلى الشريعة الغرّاء .

كما أفصح عليه السلام عن ذلك بقوله (ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر و أترك فيكم الثقل الأصغر) وهو استفهام تقريريّ يقول عليه السلام إنّي قد عملت فيكم بكتاب الله و بمافيه من الحلال والحرام والحدود والأحكام ، وتركت فيكم عترة رسول الله صلّى الله عليه وآله وحفظت وصيّته بالاعزاز والاكرام ، وعبّرعنهما بالثقلين تبعاللحديث النبويّ صلّى الله عليه وآله المعروف بين الفريقين .

و إنما سمّيا بذلك إمّا لعظم خطرهما وجلالة قدرهما من الثقل وهوالمتاع النفيس ، وإمّا لكون العمل بهما ثقيلا (١) وإمّا لأجل أنّ الثقل متاع المسافر و حشمه فكانّه عليه السلام لما شارف الانتقال إلى جوار ربّه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل إلى منزل وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه ، لأنّهما أخصّ الأشياء به، قاله الشارح المعتزلي.

و الأظهر ما قلناه إذ متاع المسافر و حشمه يكونان معه و لا يخلفان بعده ، هذا .

و أمّا تسمية القرآن بالأكبر و العترة بالأصغر مع كون العترة أفضل من القرآن عندنا و كونهم قيّمين له فقد قال الشارح البحراني : أشار بكونه أكبر إلى أنّه الأصل المتّبع المقتدى به .

أقول : و ليس بشيء إذ العترة أيضاً أصل متّبع مقتدى ، و يحتمل أن يكون وصفه به من جهة أنّه لماكان معجزاً للرسالة و سنداً لها و الولاية و أساساً للدّين وسناداً للشرع المبين ولولاه لم يثبت رسالة ولا شريعة ولا ولاية ولا دين و لا ايمان

١ـ اى كان من الثقيل

لا جرم وصفه به .

و يمكن استظهار ذلك ممّا رواه أبوسعيد الخدري قال : قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّي تارك فيكم الثّقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض .

وأظهر منه مافي رواية أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يا أيّها النّاس إنّي تارك فيكم الثقلين : الثقل الأكبر والثقل الأصغر إن تمسكتم بهما لن تضلّوا و لن تبدّلوا ، فانّي سألت الله اللّطيف الخبير لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض فأعطيت ، فقيل : فما الثقل الأكبر و ما الثقل الأصغر ؟ فقال : الثقل الأكبر كتاب الله عزّ وجلّ سبب طرفه بيدالله عزّوجلّ وطرف بأيديكم والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي .

و يمكن أن يقال : إنّ كتاب الله لماكان حجّة على عموم الخلق من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السلام و اُمّتهم ، و حجّية العترة كانت مخصوصة بالاُمّة فقط جعله أكبر لذلك هذا .

و في قوله عليه السلام ألم أعمل فيكم آه تعريض و إشعار بعدم عمل غيره بـه وهو كذلك .

و يوضحه ما في غاية المرام من تفسير عليّ بن إبراهيم قال حدّثني أبي عن صفوان بن يحيى عن أبي الجارود عن عمران بن ميثم عن مالك بن ضمره عن أبي ذر (ره) قال : لما نزلت هذه الآية :

(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ)

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله ترد عليّ اُمّتي يوم القيامة على خمس رايات :

فراية مع عجل هذه الاُمة فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون : أمّا الأكبر فحرّفناه ونبذناه وراء ظهورنا ، وأمّا الأصغر فعاديناه وأبغضناه وظلمناه فأقول : ردّوا إلى النّار ظمأ مظمئين مسودّة وجوهكم .

ثمّ ترد عليّ راية مع فرعون هذه الأمّة فأقول لهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون : أمّا الأكبر فحرّفناه ومزّقناه وخالفناه ، و أما الأصغر فعاديناه وقاتلناه ، فأقول : ردّوا إلى النّار ظماً مظمئين مسودّة وجوهكم .

ثمّ ترد عليّ راية هي مع سامريّ هذه الأمّة فأقول لهم : ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون : أمّا الأكبر فعصيناه وتركناه ، وأما الأصغر فخذلناه وضيّعناه فأقول : ردّوا إلى النّار ظماً مظمئين مسودّة وجوهكم .

ثمّ ترد عليّ راية ذي الثدية مع أوّل الخوارج وآخرهم وأسألهم : ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون : أمّا الأكبر فمزّقناه و برئنا منه و أمّا الأصغر فقاتلناه وقتلناه فأقول : ردّوا إلى النّار ظماً مظمئين مسودّة وجوهكم .

ثمّ ترد عليّ راية مع إمام المتّقين و سيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين ووصيّ رسول ربّ العالمين فأقول لهم : ما فعلتم بالثقلين من بعدى ؟ فيقولون : أمّا الأكبر فاتّبعناه وأطعناه ، و أمّا الأصغر فأحببناه و واليناه و وزرناه ونصرناه حتّى اهريقت فيهم دمائنا ، فأقول : ردّوا إلى الجنّة رواء مرويّين مبيضّة وجوهكم ثمّ تلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

و قد أخذ السّيد إسماعيل الحميريّ مضمون هذا الحديث في أبيات من قصيدته المعروفة وهي هذه الأبيات :

و النّاس يوم الحشر راياتهم ... خمس فمنها هالك أربع

فراية العجل و فرعونها ... و سامريّ الأمّة المشنع

و راية يقدمها أبكم ... عبد لئيم لكّع أكوع

و راية يقدمها نعثل لا برّد الله له مضجع
و راية يقدمها حبتر للزّور والبهتان قدأبدع
و راية يقدمها حيدر ووجهه كالشمس اذتطلع
مولى له الجنّة معمورة والنّار من إجلاله يفزع
إمام صدق و له شيعة يرووا من الحوض ولم يمنعوا
بذاك جاء الوحي من ربّنا ياشيعة الحقّ فلاتجزعوا

ثمّ قال عليه السلام (وركزت فيكم راية الايمان) شبّه عليه السلام الايمان بالراية لأنه يهتدى به إلى سلوك سبيل الحقّ كما يهتدى بالراية أمام الجيش ونحوها، وذكر الركز ترشيح للتشبيه والمقصود أني أثبت فيكم الايمان (ووقّفتكم على حدود الحلال والحرام) أي جعلتكم واقفين عليهما مطلعين على جهاتهما (و ألبستكم العافية من عدلي) أراد بالعافية السلامة من الظلم و من أذى الظالمين و استعار لفظ اللّباس لها (وفرشتكم المعروف من قولي و فعلي) المعروف اسم لكلّ ماعرف من طاعة الله و التّقرب إليه و الاحسان إلى النّاس و كلّ ما يندب إليه الشرع من المحسّنات والمقبّحات ، وإن شئت قلت: المعروف اسم لكل فعل يعرف حسنه بالشرع والعقل يقول عليه السلام : بسطت لكم بساط المعروف بالأقوال و الأفعال (و أريتكم كرايم الأخلاق من نفسي) أي أوضحتها لكم وشاهد تموها مني متكرّرة .

و قد سئل الصّادق عليه السلام عن مكارم الأخلاق فقال عليه السلام العفوعمّن ظلمك ، وصلة من قطعك، وإعطاء من حرمك ،وقول الحقّ ولوعلى نفسك .

و في حديث آخر في الكافي عن الصّادق عليه السلام قال إنّ الله عزّوجلّ خصّ رسله بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم فان كانت فيكم فاحمدوا الله و اعلموا أنّ ذلك من خير وإلاّ تكن فيكم فاسألوا الله وارغبوا إليه فيها فذكرها عشرة : اليقين والقناعة،والصبر،والشكر،والحلم،وحسن الخلق،والسخاء،والغيرة،والشجاعة،والمروة

وفى الدّيوان المنسوب إليه عليه السلام

إنّ المكارم أخلاق مطهّرة فالدّين أوّلها و العقل ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والفضل سادسها
والبرّ سابعها والصّبر ثامنها والشكر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أنّي لا أُصادقها ولست أرشد إلاّ حين أعصيها

و كيف كان فكونه عليه السلام مبدء مكارم الأخلاق و منشأ محاسن الآداب مما لا ريب فيه بل ذلك غنيّ عن البيان ، و لا بأس بالاشارة إلى بعض ما ورد في حسن خلقه وبشره وحلمه وعفوه وإشفاقه وعطفه صلوات الله عليه تيمّنا وتوضيحاً .

ففي البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن مختار التّمار عن أبي مطر البصري أنّ أمير المؤمنين مرّ بأصحاب التّمر فاذا هو بجارية تبكي فقال: يا جارية ما يبكيك؟ فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه فلمّا أتيته به أبى أن يقبله ، قال عليه السلام: ياعبدالله انّها خادم ليس لها أمر فاردد إليها درهمها وخذ التمر، فقام إليه الرّجل فلكزه فقال النّاس هذا أمير المؤمنين عليه السلام فربا الرّجل واصفرّ وأخذ التمر وردّ إليها درهمها، ثمّ قال يا أمير المؤمنين ارض عني فقال : ما أرضاني عنك أن أصلحت أمرك.

و في فضايل أحمد إذا وفيت النّاس حقوقهم(١) و دعا غلاماً له مراراً فلم يجبه فخرج فوجده على باب البيت فقال عليه السلام : ما حملك على ترك إجابتي ؟ قال : كسلت اجابتك و أمنت عقوبتك ، فقال عليه السلام الحمدلله الذي جعلني ممّن تأمنه خلقه امض فأنت حرّ لوجه الله .

و جائه أبو هريرة و كان تكلّم فيه وأسمعه في اليوم الماضي وسأله حوائجه فقضيها فعاتبه أصحابه على ذلك فقال عليه السلام : إنّي لأستحيي أن يغلب جهله علمي وذنبه عفوي ومسألته جودي .

و لما ادرك عمرو بن عبدود لم يضربه فوقعوا في عليّ فردّ عنه حذيفة فقال النبيّ صلى الله عليه وآله:مه ياحذيفة فان عليّا سيذكر سبب وقفته ثمّ إنّه ضربه فلما جاء سأله النّبيّ عن ذلك فقال عليه السلام : قد كان شتم بي وتفل في وجهي فخشيت أن أضربه بحظّ نفسي فتركته حتّى سكن ما بي ثمّ قتلته في الله .

---

١ ـ كذافي الاصل و لعل قوله : اذا وفيت الناس حقوقهم ، من تتمة الخبر السابق « المصحح »

وكان عليه السلام بشره دايم وثغره باسم غيث لمن رغب وغياث لمن ذهب مآل الآمل و ثمال الأرامل يتعطف على رعيته و يتصرّف على مشيته و يكفّه بحجّته وتكفيه بمهجته.

ونظر إلى امرئة على كتفها قربة ماء فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها وسألها عن حالها فقالت بعث عليُّ بن أبي طالب زوجى إلى بعض الثغور فقتل وترك عليّ صبياناً يتامى و ليس عندي شيء فقد ألجأتني الضّرورة إلى خدمة النّاس، فانصرف عليه السلام وبات ليلته قلقاً فلما اصبح حمل زنبيلا فيه طعام فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك، فقال عليه السلام: من يحمل وزرى عنّي يوم القيامة فأتى وقرع الباب فقالت من هذا؟ قال: أنا ذلك العبد الذى حمل معك القربة فافتحي فانّ معي شيئاً للصّبيان فقالت: رضى الله عنك وحكم بينى وبين عليّ بن أبيطالب، فدخل وقال: إنّي أحببت اكتساب الثواب فاختاري بين أن تعجنين و تخبزين و بين أن تعلّلين الصبيان لأخبز أنا فقالت أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر ولكن شأنك والصّبيان فعلّلهم حتّى أفرغ من الخبز. قال: فعمدت إلى الدّقيق فعجنته و عمد عليّ عليه السلام إلى اللّحم فطبخه و جعل يلقم الصبيان من اللّحم والتمر و غيره، فكلّما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: يا بنىّ اجعل عليّ بن أبي طالب في حلّ ممّا أمر في أمرك فلما اختمر العجين قالت: يا عبدالله اسجر التنّور، فبادر عليه السلام بسجره فلما أشعله ولفح في وجهه يقول: ذق يا عليّ هذا جزاء من ضيّع الأرامل و اليتامى، فرأته امرأة تعرفه عليه السلام، فقالت: ويحك هذا أمير المومنين عليه السلام، قال: فبادرت المرئة و هي تقول واحيائي منك يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك.

ثمّ إنّه عليه السلام بعد ما أشار إلى جملة من فضايله ومناقبه أردفه بقوله: (فلا تستعملوا الرّأى فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل) اى لا يسرع و لا يدخل (إليه الفكر) والمقصود بذلك النهى عن استعمال الرأى فيما ذكره عليه السلام من خصايص العترة الطّاهرة وعجايب ما خصّهم الله به من الأنوار الباهرة.

يقول عليه السلام إنّ أمرنا صعب لا يهتدى إليه العقول والأنظار ، ولا تدرك قعره الأبصار ، ولا تغلغل فيه الأفكار ، فلا يجوز المبادرة إلى ردّ ما تأبى عنه العقول والأفهام في حقّهم عليهم السّلام ، فانّ حديثهم صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان .

تنبيه

لما كان هذا الفصل من كلامه عليه السلام مسوقاً لاظهار مناقب الآل ومشتملا على فضايل العترة الطّاهرين سلام الله عليهم أجمعين أحببت أن اوردهنا شطراً من كراماتهم ومعجزاتهم وعجائب شؤوناتهم المرويّة بالأسانيد الغريبة .

فمنها

ما في المجلّد التاسع من البحار وجادة في بعض الكتب قال : حدّثنا محمّد بن زكريا العلا قال : حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار المعروف بابن المعافا عن وكيع عن زاذان عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال :

كنا مع مولانا أمير المؤمنين فقلت يا أمير المؤمنين اُحبّ أن أرى من معجزاتك شيئاً، قال صلوات الله عليه : أفعل إن شاء الله عزّ وجلّ ، ثمّ قام و دخل منزله وخرج إليّ وتحته فرس أدهم وعليه قباء أبيض وقلنسوة بيضاء ، ثمّ نادى يا قنبر اخرج إليّ ذلك الفرس فاُخرج فرس آخر أدهم فقال عليه السلام اركب يا با عبدالله .

قال سلمان : فركبته فاذا له جناحان ملتصقان إلى جنبه قال : فصاح به الامام صلوات الله عليه فتعلّق في الهواء وكنت أسمع خفيف أجنحة الملائكة وتسبيحها تحت العرش ، ثمّ خطونا على ساحل بحر عجاج مغطمط (١) الأمواج فنظر إليه الامام شزراً فسكن البحر من غليانه فقلت له : يا مولاى سكن البحر من غليانه من نظرك إليه ، فقال صلوات الله عليه : يا سلمان خشى أن آمر فيه بأمر .

ثمّ قبض على يدي وسار على وجه الماء والفرسان تتبعان لا يقودهما أحد ، فوالله ما ابتلّت أقدامنا ولا حوافر الخيل .

---
١ ــ الغطمطة اضطراب موج البحر

قال سلمان : فعبرنا ذلك البحر فدفعنا إلى جزيرة كثيرة الأشجار والأثمار والأطيار والأنهار ، و إذاً شجرة عظيمة بلا صدع ولا زهر فهزّها صلوات الله عليه بقضيب كان في يده فانشقّت وخرج منها ناقة طولها ثمانون ذراعا و عرضها أربعون ذراعا وخلفها قلوص فقال صلوات الله عليه : ادن منها واشرب من لبنها .

قال سلمان : فدنوت منها و شربت حتى رويت و كان لبنها أعذب من الشهد وألين من الزّبد و قد اكتفيت قال صلوات الله عليه : هذا حسن يا سلمان ، فقلت : مولاى حسن ؛ فقال : صلوات الله عليه تريد أن اريك ما هو أحسن منه ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين .

قال سلمان : فنادى مولاى أمير المؤمنين اخرجي يا حسناء قال : فخرجت ناقة طولها عشرون و مائة ذراع و عرضها ستّون ذراعا و رأسها من الياقوت الأحمر وصدرها من العنبر الأشهب وقوائمها من الزبرجد الأخضر وزمامها من الياقوت الأصفر وجنبها الأيمن من الذّهب و جنبها الأيسر من الفضّة و عرفها من اللّؤلؤ الرطب فقال صلوات الله عليه يا سلمان اشرب من لبنها .

قال سلمان : فالتقمت الضّرع فاذا هي تحلب عسلا صافياً مخلصاً ، فقلت يا سيّدي هذه لمن ؟ قال عليه السلام : لك ولك ولساير الشيعة من أوليائي ، ثمّ قال ارجعي إلى الصّخرة ورجعت من الوقت وساربي في تلك الجزيرة حتّى ورد بي إلى شجرة عظيمة عليها طعام يفوح منه رايحة المسك فاذا بطاير في صورة النسر العظيم .

قال سلمان رضي الله عنه: فوثب ذلك الطّاير فسلّم عليه صلوات الله عليه ورجع إلى موضعه فقلت : يا أمير المؤمنين ما هذه المائدة ؟ فقال عليه السلام : هذه منصوبة في هذا المكان للشيعة من موالىّ إلى يوم القيامة فقلت : ماهذا الطّاير ؟ قال صلوات الله عليه : ملك موكّل بها إلى يوم القيامة فقلت : وحده يا سيّدي ، فقال عليه السلام : يجتاز به الخضر عليه السلام في كلّ يوم مرّة .

ثمّ قبض عليه السلام على يدي وسار إلى بحر ثان فعبرنا و إذا جزيرة عظيمة فيها

قصر لبنة من ذهب ولبنة من فضة بيضاء شرفها من عقيق أصفر و على كلّ ركن من القصر سبعون صفاً من الملائكة فأتوا وسلّموا ، ثمّ اذن لهم فرجعوا إلى مواضعهم .

قال سلمان رحمه الله تعالى: ثمّ دخل أمير المؤمنين عليه السلام القصر فاذا أشجار وأثمار و أنهار وأطيار وألوان النبات فجعل الامام عليه السلام يمشي فيه حتّى وصل إلى آخره فوقف عليه السلام على بركة كانت في البستان ثمّ صعد إلى قصر فاذا كرسيّ من الذّهب الأحمر فجلس عليه صلوات الله عليه وأشرفنا على القصر فاذا بحر أسود يغطمط أمواجه كالجبال الرّاسيات ، فنظر صلوات الله عليه شزراً فسكن من غليانه حتّى كان كالمذنب .

فقلت : يا سيّدي سكن البحر من غليانه لما نظرت إليه فقال عليه السلام خشي أن آمر فيه بأمر أتدري يا سلمان أيّ بحر هذا ؟ فقلت : لا يا سيّدي ، فقال : هذا الذي غرق فيه فرعون وملائه المذنبة حملها جناح جبرئيل عليه السلام ثمّ زجّها في هذا البحر فهو يهوى لا يبلغ قراره إلى يوم القيامة .

فقلت يا أمير المؤمنين هل سرنا فرسخين ؟ فقال عليه السلام : يا سلمان سرت خمسين ألف فرسخ ودرت حول الدّنيا عشر مرّات .

فقلت : يا سيّدي و كيف هذا ؟ قال عليه السلام إذا كان ذوالقرنين طاف شرقها وغربها و بلغ إلى سدّ يأجوج و مأجوج فأنا يتعذر عليّ و أنا أمير المؤمنين وخليفة ربّ العالمين ، يا سلمان أما قرأت قول الله عزّ وجل حيث يقول :

(عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ)

فقلت : بلى يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام : أنا ذلك المرتضى من الرسول الذي أظهره الله عزّ وجلّ على غيبه أنا العالم الرّبانيّ أنا الذي هوّن الله له الشّدايد فطوى له البعيد .

قال سلمان رضي الله عنه: فسمعت صائحا يصيح في السّماء أسمع الصوت و لا أرى الشخص وهو يقول : صدقت صدقت أنت الصّادق المصدّق صلوات الله عليك .

قال : ثمّ نهض صلوات الله عليه فركب الفرس وركبت معه وصاح بهما فطارا في الهواء ثمّ خطونا على باب الكوفة هذا كلّه و قد مضى من اللّيل ثلاث ساعات .

فقال صلوات الله عليه لي : يا سلمان الويل كلّ الويل لمن لا يعرفنا حقّ معرفتنا وأنكر ولايتنا أيّما أفضل محمد صلى الله عليه وآله أم سليمان عليه السلام ؟ قلت : بل محمد صلى الله عليه وآله

ثمّ قال عليه السلام : فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من فارس بطرفة وعنده علم من الكتاب ولا أفعل أنا ذلك وعندي مأة كتاب وأربعة وعشرون كتاباً أنزل الله تعالى على شيث بن آدم عليه السلام خمسين صحيفة ، وعلى إدريس النبيّ عليه السلام ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة ، والتوراة ، والانجيل ، والزّبور و الفرقان .

فقلت : صدقت يا أمير المؤمنين هكذا يكون الامام صلوات الله عليه ، فقال عليه السلام إنّ الشّاك في أمورنا وعلومنا كالممترى في معرفتنا وحقوقنا ، قد فرض الله عزّ وجلّ في كتابه في غير موضع ، وبيّن فيه ما وجب العمل به ، وهو غير مكشوف .

و منها

ما فيه أيضاً من الكتاب المذكور قال : روى الاصبغ بن نباته قال : كنت يوماً مع مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إذ دخل عليه نفر من أصحابه منهم أبو موسى الأشعري وعبدالله بن مسعود وأنس بن مالك وأبو هريرة والمغيرة بن شعبة وحذيفة ابن اليمان و غيرهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين أرنا شيئاً من معجزاتك الّتي خصّك الله بها .

فقال عليه السلام : ما أنتم وذلك وماسؤالكم عمّا لا ترضون به ؟ والله تعالى يقول وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني إنّي لا أعذّب أحداً من خلقي إلاّ بحجّة و برهان وعلم وبيان ، لأنّ رحمتي سبقت غضبي و كتبت الرّحمة عليّ فأنا الرّاحم الرّحيم والودود العليّ ، وأنا المنّان العظيم ، وأنا العزيز الكريم ، فاذا أرسلت رسولاً أعطيته برهاناً و أنزلت عليه كتاباً فمن آمن بي و برسولي فأولئك هم المفلحون الفائزون

و من كفر بي و برسولي فاولئك هم الخاسرون الّذين استحقّوا عذابي ، فقالوا : يا أمير المؤمنين نحن آمنّا بالله وبرسوله وتوكّلنا عليه .

فقال عليّ عليه السلام اللّهمّ اشهد على ما يقولون وأنا العليم الخبير بمايفعلون ، ثمّ قال : قوموا على اسم الله وبركاته ، قال : فقمنا معه حتّى أتى بالجبانة و لم يكن في ذلك الموضع ماء قال : فنظرنا فاذا روضة خضراء ذات ماء ، وإذا في الروضة غدران وفي الغدران حيتان ، فقلنا والله إنّها لدلالة الامامة فأرنا غيرها يا أمير المؤمنين وإلاّ قد أدركنا بعض ما أردنا .

فقال عليه السلام : حسبي الله و نعم الوكيل ثمّ أشار عليه السلام بيده العليا نحو الجبّانة فاذا قصور كثيرة مكلّلة بالدّر والياقوت والجواهر وأبوابها من الزّبرجد الأخضر وإذا في القصور حور وغلمان وأنهار وأشجار وطيور ونبات كثير ، فبقينا متحيّرين متعجّبين وإذا وصايف وجواري وولدان وغلمان كاللّؤلؤ المكنون فقالوا : ياأمير المؤمنين لقد اشتدّ شوقنا إليك وإلى شيعتك وأوليائك ، فأومأ إليهم بالسّكون .

ثمّ ركض الأرض برجله عليه السلام فانفلقت الأرض من منبر من ياقوت أحمر فارتقى إليه فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه صلى الله عليه وآله .

ثمّ قال عليه السلام : غمّضوا أعينكم فغمضنا أعيننا فسمعنا حفيف أجنحة الملائكة بالتّسبيح والتّهليل والتحميد والتعظيم والتقديس ، ثمّ قاموا بين يديه قالوا : مرنا بأمرك يا أمير المؤمنين وخليفة ربّ العالمين صلوات الله عليك .

فقال عليه السلام ياملائكة ربّي ائتوني بابليس الأبالسة وفرعون الفراعنة قال : فوالله ماكان بأسرع من طرفة عين حتّى أحضروه عنده

فقال عليه السلام : ارفعوا أعينكم ، قال : فرفعنا أعيننا ونحن لا نستطيع أن ننظر إليه من شعاع نور الملائكة ، فقلنا : يا أمير المؤمنين الله الله في أبصارنا فما ننظر شيئاً البتة و سمعنا صلصلة السّلاسل و اصطكاك الاغلال و هبّت ريح عظيمة فقالت الملائكة يا خليفة الله زد الملعون لعنة وضاعف عليه العذاب فقلنا يا أمير المؤمنين الله الله في أبصارنا و مسامعنا فوالله مانقدر على احتمال هذا السرّ والقدر قال : فلمّا

جرّه بين يديه قام وقال واويلاه من ظلم آل محمد صلى الله عليه وآله واويلاه من اجترائي عليهم ثمّ قال : يا سيّدي ارحمني فانّي لا أحتمل هذا العذاب فقال عليه السلام : لا رحمك الله ولا غفرلك أيّها الرّجس النّجس الخبيث المخبث الشّيطان .

ثمّ التفت عليه السلام إلينا وقال: تعرفون هذ اباسمه وحسبه؟ قلنا: نعم يا أمير المؤمنين فقال: سلوه حتّى يخبركم من هو، فقالوا :من أنت؟ فقال: أنا إبليس الأبالسة و فرعون هذه الأمة ، أنا الّذي جحدت سيّدي و مولاي أمير المؤمنين و خليفة ربّ العالمين وأنكرت آياته ومعجزاته .

ثمّ قال أمير المؤمنين : غمّضوا أعينكم فغمضنا ، فتكلّم عليه السلام بكلام أخفى فاذا نحن في الموضع الذي كنا فيه لا قصور ولا ماء ولا غدران ولا أشجار .

قال الاصبغ بن نباتة رضى الله عنه : والّذى أكرمني بما رأيت من تلك الدلايل والمعجزات ماتفرّق القوم حتّى ارتابوا وشكّوا وقال بعضهم : سحر و كهانة وافك فقال أمير المؤمنين : إنّ بني إسرائيل لم يعاقبوا و لم يمسخوا إلاّ بعد ما سألوا الآيات و الدّلالات فقد حلّت عقوبة الله بهم والآن حلّت لعنته فيكم وعقوبته عليكم ، قال الأصبغ بن نباتة رضى الله عنه : إنّي أيقنت أنّ العقوبة حلّت بتكذيبهم الدّلالات و المعجزات .

و منها

مافي المجلد السّابع من البحار من كتاب الاختصاص عن ابن أبي الخطاب عن موسى بن سعدان عن حفص الأبيض التّمار قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام أيّام قتل المعلّى بن خنيس وصلبه (ره) فقال عليه السلام : يا حفص إنّي أمرت لمعلّى بن خنيس بأمر فخالفني فابتلى بالحديد :

إنّي نظرت إليه يوماً و هو كئيب حزين فقلت مالك يا معلّى كأنّك ذكرت أهلك ومالك وعيالك؟ فقال: أجل فقلت: ادن منّي فدنى منّي فمسحت وجهه فقلت : أين تراك ؟ فقال : أراني في بيتي هذا زوجتي و هؤلاء ولدي فتركته حتّى تملاء منهم واستترت منه حتّى نال ماينال الرّجل من أهله .

ثمّ قلت له : ادن منى ، فمسحت وجهه فقلت أين تراك ؟ فقال : أراني معك بالمدينة وهذا بيتك فقلت له : يامعلّى إنّ لنا حديثاً من حفظه علينا حفظه الله عليه دينه ودنياه ، يامعلّى لاتكونوا اُسراء في أيدى النّاس بحديثنا إن شاؤوا امنّوا عليكم وإن شاؤوا قتلوكم ، يامعلّى إنّ من كتم الصّعب من حديثنا جعله الله نوراً بين عينيه و رزقه الله العزّة في النّاس ، و من أذاع الصّعب من حديثنا لم يمت حتّى يعضّه السّلاح أو يموت بخبل ، يا معلّى فأنت مقتول فاستعدّ .

و منها

ما فيه من الخرايج قال : روى أبو القاسم بن قولويه عن محمّد بن يعقوب عن محمّد بن إدريس عن محمّد بن حسان عن عليّ بن خالد قال : كنت بالعسكر فبلغني أنّ هناك رجلا محبوساً أتى من ناحية الشام مكبولاً وقالوا : إنّه تنبّأ ، فأتيت الباب وداريت البوّابين حتّى وصلت إليه فاذا رجل له فهم وعقل فقلت له : ماقصّتك ؟ قال:

إنّي كنت بالشّام أعبدالله في الموضع الذي يقال إنّه نصب فيه رأس الحسين عليه السلام ، فبينما أناذات ليلة في موضعي مقبل على المحراب أذكر الله إذ نظرت شخصاً بين يدى فنظرت إليه ، فقال لي : قم ، فقمت معه فمشى بي قليلا فاذاً أنا في مسجد الكوفة قال : أتعرف هذا المسجد ؟ قلت : نعم هذا مسجد الكوفة فصلّى وصلّيت معه ثمّ خرج وخرجت معه فمشى بي قليلاً وإذا نحن بمسجد الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، فسلّم على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و سلّمت و صلّى و صلّيت معه ، ثمّ خرج و خرجت معه فمشى بي قليلاً و إذا نحن بمكّة وطاف بالبيت فطفت معه فخرج ومشى بي قليلاً فاذا أنا في موضعي الذي كنت أعبدالله فيه بالشّام و غاب الشخص عن عينى فتعجّبت ممّا رأيت .

فلمّا كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به ودعاني فأجبته وفعل كمافعل في العام الأوّل فلمّا أراد مفارقتى بالشام قلت : سألتك بالّذي أقدرك على ما رأيت من أنت ؟ قال :

أنا محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر ، فحدّثت من كان يصير إليّ بخبره

فرقى ذلك إلى محمّد بن عبدالملك الزّيات فبعث إليّ فاجلدني و كبّلني في الحديد وحملني إلى العراق وحبست كما ترى وادّعى عليّ المحال فقلت : أرفع عنك القصة إليه ؟ قال : ارفع فكتبت عنه قصّته شرحت أمره فيها و دفعتها إلى الزّيات فوقّع في ظهرها : قل للّذي أخرجك من الشّام في ليلة إلى الكوفة إلى المدينة إلى مكة أن يخرجك من حبسي .

قال عليّ بن خالد : فغمّني ذلك من أمره ورققت له وانصرفت محزوناً فلمّا أصبحت باكرت الحبس لأعلمه بالحال وآمره بالصّبر و العزاء فوجدت الجند و الحراس وصاحب السجن وخلقاً كثيراً من النّاس يهرعون ، فسألت عنهم وعن الحال فقيل إنّ المحمول من الشام المتنبّي فقد البارحة من الحبس فلا يدرى خسف به الأرض أو اختطفته الطير و كان هـذا المرسل أعنى عليّ بن خالد زيديّاً فقال بالامامة ، و حسن اعتقاده .

ومنها

حديث البساط المعروف ورويته من نسخة قديمة عندي قال الرّاوي : خبر من خزانـة مولانا مفترض الطاعة على الخلق أجمعين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

حدّثنا أبوعبدالله بن زكريّا عن ابن جوهر بن الأسود عن محمّد بن سابغ يرفعه إلى سلمان الفارسي (رض) أنّه قال :

كنا جلوساً عند مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم أنا و ولديـه الحسن والحسين عليهما السلام ومحمّد بن حنفية ومحمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر ومقداد بن أسود الكندي فاذا التفت إليه الحسن عليه السلام وقال : يا أمير المؤمنين إنّ سليمان بن داود قال : فهب لي من لدنك ملكاً لاينبغي لأحد من النّاس وأعطاه الله تعالى ذلك ، فهل ملكت شيئاً من ملك سليمان ؟ فقال له أمير المؤمنين : والّذي فلق الحبّة وبرء النّسمة لقد ملك أبوك ملكا لايملك أحد قبله ولا بعده ، فقال الحسن عليه السلام : إنّا نحبّ أن ننظر ممـا ملّكه الله إيّاك من الملكوت ليزداد النّاس إيمانهم .

فقال عليه السلام : نعم وكرامة وقام وصلّى ركعتين ثمّ ذهب إلى صحن داره ونحن نراه ، فمدّ يده نحو المغرب حتّى بان لنا من كفّه سحابة وهو يمدّها حتّى أوقفها على الدّار ، وإلى جانب تلك السحابة سحابة أخرى ، ثمّ أشار إلى ريح وقال اهبطى الينا أيّتها الرّيح فوالله العظيم لقد رأينا السّحاب والرّيح قد هبطا يقولان :

نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ونشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ونشهد أنّك وصيّ رسول كريم محمّد رسول الله و أنت وليّه ، من شكّ فيك فقد هلك و من تمسّك بك فقد سلك سبيل النّجاة .

ثمّ تطاطات السّحابتان حتّى صارتا كأنهما بساطان ورايحتهما كالمسك الأذفر فقال لنا أمير المؤمنين عليه السلام : اجلسوا على الغمام فجلسنا وأخذنا مواضعنا .

ثمّ قال سلمان : إنّ أمير المؤمنين قال : أيّتها الرّيح ارفعينا ، فرفعتنا رفعاً رفيعاً فاذا نحن و أمير المؤمنين في تلك على كرسيّ من نور وعليه ثوبان أصفران وعلى رأسه تاج من ياقوتة صفراء وفي رجليه شراك من ياقوت يتلألؤ وفي يده خاتم من درّة بيضاء يكاد نور وجهه يذهب الأبصار .

فقال له : يا أبتاه إنّ سليمان بن داود كان يطاع بخاتمه وأمير المؤمنين عليه السلام بماذا يطاع ؟ فقال عليه السلام يا ولدى أنا وجه الله ، وعين الله ، ولسان الله ، وأنا وليّ الله ، وأنا نور الله ، وأنا كنز الله في الأرض ، و أنا القدرة المقدّرة ، و أنا الجنّة والنّار ، وأنا سيّد الفريقين .

يا ولدى أتحبّ أن أريك خاتم سليمان بن داود ؟ قال : نعم ، فأدخل يده تحت ثيابه و استخرج خاتما عليه فصّ من ياقوت مكتوب عليها أربعة أسطر ، و قال : هذا والله خاتم سليمان بن داود .

قال سلمان : فبقينا متعجّبا من ذلك فقال عليه السلام من أيّ تعجبون وما هذا العجب إنّي لأرينا كم اليوم مالم يره أحد قبلي إلى بعدي .

فقال الحسن عليه السلام : يا أمير المؤمنين إنّا نحبّ أن ترينا يأجوج ومأجوج والسّد فقال عليه السلام : للرّيح سيرى ، فقال سلمان : فوالله لمّا سمعت الريح قوله دخلت تلك

السّحاب ورفعنا إلى الهواء حتّى أتينا إلى جبل شامخ في الهواء وعليه شجرة جافة وتساقط أوراقها فقلنا : ما بال هذه الشجرة قد جفّت وماتت ، قال : سلوها فانها تخبر كم فقال الحسن عليه السلام : ما بالك أيّتها الشجرة قد حلّ بك ما نراه منك؟ فما أجابت ، فقال لها أمير المؤمنين : بحقّي عليك أيّتها الشجرة أجيبهم .

قال سلمان : فوالله لقد سمعناها وهي تقول لبّيك لبّيك يا وصيّ رسول الله وخليفته من بعده حقّاً ، فقال للحسن : يا با محمّد إنّ أباك أمير المؤمنين يجيئني في كلّ ليلة ويسبّح عندي لله عزّ وجلّ و يستظلّ بي فاذا فرغ من تسبيحه جائته غمامة بيضاء تفوح منها مسك وعليها كرسيّ فيجلس عليها ثمّ يسير به فلا أراه إلى وقته ذلك ، وكان يتعاهدني كلّ لىلة و كنت أعيش من رائحته فقطعني منذ أربعين ليلة لم أعرف له خبراً و الذي تراه منّي ممّا أنكرتــه من فقده والغمّ والحزن فاسأله ياسيدي حتّى يتعاهدني بجلوسه عندي فقد عشت من رايحته في هذا الوقت وبنظري إليه ، قال : فبقينا متعجّباً من ذلك فقام عليه السلام ومسح يده المباركة عليها

قال سلمان : والله الذي نفسي بيده لقد سمعت لها أنيناً وأنا أراه وهي تخضر حتّى أنبتت ورقاً و أثمرت بقدرة الله عزّوجلّ و ببركاته عليه السلام ، فأكلنا فكانت أحلى من السّكر ، فقلنا : يا أمير المؤمنين هذا عجب فقال عليه السلام الّذي ترون بعدها أعجب

ثمّ عاد عليه السلام إلى موضعه و قال للرّيح : سيري بنا ، فدخلت الريح تحت السّحابة ورفعنا حتى رأينا الدّنيا بمثل دور الرأس ورأينا في الهواء ملكاً رأسه تحت الشمس ورجلاه في قعر البحور ويده في المغرب والأخرى في المشرق فلما خبرنا به قال : لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّك وصيّه حقّاً لا شكّ فيك ومن شكّ فيك فهو كافر .

فقلنا : يا أمير المؤمنين من هذا الملك و ما بال يده في المغرب وأخرى في المشرق ؟ فقال عليه السلام أنا أقمته باذن الله ههنا ووكلته بظلمات الليل و ضوء النّهار ولا يزال كذلك إلى يوم القيامة وإنّي اُدبّر أمر الدّنيا وأصنع ما اُريد باذن الله وأمره واعمال الخلايق إليّ وأنا أدفعها إلى الله عزّ وجلّ .

ثمّ سار بنا حتى وقفنا على يأجوج ومأجوج ؛ فقال عليه السلام للريح اهبطي تحت هذا الجبل وأشار بيده إلى جبل شامخ إلى قرب السدّ ار تفاعه مدّ البصرو إذا به سواد كانه قطعة ليلة يفور منه دخان فقال عليه السلام : ياباعمّد أنا صاحب هذا السدّ على هؤلاء العبد .

فقال سلمان : فرأيتهم ثلاثة أصناف: صنف طوله مأة وعشرون ذراعا من عرض ستّين ذراعا ، والصّنف الثاني طوله مأة وسبعون ذراعاً من عرض ثمانين ذراعاً ، والصّنف الثالث أحدهم يفرش اذنه تحته والأُخرى فوقه .

ثمّ قال للريح : سيرى بنا إلى قاف فسارت بنا إلى جبل من ياقوته خضراء وهو محيط بالدّنيا و عليه ملك في صورة بني آدم وهذا المو كل بقاف فلما نزل الملك إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال تريد أن تسألني أن آذن لك فقد أذنت فأسرع الملك وقال : بسم الله الرّحمن الرّحيم ثمّ طار .

قال سلمان وطفنا في ذلك حتى انتهينا إلى شجرة جافة من الشجرة الأُولى فقلنا : يا أمير المؤمنين ما بال هذه الشّجرة قد ماتت؟ فقال سلوها قال الحسن عليه السلام : وقمت ودنوت أنا وأبي عليه السلام وقلت لها اقسمت عليك بحقّ أمير المؤمنين أن تخبرينا مابالك وأنت في هذا المكان قال سلمان : فكلّمت بلسان طلق وهي تقول:

ياباعمّد إني كنت أفتخر على الأشجار فصارت الأشجار تفتخر عليّ وذلك أنّ أباك كان يجيئني في كلّ ليلة عند الثلث الأوّل من اللّيل يستظلّ بي ساعة ثمّ يأتيه فرس أدهم فير كبه ويمضي فلا أراه إلى وقته و كنت أعيش من رايحته وأفتخر به فقطعني منذ أربعين ليلة فغمّني ذلك فصرت كماترى .

فقلنا: يا أمير المؤمنين اسأل الله في ردّها كما كانت فمسح يده المباركة ثمّ قال : ياشاه شاهان فسمعنا لها أنينا و هي تقول أشهد أنّك أمين هذه الأُمّة ووصيّ رسول الله من تمسّك بك فقد نجا ومن خالفك فقد غوى، ثمّ اخضرّت واورقت فجلسنا تحتها وهي خضرة نضرة .

فقلنا اين ذهب هذا الملك المو كّل بقاف ؟ قال عليه السلام : إلى زيارة الملك المو كل

على ظلمات اللّيل و ضوء النّهار فقلنا يا أمير المؤمنين ما يزالون عن مواضعهم إلاّ باذنك ؟ فقال عليه السلام : والذي رفع السّماء بغير عمد ما أظنّ أحداً يزول عن موضعه بغير إذني إلاّ احترق .

فقلنا: ياأمير المؤمنين كنت معنا جالسا في منزلك فأىّ وقت كنت في قاف ؟ فقال عليه السلام لنا: غمّضوا أعينكم فغمضناها ثمّ قال عليه السلام: افتحوها، ففتحناها فاذا نحن قد بلغنا مكّة ، فقال عليه السلام : لقد بلغنا و لم يشعر أحد فكذلك كنت بقاف ولم يشعر أحد منكم .

فقلنا: ياأمير المؤمنين هذا العجب من وصيّ رسول الله فقال: والله إنّي أملك من الملكوت مالو عاينتموه لقلتم أنت أنت ، وأنا أنا وأنا عبدالله مخلوق من الخلايق آكل و أشرب .

ثمّ أتينا إلى روضة نضرة كأنها من رياض الجنّة فاذا نحن بشاب يصلّي بين قبرين ، فقلنا يا أمير المؤمنين من هذا الشّاب ؟ فقال أخي صالح وهذان قبر أبويه يعبدالله بينهما ، فلمّا نظر إلينا صالح أتى إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي ، فلمّا فرغ من بكائه فقلنا ممّا تبكي ؟ فقال : إنّ أمير المؤمنين كان يمرّ بي كلّ يوم عند الصّبح و كنت آنس به وأزداد في العبادة فقطعني منذ أربعين يوماً فأهمّني ذلك ولم أملك من شدّة شوقي إليه وأصابني ماتراه ، فقلنا : ياأمير المؤمنين هذا هو العجب من كلّ ما رأينا أنت معنا في كلّ يوم وتأتي إلى هذا الفتى .

فقال عليه السلام : أتحبّون أن اريكم سليمان بن داود ؟ فقلنا : نعم ، فقام عليه السلام و قمنا معه فمشينا حتى دخلنا إلى بستان لم نر قطّ مثله و فيه من جميع الفاكهة و الأنهار تجرى والأطيار تتغنّي ، فلما نظرت الأطيار إلى أمير المؤمنين عليه السلام جعلت تظلّ على رأسه .

فاذا نحن بسرير عليه شابّ ملقى على ظهره وليس في يده خاتم وعند رأسه ثعبان وعند رجليه ثعبان فلمّا نظرا إلى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام انكبّا على قدميه يمرغان وجوههما على التراب ثمّ صارا كالتّراب فقلنا :

يا أمير المؤمنين هذا هو سليمان ؟ قال : نعم وهذا خاتمه ثمّ اخرج من يده الخاتم وجعله في يد سليمان ثمّ قال : قم ياسليمان باذن من يحيي العظام وهي رميم وهو الله الذى لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم القهّار ربّ السّماوات و الأرضين ربّي و ربّ آبائنا الأوّلين .

قال سلمان : فسمعنا سليمان يقول : أشهد أن لاإله إلاّالله وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون ، وأشهد أنّك وصيّ رسول الله الأمين الهادي ، و إنّني سألت ربّي عزوجلّ أن أكون من شيعتك ولولا ذلك ماملكت شيئاً .

قال سلمان : فلما سمعت ذلك وثبت وقبّلت أقدام أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ نام سليمان وقمنا ندور في قاف فسألته ماوراء قاف ؟ فقال عليه السلام وراءه أربعين دنيا كلّ دنيا مثل الدّنيا التي جئنا أربعين مرّة ، فقلت له : يا أمير المؤمنين كيف علمك بذلك ؟ قال عليه السلام : كعلمي بهذه الدّنيا ومن فيها وبطرف السّماوات والأرضين .

يا سلمان كتبت على اللّيل فأظلم ، و على النهار فأضاء ، أنا المحنة الواقعة على الأعداء الطامّة الكبرى ، أسماؤنا كتبت على العرش حتّى استند ، و على السّماوات فقامت ، و كتبت على الأرض فسكنت ، و على الرّياح فذرت ، و على البرق فلمع ، وعلى النّور فسطع ، وعلى الرّعد فخشع ، وأسماؤنا مكتوبة على جبهة اسرافيل الّذي جناحه في المشرق والمغرب وهو يقول : سبّوح قدّوس ربّ الملائكة و الرّوح .

ثمّ قال عليه السلام لنا اغمضوا أعينكم فغمضنا ثمّ قال عليه السلام : افتحوها ففتحنا فاذا نحن بمدينة لم نر أكبر منها وإذا الأسواق بايرة وأهلها قوم لم نر أطول منهم خلقاً كلّ واحد كالنخلة ، فقلنا من هؤلاء القوم فما رأينا أعظم منهم خلقا ؟ قال عليه السلام: هؤلاء قوم عاد و هم كفّار لا يؤمنون بيوم الميعاد و بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فأحببت أن ارينكم إيّاهم في هذا الموضع ولقد مضيت بقدرة الله تعالى ، واقتلعت مدينتهم وهي مداين الشّرق وأتيتكم بها وأنتم لا تشعرون ، وأحببت أن أقاتل بين يديكم .

ثمّ دنامنهم فدعاهم إلى الايمان فأبوا فحمل عليه السلام عليهم وحملوا عليه ونحن نراهم ولا يرونا فتباعد عنهم ودنا منا فمسح يده عليه السلام على أبداننا وقلوبنا و قال: ثبتوا على الايمان ثمّ مشى إليهم و دعاهم ثانية إلى الايمان و نحن نراهم فأبوا ثمّ زعق زعقة.

قال سلمان: فوالّذي نفسي بيده لقد ظننت أنّ الأرض قد انقلبت والجبال قد تدكدكت و رأيتهم صرعى كأعجاز نخل خاوية قال: لا اضعف ايمانكم.

قال لنا أتحبّون أن ارينكم ما هوأعجب من هذا؛ فقلنا: يا أمير المؤمنين مالنا قوّة والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله، فعلى من لا يؤمن بك لعنة الله ولعنة الملائكة والنّاس أجمعين.

ثمّ صاح عليه السلام بالغمامة فاذا هي قد أقبلت فقال اجلسوا على السحابة فجلسنا وجلس هو على الأخرى ثمّ تكلّم بما لم نفهمه فما استتمّ كلامه حتّى طارت بنا في الهواء، ثمّ رفعتناحتى رأينا الدّنيامثل دور الدراهم ثمّ حططنا دار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في أقلّ من طرفة عين وأنزلنا والمؤذّن يؤذّن للظّهر و كنا مضينا عند طلوع الشمس، فقلنا هذا هو العجب كنّا في قاف وقطعنا ورجعنا في خمس ساعات، فقال أمير المؤمنين لو أردت أطوف بكم الدّنيا وجميع السماوات والأرض في أقلّ من مدّ البصر لفعلت بقدرة الله تعالى وجلاله وبركة رسوله صلى الله عليه وآله و أنا وصيّه ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون.

فقال سلمان: قلنا: لعن الله من جحدك و غصب حقّك و ضاعف عليهم العذاب الأليم و جعلنا ممّن لايفارق منك ساعة في الدّنيا والآخرة بمحمّد و آله عليهم السّلام.

أقول: ورواه المحدّث العلاّمة المجلسي طاب ثراه في المجلّد السابع من البحار من كتاب المحتضر للشيخ حسن بن سليمان من كتاب منهج التحقيق إلى سوء الطريق لبعض علماء الامامية باسناده عن سلمان الفارسي نحو ما رويناه وقال بعد ما أورده:

أقول : هذا خبر غريب لم نره في الاصول التي عندنا ولا نردّها ونردّ علمها إليهم عليهم السلام .

ومنها

ما في المجلّد الثّامن من البحار من كتاب المحتضر عن بعض العلماء في كتابه عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: إنّ أمير المؤمنين كان يخرج في كلّ جمعة ظاهر المدينة ولا يعلم أحد أين يمضى ، قال فبقى على ذلك برهة من الزّمان ، فلما كان في بعض الليالي قال عمر بن الخطاب : لابدّ من أن أخرج وابصر أين يمضى عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

قال : فقعد له عند باب المدينة حتى خرج ومضى على عادته فتبعه عمر وكان كلّما وضع عليّ عليه السلام قدمه في موضع وضع عمر رجله مكانها ، فما كان إلاّ قليلا حتى وصل إلى بلدة عظيمة ذات نخل وشجر ومياه غزيرة ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل إلى حديقة بها ماء جار فتوضّأ و وقف بين النخل يصلّي إلى أن مضى من اللّيل أكثره .

وأمّا عمر فانّه نام فلما قضى أمير المؤمنين عليه السلام وطره من الصّلاة عاد ورجع إلى المدينة حتى وقف خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وصلّى معه الفجر فانتبه عمر فلم يجد أمير المؤمنين في موضعه فلما أصبح رأى موضعا لايعرفه وقوما لايعرفهم ولايعرفونه فوقف على رجل منهم .

فقال له الرجل: من أنت ومن أين أنت؟ فقال عمر : من يثرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له الرّجل : ياشيخ تأمل أمرك وابصر ماتقول فقال : هذا الذي أقوله لك قال الرّجل : متى خرجت من المدينة ؟ قال : البارحة قال له : اسكت لا يسمع الناس منك فتقتل أو يقولون هذا مجنون، فقال: الّذي أقول حقّ .

فقال له الرّجل : حدّثني كيف حالك و مجيئك إلى ههنا ؟ فقال عمر : كان عليّ بن أبي طالب في كلّ ليلة جمعة يخرج من المدينة ولا نعلم أين يمضى فلمّا كان في هذه اللّيلة تبعته و قلت أريد أن أبصر أين يمضى فوصلنا إلى ههنا فوقف

يصلي ونمت ولا أدري ما صنع .

فقال له الرّجل: ادخل هذه المدينة وأبصر الناس واقطع أيامك إلى ليلة الجمعة فمالك أن يحملك إلى الموضع الّذي جئت منه إلاّ الرّجل الذي جاء بك، فبيننا وبين المدينة أزيد من مسيرة سنتين فاذا رأينا من يرى المدينة و رأى رسول الله صلى الله عليه وآله نتبرّك به ونزوره وفي بعض الاحيان نرى من أتى بك فتقول أنت قد جئتك في بعض ليلة من المدينة.

فدخل عمر إلى المدينة فرأى النّاس كلّهم يلعنون ظالمي أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله ويسمّونهم بأسمائهم واحداً واحداً وكلّ صاحب صناعة يقول ذلك وهو على صناعته ، فلما سمع عمر ذلك ضاقت عليه الأرض بما رحبت وطالت عليه الأيّام .

حتّى جاء ليلة الجمعة فمضى إلى ذلك المكان فوصل أمير المؤمنين عليه السلام إليه على عادته فكان عمر يترقّبه حتى مضى معظم اللّيل وفرغ من صلاته وهمّ بالرّجوع فتبعه عمر حتّى و صلا الفجر المدينة ، فدخل أمير المؤمنين عليه السلام المسجد و صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وصلّى عمر أيضاً ثمّ التفت النبيّ إلى عمر فقال: ياعمر أين كنت اسبوعا لا نراك عندنا فقال عمر: يا رسول الله كان من شأني كذا و كذا و قصّ عليه ما جرى له فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لا تنس ما شاهدت بنظرك فلمّا سأله من سأله عن ذلك فقال نفذ فيّ سحر بني هاشم.

قال المجلسي (ره) أقول : هذا حديث غريب لم أره إلاّ في الكتاب المذكور، هذا .

وغرايب شؤوناتهم عليهم السلام متجاوزة عن حدّ الاحصاء ولو أردت ذكر يسير من كثير لصار كتاباً كبير الحجم وفيما أوردته كفاية للمستبصر وهداية للمهتدي ، والله العالم الخبير بمقامات حججه وأوليائه الكرام عليهم الصّلاة والسّلام .

الترجمة

پس كدام راه ميرويد اى مردمان گمراه ، و كجا باز گردانيده ميشويد اى خلق تباه ، وحال آنكه علامات هدايت برپا است ، وآيات قدرت روشن وهويداست ومنارهاى بلند پايه بجهت هدايت مركوز ومنصوبست ، پس كجا حيران گردانيده ميشويد درتباهى ، بلكه چگونه متردّد ميباشيد در گمراهى و حال آنكه در ميان

شما است اهل بيت پيغمبر شما وايشان زمامهای حق‌اند وزبانهای صدق ، پس نازل نمائيد ايشانرا درنيكوترين منزلهای قرآن ، ووارد شويد بايشان مثل وارد شدن شتران عطشان بآب فرات وروان .

ای مردمان اخذ نمائيد اين روايت را ازحضرت خاتم الأنبياء عليه التحية والثناء ، بدرستيكه ميميرد كسی كه مرد از ما وحال آنكه مرده نيست بحقيقت ومی پوسد آنكه پوسيده ازما وحال آنكه پوسيده نيست درواقع ، پس قائل‌نشويد بچيزی كه معرفت نداريد بآن زيرا كه أكثر حق در آنچيزيست كه شما انكار مينمائيد آنرا ومعذورداريد شخصی را كه حجت نيست شمارا براو ومنم آنشخص.

آيا عمل‌نكردم‌درميان شما ببار گران بزرگتر كه عبارت است از قرآن ، وآيا نگذاشتم درميان شما بار گران كوچكتر كه عبارتست ازعترت سيدالبشر، ومركوز ساختم درميان‌شما رايت ايمان واسلام‌را ، وواقف گردانيدم شمارا بحدود حلال وحرام ، وپوشانيدم بشما لباس‌عافيت را ازعدل وانصاف خود ، وگسترانيدم از برای شما بساط امر معروفرا ازگفتار وكردار خود ، و بنمودم بشما خلقهای پسنديده از نفس خود ، پس استعمال نكنيد رأی های خود را در آنچه كه درك نمينمايد نهايت آنرا بصر ، وسرعت نميتواند كند بسوی آن فكرهای ارباب فكر ونظر ، وآن عبارتست ازمقامات نورانيه ائمه أنام عليهم الصلاة والسلام .

الفصل الرابع

منها حَتّىٰ يَظُنَّ الظّانُّ إنّ الدُّنيا مَعْقُولَةٌ على بَني أُمَيّة، تَمْنَحُهُمْ دَرَّها، وَ تُورِدُهُمْ صَفْوَها، وَلا يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ سَوْطُها وَلا سَيْفُها ، وَكَذَبَ الظّانُّ لِذٰلِك ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَها بُرْهَةً ، ثُمَّ يَلْفِظُونَها جُمْلَةً .

اللغة

(عقلت) البعير عقلا من باب ضرب حبسته بعقال و (منح) زيد عمراً يمنح من باب منع أعطاه و منه المنحة بالكسر و هي الشاة أو النّاقة المعادة للبنها و (الدّر) في الأصل اللّبن ثمّ استعمل في كلّ خير و نفع و منه قولهم : لله درّه و (مجّ) الشّراب من فيه مجّاً قذفه و رماه وانمجّت نقطة من القلم ترششت ، والمجّة في النسخ بفتح الميم والأنسب أن يكون بالضّم وهو على ما في القاموس نقط العسل على الحجارة و (البرهة) مدّة من الزّمان لها طول .

الاعراب

حتّى لانتهاء الغاية وقد حذف المغيّا وترك ذكره في الكتاب ، والواو في قوله : وكذب الظّان حالية ، وجملة يتطعّمونها في محلّ الرفع صفة لمجّة .

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من شرح المعتزلي أنّ هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويله حذف السيّد منها كثيراً ولم أعثر بعد على تمامها ، وهذا الفصل من جملة أخباره الغيبيّة مسوق لبيان حال بني اُميّة لعنهم الله وابتلاء الخلق بهم ، و لعلّ ما قبل هذا الفصل انّه :

يليكم ولاة سوء يتمادون في الطّغيان والغفلة ، ويكون النّاس بهم في طول عناء وشدّة (حتّى يظنّ الظانّ أنّ الدّنيا معقولة على بني اُميّة) أى محبوسة في أيديهم لا تتجاوز عنهم إلى غيرهم كالناقة المحبوسة بالعقال (تمنحهم درّها وتوردهم صفوها) أى تعطيهم منفعتها وتبذ لهم صافي فوايدها كما أنّ المنحة تعطي لبنها لحالبها وتبذله له (ولا يرفع عن هذه الامة سوطها ولاسيفها) أى لا يرفع عن الامّة عذاب الدّنيا بهم و تجوّز بلفظ السوط والسّيف عن القتل والاستيصال والعذاب لكونهما آلتين لهما (وكذب الظانّ لذلك) في ظنّه وزعمه (بل هي مجّة من

لذيذ العيش) اى حقيرة قليلة كالريقة التي تمجّ من الفم (يتطعّمونها برهة) من الزمان و يلتذّون بها مدّة ملكهم و امارتهم (ثمّ يلفظونها جملة) أى يرمونها بكلّيتها وهو كناية عن زوالها عنهم بالمرّة .

أقول : وقد كان الأمر على ما أخبر به الامام عليه السلام فانّ بني اميّة قد تسلّطوا على العباد ، وتملّكوا البلاد ، ونهبوا الأموال ، و قتلوا الرّجال ، و أراقوا دماء الشّيعة بكلّ بلدة ، وقطعوا الأيدي والأرجل على الظّنة ، ولم يخرج عليهم خارج إلاّ وظفروا عليه و قهروه ، و لم يقم لا زالة ملكهم قائم إلاّ و غلبوا عليه وقتلوه ، حتّى ظنّ الناس أنّ الدّنيا معقولة عليهم ، و سلطنتها دائمة في حقّهم ، فأذن الله في هلاكهم و أراد زوال ملكهم فاختلفت كلمتهم و تضعضع أمرهم فزالت دولتهم :

« كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ في يَوْمٍ عاصِفٍ » .

وقد كانت مدّة ملك السّلطنة ألف شهر على ما أخبر الله به نبيّه صلى الله عليه وآله .

كما قال الصّادق عليه السلام في رواية الكافي : أُري رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه أنّ بني أُميّة يصعدون على منبره من بعده و يضلّون النّاس عن الصراط القهقري فأصبح كئيباً حزيناً قال عليه السلام : فهبط عليه جبرئيل فقال : يا رسول الله ما لي أراك كئيباً حزيناً قال : يا جبرئيل إنّي رأيت بني أُميّة في ليلتي هذه يصعدون منبري يضلّون الناس عن الصّراط القهقرى ، فقال : والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً إني ما اطلعت فعرج إلى السّماء فلم يلبث أن نزل عليه بآى من القرآن يونسه بها :

« قالَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ » وأنزل عليه : إِنّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » .

ملك بني اميّة و بمعناه أخبار اخر .

الترجمة

اين فصل متضمن اخبار از ابتلاء اهل روزگار به بني اميّه كجرفتار وزوال ملك ازآن طايفهٔ بدكردار است ميفرمايد :

تااينكه گمان‌ميكند گمان كننده اينكه‌دنيامحبوس‌است ومربوطبه‌بني أميه درحالتي كه ميدهد بايشان منفعت خود را ، ووارد ميكند ايشانرا بآب صافي‌خود ، ورفع نميشود از اين امت تازيانهٔ دنيا و نه شمشيرآن‌وحال‌آنكه دروغ گفت گمان برنده آن يعنى ظن او بدوام دولت بني اميّه فاسد است بلكه آن دولت ايشان چيز قليل وحقيرى است ازلذت زندگانى بمنزلهٔ آبى كه از دهن مياندازند ، ملتذ ميشوند با آن زمانى پس بيندازند آنرا بالمرّه چون انداختن لقمه ازدهان ، واين كنايه است از زوال ملك ايشان بالكلّيه .

ومن خطبة له عليه‌السلام وهى السابعة والثمانون من المختار فى باب الخطب

وهى مرويّة في كتاب الرّوضة من الكافي باختلاف كثير تطلع عليه إنشاءالله بعدالفراغ من شرح ما أورده السيد (ره) في الكتاب و هو قوله عليه‌السلام :

أمّا بعد فإنّ الله سُبْحانَهُ لَمْ يَقْصِمْ جبّاري دَهْرٍ قطُّ إلاّ بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخاءٍ ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أحدٍ مِنَ الْأُمَمِ إلاّ بَعْدَ أزْلٍ و بَلاءٍ ، وَفى دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ ، وَاسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ ، وَما كُلُّ ذي قَلْبٍ بِلَبيبٍ ، وَلا كُلُّ ذي سَمْعٍ بِسَميعٍ ، وَلا كُلُّ ذي ناظِرٍ

بِبَصيرٍ ، فَياعَجَباً وَما لي لا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هٰـذِهِ الْفِرَقِ عَلىٰ اخْتِلافِ حُجَجِها في دينِها ، لا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ، وَلا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ ، لا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ، وَلا يَعْفُونَ عَنْ عَيْبٍ ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهاتِ ، وَيَسيرُونَ فِي الشَّهَواتِ ، الْمَعْرُوفُ فيهِمْ ما عَرَفُوا ، وَالْمُنْـكَرُ عِنْدَهُمْ ما أَنْكَرُوا ، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضَلاتِ إِلىٰ أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْويلُهُمْ فِي الْمُبْهَماتِ عَلىٰ آرائِهِمْ ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمامُ نَفْسِهِ ، قَدْ أَخَذَ مِنْها فيما يَرىٰ بِعُرىً وَثِقاتٍ وَأَسْبابٍ مُحْكَماتٍ.

اللغة

(قصمه) يقصمه من باب ضرب كسره وابانه أو كسره وان لم يبن و (الجبار) كلّ عات و (مهّله) تمهيلا أجّله و (رخى) العيش ورخو بالياء والواو رخاوة من باب تعب و قرب إذا اتّسع فهو رخيّ على وزن فعيل والرّخا اسم منه ، و في بعض النسخ الارجاء بالجيم من باب الافعال وهو التّأخير فيكون عطفه على التّمهيل من باب التوضيح و التّفسير و (جبرت) العظم جبراً من باب قتل أصلحته و (الأزل) الضّيق والشّدة و (العتب) بالسّكون الموجدة ويروى بفتح التّاء و هو الشّدة و الأمر الكريه و (الخطب) الأمر المعظم كما في قوله : فما خطبك ياسامريّ ، ويروى من خصب بالصاد المهملة وهوالسّعة ورخاء العيش.

وفي بعض النّسخ استقبلتم من خطب واستد برتم من عتب ، وفي بعض النسخ فياعجبي بالاضافة إلى ياء المتكلّم (يقتصّون) ومابعده من الأفعال في بعض النسخ بصيغة المذكر باعتبار المعنى وفي بعضها بصيغة التأنيث باعتبارملاحظة لفظ الفرقة وعود الضمير فيهاإليها و (عفّ) يعفّ من باب ضرب عفّاً وعفافاً وعفافة بفتحهنّ

وعفّة بالكسر فهو عفّ وعفيف كفّ عما لا يحلّ وامتنع عنه .

وفي بعض النسخ يعفون بسكون العين والتخفيف من العفو وهو الصفح وترك عقوبة المستحق و (المعضلات) في النسخ بفتح الضاد و كذلك في الخطبة السابقة والمضبوط في القاموس و الأوقيانوس بصيغة الفاعل و هي الشدايد من أعضل الأمر إذا اشتدّ و (العرى) جمع العروة كمدية و مدى وهو مايستمسك به الشيء و منه عروة الكوز لمقبضه و اذنه و(السبب) الحبل ومايتوصّل به إلى الاستعلاء «الغير ظ» ثمّ استعير لكلّ شيء يتوصّل به الى أمر من الأمور .

الاعراب

قطّ من ظروف الزّمان و معناه الوقت الماضي عموماً ولا يستعمل إلاّ بمعنى أبداً والغالب استعماله في الماضي المنفيّ و قد يستعمل بدون النّفي لفظاً و معنى ، نحو كنت أراه قطّ أى دائماوقد استعمل بدونه لفظاً لا معنى ، نحو هل رأيت الذّئب قطّ وهو مبنيّ لأنّ بعض لغاته على وضع الحروف وبنائه على الضّم حملا على أخيه عوض لأنّ عوض للمستقبل المنفيّ وهو للماضي المنفيّ وبنى عوض على الضمّ لانقطاعه عن الاضافة كقبل وبعد

قال الرّضي: الأولى أن يقال بنى لتضمّنه لام الاستغراق لزوماً لاستغراقه جميع الماضى بخلاف أبداً فليس الاستغراق لازماً لمعناه ، ألا ترى إلى قولهم : طال الأبد على أبد ، و دون ظرف مبنيّ على الفتح يقال هذا دون ذلك أى أقرب منه ، و منه المثل دونه خرط القتاد ، وعجباً إما منصوب على النّداء والتنوين عوض عن المضاف إليه أى ياعجبي احضر ، أومنتصب على المصدر أى يانفس أعجب عجباً ، وما استفهامية ومن خطاء إما متعلّق بعجباً أو أعجب على سبيل التنازع ، وعلى اختلاف إما بمعنى اللاّم كما في قوله :

« وَ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلىٰ ما هَدٰيكُمْ » .

فتكون علّة للخطاء ، وإمّا بمعنى مع كما في قوله تعالى :

« وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلىٰ حُبِّهِ » .

بناء على عود الضّمير في حبّه إلى الطعام دون الله سبحانـه ، و يحتمل أن يكون للاستعلاء المجازي و المتعلّق محذوف و التقدير من خطاء هذه الفرق مبنيّاً على اختلاف حججها ، و في دينها متعلّق بالخطاء ، و جملة لا يقتصّون استيناف بيانيّ مسوق لبيان جهة الخطاء أو جهة الاختلاف على سبيل منع الخلوّفافهم جيّداً ، وتحتمل الحالية و الأوّل أظهر ، و كانّ كلّ امرء من حروف المشبّهة وفي بعض النسّخ بحذفهاواسقاطها ، قال الشّارح المعتزلي وهوحسن أقول: بل اثباتهاأحسن ويظهر وجهه بالتّامّل .

المعنى

اعلم أنّ مقصوده عليه السلام بهذه الخطبة توبيخ النّاس و ذمّهم على اختلافهم في الدّين وعدولهم عن الامام المبين واستبدادهم بالآراء و اعتمادهم على الأهواء فمهّد عليه السلام أوّلاً مقدّمة متضمّنة للتّخويف والتّحذير والتّنبيه والتّذكير وقال:

(أمّا بعد) حمدالله والثّناء عليه والصلاة على رسوله وآله (فانّ) عادة (الله سبحانه) قد جرت في القرون الخالية والأُمم الماضية على أنّه (لم يقصم جبّاري دهر قط) و لم يكسر عظام أحد منهم و لم يهلكهم (إلاّ بعد تمهيل ورخاء) أفلم تر أولاد سبافلقدآتاهم الله سوابغ الآلاء وروافغ النّعماء وكان لهم في مسكنهم جنتان.

« كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا » .

فأرسل عليهم سيل العرم ومزّقهم بما كفروا كلّ ممزّق .

« إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ » .

أولم ترإلى شدّادبن عاد كيف بنى :

« إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتادِ »
الذي طغى في البلاد ومن حذا حذوهما ممّن ملك الرّقاب وتسلّط على العباد فأكثر فيهم الفساد .

« فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ » « إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبابِ » .

ومقصوده عليه السلام بهذا الكلام إنذار من قصده بالافهام من أهل زمانه و تحذيرهم من الانغماس في الغفلة والافتتان بالرخاء والدّعة والاغترار ببضاضة الشّباب و غضارة الصّحة كيلا يلحقهم ما لحق من قبلهم ولا يأخذهم ربّهم بسوء فعلهم فيكونوا عبرة لمن بعدهم (ولم يجبر عظم أحد من الامم) و لم يظهرهم على عدوّهم (إلاّ بعد أزل و بلاء) وضيق وعنا .

وتصديق ذلك في الأمم الماضية بما وقع لبني اسرائيل من فرعون حيث جعلهم في الأرض شيعا يذبّح أبنائهم و يستحيى نسآئهم وفيه بلاء مبين فلما تمّت البليّة وعظمت الرزية جبرالله كسرهم وشدّ أزرهم وأغرق فرعون وجنوده أجمعين و منّ على الّذين استضعفوا في الأرض وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

وفي الأمة المرحومة بما وقع يوم الأحزاب عند اجتماع العرب الأتراب إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر وابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالاً شديداً وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله و صدق الله و رسوله ومازادهم إلاّ إيماناً و تسليماً وقال المنافقون ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً فلما ابتلوا بذاك وأيقنوا بالقتل والهلاك أنعم الله عليهم وأعانهم بريح وجنود لم يروها وكان الله قويّاً عزيزاً .

وفي هذا الكلام تنبيه على الثبات والصبر ورجاء الظّفر والنّصر وعدم اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله عند ضيق المسالك والتقحّم في المهالك ، هذا .

ويحتمل أن يكون مقصوده عليه السلام بالفقرة الأولى أعنى قوله : لم يقصم جبّاري

دهراه الاشارة إلى مآل حال معاوية وأمثاله من جبابرة دهره عليه السلام والباغين عليه من طلحة والزّبير ومن حذا حذوهما من العتاة، والتنبيه على أنّ الله يقصم ظهرهم و يكسر صولتهم و يسلبهم ملكهم و دولتهم و إن طالت مدّتهم و شوكتهم كما قال تعالى:

«أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ».

وبالفقرة الثانية أعنى قوله ولم يجبر عظم أحداه تسلّي همّ أصحابه و كآبتهم بالوهن والضعف والضّنك والضّيق الذي أصابهم من المتخلّفين ومعاوية و أصحابه و حثّهم على الاتفاق والايتلاف وتحذيرهم من التّفرق والاختلاف، إذ في الاجتماع رجاء النّصرة والاختلاف مظنة المغلوبية.

و يؤيد هذا الاحتمال في الفقرتين و يعاضده التّأمل في ساير فقرات الخطبة على رواية الرّوضة الآتية (وفي دون مااستقبلتم من عتب واستدبرتم من خطب معتبر) يحتمل أن يكون المراد بالعتب الذى استقبلوه عتابه عليه السلام وموجدته عليهم بتشتّت الآراء و تفرّق الأهواء، و هو على رواية العتب بسكون التّاء، و بالخطب الذى استدبروه الأمور المعظمة والملاحم التي وقعت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم السّقيفة و يوم الشورى و يوم الدّار و أن يكون المراد بالعتب الشدايد والكرايه التي أصابتهم من المتخلّفين وهو على رواية العتب بفتح التّاء و بالخطب الأهوال التى كانوا يرونها من المشركين في بدء الاسلام حيث كانوا قليلين وكان المشركون كثيرين فأيّدهم الله بنصره بالتأليف بين قلوب المؤمنين وأظهرهم على الكافرين.

(و) كيف كان فهو عليه السلام يقول: إنّ فيما استقبلتم واستدبرتم من الامور المفيدة للاتّعاظ والاعتبار لعبرة لأولي الفهم والعقل والذكاء، وموعظة لذوي الأبصار والأسماع، وإنّما يتذكر أولوا الألباب، ويعتبر السّميع البصير المميّز للقشر من اللّباب، لأنّهم

المنتفعون بالعبر والحائزون قصب السّبق في مضمار الاعتبار بصحيح النّظر إذ (ما كلّ ذي قلب بلبيب ولا كلّ ذي سمع بسميع ولا كلّ ذي ناظر ببصير) فربّ قوم لهم أرجل لايمشون بها ، ولهم أيد لايبطشون بها ، ولهم عقول لايفقهون بها، ولهم آذان لايسمعون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، و في ذلك تحريض على الاتّعاظ والاعتبار و ترغيب في الازدجار والادّكار

(فياعجبا وما لي لا أعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها) وأدلّتها (في دينها) تعجّب عليه‌السلام من اختلاف الفرق و خطائهم في الدّين وافترافهم في شرع سيّد المرسلين اعتماداً منهم على أدلّتهم المتشتّتة و حججهم المختلفة ، واتّكالاً على اصولهم الّتي أصّلوها وقواعدهم التي فصّلوها، واستبداداً منهم بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة ؛

وبيّن عليه‌السلام جهة الخطاء والاختلاف بأنّهم (لا يقتصّون أثر نبيّ) لأنّهم لو اقتصّوه واتّبعوه لما اختلفوا إذ ما جاء به النّبيّ صلّى‌الله‌عليه‌وآله واحد وشرعه واحد و كتابه واحد فلو اقتفوه لاتّفقوا وأصابوا حسبما مرّ توضيحه في الكلام الثّامن عشر و شرحه(ولا يقتدون بعمل وصيّ) إذ الوصيّ مقتد في عمله بالنّبيّ صلّى‌الله‌عليه‌وآله فلو اقتدوا به لكانوا مقتديں بالنّبيّ و به مهتدين ولم يكن هناك اختلاف و خطاء حسبما عرفت آنفاً و حيث اختلفوا علم أنّهم كانوا تاركين اثره غير مقتدين عمله

و يوضح ذلك ما في غاية المرام من أمالي الشّيخ مسنداً عن المجاشعي عن الرّضا عن آبائه عليهم‌السلام قال : سمعت عليّاً عليه‌السلام يقول لرأس اليهود : على كم افترقتم ؟ فقال: على كذا و كذا فرقة ، فقال علي عليه‌السلام : كذبت ، ثمّ أقبل على النّاس وقال : والله لو ثنّيت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل القرآن بقرآنهم ، افترقت اليهود على أحد وسبعين فرقة سبعون منها في النّار و واحدة ناجية في الجنة وهي التي اتّبعت يوشع بن نون وصيّ موسى، وافترقت النّصارى على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النّار و واحدة في الجنة وهي التي اتّبعت شمعون وصيّ عيسى (ع) ، و تفترق هذه الامّة على ثلاث

وسبعين اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة فى الجنّة و هي الّتي اتّبعت وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله وضرب بيده على صدره ثمّ قال عليه السلام ثلاث عشرة فرقة من الثلاث وسبعين فرقة كلّها تنتحل مودّتي وحبّي واحدة منها في الجنّة وهم النمط الأوسط واثنتا عشرة في النّار.

و (لا يؤمنون بغيب) المراد بالغيب إمّا القرآن الّذي يصدّق بعضه بعضاً.

« وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيراً »

وإمّا مطلق ما غاب من الحواسّ من توحيد الله و نبوّة الأنبياء و ولاية الأوصياء والرجعة والبعث والحساب والجنّة والنّار وساير الأمور التي يلزم الايمان بها ممّا لا يعرف بالمشاهدة و إنّما يعرف بالبراهين والأدلّة الّتي نصبها الله عليه، و على أيّ تقدير فانتفاء الايمان بالغيب أيضاً من أسباب اختلاف الفرق و جهات خطائها في المذاهب إذ لو كانوا يؤمنون بالغيب و به مذعنين لكانوا مهتدين إلى الحقّ والصّواب في كلّ باب فان:

« هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدي لِلَّتي هيَ أَقْوَمُ » و « ذٰلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدًى لِلْمُتَّقينَ الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقيمُونَ الصَّلوٰةَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ».

(ولا يعفون عن عيب) إذ ملكة العفاف والوقوف عند المحرّمات والشّبهات مانعة عن الاستبداد بالآراء التي نشأت منها الفرقة والاختلاف موجبة للفحص عن الحقّ والاهتداء إلى صوب الصّواب، وحيث لم يكن لهم عفاف وحايطة في الدّين لم يبالوا في أيّ واديهيمون، وعلى رواية لا يعفون بالتخفيف فالمراد به عدم العفو عن عيوب النّاس، وعلى هذه الرّواية فهو من فروعات الخطاء في الدّين إذ العفو عن عيوب المذنبين من صفات المتّقين والمصيبين من المؤمنين كما شهد به الكتاب المبين:

« وَسارِعُوا إِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰواتُ وَالْأَرْضُ

أعدّت للمتّقين الّذين ينفقون في السرّاء و الضرّاء و الكاظمين الغيظ و العافين عن النّاس و الله يحبّ المحسنين».

(يعملون في الشّبهات) أى لا يقفون في ما اشتبه عليهم أمره و لا يبحثون عن وجه الحقّ فيه بل يعملون فيه بما أدّى هواهم إليه و إليه الاشارة في قوله تعالى :

« وَالّذين كسبوا السيّئات جزاء سيّئة بمثلها و ترهقهم ذلّة ما لهم من الله من عاصم » وفي قوله: « هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدّنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً » .

روى في الوسائل من تفسير عليّ بن إبراهيم عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الآية الأولى قال عليه السلام : هؤلاء أهل البدع والشّبهات والشّهوات يسوّد الله وجوههم يوم يلقونه .

و عنه عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الآية الثّانية قال : هم النّصارى والقسّيسون والرّهبان و أهل الشّبهات والأهواء من أهل القبلة والحروريّة وأهل البدع .

(ويسيرون في الشّهوات) لما لاحظ عليه السلام ميل طباعهم إلى اللّذات الدّنيوية و انهماكهم في الشّهوات النفسانية قاطعين مراحل الأوقات بالتّلذّذ بتلك اللّذات والشّهوات لاجرم جعل الشّهوات بمنزلة طرق مسلوكة وجعل اشتغالهم بها بمنزلة السّير في تلك الطرق (المعروف فيهم ما عرفو) . بعقولهم الفاسدة و إن لم يكن معروفاً في الشريعة (والمنكر عندهم ما أنكرو) . بآرائهم الكاسدة و إن لم يكن منكراً في الحقيقة (مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم) دون الأئمة الذين يهدون بالحقّ و به يعدلون (وتعويلهم في المبهمات على آرائهم) دون أهل الذكر الذين أمر بسؤالهم بقوله :

« فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ »

(كان كلّ امرىء منهم امام نفسه) و كأنّ دليل كلّ واحد منهم رأيه و هواه (قد أخذ منها فيما يرى) و يظنّ (بعرى و ثقات) لاانفصام لها (واسباب محكمات) لا يضلّ من تمسّك بها و إنّما مثلهم في ذلك :

« كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ » « وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ »

تكملة

هذه الخطبة مرويّة في كتاب الرّوضة من الكافي باختلاف كثير عن أحمد بن محمّد الكوفي عن جعفر بن عبدالله المحمّدي عن أبي روح فرج بن قرة عن جعفر بن عبدالله عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة فحمدالله فأثنى عليه وصلّى على النّبي صلى الله عليه وآله ثمّ قال عليه السلام :

أمّا بعد فان الله تبارك وتعالى لم يقصم جبّاري دهر إلاّ من بعد تمهيل ورخاء، ولم يجبر كسر عظم من الامم إلاّ بعد أزل وبلاء ، أيّها النّاس في دون ما استقبلتم من خطب واستدبرتم من خطب معتبر، وما كلّ ذي قلب بلبيب ، ولا كلّ ذي سمع بسميع، ولا كلّ ذي ناظر عين ببصير .

عباد الله أحسنوا فيما يعنيكم النّظر فيه ثمّ انظروا إلى عرصات من قد أفاده الله بعلمه كانوا على سنّة من آل فرعون أهل جنّات وعيون وزروع ومقام كريم ، ثمّ انظروا بما ختم الله لهم من النّضرة والسّرور والأمر والنّهى و لمن صبر منكم العاقبة في الجنان والله مخلّدون ولله عاقبة الأمور .

فياعجباً وما لى لا أعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لايقتفون أثر نبيّ ولايقتدون بعمل وصيّ ولا يؤمنون بغيب ولا يعفون عن عيب ، المعروف فيهم ما عرفوا ، والمنكر عندهم ماأنكروا ، وكلّ امرء منهم امام نفسه واخذ منها فيمايرى بعرى وثيقات وأسباب محكمات فلايزالون بجور ولم «لن ـ خل»

يزدادوا إلاّ خطاء لاينالون تقرّباً ولن يزدادوا إلاّ بعد أمن الله عزّ وجلّ انس بعضهم ببعض وتصديق بعضهم لبعض ، كلّ ذلك وحشة مما ورّث النبيّ الأمّي صلّى الله عليه وآله ونفوراً ممّا أدّى إليهم من أخبار فاطر السّماوات والأرض.

أهل حسرات وكهوف شبهات ، وأهل عشوات وضلالة وريبة ، من وكله الله إلى نفسه ورأيه فهو مأمون عند من يجهله غير المتّهم عند من لايعرفه ، فما أشبه هؤلاء بأنعام قد غاب عنها رعاؤها .

و وا أسفاً من فعلات شيعتي من بعد قرب مودّتها اليوم كيف يستذلّ بعدى بعضها بعضاً ، وكيف يقتل بعضها بعضاً ، المتشتّتة غداً عن الأصل النّازلة بالفرع المؤمّلة الفتح من غير جهة ، كلّ حزب منهم آخذ بغصن أينما مال الغصن مال معه .

إنّ الله وله الحمد سيجمع هؤلاء لشرّ يوم لبني أميّة كما يجمع قزع الخريف يؤلّف بينهم ثمّ يجعلهم ركاماً كركام السّحاب ، ثمّ يفتح لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم كسيل الجنّتين سيل العرم ، حيث بعث عليهم فارة فلم يثبت عليه اكمّة ولم يردّ سننه رضّ طود يذعنهم الله في بطون أودية ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم ، و يمكّن من قوم لديار قوم ، تشريداً لبني أميّة ، ولكيلا يغتصبوا ما غصبوا ، يضعضع الله بهم ركنا وينقض الله بهم طيّ الجنادل من ارم ويملاء منهم بطنان الزّيتون.

فوالذي فلق الحبّة و برء النسمة ليكوننّ ذلك و كانّي أسمع صهيل خيلهم وطمطمة رجالهم وأيم الله ليذوبنّ ما في أيديهم بعد العلوّ والتّمكين في البلاد كما تذوب الالية على النّار ، من مات منهم مات ضالاّ والله عزّ و جلّ يقضي منهم من درج ويتوب الله عزّ وجلّ على من تاب ، ولعلّ الله يجمع شيعتي بعد التّشتت لشرّ يوم لهؤلاء ، وليس لأحد على الله عزّ ذكره الخيرة بل لله الخيرة والأمر جميعا

أيّها النّاس إنّ المنتحلين للامامة من غير أهلها كثير ولولم تتخاذلوا عن مرّ

الحقّ ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يتشجّع عليكم من ليس مثلكم ، و لم يقومن قوي عليكم على هضم الطاعة و ازوائها عن أهلها ، لكن تهتم كما تاهت بنواسرائيل على عهد موسى عليه السلام، ولعمري ليضاعفنّ عليكم البتّة بعدي أضعاف ما تاهت بنو اسرائيل

ولعمري أن لو قد استكملتم من بعدي مدّة سلطان بني اميّة لقد اجتمعتم على سلطان الداعي إلى الضّلالة وأحييتم الباطل وخلّفتم الحقّ وراء ظهوركم ، و قطعتم الأدنى من أهل بدر ووصلتم الأبعد من أبناء الحرب لرسول الله.

ولعمري أن لو قد ذاب ما في أيديهم لدنا التمحيص للجزاء وقرب الوعد وانقضت المدّة وبدا لكم النجم ذوالذّنب من قبل المشرق ، ولاح لكم القمر المنير ، فاذا كان ذلك فراجعوا التّوبة واعلموا أنّكم ان اتّبعتم طالع المشرق سلك بكم مناهج الرسول صلى الله عليه وآله فتداويتم من العمى والصّمم والبكم ، وكفيتم مؤنة الطلب والتعسّف و نبذتم الثقل الفادح من الأعناق ، ولا يبعد الله إلاّ من أبى و ظلم واعتسف و أخذ ما ليس له

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ». هذا .

و رواها المفيد في الارشاد عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام إلى قوله بل لله الخيرة والأمر جميعاً باختلاف كثير و زيادات كثيرة على رواية الروضة ، و روى قوله عليه السلام لو لم تتخاذلوا عن نصرة الحقّ إلى آخر رواية الروضة في ضمن خطبة اخرى رواها عن مسعدة عن أبي عبدالله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال انه خطبها بالكوفة وبينها و بين رواية الروضة أيضاً اختلاف كثير من أراد الاطلاع فليراجع الارشاد .

توضيح

« العرصات » جمع العرصة و هي كلّ بقعة من الدّور واسعة ليس فيها بناء « أفاده الله بعلمه » في بعض النسخ بالفاء من أفدت المال أعطيته وفي بعضها بالقاف

من أفاده خيلا أعطاه ليقودها ولعلّ المعنى أنه أعطاه الله زينة الحياة الدنيا مع علمه بحاله بحسب اقتضاء حكمته ومقتضى عدالته كما قال في سورة هود عليه السلام :

« مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَيٰوةَ الدُّنيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ ، أُولٰٓئِكَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ النّارُ » الآية.

والمراد بمن أفاده الله هو المتخلّفون الغاصبون للخلافة ، و في رواية الارشاد أباده بدل أفاده وهو الأنسب وعليه فالضّمير في بعلمه راجع إلى من اى كان علمه سبباً للهلاكة « والسنّة » الطريقة أى كانوا على طريقة من طرايق آل فرعون و « أهل جنات » بالكسر عطف بيان لآل فرعون .

وقوله « في الجنان » متعلّق بقوله مخلّدون ، والقسم معترض بين الظرف ومتعلّقه « فلا يزالون بجور» الباء إمّا بمعنى في أو للمصاحبة والملابسة « كلّ ذلك » بالنّصب مفعول به للفعل المحذوف و«وحشة» مفعول له أى ارتكبوا كلّ ذلك وحشة .

والمراد بما ورث النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ما ورثه آله المعصومين من الخلافة والولاية « والفاطر » المخترع « أهل حسرات » خبر محذوف المبتداء أى هم أهل حسرات في الآخرة و «الكهوف» جمع كهف وهو الغار الواسع في الجبل ، وفي بعض النسخ كفوف شبهات و هو جمع كف والكلام جار على الاستعارة والنّاقة « العشواء » لا تبصر امامها و « من وكله الله » مبتدا وخبره « فهو مأمون »ووكله إلى نفسه تركه إليها ، وفي هذا كلّه تعريض على الخلفاء كما لايخفى « والرّعا » بكسر الرّاء جمع الرّاعي و « الفعلات » جمع الفعلة و هي العادة «المتشتّتة » إما بالجرّ صفة لشيعتي و إمّا بالرّفع على أنّه خبر حذف مبتدائه أى هم المتشتّته .

ولعلّ المراد بتشتّتهم عن الأصل وبنزولهم بالفرع ما صدر من بعض الشيعة كالزّيدية والافطحية والاسماعيلية ونحوهم حيث عدلوا عن الامام الأصل و تعلّقوا بالفرع وأملوا الفتح من غير جهة فاخطأوا و « القزع » محركة قطع من السحاب

والواحدة قزعة و« الرّكام » الأوّل بالضمّ من الرّكم وهو جمع شيء فوق آخر ، والثّاني بالفتح وهو السحاب المتراكم و«المستثار» محل الاستثارة من الثور و هو الهيجان والوثوب ونهوض القطا والجراد .

و«سيل العرم» جمع عرمة كفرحة وهو سدّ يعترض به الوادي جمع عرم أوهو جمع بلا واحد أوهو الاحباس تبني في البادية الأودية والجرذ الذكر والمطر الشّديد وواد وبكلّ فسر قوله تعالى سيل العرم و«الاكمة» كالقصبة التلّ الصّغير و«لم يردّ سننه» من سنّ الماء صبّها أو من سنّ الطّريقة سارها و«الرض» هنا الحجارة و« الطّود» الجبل أو عظيمه و « ذعذع » المال وغيره فرقّه و بدّده و« ضعضعه »هدمه حتّى الأرض و« ينقض الله » من النقض بالضاد المعجمة .

ولعلّه عليه السلام كنّى بـ«طيّ الجنادل من ارم» القصور والبساتين المشرفة المطويّة بالحجارات المسنّدة التي كانت لبني اميّة و « بطنان الزيتون » كناية عن الشّام كما في قوله تعالى والتّين والزّيتون و«الطمطمة» العجمة في اللّسان و « درج » يدرج من باب قعد وسمع درجاً ودروجاً مشى و«المنتحلين للامامة » المدّعين لها لنفسه وهو لغيره و«من غير أهلها» بيان للمنتحلين و«ازوائها عن أهلها» اى صرفها وطيّها عنه و«التمحيص »بالصاد المهملة الابتلاء .

و اعلم أنّ هذه الخطبة الشّريفة متضمّنة لجملة من الأخبار الغيبيّة وفقراتها الأخيرة من قبيل المتشابهات و علمها موكول إليهم عليهم السلام إذ أهل البيت أدرى بمافيه إلاّ أنا نورد في تفسيرها على سبيل الاحتمال ما أورده الخليل القزويني في شرحه على الروضة بتغيير يسيرمنّا ، فأقول :

لعلّ مراده عليه السلام بقوله مع أنّ الله وله الحمد ـ اه أنّه سبحانه يجمع هذه الفرق المختلفة على اختلافهم لاستيصال بني اميّة و هو شرّ يوم لهم وقد كان ذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومأة حسبما أخبر عليه السلام به حيث انقرضت سلطنة بني اميّة لعنهم الله لظهور دولة العبّاسيّة واجتماع الجنود من خراسان على أبي مسلم المروزيّ لكن

دفعوا الفاسد بالأفسد.

و شبّه عليه السلام اجتماعهم باجتماع سحاب الخريف المتراكم يقول عليه السلام: إنّ الله يفتح لهم بعد اجتماعهم أبواباً يهيجون من مكانهم، كسيل الجنّتين اللّتين كانتا لأولاد سبا، وهو سيل العرم حيث بعث الله الجرذ وهو الفارة الكبيرة على السّد الذي كان لهم فقلع الصّخر منهم و خرب السّد فسال الماء و غشيهم السّيل و خرب دور اولاد سبا و قصورهم و بساتينهم و لم يثبت عليه التّلال و لم يردّه أحجار الجبال.

و كذلك هؤلاء يخرجون على كثرتهم واحتشامهم لاستيصال بني امية وتخريب الدور والقصور منهم من مستثارهم وهو خراسان و قد وقع ذلك على ما أخبر عليه السلام حيث اجتمع الجيش واتفقوا على أبي مسلم المروزى و جعلوه أميراً لهم و توجّهوا نحو مروان الحمار وهو آخر خلفاء بني اميّة.

و قوله عليه السلام يذعذعهم الله اه إشارة إلى تفرّقهم في الأودية و كونهم كتائب مختلفة يسلكون فيها سلوك الينابيع في الأرض وجريانها فيها.

يأخذ بهم من قوم حقوق قوم اه أى يأخذ الله ببني العبّاس من بني اميّة حقوق بني هاشم ويقاصّ بهم منهم و يجزيهم بهم جزاء ماظلموا في حق آل محمّد صلّى الله عليه وآله و إن لم يصل الحقّ إليهم ويمكّن بهم عليه السلام لقوم من بنى العباس في ديار قوم من بنى اميّة كلّ ذلك طرداً لبنى اميّة وابعاداً لهم، و لكيلا يغتصبوا ما غصبوا من بنى هاشم وبنى عباس وغيرهم يهدم الله بهم أركان بنى امية و يكسر بهم قصورهم المسنّدة المطويّة بالأحجار التي كانت بالشّام ويملاء من جيوشهم بلاد الشّام.

فوالله الفالق البارى انّ ذلك لكائن لامحالة وكأنّي أسمع أصوات خيولهم وطمطمة رجالهم، أى كلماتهم العجمية وذلك أنّ لسانهم كان لسان العجم.

وقوله عليه السلام: وأيم الله ليذوبنّ اه بيان لحال بنى العبّاس بعد القهر والغلبة يقول عليه السلام: إنّهم بعد العلوّ والتمكّن في البلاد و قوام الأمر و تمام السلطنة ينقرضون و يفنون كما تفنى و تذوب الالية على النّار، و قد كان ذلك في سنة

خمسين وستمأة حيث قتل المستعصم وهو آخر خلفاء العباسيّة على يد هلاكو ويحتمل أن يكون إشارة إلى حال بني امية .

وقوله عليه السلام : والله عزّ وجلّ يفضي منهم من درج، في النسخ بالفاء والظاهر أن يكون تحريفاً ويكون بالقاف أي الله يميت من سعى من بني امية فيكون كناية عن أنّ من أراد الخروج منهم يقتله الله ، وفي بعض النّسخ و إلى الله يقضي وهو الصحيح أي و إلى الله ينتهي منهم من درج فيكون كناية عن ما ذكرنا و إشارة إلى أنّ من تاب منهم تاب ضالاً و أمره إلى الله يعذّبه كيف يشاء و يتوب على من تاب كمعاوية بن يزيد ونحوه من بني اميّة .

ولعلّ الله يجمع شيعتي بعد التشتّت، لعلّه إشارة إلى ظهور دولة الحقّة القائميّة ولا يلزم اتّصالها بملكهم .

وليس لأحد-إلى قوله-جميعاً إشارة إلى كون هذه الأمور سهلا بيد الله سبحانه إذ هو القاهر القادر فوق عباده وهو المختار الفعّال لما يشاء ليس لأحد معه الاختيار وهو على كلّ شيء قدير .

و قوله عليه السلام أيها النّاس اه إشارة إلى اغتصاب الخلافة و توبيخ لهم على التثاقل والتخاذل يقول عليه السلام : إنّ المدّعين للخلافة من الّذين لم يكونوا أهلاً لها كثير و لولم يكن منكم التّخاذل يوم السّقيفة والشورى عن إقامة الحقّ والوهن عن توهين الباطل لم يجسر عليكم أحد ولم يقدر على غلبة الطّاعة و صرفها عن أهلها ولكنكم تحيّرتم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كما تحيّرت بنو إسرائيل على عهد موسى بن عمران عليه السلام و ليكوننّ تحيّركم بعدي أضعاف ما تحيّرت بنو إسرائيل .

وقوله : لقد اجتمعتم على سلطان الدّاعي إلى الضّلالة ، أراد به اجتماعهم على بني العبّاس و دعائهم إلى الضّلالة لترويجهم مذهب الزنادقة .

وقطعتم الادنى من أهل بدر، أراد به أولاده المعصومين عليهم السلام حيث إنّ الظّفر

في بدر لم يكن إلاّ بأبيهم سلام الله عليه وكان أقرب النّاس إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكذلك أولاده عليهم السلام .

ووصلتم الأبعد من أبناء الحرب ـ اه أراد به بني العباس حيث أنّ أباهم كان من جملة المحاربين لرسول الله صلّى الله عليه وآله في غزوة بدر ثمّ تاب وأسلم والمراد بقطع الأوّلين و وصل الآخرين أخذهم بني العباس خلفاء لهم دون الأئمة عليهم السلام.

ثمّ قال: ولعمري أن لوقد ذاب مافي أيديهم، أي أيدى بني اميّة وهو الشام وما والاها وأشار عليه السلام بذوبانها إلى قتل وليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان لعنهم الله واختلاف أهل الشام واضطراب دولة بني اميّة وقد كان ذلك في السّنة ستّ وعشرين ومأة وامتدّت سلطنتهم بعد ذلك إلى ستّ سنين بمنتهى التزلزل والاضطراب ولذلك قال عليه السلام لدنى التمحيص للجزاء ، أى قرب ابتلائهم بجزاء أعمالهم وذلك بقتل الاحياء منهم و إخراج الأموات منهم من القبور كما هو في السّير مشهور و في الكتب مسطور .

وانقضت المدّة، أراد به المدّة المقدّرة لبني امية وكانت ألف شهر .

وبدا لكم النجم ذو الذّنب ، أراد به أبا مسلم المروزى حيث خرج من خراسان وهو من بلاد المشرق مع جنوده نحو الشّام وتسميته بالنجم لكونه كالنجم يرمى به الشياطين من بني اميّة وتوصيفه بذي الذنب لكون ظهوره لانتصار بني العباس دون آل محمّد سلام الله عليهم .

و لاح لكم القمر المنير، أراد به أبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه و على آبائه آلاف التّحيّة والثّناء فقد طلع في المشرق وانتشر أنوار علمه في الآفاق ثمّ غاب هناك بغدر المأمون الملعون .

فاذا كان ذلك ، أى ذوبان ما في أيديهم أو انقضاء المدّة أو طلوع القمر المنير، فراجعوا التوبة.

ثمّ قال عليه السلام: واعلموا أنّكم إن اتّبعتم طالع المشرق ، أراد به القمر المنير

سلك بكم منهج الطّريقة البيضاء والصّراط المستقيم ، فتداويتم من الضّلالة والغواية وكفيتم مؤنة طلب العلم من غير مظانه ،وسلمتم من التعسّف والأخذ على غيرالطريق المستقيم ، و نبذ تم ثقل استنباط التكاليف الشّرعية من اعناقكم حيث انّكم تأخذونها من أهلها فيكفيكم مؤنتها ولا يبعدالله من رحمته إلاّ من أبى من قبول الحقّ وظلم أهل الحقّ وأخذ على غيرالطريق وانتحل ماليس له بحقّ .

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ »هذا .

و بنحو ما قلناه في شرح هذا الحديث الشريف فسّره المحدّث العلاّمة المجلسي ره في البحار إلاّ أنّه خالفنا في شرح الفقرات الأخيرة حيث قال : قوله عليه السلام : لوقد ذاب ما في أيديهم أى ذهب ملك بني العبّاس ، لدنى التمحيص للجزاء أى قرب قيام القائم عليه السلام وفيه التّمحيص والابتلاء ليجزى الكافرين و يعذّبهم في الدّنيا ، وقرب الوعد أى وعدالفرج، وانقضت المدّة أى قرب انقضاء مدّة أهل الباطل، والنجم ذو الذنب من علامات ظهور القائم عليه السلام ، والمراد بالقمر المنير القائم عليه السلام ، وكذا طالع المشرق إذ مكة شرقية بالنسبة إلى المدينة ، أو لأنّ اجتماع العساكر إليه عليه السلام وتوجّهه إلى فتح البلاد من الكوفة وهي كالشرقية بالنسبة إلى الحرمين و لا يبعد أن يكون ذكر القمر ترشيحا للاستعارة أى القمر الطّالع من مشرقه .

والثقل الفادح الدّيون المثقلة والمظالم أوبيعة أهل الجور وطاعتهم وظلمهم إلاّ من أبى أى من طاعة القائم عليه السلام أو الرّب تعالى ، واعتسف أى مال عن طريق الحقّ إلى غيره أو ظلم على غيره انتهى كلامه فيكون هذه الفقرات على ما ذكره أيضاً إشارة إلى ظهور دولة الحقّة والله العالم .

الترجمة

اين خطبۀ شريفه متضمن توبيخ ومذمت خلق است بجهت اختلاف ايشان در

دين وتشتّت آراء شان در احكام شرع مبين وعدول ايشان از تمسك حبل المتين كه عبارتست از امام زمان وزمين ميفرمايد :

أمّا بعدازحمد وثناى الهى وصلوات برحضرت رسالت پناهى پس بدرستيكه خداوند تعالى نشكست هرگز گردنكشان روزگار را مگر بعد ازمهلت ووسعت در حيات ، واصلاح نفرموده است استخوان شكسته احدى را از امّتهاى پيغمبران مگر بعد از شدّت و تنگى و امتحان ، و در نزد آنچه استقبال نموديد از ملامت وعتاب من و استدبار كرديد از أهوال وكارهاى بزرك زمن عبرتست صاحب عبرت وبصيرت را ، ونيست هر صاحب قلب عاقل ودانا ، ونه هرصاحب گوش سميع وشنوا ونه هرصاحب نظر بصير و بينا .

پس اى نفس تعجب كن وچيست مرا كه تعجب نكنم ازخطاى اين فرقهاى بى ادب بر اختلاف حجّتهاى ايشان در دين ومذهب كه متابعت نميكنند بر اثر خيرالبشر ، واقتدا نمينمايند برعمل وصيّ پيغمبر ، ايمان نمى‌آورند بغيب ، وعفت نميورزند از گناه وعيب ، عمل‌ميكننددرشبهها ، وسيرمينمايند درشهوتها ، معروف درميان ايشان چيزى است كه خود شناخته اند اورا بميل طبيعت ، و منكر نزد ايشان چيزيست كه خود انكار كرده اند آنرا نه بمقتضاى شريعت .

مرجع ايشان در شدايد بنفس خودشان است نه بر أئمه ، و اعتماد ايشان در مبهمات برأى خودشان است نه بعترت خيرالبشر ، گويا هرمردى ازايشان امام ومقتداى خودش هست در دين ، بتحقيق كه تمسك نموده است از نفس خود در چيزى كه ظن ميكند به بندهاى استوار و ريسمانهاى محكم تابدار ، يعنى اعتقادش اينست آنچه اخذ نموده است آنرا ازنفس خود دراحكام در استحكام مانند حكم الهى است .

ومن خطبة له عليه السلام و هی الثامنة والثمانون من المختار فی باب الخطب

و أوّل فقراتها مرويّة في الكافي وفي ديباجة تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي أيضاً باختلاف تطلع عليه .

أَرْسَلَهُ عَلىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ ، وَ اعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ ، وَ انْتِشارٍ مِنَ الْأُمُورِ ، وَ تَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ ، وَالدُّنْيا كاسِفَةُ النُّورِ ، ظاهِرَةُ الْغُرُورِ ، عَلىٰ حِينِ اصْفِرارٍ مِنْ وَرَقِها ، وَ إِياسٍ مِنْ ثَمَرِها ، وَ اغْوِرارٍ مِنْ مائِها ، قَدْ دَرَسَتْ مَنارُ الْهُدىٰ ، وَ ظَهَرَتْ أَعْلامُ الرَّدىٰ ، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِها ، عابِسَةٌ في وَجْهِ طالِبِها ، ثَمَرُتُها الْفِتْنَةُ ، وَطَعامُها الْجِيفَةُ ، وَشِعارُها الْخَوْفُ ، وَدِثارُها السَّيْفُ ، فَاعْتَبِرُوا عِبادَاللهِ وَاذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آباؤُكُمْ وإِخْوانُكُمْ بِها مُرْتَهَنُونَ ، وَ عَلَيْها مُحاسَبُونَ ، وَ لَعَمْري ما تَقادَمَتْ بِكُمْ وَلا بِهِمُ الْعُهُودُ ، وَلا خَلَتْ فِيما بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمُ الْأَحْقابُ وَ الْقُرُونُ ، وَما أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ في أَصْلابِهِمْ بِبَعِيدٍ ، وَاللهِ ما أَسْمَعَهُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلّا وَها أَنَا ذَا الْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ ، وَما أَسْماعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْماعِهِمْ بِالْأَمْسِ ، وَ لا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصارُ ، وَلا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ في ذٰلِكَ الْأَوانِ إِلّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَها في هٰذَا الزَّمانِ ، وَ وَاللهِ ما بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ ، وَلا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَ حُرِمُوهُ ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جائِلاً خِطامُها ، رِخْواً بِطانُها ،

فَلا يَغُرَّنَّكُمْ ما أَصْبَحَ فيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ ، فَإِنَّما هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلىٰ أَجَلٍ مَعْدُودٍ .

اللغة

(الفترة) ما بين الرّسولين من رسل الله و(الهجعة) بفتح الها وسكون الجيم النومة ليلاً من الهجوع بالضّم كالجلسة من الجلوس و(الاعتزام) العزم من اعتزمه وعليه وتعزم أراد فعله وقطع عليه ويروى واعترام بالراء المهملة من عرام الجيش بالضمّ كغراب حدّتهم وشدّتهم وكثرتهم والعرام من الرّجل الشراسة والأذى و(التّلظى) التلهب و(كسف) الشمس والقمر كسوفاذهب نورهما واحتجبا و(اغورّ) الماء اغوراراً كاحمرّ وتغوّر ذهب في الأرض واغورّت الشمس غابت قال سبحانه :

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتيكُمْ بِماءٍ مَعينٍ » .

أى صار مائكم غايراً (فهي متهجّمة) من هجم عليه هجوماً انتهى إليه بغتة وهجم البيت انهدم وفي بعض النّسخ متجهّمة بتقديم الجيم على الهاء من تجهّمه فلان استقبله بوجه كريه ، و بهما روى بيت الصّديقة الطّاهرة سلام الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها عند غصب فدك :

تهجّمتنا رجال واستخفّ بنا لمّا فقدت وكلّ الأرض مغتصب

و(الأحقاب) جمع حقب بضمّ الحاء والقاف و بسكون القاف أيضاً ثمانون سنة أو أكثر و قيل الدّهر و قيل السّنة و قيل السنون و (القرون) جمع القرن قال الفيروز آبادي أربعون سنة أو عشرة أو عشرون أو ثلاثون أو خمسون أو ستّون أو سبعون أو ثمانون أو مأة أو مأة وعشرون (ولا أصفيتم) على البناء للمفعول من باب الافعال ، قال سبحانه :

« أَفَأَصْفيكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنينَ » .

أى آثركم و (جائلا خطامها) أى مضطرباً غيرمستقرّ من الجولان والخطام من الدّابة بالخاء المعجمة والطاء المهملة مقدم أنفها وفمها ، ويطلق على الزمام ، وهو المراد هنا باعتبار أنه يقع على الفم أو الأنف وما يليه ، ومنه الحديث كان خطام جمله عليه السلام ليف و (البطان) حزام القتب يقال أبطن البعير أى سدّ بطانه .

الاعراب

على حين فترة للاستعلاء المجازى ، و جملة والدّنيا كاسفة النّور ، منصوبة المحلّ على الحاليّة من ضمير أرسله ، و على حين اصفرار ظرف مستقرّ خبر ثان للدّنيا ويحتمل الحال أيضاً و جملة قد درست حال أيضاً ، ولعمرى جملة قسميّة ، وقوله وما أنتم اليوم ما حجازيّة عاملة عمل ليس ، و أنتم اسمها و ببعيد خبرها زيد فيه الباء كما تزاد في خبر ليس مطّرداً ، واليوم متعلّق به ، وكذلك من يوم وجملة جهلوه صفة لشيئاً .

وجملة و حرموه حال من ضمير به و فيه دليل على عدم لزوم قد في الجملة الحالية الماضوية المثبتة كما عليه جمهور علماء الأدبية ، اللّهمّ إلاّ أن يقال : إنّ الجملة في معنى النفى إذ مقصوده عليه السلام نفى الاصفاء عن المخاطبين والمحرومية عن الغائبين معاً ولذلك جيء بالواو والضمير ، والفاء في قوله فلا يغرّنّكم فصيحة

المعنى

اعلم أنّ مقصوده عليه السلام بهذه الخطبة هو التذكير والموعظة والتّنبيه عن نوم الغفلة والتحذير من الغرور والفتنة ، و مهّد أوّلا مقدّمة متضمّنة للاشارة إلى حالة النّاس حين البعثة و أيّام الفترة و أنّه سبحانه أرسل إليهم رسولاً يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب والحكمة وآثرهم بتلك النّعمة العظيمة والموهبة الجسيمة بعد ما كانوا في شدّة الابتلاء و المحنة و منتهى الاضطراب و الخشية و سوء الحال والكآبة ، ليتذكّر السّامعون بتلك النّعمة العظمى والمنحة الكبرى فيشكروا لله ويلازموا طاعة الله ويسلكوا سبيل الله سبحانه فقال عليه السلام :

(أرسله) أى محمّداً صلّى الله عليه وآله (على حين فترة من الرّسل) أى على حين سكون

و انقطاع من الرّسل و ذلك أنّ الرسل إلى وقت رفع عيسى كانت متواترة و بعد رفعه (ع) انقطع الوحى والرّسالة خمسمأة سنة على ما في بعض روايات أصحابنا أو ستمأة سنة كما عن البخاري عن سلمان ، و الأوّل أشهر و أقوى ويأتي حديث آخر فيذلك إنشاء الله فيشرح الفصل السّادس من الخطبة المأة والحادية والتسعين وهي الخطبة المعروفة بالقاصعة ثم بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله

وإنّما قيّد عليه السلام نعمة الارسال والانزال بتلك الحال ومايتلوها من الأحوال بياناً للواقع وإظهاراً لجلالة تلك النعمة و جزالة تلك الموهبة حسبما أشرنا إليه فانّ النعمة يتزايد قدرها بحسب تزايد منافعها، ولاريب أنّ خلوّ الزمان عن الرّسول يستلزم ظهور الفساد والشّرور وانتشار البغى والفجور وكثرة الهرج و المرج ، و تلك أحوال مذمومة و أفعال مشئومة توجب تبدّل التّظام و اختلال الأحكام و الانهماك في الجهالات والتّورّط في الضّلالات و لحوق الذّم بهم بمقدار ما يلحقهم من المدح فيحال الطاعة والقيام بوظايف العبادة المتفرّعة علىوجود الدليل وبعث الرّسول صلى الله عليه وآله

(و طول هجعة من الامم) استعار لفظ الهجعة التي هي عبارة من النّوم في اللّيل لانغماسهم في ظلمة الجهالة والضّلالة ، و رشحها بذكر الطول الذي هو من ملايمات المستعار منه علىحدّ قوله:

« وَالَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدىٰ فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ ».

(واعتزام من الفتن) نسبة الاعتزام إلىالفتن مجاز كنّى به عن وقوعها بينهم كأنها قاصدة لهم مريدة إيّاهم و على رواية الاعترام بالرّاء المهملة فالمراد كثرتها و شدّتها و تأذّى الناس بها (وانتشار من الأمور) أى تفرّق امورالخلق فيمعاشهم و عدم جريانها على قانون منتظم (وتلظّ من الحروب) شبّه الحرب بالنّار في الافساد والاهلاك و أسند إليها التّلظّى الذي هو الاشتعال و الالتهاب علىسبيل الاستعارة و كنّى به عن هيجانها وثورانهاأيّام الفترة ففي الكلام استعارة مكنيّة و تخييليّة

(والدّنيا كاسفة النّور) استعار النور للعلم المقتبس من الأنبياء والحجج بشباهة أنّ كلاً منهما سبب لهداية الأنام في الضّلالة والظّلام ، و رشّحها بذكر الكسف الذى من ملايمات النّور و أراد به عدم وجود هذا النّور في ذلك الزمان (ظاهرة الغرور) أراد ظهور اغترار النّاس بها وشيوع افتتانهم بشهواتها ولذاتها (على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها و اغورار من مائها) شبّه عليه السلام الدنيا بشجرة مثمرة مورقة في اشتمالها على ما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين على سبيل الاستعارة بالكناية و ذكر الورق والثمر والماء تخييل . و إثبات الاصفرار والاياس والاغورار ترشيح ، و أراد بتلك الترشيحات بيان خلوّ الدنيا يومئذ عن آثار العلم والهداية وما يوجب السعادة في البداية والنهاية .

و يمكن جعله مركّباً من استعارات متعدّدة و يكون المراد بيان خلوّ الدنيا حينئذ من الأمن والرّفاهية والمنافع الدّنيوية ليكون ما يذكر بعده تأسيساً .

و توضيح ذلك الوجه ما ذكره الشارح البحراني حيث قال استعار لفظ الثمرة والورق لمتاعها و زينتها و لفظ الاصفرار لتغيّر تلك الزينة عن العرب في ذلك الوقت و عدم طراوة عيشهم اذاً و خشونة مطاعمهم كما يذهب حسن الشّجرة باصفرار ورقها فلا يلتذّ بالنّظر إليها ، و عنى بالاياس من ثمرها انقطاع مآل العرب اذا من الملك والدّولة وما يستلزمه من الحصول على طيبات الدّنيا .

و كذلك استعار لفظ الماء لموادّ متاع الدّنيا وطرق لذّاتها ولفظ الاغورار لعدم تلك الموادّ من ضعف التجارات والمكاسب وعدم التملّك للأمصار و كلّ ذلك لعدم النظام العدلى بينهم و كلّها استعارات بالكناية

و وجه الاستعارة الاولى أنّ الورق كما أنّه زينة الشّجر وبه كماله كذلك لذّات الدّنيا و زينتها ، و وجه الثّانية أنّ الثمر كما أنّه مقصود الشجرة غالباً وغايتها كذلك متاع الدّنيا والانتفاع به هو مقصودها المطلوب منها لأكثر الخلق ، و وجه الثّالثة أنّ الماء كما أنّه مادّة الشجرة و به حياتها و قيامها في الوجود

كذلك مواد تلك اللذات هي المكاسب والتجارات والصناعات، و قد كانت العرب خالية من ذلك و وجوه باقي الاستعارات ظاهرة.

(قد درست منار الهدى) كناية عن فقدان حجج الدين وانتفاء أدلة الحق (و ظهرت أعلام الردى) كناية عن غلبة أدلة الباطل و ظهور أئمة الضلال (فهى متهجمة لأهلها) أى داخلة عليهم عنفاً لكونها غير موافقة لرضاهم أو منهدمة عليهم غير باقية في حقهم أو ملاقية لهم بوجه كريه وهو على رواية متجهمة بتقديم الجيم على الهاء (عابسة في وجه طالبها) أراد به عدم حصول بغية الطالبين منها كما لا تحصل من الرجل المنقبض الوجه الذى يلوى بشرته قال سبحانه:

« عَبَسَ وَ تَوَلّىٰ أَنْ جاءَهُ الْأَعْمىٰ » .

(ثمرتها الفتنة) أى الضلال عن طريق الحق والتيه في ظلمة الباطل و فيه استعارة مكنية و تخييلية حيث شبه الدنيا بشجرة مثمرة و أثبت الثمرة لها وجعل ثمرتها الفتنة إما من باب التهكم أو من حيث إن الثمرة كما أنها الغاية المقصودة من الشجرة فكذلك غاية الدنيا عند أهلها هي الفتنة والضلال (وطعامها الجيفة) يحتمل أن يكون المراد بالجيفة الميتة والحيوان الغير المزكى مما كان العرب يأكلها في أيام الفترة حتى حرمتها الآية الشريفة أعنى قوله :

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ ».

أى المضروبة بالخشب حتى تموت ويبقى الدم فيها فيكون أطيب كما زعمه المجوس « وَالْمُتَرَدِّيَةُ » أى التي تردت من علو فماتت و قد مر في شرح الخطبة السادسة والعشرين أن أكثر طعام العرب كان الخشب والخبائث، و يجوز أن يراد بالجيفة الاعم من ذلك أعني مطلق ما لا يحل في الشريعة المطهرة سواء كان من قبيل الخبائث و الميتات أو من قبيل الأموال المغصوبة المأخوذة بالنهب

والغارة والسّرقة ونحوها على ما جرت عليه عادة العرب وكانت داباً لهم (وشعارها الخوف ودثارها السّيف) الشّعار ما يلي شعر الجسد من الثّياب والدّثار ما فوق الشّعار من الأثواب و مناسبة الخوف بالشّعار والسّيف بالدّثار غير خفيّة على ذوي الأنظار .

ثمّ إنّه بعد ما مهّد المقدّمة الشريفة و فرغ من بيان حالة العرب في أيّام الفترة شرع في الموعظة والنّصيحة بقوله : (فاعتبروا عباد الله) بما كانت عليه الاخوان والآباء والأقران والأقرباء (واذكروا تيك) الأعمال القبيحة والأحوال الذميمة (التي آبائكم و اخوانكم بها مرتهنون) و محبوسون و عليها محاسبون ومأخوذون .

ثمّ اشار عليه السلام إلى تقارب الأزمان و تشابه الأحوال بين الماضين والغابرين بقوله : (ولعمري ما تقادمت بكم ولابهم العهود) حتّى تغفلوا (ولا خلت فيما بينكم و بينهم الأحقاب والقرون) حتّى تذهلوا (وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد) حتّى تنسوا و لا تعتبروا فلكم اليوم بالقوم اعتبار و فيما جرت عليهم تبصرة وتذكار .

(والله ما أسمعهم الرّسول شيئاً إلاّ وها أناذا مسمعكموه) فليس لكم عليّ حجّة بعدم الابلاغ والاسماع (وما إسماعكم اليوم بدون إسماعهم بالأمس) فليس لكم معذرة بالوقر في الآذان والأسماع(ولاشقت لهم الأبصار) المبصرة(ولا جعلت لهم الأفئدة) المتدبّرة (في ذلك الأوان إلاّ وقد اعطيتم مثلها في هذا الزّمان) فلا يمكن لكم أن تقولوا إنّا كنّا في عمى من هذا و كنّا به جاهلين، و لا أن تعتذروا بأنّه لم يجعل لنا أفئدة و كنّا منه غافلين .

(ووالله ما بصّرتم بعدهم شيئاً جهلوه) بل علّموا ما علّمتم(ولااصفيتم) واوثرتم (بهوحرموه) بل منحوا ما بذلتم فلم يبق بينكم و بينهم فرق في شيء من الحالات وكنتم مثلهم في جميع الجهات فاذا انتفى الفارق فما بالكم لاتسمعون ولاتبصرون

ولاتفهمون ولا تذكّرون ، وقد اسمع اسلافكم فسمعوا ، وبصّروا فتبصّروا وذكّروا فتذكّروا وعمّروا فنعموا ، وعلّموا ففهموا .

ثمّ حذرهم وأنذرهم باشراف الابتلاء والمحنة و نزول البلية بقوله (و لقد نزلت بكم البليّة) لعلّه أراد بها فتنة معاوية ودولة بني اميّة (جائلا خطامها رخواً بطانها) استعارة بالكناية عن خطرها وصعوبة حال من يعتمد عليها ويركن إليها كما أنّ من ركن إلى النّاقة التي جال خطامها و لم تستقرّ في وجهها وانفها وارتخى حزامها فركبها كان في معرض السّقوط والهلاك .

ثمّ أردف ذلك بالنّهي عن الاغترار بالدّنيا فقال (ولا يغرنّكم ما أصبح فيه أهل الغرور) من الاغترار بزخارفها و لذّاتها والانهماك في شهواتها و طيّباتها بظنّ دوامها وثباتها (فانّما هو ظلّ ممدود إلى أجل) محدود (معدود) بينا ترونه سابغاً حتّى قلص وزايداً حتّى نقص .

تكملة

قد اشرنا سابقاً إلى أنّ أوّل فقرات هذه الخطبة مرويّة في الكافي باختلاف لما هنا فأحببت أن اوردها على ما هود يدننا في الشّرح فأقول :

روى الكلينيّ عن محمّد بن يحيى عن بعض أصحابه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أميرالمؤمنين عليه السلام أيّها النّاس إنّ الله تبارك و تعالى أرسل إليكم الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، و أنزل عليه الكتاب و أنتم اميّون عن الكتاب ومن أنزله وعن الرسول ومن أرسله على حين فترة من الرّسل، وطول هجعة من الامم ، وانبساط من الجهل ، واعتراض من الفتنة ، وانتقاض عن المبرم ، وعمى عن الحقّ ، واعتساف من الجور ، وامتحاق من الدّين ، و تلظّ من الحروب ، على حين اصفرار من رياض جنّات الدّنيا ، ويبس من اغصانها ، وانتشار من ورقها ، و اياس من ثمرها ، واغورار من مائها .

قد درست أعلام الهدى ، وظهرت أعلام الردى ، فالدّنيا متهجّمة «متجهّمة خ» في وجوه أهلها ؛ مكفهرّة مدبرة غير مقبلة ، ثمرتها الفتنة ، و طعامها الجيفة ،

وثمارها الخوف، ودثارها السّيف، مزّقتم كلّ ممزّق، وقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليها أيّامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دمائهم، ودفنوا في التّراب الموؤودة بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدّنيا، لا يرجون من الله ثواباً، ولا يخافون والله منه عقاباً.

حيّهم أعمى نجس، وميّتهم في النّار مبلس، فجاءهم ﷺ بنسخة ما في الصحف الأولى وتصديق الذي بين يديه وتفصيل الحلال من ريب الحرام، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم اخبركم عنه أنّ فيه علم ما مضى وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلّمتكم.

وروواه عليّ بن إبراهيم القمي أيضاً في ديباجة تفسيره نحوه ولقلّة موارد الاختلاف لم نطل بروايتها.

بيان

قال في النهاية: إنّا امّة اميّة لا نكتب ولا نحسب أراد أنّهم على أصل ولادة امّهم لم يتعلّموا الكتاب والحساب فهم على جبلّتهم الأولى، وقيل: الأمّي الذي لايكتب ومنه الحديث بعثت إلى أمّة أميّة قيل للعرب: أميّون لأنّ الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة انتهى.

قال بعض شراح الحديث ولعلّ المراد هنا من لا يعرف الكتابة والخط والعلم والمعارف وضمن معنى ما يعدي بعن كالنّوم والغفلة، قوله: واعتراض من الفتنة يحتمل أن يكون عروضها وانتشارها في الآفاق، قوله: وانتقاض عن المبرم المبرم المحكم وقد أشار به إلى ماكان الخلق عليه من استحكام امورهم بمتابعة الأنبياء وأراد بانتقاضه فساده.

والمكفهرّ من الوجوه من اكفهرّ على وزن اقشعرّ القليل اللّحم الغليظ الذي لا يستحيى والمتعبّس، قوله: مزّقتم كلّ ممزّق التفات من الغيبة إلى الخطاب والممزّق مصدر بمعنى التمزيق وهو التفريق والتّقطيع، والمراد به تفرّقهم في

البلدان للخوف أو تفرّقهم في الأديان والآراء ، والموؤودة البنت المدفونة حيّة وكانوا يفعلون ذلك في الجاهليّة ببناتهم لخوف الاملاق أوالعار كما قال سبحانه:

« وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » .

يجتازدونهم طيب العيش و رفاهيّة خفوض الدّنيا ، يجتاز بالجيم والزاء المعجمة من الاجتياز وهوالمرور والتجاوز ، والرفاهية السعة في المعاش ، والخفوض جمع الخفض وهي الدعة والرّاحة أى يمرّ طيبالعيش والرّفاهية التي هي خفض الدّنيا أو في خفوضها متجاوزاً عنهم من غير تلبّث عندهم ، قوله : أعمى نجس بالنّون والجيم و في بعض النسخ بالحاء المهملة من النّحوسة والمبلس من الابلاس و هو الاياس من رحمة الله ومنه سمّي ابليس ، قوله : بما في الصّحف الأُولى أى التوراة والانجيل والزبور و غيرها من الكتب المنزّلة و هو المراد بالذي بين يديه كما قال تعالى :

« وَمُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرٰيةِ وَالْإِنْجِيلِ » .

وقوله : فاستنطقوه الأمر للتعجيز ، وساير الفقرات واضحة ممّا قدّمنا .

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن حضرتست كه متضمّن ميباشد بعثت حضرت خاتم رسالت را در ايّام فترت وبيان حالت خلق را در ايّام جاهليت و مشتمل است به موعظه ونصيحت وتنبيه ازنوم غفلت وجهالت ميفرمايد :

فرستاد حق سبحانه وتعالى پيغمبر آخرالزّمان را درحين فتور وانقطاع از پيغمبران ، ودرزمان درازى خواب غفلت از امّتان ، ودر هنگام عزم از فتنه ها ، ودروقت انتشار ازكارها ، ودرحين اشتعال از نائرۀ حروب وكارزارها ، و در حالتي كه دنيا منكسف بود نور او، ظاهر بود غرور او ، ثابت بود بر زردى برگ‌خود ، ومأيوسى از ثمر خود ، وفرورفتن آب خود ، بتحقيق كه مندرس شده بود علم‌هاى هدايت ، وظاهر گشته بود نشانهاى ضلالت .

پس دنیا هجوم آورنده بود بر أهل خود ، وعبوس بود در روی طالبان خود ، میوۀ او فتنه بود ، وطعام او جیفه ، وپوشش او ترس بود ازدشمنان ، ولباس بیرونی او شمشیر بر ّان ، پس عبرت بردارید ای بندگان خدا وياد آورید آنحالت را که بود پدران شما وبرادران شما بسبب آنحالت مرهون ومحبوس ، وبجهت آن محاسب ومأخوذ ، وقسم بزندگانی خود که دیر نشده است بشما ونه بایشان عهدها وزمانها ، ونگذشته است درمابین شما و ایشان روزگارها وقرنها ، و نیستید شما امروز از روزیکه بودید در پشت های ایشان دور ، یعنی مدتی نیست که شما دراصلاب آباء خود بودید ایشان با سایر خویشان ازشما مفارقت کردند و شما هم در اندك زمانی بایشان ملحق خواهید شد .

بخدا سوگند که نشنوانید بشما رسول خدا علیه التّحية والثناء چیزی را مگر اینکه من شنوانندهام بشما آنرا ، ونیست سمعهای شما امروز کم از سمع های ایشان دیروز ، وشکافته نشد ایشانرا دیده ها ، و گردانیده نشد ایشانرا قلبها در آنزمان مگر اینکه عطاشدید شما مثل آنرادراین زمان .

وبخدا قسم که نموده نشدید شما بعد ازایشان چیزیرا که ایشان جاهل آن بوده باشند ، وبرگزیده نشدید بچیزی درحالتی که ایشان محروم بوده باشند از او ، وبتحقیق که فرود آمد بشما بلاها درحالتیکه جولان کننده است مهار آن ، سست بی ثبات است تنك آن ، پس مغرور نسازد شمارا آنچه که صباح کرد در آن اهل غرور و ارباب شرور ، پس اینست وجز این نیست که آن دنیا سایه ایست کشیده شده تا مدت شمرده شده ، مشحون بانواع قصور ومحتوی بکمال ضعف وفتور .

و من خطبة له عليه السلام وهى التاسعة و الثمانون من المختار فى باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخالِقِ مِنْ غَيرِ رَوِيَّةٍ ، الَّذي

لَمْ يَزَلْ قائِماً دائِماً ، إِذْ لا سَماءٌ ذاتُ أَبْراجٍ ، وَلا حُجُبٌ ذاتُ أَرْتاجٍ ، وَلا لَيْلٌ داجٍ ، وَلا بَحْرٌ ساجٍ ، وَلا جَبَلٌ ذُو فِجاجٍ ، وَلا فَجٌّ ذُو اعْوِجاجٍ ، وَلا أَرْضٌ ذاتُ مِهادٍ ، وَلا خَلْقٌ ذُو اعْتِمادٍ ، ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوارِثُهُ ، وَإِلٰهُ الْخَلْقِ وَرازِقُهُ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دائِبانِ في مَرْضاتِهِ ، يُبْلِيانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيُقَرِّبانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، قَسَّمَ أَرْزاقَهُمْ ، وَأَحْصىٰ آثارَهُمْ وَأَعْمالَهُمْ وَعَدَدَ أَنْفاسِهِمْ وَخائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُم مِنَ الْأَرْحامِ وَالظُّهُورِ ، إِلىٰ أَنْ تَتَناهىٰ بِهِمُ الْغاياتُ ، هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلىٰ أَعْدائِهِ في سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيائِهِ في شِدَّةِ نِقْمَتِهِ ، قاهِرُ مَنْ عازَّهُ ، وَمُدَمِّرُ مَنْ شاقَّهُ ، وَمُذِلُّ مَنْ ناواهُ ، وَغالِبُ مَنْ عاداهُ ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطاهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضاهُ ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزاهُ ، عِبادَ اللهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا وَحاسِبُوها مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحاسَبُوا ، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِناقِ ، وَانْقادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّياقِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلىٰ نَفْسِهِ حَتّىٰ يَكُونَ لَهُ مِنْها واعِظٌ وَزاجِرٌ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِها زاجِرٌ وَلا واعِظٌ .

اللغة

(الرّوية) من روات في الأمر أى تفكّرت فيه وأصلها رؤيته و استعمالها في لسان العرب بغير همز ومثلها برية و(الأبراج) جمع البرج كالأركان والرّكن لفظاً ومعنى و(الارتاج) إما مصدر باب الأفعال من ارتج الباب أغلقه أو جمع الرّتج محرّكة

كالاسباب والسّبب وهو الباب العظيم (١) .

قال الشّارح المعتزلي : و يبعد رواية من رواه ذات ارتاج لأنّ فعالا قلّ أن يجمع على أفعال «انتهى» وأراد به أن أرتاج على تقدير جمعيّته واحدة رتاج و جمعه عليه قليل ، وفيه أنه يرتفع الاستبعاد بجعله جمعاً للرتج حسبماقلنا وهو كثير .

و (دجى) اللّيل دجوّا ودجوا أظلم فهو داج وليلة داجية و (سجى) البحر سجواً سكن و(الفجاج) جمع الفجّ فهو الطريق الواسع بين جبلين و (المهاد) الفراش و(عازه) معازةغالبه قال سبحانه : وعزّني في الخطاب أى غلبني و (دمّره) تدميراً أهلكه و(شاقّه) مشاقّة وشقاقاً خالفه و عاداه و (ناواه) أى عاداه واللفظة مهموزة و إنما لينها لملاحظة السّجع و أصلها من النواء و هو النّهوض لأنّ كلّ المتعاديين ينهض إلى قتال الآخر و(العسف) بالضمّ ضدّ الرفق .

الاعراب

قوله : إذ لاسماء إذ ظرف للزمان الماضي وملازم للاضافة إلى الجمل ، و لا بمعنى ليس ، وسماء اسمها و خبرها محذوف منصوبا على الاعمال كما هو مذهب أهل الحجاز ، أو سماء مرفوع على الابتداء وخبره موجود بالرّفع على الاهمال وهو مذهب بني تميم والأوّل أقوى ، و جملة والشّمس والقمر اه مستأنفة ، و جملة يبليان في محلّ النّصب على الحال من ضمير دائبان ' وعدد أنفاسهم في بعض النسخ بجرّ أنفاسهم على إضافة العدد إليها و كونه اسما فيكون عطفا على آثارهم و في بعضها بنصبها على كونه مفعولا لعدد وجعله فعلا مجرّداً من باب قتل أو مزيداً من باب التفعيل أى أحصى أنفاسهم وعلى هذا فتكون الجملة معطوفة على الجملة السّابقة، وخائنة بالنّصب عطف على آثارهم أو أنفاسهم على الاحتمال الثّاني أو عدد على الاحتمال الأوّل ، و كذلك مستقرّهم و مستودعهم ، و من الأرحام والظّهور متعلّق بالمستقرّ و المستودع على إرادة التّكرار و قوله : حتّى يكون قيد للمنفيّ أعني يعن دون النفي .

١ـ الرتاج ككتاب وهو الباب المغلق و عليه باب صغير ، ق .

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام صدّر هذه الخطبة الشّريفة بجملة من الصّفات الجمالية والجلالية الالهية ، و ذيّلها بالموعظة والنّصيحة والحثّ على التزوّد والاستعداد للآخرة فقال عليه السلام : (الحمدلله المعروف من غير رؤية) يعني أنّه سبحانه معروف بدلائل الملك والملكوت وآثار القدرة والجبروت و مدرك بحقايق الايمان من غير رؤية و مشاهدة بالعيان ، لكونها من لواحق الامكان كما مرّ توضيحاً و تحقيقاً في شرح الخطبة التاسعة والأربعين (والخالق من غير روية) أراد أنّه تعالى خالق للأشياء بنفس قدرته التّامة الكاملة غيرمحتاج في خلقها إلى رويّة و فكرة كما يحتاج إليها نوع الانسان في إيجاد شيء ، وذلك انّ فايدة القوّة المفكّرة تحصيل المطالب المجهولة من المبادي المعلومة والجهل محال على الله سبحانه (الذي لم يزل قائماًدائماً) أمّا دوامه سبحانه فلأنّ وجوب الوجود يستحيل عليه العدم في الأزل والأبد ، و أمّا قيامه فالمراد به إما الدّوام والبقاء و إمّا القيام بأمور العالم والقيمومة على كلّ شيء بمراعاة حاله ودرجة كماله والحافظ لكلّ شيء والمدّبر لأمره أوالرّقيب على كلّ شيء والحافظ عليه وبه فسّرقوله سبحانه :

« أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ » .

والأوّل أنسب بقوله (إذ لاسماء ذات أبراج) لأنّ القيمومة بالمعنى الأوّل من صفات الذّات وبالمعنى الثاني من صفات الفعل وبعدالسّماء ووجود العالم لأنّه إذا لم يكن العالم مخلوقا بعد لم يصدق عليه أنه قائم بأمره إلاّ بالقوّة لا بالفعل فافهم والمراد بالابراج إمّا الأركان كما هي معناها في اللغة وإمّامافسّربه قوله تعالى :

« وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ » .

و لهم في تفسيره ثلاثة أقوال : **أحدها** أنها هي البروج الاثنا عشر التي فيها عجيب الحكمة إذ سير الشّمس فيها و مصالح العالم السّفلى مرتبطة بسير الشّمس

وثانيها أن البروج هي منازل القمر **وثالثها** أنّها هي عظام الكواكب سمّيت بروجاً لظهورها وسيأتي تفصيل الكلام في ذلك في شرح الفصل الرابع من الخطبة الآتية (ولا حجب ذات ارتاج) أى ذات أبواب أو ذات أغلاق .

واعلم أنّه قد كثر في الأخبار العاميّة والخاصيّة ذكر الحجب والسّرادقات وتظافرت الأخبار في وجودها و من جملة تلك الرّوايات رواية الحسن البكري التي تقدّمت في التذييل الأوّل من تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبة الأولى.

ومنها ما في البحار من الدّر المنثور للسيوطي عن سهل بن سعد وعبدالله بن عمر قالا : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة مايسمع من نفس من حسن تلك الحجب إلاّ زهقت نفسه .

ومنها ما فيه عن شرح النهج للكيدرى عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله في حديث المعراج قال : فخرجت من سدرة المنتهى حتّى وصلت إلى حجاب من حجب العزّة ثمّ إلى حجاب آخر حتّى قطعت سبعين حجاباً وأنا على البراق وبين كلّ حجاب وحجاب مسيرة خمسمأة سنة إلى أن قال : ورأيت في علّيّين بحاراً وأنواراً وحجباً غيرها لولا تلك لاحترق كلّ ما تحت العرش من نور العرش .

قال : وفي الحديث أنّ جبرئيل عليه السلام: قال: لله دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا من أحدها لاحترقتنا سبحات وجه ربّنا .

أقول : قال النّووي في المحكيّ عن شرح صحيح مسلم : سبحات بضم السّين والباء أى نوره وأراد بالوجه الذّات ، وقال في البحار : سبحات الله جلاله و عظمته وهي في الأصل جمع سبحة ، وقيل: أضواء وجهه ، و قيل: سبحات الوجه محاسنه لأنك إذا رأيت الوجه الحسن قلت سبحان الله هذا .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة روى شطراً منها في البحار وقال بعد روايتها: والتحقيق أنّ لتلك الأخبار ظهراً وبطناً وكلاهما حقّ .

فأما ظهرها فانّه سبحانه كما خلق العرش والكرسي مع عدم احتياجه إليهما كذلك

خلق عندهما حجباً و أستاراً و سرادقات ، وحشاها من أنواره الغريبة المخلوقة له ليظهر لمن يشاهدها من الملائكة وبعض النبيّين و لمن يسمعها من غيرهم عظمة قدرته وجلال هيبته وسعة فيضه ورحمته ، ولعلّ اختلاف الأعداد باعتبار أنّ في بعض الاطلاقات اعتبرت الأنواع ، وفي بعضها الأصناف والأشخاص أوضمّ بعضها إلى بعض في بعض التعبيرات أواكتفى بذكر بعضها في بعض الرّوايات .

و أمّا بطنها فلأنّ الحجب المانعة عن وصول الخلق إلى معرفة كنه ذاته وصفاته سبحانه امور كثيرة :

منها ما يرجع إلى نقص المخلوق و قواه و مداركه بسبب الامكان والافتقار والاحتياج والحدوث وما يتبع ذلك منجهات النّقص والعجز وهي الحجب الظلمانية.

ومنها ما يرجع إلى نوريّته وتجرّده وتقدّسه ووجوب وجوده و كمالعظمته وجلاله وساير ما يتبع ذلك و هي الحجب النورانية وارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال ، فلو ارتفعت لم يبق بغير ذات الحق شيء،أوالمراد بكشفها رفعها في الجملة بالتخلّي عن الصفات الشهوانية والأخلاق الحيوانيّة والتخلّق بالأخلاق الرّبانية بكثرة العبادات والرّياضات والمجاهدات وممارسة العلوم الحقّة ، فترتفع الحجب بينه و بين الله سبحانه في الجملة فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيّناتهم وإراداتهموشهواتهم فيرون بعين اليقين كما له سبحانه ونقصهم ، و بقائه و فنائهم ، وعزّه، وذلّهم، وغناه وافتقارهم ، بليرون وجودهم المستعار في جنب وجودهالكامل عدماً ، وقدرتهم الناقصة في جنب قدرته الكاملة عجزاً بل يتخلّون عن إرادتهم وعلمهم وقدرتهم فيتصرّف فيهم إرادته و قدرته و علمه سبحانه ، فلايشاؤون إلاّ أن يشاء الله ، ولا يريدون سوى ما أراد الله ، ويتصرّفون في الأشياء بقدرة الله ، فيحيون الموتى و يردّون الشمس ويشقّون القمر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما قلعت باب خيبر بقوّة جسمانيّة بل بقوّة ربانيّة ، والمعنى الذي يمكن فهمه و لا ينافي اُصول الدّين من الفناء في الله والبقاء بالله هو هذا المعنى .

و بعبارة اخرى الحجب النّورانية الموانع التي للعبد عن الوصول إلى قربه و غايةما يمكنه من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالرّياء والعجب والسّمعة وأشباهها و الظلمانية ما يحجبه من المعاصى عن الوصول إليه ، فاذا ارتفعت تلك الحجب تجلّى الله له في قلبه و أحرق محبّته ماسواه حتّى نفسه عن نفسه ، و كلّ ذلك لايوجب عدم الايمان بظواهرها ، إلاّ بمعارضة نصوص صحيحة صريحة صارفة عنها، و أوّل الالحاد سلوك التأويل من غير دليل والله الهادى إلى سواء السّبيل ، انتهى كلامه رفع مقامه هذا.

والأشبه أن يراد بقوله عليه السلام : ولاحجب ذات ارتاج المعاني الظاهرة لهاوإن أمكن إرادة معانيها الباطنة في الجملة ، و أما احتمال أن يراد بالحجب السّماوات كما في شرحي المعتزلي والبحراني فبعيد مع سبق قوله عليه السلام إذلاسماءذات ابراج (ولا ليل داج) اى مظلم (ولا بحر ساج) اى ساكن (ولاجبل ذوفجاج ولا فجّ ذو اعوجاج) وهو مأخوذ من قوله سبحانه:

« اللهُ الّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرضَ بِساطاً لِتَسلُكُوا مِنها سُبُلاً فِجاجاً »

أى طرقا واسعة ، و قيل : طرقا مختلفة عن ابن عبّاس ، و قيل: سبلا في الصّحارى و فجاجا في الجبال (ولا أرض ذات مهاد) وهو ماخوذ من قوله سبحانه :

« وَالأَرضَ فَرَشناها فَنِعمَ الماهِدُونَ »

أى مهّدناها ليستقرّوا عليها فنعم الماهدون نحن ، و في سورة النّباء .

« أَلَم نَجعَلِ الأَرضَ مِهاداً »

أى وطاً و قراراً و مهيئاً للتصرّف فيه من غير أذيّة ، والمصدر بمعنى المفعول أو الحمل على المبالغة أو المعنى ذات مهاد (ولا خلق ذو اعتماد) أى صاحب قوّة و بطش .

(ذلك) المتّصف بالصّفات الأزليّة والموصوف بأوصاف السّرمديّة (مبتدع

الخلق) و مخترعه على غير مثال سبق أو موجده من العدم المحض (ووارثه) الباقي بعد فنائه (وإله الخلق) ومعبوده (ورازقه) بجميل آلائه و جزيل نعمائه (والشمس والقمر دائبان في مرضاته) هو مأخوذ من قوله سبحانه:

« وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ »

و أصل الدئب هو مرور الشيء في العمل على عادة مطرّدة أراد عليه السلام أنّ الشمس والقمر يدأبان في سيرهما وإنارتهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة و في إصلاح النبات والحيوان على ما فيه رضاؤه سبحانه و يقتضيه حكمته البالغة و يرتضيه تدبيره التام الكامل (يبليان كلّ جديد و يقرّبان كلّ بعيد) نسبة إبلاء الجديد و تقريب البعيد إليهما باعتبار كون حركاتهما من الأسباب المعدّة لحدوث الحوادث في هذا العالم وفيهما تنبيه على وجوب التّجافي عن الدّنيا والاستعداد للآخرة ، و إشارة إلى أنّ ما يتجدّد و يحدث من لذات الدنيا و زخارفها فهو في معرض البلى والزّوال و أنّ ما يستبعده أهل الغفلة من الموت والفناء قريب إليه و إن كان بعيداً في نظره (قسّم أرزاقهم) بينهم على وفق ماجرى عليه قلم التقدير و كتبه يد التّدبير في الكتاب المكنون واللّوح المحفوظ كما قال سبحانه:

« نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيا » .

(و أحصى آثارهم وأعمالهم) و إحصائهما كناية عن العلم بهما كما قال سبحانه:

« وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ »

أى ما قدّموا من الأعمال و ما سنّوه بعدهم حسنة كانت أو قبيحة و منه:

« عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ »

و قيل آثارهم أى أقدامهم في الأرض وأراد مشيهم إلى العبادة وخطاهم إلى المساجد (و عدد أنفاسهم و خائنة أعينهم و ما تخفى صدورهم من الضمير) و هو اقتباس من قوله تعالى :

« يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ »

قال في مجمع البيان : أى خيانتها وهى مسارقة النظر إلى مالايحلّ النّظر إليه والخائنة مصدر كما أنّ الكاذبة واللاغية بمعنى الكذب واللّغو و قيل إنّ تقديره يعلم الأعين الخائنة ، وقيل هو الرمز بالعين وفيه أقوال اخر (و مستقرّهم و مستودعهم من الأرحام و الظهور) و فيه ملاحمة إلى قوله سبحانه:

« وَما مِنْ دابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ » .

أى يعلم موضع قرارها والموضع الذى أودعها فيه من أرحام الأُمّهات وأصلاب الآباء وظهورهم، ويعلم كلّ أحوالهم من حين ابتدائهم (إلى أن تتناهى بهم الغايات) ويقف كلّ عند غايته المكتوبة من خير أو شرّ (هو الذى اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته و اتّسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته) لايخفى ما في هذه القرينة من حسن المقابلة.

قال الشارح البحراني : و أشار بذلك إلى كمال ذاته بالنّسبة إلى ملوك الدنيا مثلاً ، فانّ أحدهم في حالة غضبه على عدوّه لايتّسع لرحمته ولا رحمة غيره، و كذلك في رحمته لأوليائه لايجتمع معها غضبه عليهم ؛ ولمّا ثبت أنه تعالى هو الغنىّ المطلق المنزّه عن صفات المخلوقين و أنّه المعطي لكلّ قابل مايستحقّه من غير توقّف في وجوده على أمر من ذاته ، و كان أعداء الله مستعدّون ببعدهم عنه لقبول سخطه و شدّة نقمته في الآخرة ، لاجرم أولاهم ذلك و ان كانوا في الدُّنيا في سعة رحمته و شمول نعمته ، و كذلك أولياؤه لما استعدّ والقبول رحمته و شمول نعمته أفاضها عليهم فهم في حظيرة قدسه على غاية من البهجة و السّعادة و ضروب الكرامة وإن كانوا بأجسادهم في ضروب من العذاب و شقاوة الفقر والضنك في الدّنيا ، و ذلك لايملكه إلاّ حليم لايشغله غضب عن رحمته، عدل حكيم لا تمنعه رحمته عن انزال

عقوبته سبحانه ليس إلاّ هو.

(قاهر من عازه) أي غالبه وعتى عن أمره كفرعون إذ قال أنا ربّكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى وغيره من العتاة والطغاة، حيث قصم الله سبحانه ظهرهم وكسر عظمهم وقهرهم بالموت والاذلال، وأنزل عليهم شديد النكال (ومدمّر من شاقه) أي مهلك من كان مشاقّاً له ومنحرفاً عن طريق الهدى إلى سمت الرّدى (ومذلّ من ناواه) يجعله محتاجاً إلى غيره (وغالب من عاداه) أي المستولي عليه بقهره (من توكّل عليه كفاه) كما قال في كتابه العزيز:

«وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»

أي الكافي له يكفيه أمر دنياه وآخرته (ومن سأله أعطاه) إذ لاتفنى خزائنه السؤال، ولا تدخل عليها نقص ولازوال.

وفي الحديث القدسي: يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وانسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلّ إنسان مسألته ما نقص ذلك ممّا عندي شيئاً إلاّ كما ينقص المخيط إذا دخل البحر.

أي لاينقص شيئاً وإنما ضرب المثل بالمخيط والبحر لأنّه وإن كان يرجع شيء قليل محسوس لكن لقلّته بالنّسبة إلى أعظم المرئيات عيانا لايرى ولا يعدّ شيئاً فكأنّه لم ينقص منه شيء.

(ومن أقرضه قضاه) أي من أنفق ماله في سبيله وطاعته أعطاه الله عوض ما انفق وإنّما سمّى الانفاق قرضا تلطفا للدّعاء إلى فعله وتأكيداً للجزاء عليه، فانّ القرض يوجب الجزاء، وهو مأخوذ من قوله سبحانه في سورة البقرة:

«مَنْ ذَا الَّذي يُقرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أضْعافاً كَثيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسطُ وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

روى الطبرسيّ عن الصادق عليه السلام أنه قال: لما نزلت هذه الآية:

« مَنْ جآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ربّ زدني فأنزل الله:

«مَنْ جآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: زدني فأنزل الله سبحانه:

« مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً».

والكثير عند الله لا يحصى.

قال الكلبي في سبب نزول هذه الآية : إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: من تصدّق بصدقة فله مثلاها في الجنّة ، فقال أبو الدحداح الأنصاري و اسمه عمرو بن الدحداح :يارسول الله إنّ لى حديقتين إن تصدقت باحديهما فان لي مثليها في الجنّة ؛ قال:نعم،قال: و أمّ الدّحداح معي ؟ قال: نعم،قال : والصبية معي؟ قال : نعم، فتصدّق بأفضل حديقته فدفعها إلى رسول الله فنزلت الآية فضاعف الله له صدقته ألفي ألف ، و ذلك قوله أضعافا كثيرة قال : فرجع أبو الدحداح فوجد أمّ الدّحداح والصّبية في الحديقة التي جعلها صدقة فقام على باب الحديقة و تحرّج أن يدخلها فنادى يا أُمّ الدّحداح ، قالت : لبيك يا أبا الدّحداح ، قال إني جعلت حديقتي هذه صدقة و اشتريت مثليها في الجنّة و أُمّ الدّحداح معي والصّبية معي قالت: بارك الله لك فيما شريت و فيما اشتريت فخرجوا منها و أسلموا الحديقة إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبيّ: كم من نخلة متدلّ عذوقها لأبي الدحداح في الجنّة .

و في منهج الصادقين قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: كم من عذق(١) رواح و دار فياح في الجنّة لأبي الدّحداح.

(و من شكره جزاه) أى من اعترف بنعمته سبحانه و فعل ما يجب فعله من الطاعة و ترك ما يجب تركه من المعصية أعطاه الله سبحانه بشكره الجزاء الجميل

١ـ العذق بالفتحة النخلة بحملها ورواح الشجر العظيم بورق ودار الفياح أى دار السعة منه .

والثواب الجزيل.

ثمّ إنه بعدما ذكر جملة من النعوت الجلالية و الصفات الجمالية لله سبحانه أردف ذلك بالعظة و النصيحة فقال: (عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا) أى زنوها في الدنيا قبل الوزن في الآخرة فأما الوزن في الدّنيا فهو اعتبار الأعمال وضبطها بميزان العدل أى مراعاة الاستقامة على حاقّ الوسط المصون من طرفي التفريط و الافراط، فانّ اليمين و الشمال مضلّة و الطريق الوسطى هي الجادّة ، و أمّا الوزن الأخروى فقد أشير إليه في قوله سبحانه:

« وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ » .

قال الطبرسيّ في معناه قيل : إنّ الوزن عبارة عن العدل في الآخرة و أنه لاظلم فيها وقيل : إنّ الله ينصب ميزانا له لسان و كفّتان يوم القيامة فيوزن به أعمال العباد الحسنات و السيئآت ، ثمّ اختلفوا في كيفيّة الوزن لأنّ الأعمال أعراض لايجوز وزنها فقيل : توزن صحايف الأعمال ، و قيل : يظهر علامات الحسنات و السيّئآت في الكفّتين فيراها الانسان ، وقيل : تظهر الحسنات في صوره حسنة و السيّئآت في صورة سيئة ، و قيل : توزن نفس المؤمن و نفس الكافر ، و قيل : المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم و مقدار الكافر في الذلّة كمال قال سبحانه:

« فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْناً » .

(و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا) أى حاسبوها في الدّنيا قبل المحاسبة في الآخرة أما المحاسبة الأخروية فقد مرّ في شرح الكلام الحادى والثمانين تحقيق الكلام فيها و أما المحاسبة الدّنيوية فهي عبارة عن ضبط الانسان على نفسه أعمالها الخيرية والشّرية ليزكّيها بما ينبغي لها و يعاقبها على فعل مالاينبغى و ستطلع على مزيد

توضيح لها في ضمن الأخبار الآتية (وتنفسوا قبل ضيق الخناق) وهو استعارة لانتهاز الفرصة للعمل قبل تعذره بطول الأجل وتعلّق حبائل الموت وانشاب أظفار المنيّة والفوت (وانقادوا) لأوامر الله سبحانه ونواهيه (قبل عنف السياق) أي قبل السّوق العنيف وهو سوق ملك الموت بالجذبة المكربة التي تقدّمت الاشارة إليها في شرح الفصل السّابع من فصول الخطبة الثّانية والثمانين .

(واعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ) يعني من لم يعنه الله سبحانه على نفسه حتّى يجعل له منها واعظاً وزاجراً لم ينفعه الزّجر والوعظ من غيرها .

والمراد باعانة الله له أن يعدّ نفسه النّاطقة لقبول الخيرات و يؤيّدها على نفسه الأمّارة بالسّوء حتى تكون مقهورة عندها فيحصل له الاستعداد لقبول المواعظ والزواجر ويكمل له الانتفاع بها .

روى في الوسائل عن محمّد بن إدريس في السّرائر نقلاً من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي قال : كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول : ابن آدم إنّك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وما كانت المحاسبة من همّتك ، وما كان الخوف لك شعاراً والحزن لك دثاراً ، ابن آدم إنّك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدي الله عزّ وجلّ فأعدّ جواباً .

ايقاظ في ذكر نبذ من الاخبار الواردة في محاسبة النفس وبيان كيفية المحاسبة فأقول :

روى في الوسائل من الكافي باسناده عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم ، فان عمل حسنا استزاد الله و إن عمل سيّئاً استغفر الله منه وتاب إليه .

ومن الخصال و معاني الأخبار للصدوق مسنداً عن عطا عن أبي ذر «ره» في حديث قال : قلت : يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال صلى الله عليه وآله: كانت أمثالا كلّها أيها الملك المبتلى المغرور إنّي لم ابعثك لتجمع الدّنيا بعضها على بعض ،

ولكن بعثتك لتردّ عنّي دعوة المظلوم فانّي لا أردّها وإن كانت من كافر ، وعلى العاقل مالم يكن مغلوباً أن تكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه ، و ساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكّر فيها صنع الله إليه ، وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال فانّ هذه الساعة عون لتلك السّاعات واستجمام للقلوب وتفريغ لها .

ومن مجالس الشيخ باسناده عن أبي ذر «ره» في وصيّة النّبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: يا أباذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب فانّه أهون لحسابك غداً ، وزن نفسك قبل أن توزن ، وتجهّز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافية إلى أن قال : يا أباذر لايكون الرّجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه من حلال أو من حرام، يا أباذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النّار .

ومن تفسير العسكري عن آبائه عن عليّ عن النّبيّ سلام الله عليه و عليهم قال عليه السلام : أكيس الكيّسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت ، فقال رجل يا أمير المؤمنين كيف يحاسب نفسه؟ قال: إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه وقال : يا نفس إنّ هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً والله يسألك عنه بما أفنيته فما الذي عملت فيه أذكرت الله أم حمدته أقضيت حوائج مؤمن فيه أنفسّت عنه كربة أحفظته بظهر الغيب في أهله وولده أحفظته بعد الموت في مخلفيه أكففت عن غيبة أخ مؤمن أعنت مسلما ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه فان ذكر أنه جرى منه خير حمد الله و كبّره على توفيقه ، و إن ذكر معصيةً أو تقصيرا استغفر الله و عزم على ترك معاودته .

وعن عليّ بن موسى بن طاووس في كتاب محاسبة النّفس قال : و رأيت في كتاب مسعدة بن زياد من اصول الشيعة فيما رواه عن الصّادق عليه السلام عن أبيه قال : اللّيل إذا أقبل نادى مناد بصوت يسمعه الخلايق إلاّ الثقلين يا بن آدم إنّي خلق جديد إنّي على ما فيّ شهيد فخذ منّي فانّي لو طلعت الشّمس لم أرجع إلى الدّنيا ولم تزدد فيّ من حسنة ولم تستعتب فيّ من سيئة، و كذلك يقول النّهار إذا أدبر اللّيل، وبالله التّوفيق.

الترجمة

ازجمله خطب شریفهٔ آن امام أنام است علیه الصّلاة والسّلام که فاتحه اش متضمّن است بعض صفات کمالیه الهیّه را و خاتمه اش مشتمل است بر موعظه ونصیحت میفرماید :

حمد وثنا خداوند معبود بحقی را سزاست که شناخته شده است بی حسّ وبصر ، وخلق نموده بی فکر ونظر ، آنچنان پروردگاری که دایم است با لذات ومتصف است ببقا وثبات دروقتیکه نبود هیچ آسمان صاحب برجها ، ونه حجابهای صاحب درها ، ونه شب تاریك ، ونه بحرساکن غیرمتحرك ، ونه کوهی که صاحب راههای فراخ است ، ونه راههای فراخ که متصف است باعوجاج و کجی، ونه زمینی که صاحب فرش است وقرار ؛ ونه خلقی که صاحب قوّتست و اقتدار .

این ذات موصوف بصفات کمالات آفریننده خلایق است ووارث ایشان ، ومعبود مخلوقاتست ورزق دهنده ایشان ، وآفتاب تابنده وماه درخشنده حرکت کننده اند بعادت مستمره برطبق رضای او درحالتیکه فانی میکنند هرجدید را ، و نزدیك مینمایند هربعید را ، قسمت فرموده است روزی های خلق را ، وشمرده است اثرها وعملهای ایشانرا ، وتعداد نموده نفسهای ایشانرا ، و عالم است بخیانت چشمهای ایشان وبآنچه پنهان میکند سینه های ایشان از آنچه که در دل میگیرند از قصد عصیان وغیرآن ، ودانا است بقرارگاه و محلّ ودیعهٔ ایشان از ارحام ما در ان وأصلاب پدران تا آنکه بنهایت میرسد ایشانرا غایتها ، یعنی خبیر است بجمیع احوال واعمال ایشان ازابتداء تا انتهاء .

آن خداوندی که شدید است عقوبت او براعداء خود در وسعت رحمت او ، ووسعت دارد رحمت او بر اولیاء خود در شدّت عقوبت او، قهرکنندهٔ کسیست که غلبه گی جوید براو ، وهلاك کنندهٔ کسیستکه نزاع کند با او، وذلیل کننده کسی استکه عناد ورزد بااو، وغلبه کنندهٔ کسیستکه عداوت نماید او را ، هرکه توکل

کرد براو کفایت نمود اورا ، وهر کس سؤال کرد ازاوعطا فرمود اورا ، وهر که قرض داد باو ومال خودرا در راه او صرف نمود عوض داد باو ، و هر که شکرانۀ نعمت اورا بجا آورد جزای خیرداد باو .

ای بندگان خدا بسنجید نفسهای خودرا بمیزان عدل دردنیا پیش از آنکه سنجیده شوید بمیزان عمل درآخرت ، ومحاسبه کنید با نفسهای خود پیش ازآنکه بمقام محاسبه آورده شوید درقیامت ، و نفس زنید وفرصت غنیمت شمارید پیش از تنگ شدن گلو ، ومطیع ومنقاد باشید پیش از رانده شدن با مشقت بسوی آخرت .

وبدانید آن کسیکه اعانت فرموده نشده برنفس خود تا آنکه باشد لو را ازآن نفس پند دهنده ، وزجر کننده نیست اورااز غیرنفس او زجر کننده و نه پند دهنده ، یعنی کسیکه اعانت نفرموده باشد خداوند اورا برغلبۀ نفس أمّاره او تا اینکه مستعد وقابل شود برقبول موعظه ونصیحت ازپیش خود، ثمری نمی بخشد اورا موعظه ونصیحت دیگران، والله أعلم .

ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الاشباح وهى التسعون من المختار فى باب الخطب

وهي من خطبه المشهورة روى بعض فقراتها المحدّث العلاّمة المجلسي(ره) في البحار من كتاب مطالب السؤول لمحمّدبن طلحة الشّافعي ، و رواها الصّدوق في التّوحيد مسنداً باختصارواختلاف كثيرلما أورده السيّد (ره) في الكتاب .

قال: حدّثني عليّ بن أحمدبن محمّدبن عمران الدّقاق ره ، قال : حدّثنا محمّدبن أبيعبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا محمّدبن إسماعيل البرمكيّ ، قال : حدّثنى عليّ بن العبّاس ، قال : حدّثنى إسماعيل بن مهران الكوفيّ عن إسماعيل بن إسحاق الجهني عن فرج بن فروة عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين صف لنا ربّك تبارك و تعالى لنزداد له حبّا و به معرفة ، فغضب أمير المؤمنين و نادى :

الصّلاة (١) جامعة فاجتمع النّاس حتّى غصّ المسجد بأهله ثمّ قام متغيّر اللّون فقال : الحمد لله إلى آخر ما رواه هذا ، و شرح ما أورده السيّد ره هنا في ضمن فصول :

الفصل الاول

قال السيّد ره : وهي من جلايل خطبه عليه السلام وكان سأله سائل أن يصف الله له حتّى كأنّه يره عيانا ، فغضب عليه السلام لذلك :

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي لا يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَ الْجُمُودُ ، وَلا يُكْديهِ الإِعْطاءُ وَالْجُودُ. إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِواهُ ، وَ كُلُّ مانِعٍ مَذْمُومٌ ما خَلاهُ ، هُوَ الْمَنّانُ بِفَوائِدِ النِّعَمِ ، وَعَوائِدِ الْمَزيدِ وَالْقِسَمِ ، عِيالُهُ الْخَلْقُ ، ضَمِنَ أَرْزاقَهُمْ ، وَ قَدَّرَ أَقْواتَهُمْ وَ نَهَجَ سَبيلَ الرّاغِبينَ إِلَيْهِ ، وَالطّالِبينَ ما لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِما سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِما لَمْ يُسْئَلْ ، الْأَوَّلُ الَّذي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ الَّذي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ ، وَ الرّادِعُ أَناسِيَّ الْأَبْصارِ عَنْ أَنْ تَنالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحالُ ، وَلا كانَ في مَكانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الْإِنْتِقالُ ، وَ لَوْ وَهَبَ ما تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعادِنُ الْجِبالِ ، وَ ضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدافُ الْبِحارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيانِ ، وَ نُثارَةِ الدُّرِّ وَ حَصيدِ الْمَرْجانِ ، ما أَثَّرَ ذٰلِكَ في جُودِهِ ، وَ لا أَنْفَدَ سَعَةَ ما عِنْدَهُ ، وَ لَكانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخائِرِ الْأَنْعامِ ، ما لا تُنْفِدُهُ مَطالِبُ الْأَنامِ ،

١ــ منصوب بفعل المضمر اى احضروا الصلاة وجامعة حال وغصّ المسجد اى امتلاء فهو غاصّ بأهله ، منه

لِأَنَّهُ الْجَوادُ الَّذي لا يَغيضُهُ سُؤالُ السّائِلينَ ، وَلا يُبْخِلُهُ إِلحاحُ الْمُلِحّينَ .

اللغة

(الأشباح) جمع الشّبح وهو الشّخص كالأسباب والسبب و(وفر) الشيء يفر من باب وعد وفوراً تمّ وكمل ، و وفرته وفراً من باب وعد أيضاً أتممته وأكملته يتعدّى ولايتعدّى والمصدر فارق و (أكدى) الرّجل إذا بخل أوقلّ خيره أو قلل عطائه قال سبحانه :

« وَأَعْطىٰ قَليلاً وَأَكْدىٰ » .

و أصله كدى كرمى و منه أرض كادئة بطيئة الانبات و (الأناسي) جمع الانسان وهو المثال الذى يرى في سواد العين و (الأصداف) جمع الصدف بالتّحريك وهو غشاء الدّر و (الفلز) بكسر الفاء واللام و تشديد الزاء و كعتلّ قال في القاموس: نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة أو خبث الحديد أو الحجارة أو جواهر الأرض كلّها أو ما ينفيه الكير من كلّ ما يذاب منها و (العقيان) الذّهب الخالص ويقال هو ما ينبت نباتا و ليس ممّا يحصل من الحجارة و (نثارة) الدرّ ما تناثر منه.

قال الشّارح المعتزلي : و تأتي فعالة تارة للجيّد المختار و تارة للسّاقط المتروك فالأوّل نحو الخلاصة والثاني نحو القلامة و (الدرّ) جمع الدّرة وهي اللّؤلؤة العظيمة و (غاض) الماء نقص وغاضه الله كأغاضه أنقصه يتعدّى بنفسه وبالهمز و(أبخلته) و جدته بخيلا.

الاعراب

قوله عليه السلام :و كلّ مانع مذموم ماخلاه الأصل في خلا أنه لازم يتعدّى إلى المفعول بمن نحو خلت الدار من الانيس ، وقد تضمن معنى جاوز فيتعدّى بنفسه كقولهم افعل هذا و خلاك ذمّ أى جاوزك.

قال الرّضى : والزموها هذا التضمن في باب الاستثناء فيكون ما بعدها في صورة المستثنى بالاّ التي هي أمّ الباب ولهذا الغرض التزموا إضمار فاعله إلى أن

قال : و فاعل خلا عند النحاة بعضهم ، و فيه نظر لأنّ المقصود في جائنى القوم خلا زيداً أنّ زيداً لم يكن معهم أصلا ولايلزم من مجاوزة بعض القوم إياه و خلوّ بعضهم منه مجاوزة الكلّ و خلوّ الكلّ، والأولى أن يضمر فيه ضمير راجعاً إلى مصدر الفعل المتقدّم أى جائنى القوم خلا مجيئهم زيداً ، كقوله تعالى :

« اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ » .

فيكون مفسر الضمير سياق القول هذا.

و ما فيه مصدرية و لذلك التزم انتصاب ما بعده لأنّ ماء المصدرية تدخل على الفعلية غالبا ، والاسمية قليلا وليس بعدها اسمية فتعين الفعلية فتعين أن يكون فعلا فوجب النصب والمضاف محذوف أى وقت ماخلا مجيئهم زيداً ، وذلك انّ الحين كثيراً ما يحذف مع ماء المصدرية نحو : ما ذرّ شارق و نحوه ذكر ذلك كلّه نجم الأئمة الرضىّ (ره).

قال : و جوّز الجرمى الجرّ بعد ما خلا و ما عدا على أنّ ما زايدة ، ولم يثبت انتهى.

أقول : حمل ما على الزيادة في كلام الامام عليه السلام على تقدير ثبوته أقرب إلى المعنى كمالايخفى ، و حملها على المصدرية محتاج إلى التكلّف كما هوغير خفىّ على الفطن العارف ، و اضافة الفوائد إلى النعم بيانية ، و في قوله وعوائد المزيد من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة ، والقسم عطف على العوائد ، و جملة ضمن في محل النصب على الحالية من ضمير عياله

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة كما ذكره السيد (ره) من جلائل خطبه عليه السلام و مشاهرها و تسمى بخطبة الأشباح لاشتمالها على ذكر الأشباح والأشخاص من الملائكة و كيفية خلقهم و بيان أقسامهم ، و لعلّ غضبه عليه السلام على السائل من أجل أنّ غرض السائل كان وصفه تعالى بصفات الأجسام و زعمه جواز معرفته سبحانه

بالاكتناه كما يشهد به قوله: كأنه يراه عيانا، فغضب عليه السلام لذلك و تغيّر لونه لأجل ذلك ووصفه بأوصاف العزّ والكمال و صفات الجبروت و الجلال فقال:

(الحمدلله الذى لايفره المنع والجمود) أى لايوجب وفور ماله المنع والامساك (ولايكديه الاعطاء والجود) أى لايقلل اعطائه البذل والاحسان يقول عليه السلام إنه سبحانه ليس كملوك الدنيا يتزيد بالامساك و ينتقص بالانفاق إذمقدوراته سبحانه غير متناهية و ما عنده لايدخله نقص ولافناء، بل يدخلان الفاني المحدود و يشهد به ما مرّ في شرح الخطبة السابقة من الحديث القدسي : يا عبادي لو أنّ أولكم و آخركم و انسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلّ انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى شيئاً إلاّ كما ينقص المخيط إذا دخل البحر أى لاينقص شيئاً.

و إلى ما ذكرنا أشار عليه السلام بقوله : (إذ كلّ معط منتقص سواه) و بحار فضله لاينقص بالافضال، و خزائن كرمه لاتقلّ بالانعام والنوال.

و لما نبّه عليه السلام على عدم إمكان دخول النقصان في بحر فضله وجوده أردف ذلك بنفى لحوق الذمّ بمنعه على وجوده بقوله : (و كلّ مانع مذموم ماخلاه) وذلك لأنّ كلّ مانع غيره إنما يمنع لخوف الضيق والمسكنة و خشية الفقر و الفاقة أو بخل نفسه الامارة، فحرىّ أن يلحقه المذمّة والملامة و أمّا الله القدّوس السبحان فلما كان منزهاً عن صفات النقصان ؛ و محالا أن يلحقه طوارى الامكان، فليس منعه لضيق أو بخل، و إنما يمنع بمقتضا حكمة بالغة وداعى مصلحة خفية أو ظاهرة، فمنعه في الحقيقة عين الفضل والاحسان والعطاء والامتنان.

كما ورد في الحديث القدسي : إنّ من عبادى من لايصلحه إلاّ الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك

و في حديث آخر : و إنّ من عبادى المؤمنين لعباداً لايصلح لهم أمر دينهم إلاّ بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم فصلح

إليهم أمردينهم و أنا أعلم بمايصلح عليه أمردين عبادي المؤمنين (هوالمنان بفوائد النعم) أى كثيرالانعام على العباد والمعطى لهم ابتداء من غيرسبق سؤال، و به فسّره الفيروزآبادي .

ويدلّ عليه مارواه الطريحي قال : وفي حديث عليّ عليه السلام وقد سئل عن الحنّان والمنّان فقال : الحنّان هوالذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنّان هوالذي يبدء بالنّوال قبل السؤال .

وبذلك ظهر أنّ جعل المنّان مبالغة في المنّة و إظهار الاصطناع كما في شرح البحراني ممّا لا وجه له بل هو تفسير بالرأى في مقابلة النصّ ، و لا بأس بذكر كلامه لتوضيح مرامه .

قال في شرح هذه الفقرة : المنة تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى :

« يا بَني إسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الّتي أنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ »

في غيرموضع من كتابه وهي صفة مدح للحقّ سبحانه و إن كان صفة ذمّ لخلقه . والسّبب الفارق أنّ كلّ منعم سواه يحتمل أن يتوقّع لنعمته جزاء و يستفيد كمالاً يعود إليه ممّا أفاده ،وأيسره توقّع الذكر ويقبح ممّن يعامل بنعمته ويتوقّع جزاء أن يمنّ بها لما يستلزمه المن من التّطاول والكبر وتوقّع الجزاء والحاجة إليه مع التّطاول والكبر مما لايجتمعان في العرف، إذالتّطاول والكبرإنما يليقان بالغنى عن ثمرة ما تطاول بهإلى آخر ماذكره.

أقول : أمّا قبح الامتنان من المخلوق فممّا لاريب فيه ، لكونه ناشئاً من خسّة النّفس ودنائة الهمّة ولذلك مدح الله سبحانه عباده المتّقين بما حكى عنهم بقوله:

« إنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُريدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً »

كما أنه لاريب في جوازه على الله سبحانه ، ويدلّ عليه صريح الكتاب والسّنة ، وأما جعل المنّان من أسمائه سبحانه بذلك المعنى فلا دليل عليه ، بل الدليل قائم على

خلافه حسبما عرفت، مع أنّ إرادة هذا المعنى في هذا المقام أعني كلام الامام عليه السلام على فرض ثبوت أصله ممّا يأبى عنه الذوق السّليم والطبع المستقيم إذ المعنى الذي ذكرنا أولى بالتمدّح منه كما لا يخفى، هذا.

وما أبعد ما بين ما ذكره الشّارح وما ذهب إليه السيّد عليخان شارح الصحيفة السّجادية من نفي جواز المنة على الله رأساً كعدم جوازه على الخلق حيث قال في شرح دعاء طلب الحوائج عند شرح قوله عليه السلام: يا من لا يبيع نعمه بالأثمان، و يا من لا يكدّر عطاياه بالامتنان: الامتنان افتعال من المنّ و هو إظهار الاصطناع واعتداد الصنايع كان تقول: ألم أعطك كذا، ألم أحسن إليك، ألم أغنك؟ وهو تعبير يكدّر المعروف وينغصه فلهذا نهى الشّارع عنه بقوله:

« لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ ».

ومن هنا قيل: سيّان من منح النائل ومنّ، ومن منع السّائل وضنّ، والمراد بنفي تكديره تعالى عطاياه بالامتنان نفي الامتنان عنه رأساً فهو من باب نفي الشيء بلازمه أي لا امتنان فلا تكدير.

ثمّ لما كان الامتنان بالمعنى المذكور رذيلة ناشئة عن دنائة النّفس وصغر الهمة واستعظام النعمة والاحسان كان تعالى منزّه عن الامتنان، لأنّ كلّ نعمة من نعمه تعالى وإن عظمت و كلّ عطيّة من عطاياه وإن جلّت بالنّسبة إلى العبد المعطى والمنعم عليه فهي حقيرة بالنّسبة إلى عظمته جلّت قدرته، و شأنه تعالى أجلّ من أن يكون لها عنده موقع فيمنّ بها ويعتدّ بها على من أعطاه وأنعم عليه، وقول بعض العلماء إنّ المنّة بالمعنى المذكور صفة مدح للحقّ سبحانه وإن كان صفة ذمّ للمخلوق ليس بشيء وعبارة الدّعاء تشهد ببطلانه، انتهى.

أقول: والانصاف أنّ نفي الامتنان عنه سبحانه رأساً لا وجه له مع نصّ الآية الشّريفة أعني قوله:

« يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيكُمْ لِلإِيمانِ »

بخلافه(١)و دلالة الآيات الواردة في مقام الامتنان عليه بل المنفيّ عنه هو الامتنان المتصوّر في الخلايق .

بيان ذلك أنّ الامتنان من المنعم على المنعم عليه تارة يكون لارادة مكافاة الأنعام وطلب العوض من الثّواب الآجل و الثناء العاجل ، وبعبارة اُخرى لتوقّع منفعة عايدة على المنعم بانعامه ، واُخرى إرادة تذكّر المنعم عليه للنّعمة واستعداده بذلك لقبول نعمة اُخرى وتحصيل منفعة ثانية من دون أن يكون للمنعم فيه تحصيل فايدة واكتساب منفعة لنفسه أصلاً .

فالامتنان على الوجه الأوّل هو القبيح وإليه يعود منّة الخلايق ، وأمّا الثاني فلا قبح فيه أصلاً بل هو حسن يشهد به الوجدان فلا غبار على جوازه على الله سبحانه وعلى ما حقّقته فمعنى قوله عليه السلام : يا من لايكدّر عطاياه بالامتنان : أنّ امتنانه لايوجب التكدّر كما يوجبه امتنان غيره إذ غرضه تعالى منه ليس إلاّ محض التّفضل والتّطول وإيصال نعمة اُخرى إلى الممتنّ عليه ، وغرض غيره منه تحصيل منفعة لنفسه فمنّته يكشف عن عدم خلوص إحسانه و كونه مشوباً بالاغراض النّفسانية، وعلى ذلك فالمنفيّ في كلام الامام عليه السلام هو التكدير لا أصل الامتنان و إلاّ امتنع الجمع بينه وبين الادلّة الدالّة على الامتنان و يكون مناقضاً صريحاً لها ، فافهم واغتنم ، والله العالم .

وقوله (وعوائد المزيد والقسم) قال البحرانيّ : أى معتادهما ، وهو سهو إذ العوائد جمع العايدة لا العادة حتّى يكون بمعنى المعتاد ،والعائدة كما في القاموس المعروف والصّلة والعطف والمنفعة ، والمزيد مصدر إما بمعنى الفاعل أو المفعول

١ــ متعلق بقوله : نصّ .

وإضافة العايدة إليه من باب إضافة الموصوف إلى صفته لا بالعكس كما هو لازم ما فسّره البحراني ، والمراد أنّه سبحانه منّان على العباد بصلاته و عطوفاته الزايدة أو المزيد وقسمه المقدرة .

(عياله الخلق ضمن أرزاقهم وقدّر أقواتهم) لماكان عيال الرّجل عبارة عمن يمونه وينفق عليه و يصلح حاله استعار لفظه للخلايق بالنّسبة إلى ربّهم لخلقه لهم وتربيته في حقّهم وإصلاحه حالهم في المعاش والمعاد .

قال البحراني : و استعار لفظ الضّمان لما وجب في الحكمة الالهيّة من وجود ما لابدّ منه في تدبير إصلاح حالهم من الأقوات والأرزاق و تقدير أقواتهم إعطاء كلّ ما كتب له في اللّوح المحفوظ من زائد وناقص ، انتهى ، وهذا هو المشار إليه بقوله سبحانه :

« نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنيا » .

واعلم أنّ الرزق في اللّغة هو العطاء ويطلق على النصيب المعطى ، و أمّا في العرف فقالت الأشاعرة هو مطلق ما ينتفع به حيّ مباحاً كان أو حراماً بالتغذّي أو بغيره ، وذهب أصحابنا كالمعتزلة إلى أنه ما صحّ انتفاع الحيوان به وليس لأحد منعه منه فلايكون الحرام رزقاً ، لأنّ الله سبحانه منع من الانتفاع به وأمر بالزّجر عنه ولا بأس بذكر أدلّة الطرفين ليتّضح الحقّ من البين .

فأقول : استدلّ الأشاعرة بما رووه عن صفوان بن اميّة قال : كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ جاء عمر بن قرّة فقال . يارسول الله إنّ الله كتب عليّ الشّقوة فلا أراني أرزق إلاّ من دفّي (١) بكفّي فأذن لي في الغناء ، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم لا آذن لك ولا كرامة و لا نعمة كذبت أي عدوّ الله والله لقد رزقك الله حلالاً طيبا ، فاخترت ما حرّم الله عليك مكان ما أحلّ الله لك من حلاله ، و بقوله تعالى :

١ـ الدف آلة اللهو .

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا » .

تقريب الاستدلال ما ذكره الفخر الرّازي في التفسير الكبير حيث قال : تعلّق أصحابنا بهذه الآية في إثبات أنّ الرزق قد يكون حراماً قالوا : لأنّه ثبت أنّ إيصال الرّزق إلى كلّ حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد وبحسب الاستحقاق، والله تعالى لا يخلّ بالواجب ، ثمّ قد نرى انساناً لا يأكل من الحلال طول عمره فلولم يكن الحرام رزقاً لكان الله تعالى ما أوصل رزقه إليه فيكون تعالى قد أخلّ بالواجب وذلك محال ، فعلمنا أنّ الحرام قد يكون رزقاً .

وأجيب عن الأوّل تارة بالطّعن في السّند، و أخرى بأنّه على تقدير صحّته لابدّ من تأويله بأنّ إطلاق الرّزق على الحرام فيه لمشاكلة قوله فلا أراني ارزق ، على حدّ قوله : ومكروا ومكر الله، وباب المشاكلة و إن كان نوعاً من المجاز لكنه واسع كثير الورود في الكتاب والسنة معروف الاستعمال في نظم البلغاء ونثرهم فلابدّ من المصير إليه جمعاً بين الأدلّة .

وعن الثّاني بمنع وجود مادّة النقض إذ لا نسلّم وجود حيوان لا يرزق إلاّ بالحرام مدّة عمره ، أمّا غير الانسان فواضح إذ لا يتصوّر بالنّسبة إليه حلّ و لا حرمة .

أمّا الانسان فلأنّه في أيّام الصّبا وعدم التّكليف لا يتّصف ما يأكله بالحرمة كعدم اتصافه بالاباحة ، بل هو كالحيوان في عدم اتصاف أفعاله بشيء من الأحكام الخمسة .

وأمّا بعد البلوغ فلأنّه بعد ما كان الرّزق أعمّ من الغذاء باتفاق المعتزلة والأشاعرة يشمل التنفّس في الهوا و معلوم أنه مباح في حقّه قطعا فلم يوجد حيوان لا يرزق إلاّ بالحرام طول عمره ، و يوضحه أنّه لو مات انسان قبل أن يأكل شيئاً حلالاً أو حراماً لزم أن يكون غير مرزوق فما هو جواب الأشاعرة فهو جوابنا .

و استدلّ المعتزلة على المذهب المختار بقوله سبحانه:

«وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ».

حيث مدحهم بانفاقهم من رزقه فلابدّ أن يكون الرّزق حلالا إذ الانفاق من الحرام بمعزل عن إيجاب المدح.

أقول: ولايخفى مافيه: إذ يجوز جعل من تبعيضيّة فيكون معنى الآية أنّهم ينفقون بعض ما رزقهم الله، و مدحهم بذلك يستلزم أن يكون ما أنفقوه حلالا ولا يستلزم أن يكون جميع ما رزقهم الله حلالاً، و هو واضح.

و استدلّ بعض أصحابنا بما رواها العامة والخاصّة من خطبته ﷺ في حجّة الوداع وهي صريحة غير قابلة للتّأويل. و رواها الكلينيّ باسناده إلى الامام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في حجّة الوداع: ألا إنّ الرّوح الأمين نفث في روعي أنه لاتموت نفس حتّى تستكمل رزقها، فاتّقوا الله و أجملوا في الطلب ولايحملنكم استبطاء شيء من الرّزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فانّ الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالا ولم يقسّمها حراما، فمن اتّقى الله وصبر أتاه رزقه من حلّه، و من هتك حجاب ستر الله و عجّل و أخذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال و حوسب عليه يوم القيامة، هذا.

و بقي الكلام في أنّ الرزق هل يقبل الزيادة والنّقصان بالسّعي و عدمه ظاهر بعض الأخبار العدم، و هو مارواه في الكافي باسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ايّها النّاس اعلموا أنّ كمال الدّين طلب العلم والعمل به ألا و إنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال إنّ المال مقسوم مضمون لكم قد قسّمه عادل بينكم و ضمنه و سيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله وقد امرتم بطلبه من أهله فاطلبوه.

و في دعاء الصّحيفة السجادية على صاحبها آلاف الصّلاة والسّلام و التّحية جعل لكلّ روح منهم قوتا معلوماً مقسوماً من رزقه لاينقص من زاده ناقص ولايزيد من نقص منهم زائد، يعني أنّ من زاده الله رزقه منهم لاينقصه ناقص، و من نقصه سبحانه

لايزيده زايد، وتقديم المفعول في الفقرتين لمزيد الاعتناء ببيان فعله من الزيادة والنقصان و هو نصّ في أنّ غيره تعالى لايستطيع أن يتصرّف في الرزق المقسوم بالزيادة والنّقص.

و في رواية اخرى : إنّ أرزاقكم تطلبكم كما تطلبكم آجالكم فلن تفوتوا الأرزاق كما لم تفوتوا الآجال.

والمستفاد من الأدلّة الأخر مدخلية الطلب والسّعى فيها، مثل ما رواه في الوسائل من كنز الفوائد للكراجكى قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : الدّنيا دول فاطلب حظك منها بأجمل الطلب.

و فيه عن شيخنا الطوسي قدّس الله روحه باسناده عن عليّ بن عبدالعزيز قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: ما فعل عمر بن مسلم ؟ قلت : جعلت فداك أقبل على العبادة و ترك التجارة، فقال : ويحه أما علم أنّ تارك الطلب لايستجاب له دعوة، إنّ قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت:

« وَ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ».

اغلقوا الأبواب و أقبلوا على العبادة و قالوا : قد كفينا، فبلغ ذلك النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل اليهم فقال : ما حملكم على ما صنعتم ؟ فقالوا : يا رسول الله تكفّل الله لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال : إنّه من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب.

و عن الكلينيّ باسناده عن عمر بن يزيد قال : قال أبوعبدالله عليه السلام: أرأيت لو أنّ رجلا دخل بيته و أغلق بابه أكان يسقط عليه شيء من السّماء؟

و عن أحمد بن فهد في عدّة الدّاعي عن عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إني لأركب في الحاجة التي كفانيها الله، ما أركب فيها إلاّ لالتماس أن يراني الله اضحى في طلب الحلال أما تسمع قول الله عزّ وجلّ :

« فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلوٰةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ »

أرأيت لو أنّ رجلا دخل بيتاوطين عليه بابه و قال : رزقي ينزل عليّ كاين يكون هذا أما أنّه يكون أحد الثّلاثة الذين لايستجاب لهم دعوة ، قلت :من هؤلاء؟ قال عليه السلام : رجل عنده المرأة فيدعو عليها فلايستجاب له ، لأنّ عصمتها في يده ولوشاء أن يخلّي سبيلها،والرّجل يكون له الحقّ على الرجل فلايشهد عليه فيجحد حقّه فيدعو عليه فلايستجاب له لأنه ترك ما امر به، والرجل يكون عنده الشّيء فيجلس في بيته فلاينتشر ولايطلب ولايلتمس الرّزق حتّى يأكله فيدعو فلايستجاب له، و بمعناها روايات اخر .

و يمكن الجمع بينها و بين الأخبار السّابقة بجعل الرزق على قسمين : أحدهما ما ليس للطلب والسعي مدخلية فيه ، والثاني مالاينال إلاّ بالطلب فيحمل الأخبار السّابقة على القسم الأوّل ، والأدلة الأخيرة على القسم الثّاني.

و يشهد على هذا الجمع ما رواه في الوسائل من مقنعة المفيد قال : قال الصادق عليه السلام :الرزق مقسوم على ضربين:أحدهما واصل إلى صاحبه وإن لم يطلبه، والآخر معلّق بطلبه فالذي قسّم للعبد على كلّ حال آتيه وإن لم يسع له والذي قسّم له بالسّعي فينبغي أن يلتمسه من وجوهه وهوما أحلّه الله دون غيره ، فان طلبه من جهة الحرام فوجده حسب عليه برزقه وحوسب به.

(و نهج سبيل الراغبين إليه والطالبين ما لديه) كما قال سبحانه:

« لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً » .

أراد أنّه تعالى أوضح السّبيل للراغبين إلى النظر إلى وجهه الكريم ، و الطالبين لما عنده من الفوز العظيم بما وضعه لهم من الشرع القويم والدين المستقيم (وليس بما سئل بأجود منه بمالم يسأل) تنزيه له سبحانه عن صفات الخلق فانّهم يتحركون بالسؤال و تهزهم الطلبات فيكونون بما سألهم السائل أجود منهم بمالم يسألوا ، لكونه أسهل عندهم و أقرب إلى الانجاح ، إذ السائل لايسأل ما ليس في وسع المسؤول عنه و ما هو أعزّ عنده و لذلك كانوا بما سئلوا أجود، و أما الله تبارك وتعالى

فليس في عموم جوده و خزانة كرمه تفاوت بين المسؤول و غيرالمسؤول.

بيان ذلك على ماحقّقه الشّارح البحراني (ره) أنّ فيضان ما صدر عنه سبحانه له اعتبار ان :

أحدهما بالنظر إلى جوده ، و هو من تلك الجهة غير مختلف في جميع الموجودات بل نسبتها إليه على سواء بذلك الاعتبار فلايقال: هو بكذا أجود منه بكذا وإلاّ لاستلزم ذلك أن يكون ببعض الأشياء أبخل أو اليها أحوج فيلزمه النقصان تعالى الله عن ذلك علوّا كبيراً .

الثّانى بالنظر إلى الممكن نفسه ، والاختلاف الواقع في القرب والبعد إلى جوده إنّما هو من تلك الجهة فكلّ ممكن كان أتمّ استعداداً و أقبل للوجود وأقلّ شرطاً و معانداً كان أقرب إلى جوده.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ السّائل إن حصل له ما سأله من الله دون ما لم يسأل فليس حرمانه ممالم يسأل لعزّته عندالله ، و ليس بينه و بين المسؤول بالنسبة إلى جوده تفاوت، بل إنّما خصّ بالمسؤول لوجوب وجوده له عند تمام قبوله له بسؤاله دون مالم يسأله ولو سأل مالم يسأله و استحقّ وجوده لما كان في الجود الالهى بخل به ولا منع في حقه، و ان عظم خطره و جلّ قدره ولم يكن له أثر نقصان في خزائن ملكه و عموم جوده.

(الأوّل الذى لم يكن له قبل فيكون شيء قبله ، والآخر الذى ليس له بعد فيكون شيء بعده) قدسبق في شرح الخطبة الرابعة والستين معنى أوليّته و آخريته تعالى و ظهر لك هناك أن أوليّته لاينافي آخريّته ، و آخريّته لاينافي أوليّته ونزيد هنا بيانا ونقول: إنّ الأشياء في سلسلة الوجود بداية و نهاية منتهية إليه سبحانه، فهو أوّل الأشياء و آخرها ليس شيء قبله ولاشيء بعده.

قال النيسابورى في تفسيره: معنى الأول والآخر أنه أوّل في ترتيب الوجود و آخر إذا عكس الترتيب ، فانه ينطبق على السلسلة المترتبة من العلل إلى المعلولات و من الأشرف إلى الأخسّ و على الاخذ من الوحدة إلى الكثرة ممايلي الأزل

إلى ما يلى الأبدو مما يلى المحيط إلى ما يقرب من المركز ، فهو تعالى أوّل بالترتيب الطبيعى و آخر بالترتيب المنعكس ، انتهى.

و مراده بالترتيب المنعكس أنّ الأشياء إذا نسبت إلى أسبابها وقفت عنده، وذلك انك إذا نظرت إلى وجود شيء، وفتّشت عن سببه ثمّ عن سبب سببه وهكذا فتنتهى بالآخرة إليه تعالى ، لأنّه آخر ما ينحلّ إليه اجتماع أسباب الشّيء، فظهر بذلك أن كونه أوّلاً و آخراً إنّما هو بالنّظر إلى ذاته المقدّس لا باعتبار تقدّمه زماناً وتأخّره زماناً ، لكون الزمان متأخّراً عنه تعالى إذ هو من لواحق الحركة المتأخّرة عن الجسم المتأخّر عن علّته، فلا يلحقه القبليّة والبعديّة الزمانية فضلاً أن تسبق عليه أو تلحق به ، فلم يكن شيء قبله ولا بعده لامن الزمانيات ولامن غيرها.

و ذكر الشّارح المعتزلي في المقام وجها آخر و هو أن يكون المراد أنه الذى لم يكن محدثا أى موجوداً قد سبقه عدم فيقال إنه مسبوق بشيء من الأشياء اما المؤثر فيه او الزمان المقدّم عليه و أنه ليس بذات يمكن فناؤها و عدمها فيما لايزال فيقال إنه ينقضي وينصرف فيكون بعده شيء من الأشياء الزمان أوغيره.

(والرادع اناسىّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه) أراد به امتناع رؤيته سبحانه لكونه تعالى منزها عن الجهة والمكان ، والباصرة لاتتعلّق إلاّ بماكان فيهما وقد تقدّم تفصيل ذلك و تحقيقه بما لامزيد عليه في شرح الخطبة التاسعة والأربعين و هذا اللّفظ و إن كان بظاهره يعطي مذهب الأشاعرة من أنّ الله يجوز إدراكه و رؤيته و لكنه خلق في الأبصار مانعا عن إدراكه ، إلاّ أنّه لابدّ من تأويله وحمله على ما ذكرنا بعد قيام الأدلّة القاطعة من العقل و النقل على استحالة إدراكه من حيث ذاته.

(ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال) أراد بذلك كونه منزّهاً عن لحوق الزمان و عن التغيّرات الجارية على الزّمانيات فانّ مبدء التّغيرات والاختلاف في الأحوال هو الزمان ، فلما كان متعالياً عن الزمان كان منزّها عن اختلاف الحالات الذي هو من لواحق الامكان.

و يوضح ذلك ما رواه في الكافي باسناده عن ابن أبي يعفور قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ :

« هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ».

و قلت : أمّا الأوّل فقد عرفناه ، و أمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره ، فقال : إنه ليس شيء إلاّ يبيد أو يتغيّر أو يدخله التغيّر والزوال أو ينتقل من لون إلى لون و من هيئة إلى هيئة ومن صفة إلى صفة و من زيادة إلى نقصان و من نقصان إلى زيادة إلاّ ربّ العالمين فانّه لم يزل ولايزال بحالة واحدة ، هو الأوّل قبل كلّ شيء وهو الآخر على مالم يزل ، ولايختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره مثل الانسان الذي يكون تراباً مرّة ، و مرّة لحما و دماً و مرّة رفاتاً و رميماً ، و كالبسر الذي يكون مرّة بلحاً (١) ، و مرّة بسراً، ومرّة تمراً ، فتتبدّل عليه الأسماء والصّفات والله عزّ وجلّ بخلاف ذلك.

(ولاكان في مكان فيجوز عليه الانتقال) أراد بذلك تنزيهه عن الكون في المكان لاستلزامه الافتقار الذي هو من صفات الامكان و إذا لم يكن في مكان فلا يجوز عليه الانتقال منه إلى غيره ، إذ جواز الانتقال انما هو من شأن ذي المكان بل :

« هُوَ الَّذي فِي السَّماءِ إِلٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلٰهٌ » .

و نسبة جميع الأمكنة إليه تعالى على سواء:

« وَهُوَ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ نَجْوٰيكُمْ » « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ ».

و قد مرّ تحقيق ذلك في شرح الفصل الخامس و السّادس من فصول الخطبة الأولى فتذكر.

(ولووهب ما تنفّست عنه معادن الجبال و ضحكت عنه أصداف البحار من

١ـ البلح بالتحريك قبل البسر منه.

فلزّ اللّجين والعقيان و نثارة الدّر و حصيد المرجان ما أثّر ذلك في جوده)أشار عليه السلام بذلك إلى سعة جوده سبحانه و عموم كرمه و كمال قدرته و عدم تناهي مقدوراته ، ولايخفى ما فيه من فخامة اللفظ مع عظم المعنى ، حيث إنه عليه السلام شبّه المعادن بحيوان يتنفّس فيخرج من جوفه الهواء، و كذلك المعادن يخرج من بطونها الفلزات ، ثمّ شبّه الأصداف بانسان يضحك و أثبت لها الضّحك بملاحظة أنّ الصّدف أوّل ما ينشقّ و ينفتح و يبد و منه اللؤلؤ يشبه بفم الانسان الضاحك واللؤلؤفيه يشبه بالاسنان واللّحمة فيه تشبه اللّسان فيرقّة طرفه و لطافته.

و لما ذكر ما يخرج من المعادن والأصداف مجملا ، فصّل

بقوله : من فلزّ اللّجين والعقيان ، و هو تفسير لما يخرج من معادن الجبال و إنما خصّهما بالذكر مع عدم الاختصاص لأنهما أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون ويغتنمه أبناء الزمان ، ولا عبرة بالنحاس والرّصاص و نحوهما في جنبهما.

و بقوله : ونثارة الدّر و حصيد المرجان ، وهو بيان لما يخرج من الأصداف والدّر كبار اللؤلؤ والمرجان صغاره و لصغره شبهه عليه السلام بالحبّ الحصيد وربما يطلق المرجان على الخرز الأحمر المعروف قال الشاعر:

أدمى لها المرجان صفحة خدّه و بكى عليها اللّؤلؤ المكنون

هو خرز يخرج من البحر أيضاً ، و ربما فسّر به قوله:

« مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ » .

و لكنه ليس مراداً في كلام الامام عليه السلام ولايمكن حمله عليه كما هو ظاهر.

و كيف كان فالمقصود أنه سبحانه لوبذل جميع ما في الأرض من الكنوز والمعادن البرّية والبحرية لأحد لم يؤثر ذلك في جوده (ولا أنفد سعة ما عنده) من خزائن كرمه (و لكان عنده من ذخائر الأنعام مالا تنفده مطالب الأنام) و ذلك لعدم امكان إحصاء ما عنده بعدّ ، و عدم وقوفه وانتهائه إلى حدّ (لأنه الجواد الذي

لايغيضه سؤال السّائلين ولايبخله الحاح الملحّين) يعني لايوجب سؤال السّائلين على كثرته نقصاناً في جوده و لا إصرار المصرّين بخلاً في كرمه ،لأنّ البخل والنقصان من توابع المزاج ولواحق الامكان ، وهو منزّه عن ذلك بالضرورة والعيان، بل عنده نيل السؤلات و إنجاح الحاجات ، وما يسأله السائلون على كثرته يسير في جوده ، و ما يستوهبه الطالبون على خطره حقير في وسعه و كرمه لايضيق عن سؤال أحد ، و يده بالعطاء أعلى من كلّ يد.

الترجمة

از جمله خطب آنحضرتست که معروف است بخطبهٔ اشباح ، و این از خطبه های جلیله او است و بود سؤال نمود سائلی از او اینکه وصف کند پروردگار عالم را از برای او باندازه که گویا آنرا آشکارا میبیند پس غضب کرد آنحضرت ازاین جهة و فرمود:

حمد و ثنا خدائی را سزاست که بسیار نمیگرداند مال او را منع و امساك نمودن ، و کم نمیگرداند عطاء او را بذل و بخشش کردن از جهت اینکه هرعطا کننده کم کننده است مال خود را سوای او ، و هر منع نماینده مذموم است غیر از حضرت او سبحانه.

او است بسیار احسان کننده بفواید نعمتها و بمنفعتهای زایده وقسمتهای مقدره ، عیال او است مخلوقات ، ضامن شده است بروزیهای ایشان ومقدرفرموده است قوتهای ایشانرا ، واضح نموده است راه راغبانرا بسوی خود و راه طالبانرا بآنچه نزد او است ، و نیست او بآنچه که سؤال کرده شده با جودتر از او بآنچه که درخواسته نشده.

أوّلی استکه نیست او را پیش تا اینکه باشد چیزی قبل از او ، و آخری است که نیست او را بعد تا اینکه شود چیزی پس از آن ، منع کننده است مردمك های دیده‌ها را از اینکه برسد بذات او یا درك نماید او را ، مختلف نشده است بر او روزکار پس مختلف شود از او حال ، و نبوده است در مکان تا جایز باشد بر

او انتقال.

و اگر ببخشد آنچه که‌نفس کشیده است از او معدنهای کوهها وخندیده است از او صدفهای دریاها که عبارت باشد از گداخته نقره و طلا و از پاشیده درّ در دیدهٔ مرجان ، اثر نمیکند اینهمه در جود واجب الوجود ، و تمام نمیسازد وسعت آنچه را که نزد او است ، و هر آینه هست نزد او از ذخیرهای نعمت ها آنقدری که بپایان نمیرساند آنرا مطلوبهای خلایق از جهت آنکه او استجواد و بخشنده که ناقص نمینماید جود او را سؤال‌سؤال کننده‌ها، وبخیل‌نمیسازد‌اورا اصرار و مبالغه نمودن مبالغه کننده‌ها .

الفصل الثاني

فَانْظُرْ أيُّهَا السّائِلُ فَما دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ ، وَاسْتَضِيءْ بِنُورِ هِدايَتِهِ ، وَما كَلَّفَكَ الشَّيْطانُ عِلْمَهُ مِمّا لَيْسَ فِي الْكِتابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ ، وَلا في سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأئِمَّةِ الْهُدى أثَرُهُ ، فَكِلْ عِلْمَهُ إلَى اللهِ سُبْحانَهُ ، فَإنَّ ذلِكَ مُنْتَهى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ ، وَاعْلَمْ أنَّ الرّاسِخينَ في الْعِلْمِ هُمُ الَّذينَ أغْناهُمْ عَنِ اقْتِحامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ ، الْإقْرارُ بِجُمْلَةِ ما جَهِلُوا تَفْسيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللهُ اعْتِرافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَناوُلِ ما لَمْ يُحيطُوا بِهِ عِلْماً، وَسَمّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فيما لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلى ذلِكَ ، وَلا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحانَهُ عَلى قَدْرِ عَقْلِكَ ، فَتَكُونَ مِنَ الْهالِكينَ .

هُوَ الْقادِرُ الَّذي إذا ارْتَمتِ الأَوْهامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ، وحاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّءُ مِنْ خَطَراتِ الْوَساوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِى عَميقاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتِ الْقُلوُبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ في كَيْفِيَّةِ صِفاتِهِ، وَغَمضَتْ مَداخِلُ الْعُقُولِ في حَيْثُ لا تَبْلُغُهُ الصِّفاتُ لِتَنالَ عِلْمَ ذاتِهِ، رَدَعَها وَهِيَ تَجُوبُ مَهاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لا يُنالُ بِجَوْرِ الاِعْتِسافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ، وَلا تَخْطُرُ بِبالِ أُولِي الرَّوِيّاتِ خاطِرَةٌ مِنْ تَقْديرِ جَلالِ عِزَّتِهِ، الَّذي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلىٰ غَيْرِ مِثالٍ امْتَثَلَهُ، وَلا مِقْدارٍ احْتَذىٰ عَلَيْهِ، مِنْ خالِقٍ مَعْبُودٍ كانَ قَبْلَهُ، وَأَرانا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ وَعَجايِبِ ما نَطَقَتْ بِهِ آثارُ حِكْمَتِهِ وَاعْتِرافِ الْحاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلىٰ أَنْ يُقيمَها بِمَساكِ قُوَّتِهِ، ما دَلَّنا بِاضْطِرارِ قِيامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَظَهَرَتْ فِي الْبَدايِعِ الَّتي أَحْدَثَها آثارُ صَنْعَتِهِ، وَأَعْلامُ حِكْمَتِهِ، فَصارَ كُلُّ ما خَلَقَ حُجَّةً لَهُ، وَدَليلاً عَلَيْهِ، وَإِنْ كانَ خَلْقاً صامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبيرِ ناطِقَةٌ، وَدَلالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قائِمَةٌ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبايُنِ أَعْضاءِ خَلْقِكَ، وَتَلاحُمِ حِقاقِ مَفاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَميرِهِ عَلىٰ مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُباشِرْ قَلْبَهُ الْيَمينَ «الْيَقينَ خ» بِأَنَّهُ لا نِدَّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّءَ التّابِعينَ

مِنَ الْمَتْبُوعِينَ ، إِذْ يَقُولُونَ : « تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ » كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ ، وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ ، وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ ، وَأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً ، وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً .

اللغة

(رسخ) في العلم يرسخ من باب منع رسوخا إذا ثبت فيه و (الاقتحام) الدّخول في الشّيء مغالبة و بشدّة من غير رويّة و (السّدد) جمع السدّة كغرف و غرفة وهي كالسّقيفة فوق باب الدار ليقيها من المطر ، و قيل : هي الباب نفسه و منه حديث أمّ السلمة أنّها قالت لعايشة لما أرادت الخروج إلى البصرة إنّك سدّة بين رسول الله و بين امّته فمتى أُصيب ذلك الباب شيء فقد دخل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حريمه .

و (التعمّق) في الأمر المبالغة لطلب أقصى غايته و (ارتمى) القوم بالنّبل اى تراموا و (خطرات الوساوس) ما تقع في البال و في بعض النسخ خطر الوساوس وهو بسكون الطاء الهاجس(١) كالخاطر و (تولّهت)القلوب إليه أصابها الوله

١- هجس الشى فى صدره خطر بباله أو هو أن يحدث نفسه فى صدره مثل الوسواس.

وهو بالتحريك التحيّر أو ذهاب العقل و(غمض) الحق غموضا من باب قعد خفى مأخذه وغمض بالضم لغة و(علم ذاته) قال الشّارح المعتزلي : أنكر قوم جواز إطلاق الذّات على الله سبحانه لأنّها لفظة تأنيث والباري سبحانه منزّه عن الأسماء والصّفات المؤنثة ، وأجاز آخرون إطلاقها علبه واستعمالها فيه لوجهين : أحدهما أنها جائت في الشعر القديم قال جنيب الصخار عند صلبه :

وذلك في ذات الاله و ان يشاء يبارك على أوصال شلو (١) موزّع(٢)

ويروى ممزّغ أى مفرّق وقال النابغة :

محلّتهم ذات الاله ودينهم قديم فما يخشون غير العواقب

والثّاني أنها لفظة اصطلاحية لأنها على مؤنث لكنها تستعمل ارتجالاً في مسمّاها الذي عبّر عنه بها أرباب النّظر الالهى كما استعملوا لفظ الجوهر والعرض في غير ماكان أهل اللّغة يستعملونها فيه .

و(جاب) الأرض يجوبها جوباً قطعها و(المهاوى) جمع المهواة و هي ما بين الجبلين و(السّدف) جمع السدفة وهي الظلمة و(جبهه) كمنعه ضرب جبهته وردّها و(عسف) عن الطّريق مال وعدل كاعتسف وتعسّف أوخبط على غير هداية و (المثال) المقدار يقال : هذا على مثاله أى على مقداره وصفة الشيء يقال هذا على مثال ذاك أى على صفته و(امتثله) وتمثّل به أى اقتداه واتّبعه يقال: امتثل طريقته إذا تبعها فلم يعدها و (حذا) النعل بالنعل أى قطعها و قدرها عليها و حذا حذو زيد إذا فعل فعله .

و(المساك) ما يمسك به و(التلاحم) كالالتحام التلائم والالتئام لفظاً و معنى يقال : تلاحم الجرح والتحم للبرء إذا التأم و(الحقاق) جمع حقه يقال : إنه لنزع الحقاق أى منازع في صغار الأشياء مأخوذ من حقاق العرفط (٣) و هي صغاره

١ـ الشلو العضو والجسد من كلّشى، ق ٢ـ موزّع اى مقسم

٣ـ بيشه زار .

و(المحتجبة) بصيغة المفعول المستترة أى المستورة وفي أكثر النسخ بصيغة الفاعل أى المتخذة لأنفسها حجاباً ففايدة الافتعال الاتحاد و(اليمين) إما بمعنى القوّة أو بمعنى القسم وفي بعض النسخ اليقين بدله وهوأظهر إلاّ أنّ الأوّل أبلغ كما تطلع عليه و(النّد) المثل و(العادلون بك) من العدل وهوالمثل والنظير و منه : عدلوا بالله ، أى أشركوا وجعلوا له مثلا و(النحلة) النسبة بالباطل ومنه انتحال المبطلين و(الخلقة) بالكسر الفطرة كالخلق .

الاعراب

الاقرار بالضمّ فاعل أغناهم ، وعلماً منصوب على التميز ، ورسوخا مفعول ثان لسمّى ، وردعها جواب اذا ارتمت ، وجملة وهي تجوب في محل النصب على الحال والعامل ردع، ومتخلّصةً حال أيضاً إما من مفعول ردع أو فاعل تجوب، و معترفة حال من فاعل رجعت ، ومن خالق متعلّق بمقدّر صفة بمقدار أى صادر من خالق أو مأخوذ من خالق .

وجملة وأرانا عطف على ابتدع ، واعتراف بالجرّ عطف على عجائب ، وإلى أن متعلّق بالحاجة ، وما دلّنا مفعول ثان لأرانا ، وجملة وظهرت عطف على ابتدع أيضاً ؛ ولم يعقد بالبناء على الفاعل خبران ، و غيب ضميره بالنصب مفعوله ، و في بعض النسخ بالبناء على المفعول فيكون غيب ضميره بالرفع ساداً مسدّ الفاعل والباء في قوله بما تنزّلت سببية .

المعنى

اعلم أنه عليه السلام لما حمدالله سبحانه و أثنى عليه في الفصل السّابق بما يليق ذاته تعالى من صفات الجمال و نعوت الجلال ، عقّبه بهذا الفصل المتضمّن لتنبيه السّائل على خطائه في سؤاله الناشي عن توهّمه جواز معرفة الله سبحانه على وجه تكون بمنزلة الرّؤية بالعيان ، ولما كان ذلك محالا في حقّ الله القدّوس السّبوح السّبحان أوجب ذلك السؤال غضبه وتغيّر لونه عليه السلام كما تقدّم ذكره سابقاً .

وهذا الفصل مشتمل على مقاصد ثلاثة .

المقصد الاول

متضمّن لتأديب السّائل ولساير النّاس من الحاضرين والغائبين في وصفهم لله سبحانه ولتعليمهم كيفية السلوك في مدح الله والثناء عليه بما هو أهله، وللنّهي عن التعمّق والخوض في ذات الله و صفاته ، والتّكلف فيها بما فوق الاستطاعة ، والخطاب فيه و إن كان مخصوصاً بالسّائل إلاّ أنّه عام لجميع النّاس، إذا لعبرة بعموم الغرض لا بخصوص الخطاب و المخاطب ولذلك نادى : الصّلاة جامعة و قصد اجتماع النّاس .

وكيف كان وإلى ما ذكرنا نبّه بقوله : (فانظر أيّها السّائل فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به واستضيء بنور هدايته) أمر عليه‌السلام بالرّجوع إلى القرآن الكريم والكتاب الحكيم والاقتداء به والاستضائة بأنوار هدايته والأخذ بأوصاف القدس والجلال ونعوت العظمة والكمال المدرجة فيه ، فانه أدلّ دليل وأوضح سبيل وهو كلام الحقّ سبحانه وهو أعلم بصفاته من غيره فما وصف به فيه نفسه فهو الحقّ أحقّ أن يتّبع ، وما نزّه ذاته عنه فهو الباطل ينبغي تنزيهه منه .

« إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَما هُوَ بِالْهَزْلِ » .

وقد دلّت الآيات الكريمة على أنّه تعالى ربّ ، رحمان ، رحيم ، شهيد ، عليم ، حكيم ، قادر ، قاهر، قديم، خالق، رازق ، كريم ، سميع ، بصير، خبير، غفور، شكور، مجير، عزيز، متكبّر، جبار، قوى ، منتقم ، قهار، إلى غير هذه ممّا فيها من الأسماء الحسنى والأمثال العليا ، وقد تضمّنت مضافاً إلى ذلك أنه

« لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ » « وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً » « وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » .

فانّ هذه الآيات الثلاث نصّ في عدم إمكان معرفته حقّ المعرفة وعدم جواز إدراكه

بالأبصار و بمشاهدة العيان **أما الاية** الاولى فظاهرة **وأما الثانية** فلأنّ كلّ من أبصر شيئاً فقد أحاط به علما لاخلاف لأحد فيه **وأما الثالثة** فلأنّ الابصار عبارة عن حصول صورة الشيء في حسّ البصر فما لا مثل له لايمكن حصول صورته في الحسّ وحيث إنه ليس كمثله شيء امتنع تعلّق الأبصار به فظهر من كلّ ذلك بطلان ما توهّمه السّائل.

ونظير إرشاده عليه السلام للسّائل إلى الرجوع إلى القرآن والائتمام به إرشاد أبي الحسن الرّضا عليه السلام لأبي هاشم الجعفري إلى الرجوع إليه والأخذ به على ما رواه في الكافي عن محمّدبن يحيى عن أحمدبن محمّد عن أبي هاشم الجعفري عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: سألته عن الله هل يوصف؟ فقال عليه السلام: أما تقرء القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرء قوله تعالى:

« لاٰ تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ ».

قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: ما هي؟ قلت: أبصار العيون قال عليه السلام: إنّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لايدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام.

فانّ السّائل لما استفهم عن جواز وصفه تعالى بالرّؤية أراد عليه السلام التنبيه والارشاد له على نفي الرّؤية مطلقا عنه تعالى بآية القرآن، و لما ظهر من حال السّائل أنه قرء القرآن وقرء قوله تعالى: لاتدركه الأبصار، ولم يعرف من الأبصار إلاّ أبصار العيون عرّفه عليه السلام أنّ أوهام القلوب أكبر و أقوى في باب الادراك من أبصار العيون، لسعة دائرة الاولى و قصور دائرة الثانية من حيث إنّ الوهم رئيس الحواس الظّاهرة والباطنة و مستخدمها و مستعملها، كما أنّ القلب أعنى العقل رئيس الوهم ومخدومه، فالأولى أن يكون معنى الآية لا تدركه الأوهام ليدلّ على نفي الادراك مطلقا إذ كلّ ما يدركه الوهم لايدركه البصر بخلاف العكس.

وفي الكافي باسناده عن عبدالرحيم بن عتيك القصير قال: كتبت على يدى عبدالملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام: إنّ قوماً بالعراق يصفون الله تعالى

بالصورة والتخطيط ، فان رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التّوحيد ؟ فكتب إليّ : سألت رحمك الله عن التّوحيد وما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء و هوالسّميع البصير ، تعالى عما يصفه الواصفون المشبّهون لله بخلقه المفترين على الله ، فاعلم رحمك الله أنّ المذهب الصحيح في التّوحيد مانزل بهالقرآن من صفات الله تعالى ، فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه هوالله الثابت الموجود تعالى الله عمّا يصفه الواصفون و لاتعدّوا القرآن فتضلّوا بعد البيان .

قال صدر المتألهين: في شرح الحديث: قوله عليه السلام: فانف عن الله البطلان والتشبيه أمر بنفي التعطيل والتشبيه فان جماعة أرادوا تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات فوقعوا في التعطيل ونفي الصفات رأساً وجماعة اخرى أرادوا أن يصفوه بصفاته العليا وأسمائه الحسنى فأثبتوا له صفات زايدة على ذاته فشبّهوه بخلقه فأكثر النّاس إلاّ القليل النادر منهم بين المعطل والمشبّه .

قوله عليه السلام : فلا نفي ولاتشبيه ، أي يجب على المسلم أن لايقول بنفي الصفات ولا باثباتها على وجه التشبيه ، و قوله : هوالله الثابت الموجود ، إشارة إلى نفي التعطيل والبطلان ، وقوله تعالى عمّا يصفه الواصفون إشارة إلى نفي التشبيه ، فانّ الواصفين هم الذين يصفون الله بصفات زايدة ويقال لهم : الصّفاتية و كلّ من أثبت لله صفة زايدة فهو مشبّه لا محالة .

و قوله عليه السلام : فلا تعدّوا القرآن فتضلّوا بعد البيان ، أي فلا تجاوزوا ما في القرآن بأن تنفوا عن الله ما ورد في القرآن حتّى تقعوا في ضلالة التعطيل والله يقول :

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »

أو تثبتوا لله من الصّفات ما يجب التنزيه عنها حتّى تقعوا في زيغ التشبيه والله يقول :

« سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ » هذ .

ولما أمر عليه السلام بالرجوع إلى القرآن والاقتداء به والاستضائة بأنواره والأخذ بما ورد فيه من صفات الحقّ تعالى شأنه وتقدّس ذاته أردفه بقوله : (و ما كلّفك الشّيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه فان ذلك منتهى حقّ الله عليك) ومراده عليه السلام بذلك المنع من تكلّف مالم يفرض علمه على المكلّفين ، والرّدع عن الخوض فيما لم يثبت وجوب معرفته على العباد في الكتاب المبين ، ولا في سنّة النّبيّ الأمين وأئمة الدّين سلام الله عليهم أجمعين ، معلّلاً بأنّ منتهى حقّ الله على العباد أن يقولوا بما دلّ عليه القرآن ، ويصفوه بالأوصاف الثّابتة في الفرقان ، و ينتهوا عما رفع علمه عنهم ويكلوا علمه ويفوّضوه إلى الله السّبحان مشيراً إلى أن تكلّف ما يزيد على ذلك من تكليفات الشّيطان اللّعين وتدليساته ووساوسه ليضلّ به عن النهج القويم والصّراط المستقيم .

وان شئت توضيح ذلك فأقول : إنّ الكتاب الكريم قددلّ على أنّه سبحانه عالم وأنه بكلّ شيء محيط ، فيجب لنا الاذعان بذلك و عقد القلب عليه ، و أمّا البحث عن كيفيّة علمه وأنه على أيّ نحو هو فلا يجب علينا ، وربما يؤدّى التعمق فيه إلى الضّلال كما ضلّ فيه كثير من الحكماء.

فمنهم من تحيّر في معرفته فنفاه رأساً ، ومنهم من ضاق به الخناق إلى الاطلاق فنفى علمه بالجزئيات ، ومنهم من قرّره على وجه أوجب القول بكون الذّات فاعلا وقابلاً وبكونه متّصفاً بصفات غير سلبية ولا اضافية إلى غير ذلك من المفاسد التي نشأت من كثرة البحث فيه على ما مرّ تفصيلا في تنبيه الفصل السّابع من فصول الخطبة الأولى .

و كذلك قد ورد في القرآن أنّه تعالى خالق الأشياء و مبدعها ، فيجب لنا الاعتقاد به و ليس بفرض علينا أن نتكلّف البحث في كيفيّة الخلقة حتّى نقع في

الضلال البعيد كما وقع فيه الفلاسفة المثبتة للعقولات العشرة المبتنية على ماذهبوا إليه من أنّ الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد ، فانّهم لمّا ذهبوا إلى أنّ الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد ألجأهم ذلك واضطرّهم إلى القول بالعقولات مع أنه مخالف لاصول الشّريعة ولم يرد به كتاب ولا سنّة .

وهكذا البحث والتعمق في ساير الصفات ، ومثله البحث في متشابهات الآيات مثل قوله سبحانه :

« الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى » و قوله : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » « وَجَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » .

وغيرذلك ، فالواجب في كلّ ذلك وكول علمه إلى الله سبحانه وردّه عليه كما أبان عنه الكتاب العزيز في سورة آل عمران حيث قال :

« هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ » .

روى أبو بصير عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : سمعته يقول : إنّ القرآن زاجر وآمر يأمر بالجنّة و يزجر عن النّار وفيه محكم ومتشابه ، فأمّا المحكم فيؤمن به ويعمل به ويدين به وأمّا المتشابه فيؤمن به ولا يعمل به وهو قول الله :

« فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ » الآية هذا .

(واعلم أنّ الرّاسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السّدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب) يعني أنّ

الرّاسخين في العلم إذا وصلوا إلى المتشابهات و إلى ما جهلوا كشف القناع والغطاء عنها وقفوا عندها واعترفوا بها إجمالاً كما حكى الله عنهم بقوله :

« يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا » .

ولا يتعدّون عن ذلك حتى يقتحموا في المهالك .

فان قلت : من المراد بالرّاسخين في العلم و ما المراد بالغيب المحجوب وما ذا أراد عليه السلام بالسّدد المضروبة دون الغيوب ؟

قلت : أما الرّاسخون في العلم فهم الثابتون فيه والضابطون له كأئمة الدّين وأولياء اليقين الحاملين لأسرار النّبوة وأعباء الولايه و بعض خواصّهم المقتبسين من أنوار الهداية والمهتدين بنور الامامة .

وأمّا المراد بالغيب المحجوب فهو ما غاب عن الخلق علمه وخفى مأخذه إما لعدم الاستعداد والقابليّة وقصور الطبيعة عن الادراك كذات الله وصفاته الذّاتية ؛ و إمّا لاقتضاء الحكمة والمصلحة للاخفاء ، كعلم السّاعة وما في الأرحام ونحوهما ممّا حجب الله علمه عن العباد ، ومن ذلك القبيل الآيات المتشابهة .

وأمّا المراد بالسّدد المضروبة فهي الحجب المانعة من الوصول إلى الغيب، وهي بالنسبة إلى الغيب المحجوب بها على قسمين :

احدهما ما هي قابلة للارتفاع إمّا بالرّياضات والمجاهدات كما يحصل للبعض فيعرف ضماير بعض العباد و يطلع على بعض المخبيات و يخبر عن بعض المغيبات ، و إمّا بتعليم من الله سبحانه كما كان في حق الأنبياء والأولياء فانّ عمدة معجزاتهم كانت من قبيل معرفتهم بالغيب و إخبارهم من المغيبات ، و إليه الاشارة في قوله تعالى :

« وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاّ هُوَ » .

يعني أنّه عالم بكلّ شيء من مبتدءات الامور وعواقبها ، وأنّه الذي يفتح باب العلم ويرفع الحجاب عن الغيب لمن يريد من الأنبياء والأولياء ، لأنّه لا يعلم الغيب

سواه ، ولا يقدر أحد أن يفتح باب العلم به للعباد الا الله ، وقال سبحانه :

« عالِمُ الغيبِ فلا يُظهِرُ على غيبه أحداً إلاّ مَنِ ارتضى مِن رسولٍ »

أراد أنّ من ارتضاه واختاره للنبوّة والرّسالة فانّه يطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة .

وعن الخرايج عن الرّضا عليه السلام في تفسير هذه الآية فرسول الله عندالله مرتضى ، ونحن ورثة ذلك الرّسول الذي اطلعه الله على ما يشآء من غيبه فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

ومن هذا الباب معرفتهم بالمتشابهات وعلمهم بتأويلها بسبب تعليمه تعالى بوحي أو الهام ، و لا منافاة بين إقرارهم بجملة ما جهلوا تفسيره منها من تلقاءِ نفسهم و وكول ذلك إلى ربّهم كما حكاه الله و حكاه عليه السلام عن الرّاسخين و بين معرفتهم الحاصلة بتعليمه سبحانه بل ربما يشير إليه قوله سبحانه :

« قُلْ لاأقولُ لَكُمْ عِنْدي خزائِنُ اللهِ وَلاأعلَمُ الْغيبَ وَلاأقولُ لَكُمْ إنّي مَلَكٌ إنْ أتّبِعُ إلاّ ما يُوحى إليّ » فافهم جيّداً .

القسم الثاني ما هي غير قابلة للارتفاع كحجب النور المانعة من الوصول إلى الحق والاكتناه في ذاته .

بيان ذلك : أنّ الله سبحانه متجلّ لذاته بذاته و محتجب عن مخلوقاته ، واحتجابه ليس لخفاء ذاته بل لشدّة نوره و غاية ظهوره و كمال ذاته ، فغاية ظهوره أوجب بطونه ، و شدّة نوره أوجب اختفائه واحتجابه ، من حيث قصور عقول البشر عن إدراكه كمثال نور الشّمس وبصر الخفاش على ما حقّقناه في شرح الخطبة الرّابعة والستّين ، وعلى هذا فلا سبيل إلى معرفة الحقّ سبحانه إلاّ بواسطة صفاته السّلبية والاضافية ، و لا نهاية لهذه الصّفات و لمراتبها ، فالعبد لا يزال

يكون مترقّيا فيها فان وصل إلى درجة وبقى فيها كان استغراقه في مشاهدة تلك الدّرجة حجاباً له عن الترقي إلى ما فوقها .

ولما كان لا نهاية لهذه الدّرجات كان العبد دائماً في السير والانتقال بحسب قوّة عقله واستعداد ذاته إلى أن يبلغ إلى مقام عجز عن التّرقي إلى ما فوقه ، ويقصر عن إدراكه ، و هذا شأن الرّاسخين السّالكين في مقام السّلوك بقدمي العرفان المترقين في مقام المعرفة من مرتبة إلى مرتبة حتّى يقصروا عن الترقى إلى مافوقها فيغنيهم حينئذ عن اقتحام السدد المضروبة اعترافهم بجملة ماجهلوا تفسيره على ما أشار إليه الامام عليه السلام (فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً) .

عجز الواصفون عن صفتك اعتصام الورى بمغفرتك
تب علينا فانّنا بشر ما عرفناك حقّ معرفتك

(فاقتصر) أيّها السّائل (على ذلك) أى على ما دلّ عليه الكتاب العزيز من صفته (ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين) الذين اعتقدوا أنّ عقلهم قدّره سبحانه وأحاط به علماً ، و صغّروا عظمته سبحانه بحسب عقلهم الضعيف مع أنّ عظمته تعالى أجلّ وأعظم من أن يضبطها عقل بشرى ، وإنما منشأ ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم لمثليّة الله لمدركاته من الأجسام والجسمانيات ، وذلك في الحقيقة كفر لاعتقاد غير الصّانع صانعاً ، وضلال عن طريق معرفة الله ، مستلزم للهلاك الدّائم ، والخزي العظيم .

المقصد الثاني

متضمن للتنبيه على عجز العقول عن الاكتناه في ذاته تعالى و عن معرفتها به حقّ المعرفة ، ولبيان أنّ حقّها وحظّها الاستدلال عليه بآيات العظمة و آثار الصّنع والقدرة ودلائل الملك والملكوت .

أما الاول فهو قوله : (هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع

قدرته وحاول الفكر المبرء من خطرات الوسواس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولّهت القلوب إليه لتجري في كيفيّة صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصّفات لتنال علم ذاته ردعها) و هذه الجملة أعني قوله عليه السلام إذا ارتمت إلى الآخر شرطية متصلة متعدّدة المقدم متّحدة التّالى وهوردعها ، وهي بمنزلة شرطيّات متعدّدة .

والمقصود بذلك أنّ الأوهام إذا ترامت واسترسلت مجدّة في التفتيش عن منتهى قدرته ، نكصت عن ذلك ، لأنّ قدرته تعالى متعلّق بجميع المقدورات لانهاية له حتّى يبلغ الأوهام إلى غايته ومنتهاه.

و إنّ الفكر الصافي الخالي عن وساوس الشّيطان و شوائب الأوهام إذاقصد أن يقع على ذاته ويستثبتها بكلّ ماينبغي لها من الكمالات في عميقات مغيبات عزّته و سلطانه ومملكته، كلّ و حسر لقصوره عن إدراك مالانهاية له.

وانّ القلوب إذا اشتدّ شوقها إليه وتولهت نحوه لتقف على كيفيّة صفاته عجزت، وذلك لأنّ صفاته كذاته قديمة و الكيف مهيّة امكانيّة مفتقرة إلى الجعل حادثة وهو سبحانه منزّه عن كونه محلاّ للحوادث فليس لذاته وصفاته كيفيّة حتّى يقف عليها العقول و لذلك قال أبوعبدالله عليه السلام : و كيف أصفه بالكيف و هو الذى كيّف الكيف حتّى صار كيفاً ، فعرّف الكيف بما كيّف لنا من الكيف.

و أنّ العقول إذا غمضت مداخلها أى خفيت مواقع دخولها في دقايق العلوم النّظرية الالهية بحيث لاتوصف لدقتها طالبة ان تعلم حقيقة ذاته انقطعت و أعيت لقصور العقول عن الوصول إلى حقيقة ماليس بذى حدّ ولاتركيب.

و محصّل الكلام أنّ هذه القوى التي هي أعظم المشاعر الانسانية لوحاولت التعمّق والاستقصاء في معرفة ذات الله الأعلى و صفاته الحسنى و أرادت الخوض في بحار ملكه و ملكوته ، وقفت خاسئة و رجعت حسيرة ، لقصورها عن إدراك هذه المطالب العظيمة وردعها الله تعالى عن ذلك و منعها من أن تحوم حول ذلك .

(وهي تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلّصة إليه سبحانه) أى تقطع مهاوى

ظلمات الغيوب حالكونها متوجّهة بكلّيتها إليه سبحانه في طلب إدراكه تعالى (فرجعت إذجبهت)وردّت(معترفة)و مذعنة(بأنّه لاينال بجور الاعتساف كنه معرفته) أي لاينال باعتساف المسافات التي بينها و بينه وبشدّة الجولان في تلك المنازل إلى كنه معرفته سبحانه.

إذ بينه و بين خلقه منازل غير متناهية ، و معارج غير مستقصاة بعضها نورانيّة و بعضها ظلمانيّة لابد للسّالك من قطع جميعها حتّى يصل إلى باب الرّبوبية ، و أنّى له بذلك و أين التراب من ربّ الأرباب فجور الاعتساف غير نافع في تحصيل مالا يمكن.

(و) لذلك اعترفت العقول بأنّه لاينال بذلك كنه معرفته كما اعترفت بأنه (لاتخطر ببال اولى الرّويات خاطرة من تقدير جلال عزّته) إذ كلّ ما يخطر ببال أرباب الفكر و كلّ ما يتصوّره اولوالنظر في حقّه سبحانه و إن كان جليلا عظيماً فهو أجلّ و أعظم من ذلك ، لأنّ ذلك صفة الواصفين لاصفةالرّب العظيم.

قال فضيل بن يسار فيمارواه عنه في الكافي : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ الله لايوصف و كيف يوصف وقد قال في كتابه:

« وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه » .

فلايوصف بقدر إلاّ كان أعظم من ذلك.

وروى عن محمّدبن عليّ الباقر عليه السلام أنّ كلّ ماتصوّره أحد في عقله أو وهمه أو خياله فالله سبحانه غيره و ورائه ، لأنّه مخلوق و المخلوق لايكون من صفات الخالق.

(الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولامقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله) أراد بذلك التنبيه على كون ايجاده للعالم بمحض الابداع والاختراع و عدم كونه مستفاداً من الغير.

بيان ذلك أن الصّنايع البشريّة إنما تحصل بعد أن يرتسم في القوّة المتخيلة

صورة المصنوع بل و كلّ فعل لايصدر إلاّ بعد تصوّر وصفه و كيفيته أولا.

و هذه التصورات تارة تحصل عن أمثلة للمصنوع ومقادير خارجيّة له يشاهدها الصّانع و يحذ و حذوها كما يفعل التلميذ في الصّباغة شيئاً قدمثل له استاده هيئته وصورته فيفعل نظيره.

و تارة بمحض الالهام والافاضة على قلبه كما يفاض على أذهان كثير من الأذكياء والمصوّرين صورة شكل لم يسبق إليه غيره ، فيصوّره في قلبه ويبرز صورته في الخارج على طبق ما افيض على قلبه ، و كيفيّة صنع الله سبحانه منزّهة عن كونها على أحد الوجهين.

اما الوجه الأوّل فلما مرّ في شرح الفصل السّابق من أنه سبحانه قبل القبل بلاقبل فليس قبله خالق مثل مثالا فاتّبعه سبحانه ، ولاقدر مقداراً فقطع على قدره و احتذى عليه تعالى شأنه.

و أما الوجه الثاني فلأنّ الصورة المفاضة والمثال الملهم مستندان إلى المفيض والملهم مستفادان من الغير فعلان له ، و ليس قبله تعالى غير حتّى يستفيد ويستفيض منه مضافا إلى استلزامه الافتقار تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيرا ، هذا.

واما الثانى أعني بيان جواز الاستدلال عليه تعالى و إمكان معرفته بآيات القدرة وأدلة العظمة فهو قوله (وأرانا من ملكوت قدرته) أي من ملكها كما قال الله :

« فَسُبْحَانَ الَّذي بِيَدِهِ مَلَـكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ » .

أي بقدرته ونسبته إلى القدرة لكون القدرة مبدء الوجود كلّه فهي مبدء المالكيّة (وعجائب ما نطقت به آثار حكمته) أي عجائب ماأفصحت عنه الأفعال والأحكام الصادرة عن وجه الحكمة والمصلحة على أحسن ترتيب و نظام ، و تمام إتقان و انتظام.

(و اعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوّته) الموجود في النسخ التي رأيناها يقيمها بضمير التأنيث فلابدّ من رجوعه إلى الخلق باعتبار ملاحظة المعنى ، إذا لمراد المخلوقات بجميعها ، و يحتمل رجوعه إلى الحاجة على تكلّف ،

والمقصودافرار الخلايق واعترافهم بالاحتياج والافتقار إلى أن يقيمهم ويجبرفاقتهم بقدرته و قوتهالماسكة التي تمسك السّماء والأرض أن تزولا ، و اعتراف بعضهم بلسان الحال و بعضهم بلسان الحال و المقال.

(ما دلّنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته) أى أرانا من ملكوت القدرة وآثار الحكمة واعتراف الموجودات بالحاجة دليلا وافياوبرهاناً كافياًدلّناعلىمعرفته سبحانه ، بسببقيامالحجّةله تعالى بالضّرورة والبداهة .

و بعبارة اخرى أرانا ممّا ذكر ماكان لنا دليلا على معرفتهمن أجل ضرورية الحجة القائمة له على الخلايق في باب المعرفة و بداهتها (و ظهرت في البدايع التي أحدثها آثار صنعتهو أعلام حكمته) أى ظهرت في الحوادث البديعة المعجبة التي أحدثها و أوجدها آثار تدلّ على صانعيّته و علامات يستدلّ بها علىحكمته (فصار كلّ ما خلق) في الأنفس والآفاق (حجّة له و دليلا عليه و إن كان خلقا صامتا) لأنّ افتقاره الذاتي دليلعلىحاجته إلى المؤثر المبدع و إنلميكنمفصحا عنه بلسانه ، إما لعدمكونه ذالسان كالجماد والنبات ؛ و إما لكفره وإلحاده كبعض أفراد الانسان.

(فحجّتهبالتّدبير ناطقة و دلالته على المبدع قائمة) يحتمل رجوع الضميرفي حجّته ودلالتهإلى الخلق الصامت ، و يحتمل رجوعه إلىالله سبحانه ، والثاني أظهر، والمراد أنّ حجّته تعالىناطقةبكونه مدبّراً ، ودليلهقائمعلى كونه مبدعاً مؤثّراً .

فحاصل الكلام وفذلكة المرامأنّفيماأبدعه سبحانه في عالم الكونوأحدثه في الأنفس والآفاق شواهد متظاهرةوآياتمتناصرةناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلالة بارئها ، معربة عن كمال حكمته و تدبيره فيها ، منادية لأرباب القلوب بنغماتها ، قائلة:

أما تراني و ماترى صورتي و تركيبي و صفاتي و منافعي واختلافأحوالى و كثرة فوائدي ، أتظنّ أنى خلقت بنفسي أو خلقني أحد من جنسي ، و فعلت هذه الأفاعيل و ما يترتّب عليها من المنافع بطبعي و ذاتي ؟

أو ما تستحيي تنظر إلى كلمة مرقومة في ثلاثة أحرف فتقطع أنه صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلّم ثمّ تنظر إلى عجائب هذه الخطوط المرقومة على وجه الانسان بالقلم الالهي الذى لا يدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحلّ الخطّ ثمّ ينفكّ قلبك من جلالة صانعه ؟

و كذلك النطفة التي كأنها قطرة من الماء المتشابه الأجزاء يقول لمن له قلب أو ألقى السّمع و هو شهيد لا الّذينهم عن السّمع لمعزولون : توهّمني في ظلمة الأحشاء مغموساً في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي ، وقد نقش النقاش حدقتي و أجفاني وجبهتي و خدّى و شفتي ، فترى النقوش يظهر شيئاً فشيئاً على التدريج ولا ترى داخل الرّحم ولا خارجه أحداً ولا خبر منها للاّم ولا للأب ولا للنطفة ولا للرّحم فما هذا النقاش؟

أفلم يكن بأعجب ممّن يشاهده ينقش بقلمه صورة عجيبة لو نظر إليها مرّتين أو أكثر لتعلّمه فهل يقدر أن يتعلّم هذا الجنس من النقش الذي يعمّ ظاهر النطفة و باطنها و جميع أجزائها من غير ملامسة النطفة ومن غير اتّصال بها لا من داخل ولا من خارج؟

فان كنت لا تتعجّب من هذه العجائب ولا تعلم أنّ الذى صوّر و نقش هذه النقوش والأشكال والصّور والأمثال مما لا شبه له ولا ندّ ولا شريك له ولا ضدّ ، كما أنّ صنعه و نقشه لا يساويه نقش و صنع والتباعد والمباينة بين الفاعلين كما بين الفعلين فعدم تعجّبك أعجب من كلّ عجيب، فانّ الذى أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك اليقين مع هذا البيان جدير بأن يتعجّب منه :

« فَسُبْحانَ مَنْ أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ »

وأضلّ وأغوى، وفتح بصائر أحبائه فشاهدوه وهم به مؤمنون وأعمى قلوب أعدائه فقال فيهم

« صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ »

فله الخلق والأمر لا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه.

المقصد الثالث

متضمن للشهادة بالتنزيه والتقديس و أنه سبحانه تعالى شأنه عن مشابهة

مصنوعاته و مجانسة مخلوقاته و هو قوله:

(و أشهد أنّ من شبّهك بتباين أعضاء خلقك و تلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك و لم يباشر قلبه اليمين بأنّه لا ندّ لك) ولايخفى ما فيه من المحسّنات البيانيّة.

أولها أنّه عليه السلام غيّر أُسلوب الكلام والتفت من الغيبة إلى الخطاب على حدّ قوله تعالى: إيّاك نعبد، لأنّ الكلام إذا انتقل من أُسلوب إلى أُسلوب آخر كان أحسن تطرئة لنشاط السّامع، و أكثر ايقاظاً للاصغاء إلى ذلك الكلام.

وثانيها أنّ التشبيه يعتمد على أركان: المشبِّه، والمشبَّه، والمشبَّه به، فالمشبِّه في هذا المقام هو القايس له سبحانه على خلقه، والمشبَّه هو الله العزيز المتعال، والمشبَّه به في الحقيقة هو الخلق المتباينة الأعضاء والمتلائمة حقاق المفاصل إلاّ أنه عليه السلام جعل المشبَّه به تباين الأعضاء و تلاحم الحقاق تعريضاً على ذمّ المشبِّه و توبيخه، و تنبيها على غلطه في تشبيهه، وذلك لأنّ تباين الأعضاء و تلاحمها من لوازم المشبّه به، وهما مستلزمان للتركيب و اجتماع المفردات المستلزمين للافتقار إلى المركب والجامع، فمن كان ملزوماً للحاجة والافتقار كيف يجوز أن يشبه به العزيز الغني المتكبرا لجبّار، فجعلها نفس المشبّه به تنبيهاً على كونهما بمنزلة الوسط في لزوم التركيب للمشبّه به الحقيقي حتّى يظهر بذلك تقدّسه عن التّشبه به.

و ثالثها أنّه وصف المفاصل بكونها محتجبة معلّلا احتجابها بأنه من تدبيرات حكمته تعالى و مقتضياتها، و ذلك لأنها لولم تحتجب و خلقت بارزة عريّة عن الغطاء والغشاء ليبست رباطاتها وقست فيعذر تصرّف الحيوان بها كما هو الآن مضافا إلى كونها معرضة للآفات المفسدة لها و غير ذلك من خفيّ تدبيره و لطيف حكمته.

و رابعها أنه عليه السلام شهد في حقّ المشبّهة بعدم عقد ضميرهم المكنون على معرفة الله سبحانه و عدم اعتقادهم ويقينهم بأنه لامثل له تعالى، وإنّما عبّر عن عدم اليقين

بعدم اليمين إشعاراً بأنّ اللازم على العبد في مقام تنزيهه سبحانه عن المثل والنّظير أن يكون تنزيهه له صادراً عن وجه كمال اليقين بحيث لو أراد الحلف بذلك أمكنه ذلك.

هذا إن جعلنا اليمين بمعنى القسم، وإن كان بمعنى القوّة فالمقصود الاشعار بأن يكون تنزيهه صادراً عن قوّة القلب ولا يكون مضطرباً فيه.

ولما شهد عليه السلام في حقّ المشبّه بأنّه لم يعقد قلبه على معرفة الله سبحانه ولم يتيقّن تنزيهه عن المثل أكّد ذلك بقوله (وكأنه) أى المشبّه لله بخلقه (لم يسمع تبرّؤ التّابعين) وهم عبدة الأصنام والأوثان (من المتبوعين) أى من آلهتهم يوم القيامة (إذ يقولون) حين القوا

«فِي ٱلْجَحِيمِ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (تَٱللهِ إِنْ كُنَّا) أى قد كنّا (لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعالَمِينَ) وَمَا أَضَلَّنا إِلاَّ ٱلْمُجْرِمُونَ فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ»

فانّ المشبّهين لو سمعوا ذلك وعرفوا بذلك أى بتبرّؤ التّابعين من المتبوعين وبما حكى الله عنهم في الكتاب المبين، لعقدوا قلبهم على المعرفة، ونزّهوه سبحانه عن المثل والصفة، كيلا يقعوا في الضّلالة الدّائمة و الحسرة الباقية، كما وقع فيها التّابعون بتلك الجهة.

فانّهم شهدوا على أنفسهم بالقسم البارّ بأنّهم في ضلال مبين، و تحسّروا بأنهم ليس لهم من شافعين ولا صديق حميم. وتمنّوا الرّجوع إلى الدّنيا ليكونوا من المؤمنين، كلّ ذلك من أجل تشبيههم الخالق بالخلايق و إبدائهم المساواة بين معبوداتهم الباطلة وبين ربّ العالمين، وعدم كونهم بعلوّ شأنه سبحانه و جلالة قدره موقنين مذعنين

(كذب العادلون بك) أى الجاعلون لك عديلاً ومثلا (إذ شبّهوك بأصنامهم) الباطلة (ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم) الفاسدة(وجزّؤوك تجزئة المجسّمات بخواطرهم) الكاسدة (و قدّروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم) الجامدة

أمّا كذبهم فى تشبيههم له سبحانه بالأصنام فواضح ، حيث اعترفوا بأنهم في ضلال مبين من جهة تسويتهم الأصنام بربّ العالمين

وأمّا كذبهم في نحلتهم له حلية المخلوقين، وتجزيتهم له تجزئة المجسّمات وتقديرهم له على الخلقة المختلفة القوى كقولهم : بأنّه في صورة غلام أمرد في رجليه نعلان من ذهب ، و قولهم : بأنّه أجوف من فيه إلى صدره و ماسوى ذلك فصمت ، وغيرذلك من هذياناتهم فأشدّ وضوحاً إذ الأعضاء المختلفة إنّما تتولّد وتكمل بواسطة قوى طبيعيّة و نباتيّة و حيوانيّة و غيرها ، و هي قوى مختلفة بحقايقها متضادّة في أفعالها محتاجة إلى المركّب والجامع ، والاحتياج مستحيل على واجب الوجود ، تعالى عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً

(وأشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعادل بك كافر بما تنزّلت به محكمات آياتك و نطقت عنه شواهد حجج بيّناتك) شهادة ثانية على كفر المشبّهة متفرّعة على ماسبق .

وجهة كفرهم أنهم لمّا شبّهوه بخلقه و سوّوه به حيث اعتقدوا أنّ خالقهم وصانعهم هو ما توهّموه بأوهامهم الفاسدة و وصفوه بعقولهم الكاسدة مع عدم كونه خالقهم بل هو مخلوق لهم مصنوع مثلهم لاجرم كانوا بذلك متّخذين غير الخالق خالقاً جاعلين لله سبحانه ندّاً و عديلا ، و هو الكفر والضّلال كما شهدت به محكمات الآيات وأفصحت عنه شواهد أدلّة البيّنات قال سبحانه في سورة البقرة :

« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّهِ » إلى أن قال « إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ

أُتبِعُوا وَ رَأَوُا الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ » و في سورة إبراهيم:

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ وَ جَعَلُوا للهِ أَنْداداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النّارِ » و في سورة الزّمر: « وَ جَعَلَ للهِ أَنْداداً قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النّارِ » و في سورة فصّلت:

« قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذٰلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ ».

إلى غير هذه من الآيات الباهرة والحجج القاهرة

(و) أشهد (أنّك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهبّ فكرها مكيّفا، ولا في رويّات خواطرها فتكون محدوداً مصرّفاً) وهي شهادة ثالثة على تنزّهه من إحاطة العقول البشريّة فنفاها بنفي ما يترتّب عليها من كونه تعالى ذا نهاية، إذ معنى الاحاطة بالشيء هو إدراكه بكنهه و معرفته بجميع جهاته وبلوغ العقل غايته و نهايته بحيث لا يكون وراء ما أدركه شيء آخر ونفي انتهائه بنفي ما يترتّب عليه من كونه ذا كيفيّة تكيّفه بها القوى المتخيّلة لتثبته بها العقول، وكونه محدوداً أى ذا حدّ ونهاية أو محدوداً بحدّ يحدّه و يعرّفه إذ إدراك العقول للحقايق بكنهها إنما هو من حدودها ومعرّفاتها.

و هذا مبنيّ على كون المحدود مأخوذاً من الحدّ الذى هو معرّف الشيء والقول الشارح له كما أنّ الاوّل مبنيّ على أخذه من الحدّ بمعنى النهاية، و هو بكلا المعنيين محال على الله سبحانه وكونه مصرّفاً أى ذا تصريف و تقليب مأخوذ من تصريف الرّياح وهو تحويلها من وجه إلى وجه ومن حال إلى حال لأنّه إذا

كان العقول والفكر متعلّقة به لابدّ أن يتصرّف فيه العقول والأفكار، و تحوّله من وجه إلى وجه لتبلغ غايته و تعرفه بكنهه وهو معنى كونه مصرّفاً

ولما كان هذه اللوازم كلّها باطلة مستحيلة في حقّه تعالى كان ملزومها وهو إحاطة العقول به و تناهيه فيها محالا

أمّا بطلان اللازم الأول فلأنّ الكيف حادث بالذات ممكن الوجود مفتقر إلى جاعل يوجده برىء الذات من الاتصاف به ، أما حدوثه فلكونه عرضاً قائماً بالمحلّ فهو مفتقر إلى جاعل وينتهى افتقاره بالأخرة إلى الحقّ تعالى ، و امّا برائة ذات المحدث من الاتصاف به فلأنّ موجد الشيء مقدّم عليه بالوجود فيستحيل أن يكون المكيّف بالكسر أى موجد الكيف و جاعله مكيّفاً أى منفعلاً ذا كيفيّة و إلا لزم تقدّم الشيء على نفسه و كون الشيء الواحد فاعلاقابلا وهو محال

و أمّا بطلان اللازم الثّاني وهو كونه محدوداً إلى ذانهاية فلأنه لاغاية لوجوده ولا منتهى لذاته ، لأنّ وجوده وراء ما لايتناهى مدّة و عدّة بما لا يتناهى قوّة و شدّة و أمّا إن جعلنا الحدّ بالمعنى الثّاني الذي أشرنا إليه فلأنّ حدّ الشيء عبارة عن معرّفه المركب من الجنس والفصل والله سبحانه بسيط الذّات لاجزء له وما لاجزء له لاجنس له وما ليس له جنس ليس له حدّ وقول شارح يعرّف به ، وما ليس له حدّ لايكون محدوداً

وأمّا بطلان اللازم الثالث أعني كونه مصرّفاً فلاستحالة التغيّر والانتقال من حال إلى حال على الله تعالى شأنه .

الترجمه

پس نظر کن أى سؤال کننده ازصفات پروردگار پس آنچیزیکه دلالت دارد قرآن برآن ازصفت حضرت آفریدگار پس اقتدا کن بآن و طلب روشنائی کن بنور هدایت او ، وآنچه که تکلیف کرده آنرا شیطان ملعون دانستن او را از چیزیکه نیست درقرآن برتو فرض آن ونه درسنّت پیغمبرخدا ﷺ ونه ائمهٔ هدی

علامت و نشانهٔ او پس واگذار دانستن آن را بخدای تعالی ، پس بدرستیکه این منتهای حق خداوند است برتو وزیاده از این برتو لازم نیست .

و بدان که جماعتی که رسوخ دارند در علم و استوارند در دانش ، ایشان کسانی هستند که بی‌نیاز ساخته ایشان را از بی فکر داخل شدن حجاباتی که زده شده در پیش غیبها ، اقرار و اعتراف ایشان باجمال آنچه که جاهل شده‌اند بتفسیر وتوضیح آن ازغیبی که پوشیده است ، پس مدح فرموده حق سبحانه وتعالی اعتراف بعجز کردن ایشان را از أخذ نمودن آنچه که احاطه نکرده اند بآن از حیثیت علم ونام نهاده ترك تعمّق وخوض کردن ایشان را درچیزیکه‌تکلیف‌نکرده برایشان بحث نمودن ازحقیقت آن را برسوخ .

پس قناعت کن ایسائل در باب معرفت باین مقدار و تقدیر مکن عظمت پروردگار را باندازهٔ عقل خود تا اینکه شوی ازهالکین .

اوسبحانه قادریست که اگرمجدّ شوند وهمهاتا دریابند نهایةتوانائی‌آنرا ، و طلب کند فکری که مبرّ است از خطرات وساوس شیطانیّه آنکه واقع شود در اسرار عمیقه پادشاهی او ، و واله و متحیّر باشند قلبها بسوی او تا اینکه جاری شوند درچگونگی صفتهای او ، وغامض وخفی باشد محلّ دخول‌عقلها باندازه‌که خارج ازوصف باشد بجهة طلب علم بذات‌اوسبحانه ردع میکند وباز دارد خداوند تعالی آن عقول واوهام را از معرفت بذات وصفات خود وحال آنکه قطع کند آن اوهام و عقول مواضع هلاك تاریکیهای غیبها را در حالتیکه رهیده باشد از غیر ونزدیکی جویند بسوی حق سبحانه .

پس برگشتند زمانیکه باز داشته شدند در حالتیکه اعتراف کننده باشند باینکه رسیده نمیشود بشدة جولان در بیداء جلال و عزّت و حقیقت معرفت او ، وباینکه خطور نمیکند بدل صاحبان فکرها خطور کنندهٔ از اندازه کردن بزرگی عزّت‌او.

آن خداوندیکه ایجاد کرد مخلوقات را بدون سبق مثالی که متابعت

کرده باشد برآن ، و بي‌تقدّم مقدار واندازه که عمل کرده باشد بروفق آن که صادر شده باشد آن مثال و مقدار از خالق معبودي که بوده باشد قبل از او ، و بنمود مارا از پادشاهی قدرت خودواز عجایب آن چیزیکه گویا شده است بآن نشانهای حکمت اووازاعتراف نمودن خلایق باحتیاج خودشان باینکه اقامه نماید وبپا داشته باشد ایشان‌را بنگه داشت قوّة خود دلیل وافي وبرهان شافي مارابسبب ضروري و بدیهی بودن حجتی که قائم است مراورا بمعرفت او وظاهر گردید در اشیاء بدیعة که ایجاد فرموده نشانهای صنعت او وعلامتهای حکمت او .

پس گردید هرچیزیکه خلق فرموده برهان قاطع مرالوهیت آن را ، ودلیل ساطع بر وجوب وجود آن و اگرچه بوده باشدآن مخلوق‌خلق غیر ناطق و جماد ساکت ، پس حجت حق تعالی بتدبیر حکمت او گویا است و دلیل او بروجود مبدع برپا .

پس شهادت میدهم براینکه کسیکه تشبیه کرده تو را باعضای متباینه مخلوقات‌تو ، وخورده‌های‌بهم پیوستهٔ‌مفاصل‌ایشان که‌پوشیده‌شده‌است‌بتدبیرحکمت تو عقد ننموده فکر باطني خودرا بر معرفت تو ، و مباشر نکرده بقلب خودش یقین را باینکه نیست هیچ مثلی تورا .

و گویا که نشنیده آن تشبیه کننده بیزاري جستن تابعان را از متبوعان در روز قیامت ، و زمان انداخته شدن ایشان برآتش وقتیکه گویند : قسم بخدا که هرآینه بودیم‌ما درضلالت هویدا ، دروقتیکه‌برابر گردیم ماشمارا باپرورد گار عالمیان .

دروغ گفتند کسانی که بتو مثل وعدیل‌قرار دادندوقتی که‌تشبیه کردندتورا به‌بتهاي خودشان وبخشیدند بتوصفات مخلوقاترا بوهمهاي خود ، وتجزیه کردند تو را همچه مجزّا کردن أشیاء مجسّمه با خواطرهاي خود ، واندازه کردند تورا برهیکلي وشکلی که مختلف است قوتهاي اوباعقلهاي خود .

پس شهادت می‌دهم براینکه هر کس که مساوي ساخت تو را با چیزي از

مخلوق تو پس بتحقيق که عديل قرار داد ترا و هر كس كه عديل قرار داد بتو كافر است بحكم آنچيزي كه نازل شده با آن آيات محكمات تو ، و بحكم آن چيزي كه ناطق شد از آن گواهان حجتهاي واضحۀ تو .

وشهادت ميدهم براينكه توئى معبود بحق كه پايان نداري در عقلها تا اينكه باشى درمحل وزيدن انديشهاى آن عقول مكيف با كيفيتي ، و نه در انديشهاى خاطرهاى آن عقول صاحب حد ونهايتى وموصوف بتغيير از حالت بحالتى

الفصل الثالث

منها قَدَّرَ ما خَلَقَ فَأَحكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَلطَفَ تَدْبِيرَهُ ، وَوَجَّهَهُ لِوَجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الانْتِهاءِ إِلىٰ غايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلىٰ إِرادَتِهِ ، وَكَيْفَ ؟ وَإِنَّما صَدَرَتِ الأُمُورِ عَنْ مَشِيَّةِ الْمُنْشِيءِ أَصْنافَ الأَشْياءِ بِلارَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْها ، وَلا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْها، وَلا تَجْرُبَةٍ أَفادَها مِنْ حَوادِثِ الدُّهُورِ، وَلا شَرِيكٍ أَعانَهُ عَلىٰ ابْتِداعِ عَجائِبِ الأُمُورِ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ وَأَذْعَنَ لِطاعَتِهِ ، وَأَجابَ إِلىٰ دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِىِ ، وَلا أَناةُ الْمُتَلَكِّي ، فَأَقامَ مِنَ الأَشْياءِ أَوَدَها ، وَنَهَجَ حُدُودَها ، وَلاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضادِّها ، وَوَصَلَ أَسْبابَ قَرائِنِها ، وَفَرَّقَها أَجْناساً مُخْتَلِفاتٍ ، فِي الْحُدُودِ وَالأَقْدارِ وَالْغَرائِزِ وَالْهَيئاتِ ، بَدايا (برايا خ ل) خَلائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَها ، وَفَطَرَها عَلىٰ ما أَرادَ وَابْتَدَعَها .

اللغة

(التدبير) في الأمور النّظر إلى ما يؤل إليه عاقبتها و (وجهة) الشيء بالكسر جهة الشّيء يتوجّه اليها قال تعالىٰ:

« وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها ».

و (قصر) السهم عن الهدف إذا لم يبلغه وقصرت عن الشيء أى عجزت عنه و (دون) الشّيء أى قريباً منه وقبل الوصول إليه و (آل) إليه رجع و (الغريزة) الطبيعة و (قريحة الغريزة) مايستنبطه الذّهن .

قال الجوهريّ: القريحة أوّل مايستنبط من البئرومنه قولهم : لفلان قريحة جيّدة يراد استنباط العلم بجودة الطبع و (أضمر عليها) أى بلغ الغاية و استقصى عليها من الاضمار بمعنى الاستقصاء ، وقيل : من الاضمار بمعنى الاخفاء و ليس بشيء لتعدّيه بنفسه يقال أضمره و أخفاه و لا يقال : أخفى و أضمر عليه و (الافادة) الاستفادة و (اعترض) الشيء دون الشيء حال ، و اعترض صار كالخشبة المعترضة في النهر و (الريث) الابطاء و (الاناة) كقناة : الحلم والوقار مأخوذ من تأنّي في الأمر أى تثبّت و (تلكّاء) عليه اعتلّ و عنه أبطأ و (الاود) محركة الاعوجاج و (قرائنها) جمع القرينة وهي الأنفس ويحتمل أن يراد بها مقارنات الأشياء كما تطلع عليه .

قال الشّارح المعتزلي : و (بدايا) ههنا جمع بدية و هي الحالة العجيبة بدأ الرّجل إذاجاء بالأمر البدىء أى المعجب والبدية أيضاً الحالة المبتكرة المبتدئة ومنه قولهم فعله بادى بديء على وزن فعل أى أوّل كلّ شيء .

الاعراب

قوله : وكيف استفهام على سبيل الانكار وإنما صدرت جملة حالية والعامل محذوف أى كيف يستصعب وإنّما صدرت الأمور ، وجملة لم يعترض حال أيضاً من فاعل المصدر أعني دعوته ، قوله : أجناساً حال من مفعول فرّق أو منصوب بنزع

الخافض أي فرّقها بأجناس أوعلى أجناس مختلفة ، وقوله : بدايا خلايق خبر لمبتداء محذوف أى هي بدايا خلايق ، و اضافة بدايا إلى خلايق من باب اضافة الصّفة إلى موصوفها ، قال الشّارح المعتزلي : ويجوز أن لا يكون بدايا إضافة إليها بل يكون بدلا من اجناساً .

أقول : فعلى هذا الاحتمال تكون بدايا صفة ثانية لأجناساً و ما ذكرناه أظهر فتدبّر .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة متضمن لتنزيه الله سبحانه في كيفية ايجاده للأشياء و خلقه لها عن صفات المصنوعين ، وفيه تنبيه على كون المخلوقين مذلّلين لانقياد حكمه ، مطيعين لأمره ، ماضين على ارادته ، غير متمرّدين عن طاعته كما قال عليه السلام : (قدّر ما خلق فأحكم تقديره) يعني أنّ كلّ مخلوق قدّره في الوجود فعلى وفق حكمته بحيث لو زاد على ذلك المقدار أو نقص منه لاختلّت مصلحة ذلك المقدّر وتغيّرت جهة المنفعة فيه (و دبّره فألطف تدبيره) يعني أنّه أوجد الأشياء على وفق المصلحة و نظام الخير فتصرّف فيها تصرّفات كلّية و جزئيّة من غير شعور غيره ذلك .

(ووجّهه لوجهته فلم يتعدّ حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته) أراد أنّه سبحانه وجّه كلّ ما خلق إلى الجهة التي وجّهه إليها ، وألهم كلاّ ويسّره لما خلق له ، كالسحاب للمطر والحمار للحمل والنّحل للشمع والعسل وهكذا فلم يتجاوز شيء منها مرسوم تلك المنزلة المحدودة له المعيّنة في حقّه ، ولم يقصر دون الانتهاء إلى الغاية التي كتبت له في اللّوح المحفوظ و إلاّ لزم التّغيّر في علمه وعدم النفاذ في أمره وهما محالان .

(ولم يستصعب إذ أمر بالمضيّ على إرادته) أى لم يستصعب أحد من المخلوق التّوجّه إلى الجهة التي وجّهه إليها ، ولم يمكنه التّخلّف من المضيّ اليها على وفق إرادته وحكمته بعد أمره له بذلك أمر تكوين لا تشريع.

(و كيف) يستصعب و يتخلّف (و إنّما صدرت الأمور عن مشيّة المنشي أصناف الأشياء) يعني أنّ جميع الآثار مستند إلى مشيّة إذ كلّ أثر فهو واجب عن مؤثّره والكلّ منته في سلسلة الحاجة إلى إرادته فهو واجب عنها.

و يدلّ عليه ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن اذينة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : خلق الله المشيّة بنفسها ثمّ خلق الأشياء بالمشيّة.

و سيأتي تحقيق الكلام في ذلك بعد الفراغ من شرح الفصل، هذا

وقوله عليه السلام (بلا رويّة فكر آل إليها و لا قريحة غريزة أضمر عليها و لا تجربة أفادها من حوادث الدّهور و لا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور) إشارة إلى تنزّهه في ايجاد المخلوقات عن الافتقار إلى هذه الامور ، و أنّ ذاته بذاته مصدر جميع الأمور وأنّ خلقه سبحانه لها غير موقوف على شيء منها .

أمّا رويّة الفكر فلأنها عبارة عن حركة القوّة المفكّرة في تحصيل المطالب من المبادي وانتقالها منها إليها وهي محال على الله سبحانه : « أمّا أوّلاً » فلكون القوّة المفكّرة من خواصّ نوع الانسان «وأمّا ثانياً» فلأنّ فايدتها تحصيل المطالب المجهولة من المعلومات والجهل محال في حقه تعالى

وأمّا قريحة الغريزة فلأنّها على ما عرفت عبارة عن استنباط العلم بجودة الذهن، واستحالته على الله واضحة إذ العلم عين ذاته و هو تعالى غير فاقد له حتّى يكون محتاجاً إلى التّعمق والاستنباط والنظر في موارده ومصادره والاستقصاء عليه وبلوغ الغاية فيه

و أمّا التجربة فلأنّها عبارة عن حكم العقل بأمر على أمر بواسطة مشاهدات متكرّرة معدّة لليقين بسبب انضمام قياس خفيّ إليها ، وهو أنّه لو كان هذا الأمر اتفاقيّاً لما كان دائماً أو أكثريّاً واستحالتها على الله من وجهين : أحدهما أنّها مركبة من مقتضى الحسّ والعقل ، و ذلك أنّ الحسّ يشاهد وقوع الاسهال مثلا

عقيب شرب الدّواء مرّة بعد مرّة فينتزع العقل من تلك المشاهدة حكماً كلّياً بأنّ ذلك الدّواء مسهل ومعلوم أنّ اجتماع الحسّ والعقل من خصايص نوع الانسان وثانيهما أنّ التّجربة إنما تفيد علما لم يكن قبل فالمحتاج إلى التجربة لاستفادة العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها والمستكمل بالغير محتاج إليه فيكون ممكنا

و أمّا الشريك المعين فلانتفاء الشريك أوّلاً كما مرّ في شرح الفصل الرابع من فصول الخطبة الأولى ، و لانتفاء مبدء الاستعانة ثانياً لأنّ مبدئها هو العجز من الفعل والعجز عبارة عن تناهي القوّة والقدرة ، و قدس الحقّ منزّه عن ذلك .

فقد وضح و اتّضح بذلك كلّ الوضوح أنّ الله سبحانه غير محتاج في ابداع الخلايق وايجادها إلى الفكر والرّوية ، ولا قريحة الطّبيعة ولا تجربة ولا مشاركة وإنّما مستند الايجاد نفس الارادة والمشيّة وأنّه سبحانه

« إِذا قَضٰى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ».

(فتمّ خلقه) بمشيّته (وأذعن) الكلّ (لطاعته) بمقتضا امكانه وحاجته (و أجاب) الجميع (إلى دعوته) حيث دعاهم إلى بساط الوجود بمقتضا عموم الافاضة والجود (و) الحال انّه (لم يعترض دونه ريث المبطيء ولا أناة المتلكّى) أى لم يحل دون نفاذ أمره إبطاء المبطيء ولا تثبّت المتوقّف المعتلّ بل انقاد له جميع الأشياء وأسرعوا إلى أمره عند الدّعاء من غير تعلّل ولا إبطاء لكون الكلّ مقهوراً تحت قدرته أذلّة تحت عزّته كما قال عزّ من قائل :

« بَدِيعُ السَّمٰواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِذا قَضٰى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » .

يعنى أنّه إذا أراد فعله وخلقه يقول له ذلك بلا لفظ و لا نطق بلسان و لا همة و لا تفكّر ، فقوله كن اشارة إلى هبة ما ينبغي لذلك المأمور و بذل ما يعدّه لاجابة

أمره بالكون في الوجود، و قوله : فيكون إشارة إلى وجوده ، والفاء المقتضية للتعقيب بلامهلة دليل على اللّزوم وعدم التأخّر، هذا .

و يحتمل أن يكون المراد بنفي اعتراض الريّث والاناة نفي اعتراضهما بالنّظر إلى ذاته من حيث فاعليته ، فيكون المقصود بذلك تنزيهه من أن يعرض له شيء من هذه الكيفيّات كما يعرض على أحدنا إذا أردنا فعل شيء من حيث قصور قدرتنا و ضعف قوّتنا (فأقام من الأشياء أودها) و اعوجاجها ، و إقامتها كناية عن اعداده ما ينبغي لها و إفاضته الكمال بالنسبة إليها (ونهج حدودها) وغاياتها أراد به ايضاحه لكلّ شيء وجهته و تيسيرها له (و لائم بقدرته بين متضادّها) كما جمع بين العناصر الأربعة على تضادّ كيفيّتها في مزاج واحد (ووصل أسباب قرائنها) ونفوسها بتعديل أمزجتها لأنّ اعتدال المزاج سبب بقائها.

قال الشارح البحراني : ويحتمل أن يكون معنى الوصل لأسبابها هدايتها إلى عبادته وما هو الأولى بها في معاشها ومعادها وسوقها إلى ذلك ، إذ المفهوم من قول القائل : وصل الملك أسباب فلان إذا علّقه عليه ووصله إلى برّه و انعامه ، هذا إن جعلنا القراين بمعنى الأنفس و إن كانت بمعنى مقارنات الشيء فهو إشارة إلى أنّ الموجودات لاتنفكّ عن أشياء يقترن بها من هيئة أو شكل أو غريزة ونحوها ،واقتران الشيئين لامحالة مستلزم لاقتران أسبابهما ، لاستحالة قيام الموجود بدون أسبابه ، و ذلك الاقتران والاتّصال مستند إلى كمال قدرته إذ هو مسبب الأسباب .

(و فرّقها أجناساً مختلفات في الحدود والاقدار و الغرايز والهيئات) أى جعلها أقساماً مختلفة النهايات والمقادير متفاوتة الطبايع والصفات ، فجعل بعضها طويلا وبعضها قصيراً وبعضها صغيراً و بعضها كبيراً ، و جعل سجيّة بعضها شجاعاً وبعضها جباناً و بعضها شحيحة و بعضها كريمة و هيئة بعضها حسنةً و بعضها قبيحة وهكذا ، هذا ان كان الحدود في كلامه عليه السلام بمعنى النهايات

قال الشارح البحرانيّ : وإن حملنا الحدود على ما هو المتعارف كان حسناً ،

فانّ حكمة الخالق سبحانه اقتضت تميّز بعض الموجودات عن بعض بحدودها و حقايقها ، و بعضها بأشكالها وهيئاتها ومقاديرها و غرائزها واخلاقها كمايقتضيه نظام الوجود وأحكام الصّنع و حكم الارادة الالهيّة .

(بدايا خلايق أحكم صنعها وفطرها على ما أراد وابتدعها) أى هي مخلوقات عجيبة أو مبتكرة غير محتذى بها حذو خالق سابق ، جعل صنعها محكماً متقناً ، و أوجدها على وفق ارادته و أبدعها من العدم المحض إلى الوجود من دون أن تكون لها مادّة أصلاً لها كما زعمت الفلاسفة من أنّ الأجسام لها أصل أزليّ هي المادّة فهو المخترع للمكنات بما فيها من المقادير والأشكال والهيئآت ، والمبتدع للموجودات بما لها من الحدود والغايات والنّهايات بمحض القدرة على وفق الارادة و مقتضى الحكمة .

تنبيه

اعلم أنّه لما جرى في هذا الفصل ذكر حديث صدور الأشياء عن مشيّته سبحانه أحببت تنقيح ذلك المرام وعزمت على تحقيق الكلام في هذا المقام لكونه من مزالّ الأقدام .

فأقول : و بالله التكلان و هو المستعان إنّ الكلام في هذا الباب يقع في مقامات ثلاثة .

المقام الاول

في معنى المشيّة ، و قد فسّرها أهل اللغة بالارادة قال في القاموس : شئته إشائه شيئاً ومشيئةو مشائة و مشائية أردته، وفي مجمع البحرين: والمشيّة الارادة من شاء زيد يشاء من باب قال أراد ، و في المصباح شاء زيد الأمر يشائه شيئاً من باب قال أراده ، والمشيئة اسم منه بالهمز ، والادغام غير سايغ إلّا على قياس من يحمل الأصلي على الزّايد لكنّه غير منقول ونحوها في ساير كتب اللغة .

وأما في الأخبار و أحاديث أئمّتنا الأبرار الأخيار فتارة اُطلقتا على معنى

واحد مثل مارواه الطريحي عن الرّضا عَلَيْهِ السَّلَامُ ان الابداع والمشية والارادة معناها واحد والأسماء ثلاثة ، واخرى وهوالأكثر على معنيين مختلفين يجعل مرتبة المشية متقدّمة على مرتبة الارادة وكون نسبتها إليها نسبة القوّة إلى الضعف .

ويدلّ عليه ما رواه المحدّث المجلسيّ من المحاسن للبرقي قال : حدثني أبي عن يونس عن أبي الحسن الرّضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : قلت : لا يكون إلاّ ماشاءالله وأراد وقضى؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا يكون إلاّ ماشاءالله وقدّر وقضى ، قلت : فما معنى شاء ؟ قال : ابتداء الفعل ، قلت : فمامعنى أراد ؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : الثبوت عليه ، قلت : فمامعنى قدّر ؟ قال : تقدير الشيء من طوله و عرضه ، قلت : فما معنى قضى ؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مردّ له .

و رواه في الكافي مسنداً عن عليّ بن إبراهيم الهاشمي عن أبي الحسن موسى ابن جعفر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ نحوه إلاّ أنّه ليس فيه قوله : قلت : فمامعنى أراد قال الثبوت عليه ، و لعلّه سقط من الكتاب و الظّاهر أنّ مراده منه هو ما ذكرنا كما فهمه شرّاح الحديث .

قال في مرآت العقول : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ابتداء الفعل أى أوّل الكتابة في اللّوح المحفوظ أوأوّل مايحصل من جانب الفاعل ويصدرعنه ممّايؤدّي إلى وجودالمعلول وعلى ما في المحاسن يدلّ على أنّ الارادة تأكّد المشيّة وفي الله سبحانه تكون عبارة عن الكتابة في الألواح وتسبيب أسباب وجوده ، وقوله : تقدير الشيء ، أى تعيين خصوصيّاته في اللّوح أو تعيين بعض الأسباب المؤدّية إلى تعيين المعلول وتحديده وخصوصيّاته إذاقضى أمضاه ، أى إذا أوجبه باستكمال شرايط وجوده وجميع ما يتوقّف عليه المعلول أوجده ، و ذلك الذي لا مردّ له لاستحالة تخلّف المعلول عن الموجب التامّ .

وقال الصّالح المازندراني في شرحه على أصول الكافي : لماكان قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : لايكون شيء إلاّ ماشاءالله ، دالاّ بحسب الظاهرعلى أنّ المعاصي تقع بمشيّته تعالى وإرادته وهذالايستقيم على المذهب الحقّ ، سأل السائل عن معنى المشيّة حتى يظهر

له وجه الاستقامة ، فأجاب عليه السلام بأنّ المشيّة ابتداء الفعل و أوله ، ولعلّ المراد بابتداء الفعل أنّ مشيّته تعالى أوّل فعل من الأفعال ، و كلّ فعل غيرها يتوقّف عليها و يصدر بعدها كما يدلّ عليه ما عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : خلق الله المشيّة بنفسها ثمّ خلق الأشياء بالمشيّة ، يعني خلق أفعاله بها وكذا خلق أفعال عباده لكن بتوسط مشيّة جازمة صادرة منهم ، فاذا سلسلة جميع الأفعال منتهية إلى مشيّته تعالى ، و المراد به أنّ مشيّته أوّل المشيئآت ، وكلّ مشيّة سواها تابعة لها ، كما أنّه تعالى هو الفاعل الأوّل و كلّ فاعل بعدها فاعل ثانوى يسند فعله إليه بلا واسطة ، و إلى الفاعل الأوّل بواسطة ، وهذا معنى مشيّته تعالى لأفعال العباد ومعنى اسناد فعلهم إلى مشيّته .

و في محاسن البرقي بعد هذا السؤال و الجواب قلت : فمامعنى أراد ؟ قال : الثبوت عليه ، يعنى على ابتداء الفعل و من ههنا فسّر بعضهم الارادة تارة بأنّها عزيمة على المشيّة ، وتارة بأنها الاتمام لها ، وتارة بأنّها الجدّ عليها .

و قال صدر المتألّهين : نسبة المشيّة إلى الارادة كنسبة الضعف إلى القوّة ونسبة الظنّ إلى الجزم ، فانّك ربماتشاء أشياء ولا تريده ، فظهر أنّ المشيّة ابتداء العزم على الفعل هذا .

وفي الكافي عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد عن أبيه ومحمّدبن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسين بن سعيد و محمّد بن خالد جميعاً عن فضالة بن أيوب عن محمّد بن عمارة عن حريزبن عبدالله وعبدالله بن مسكان جميعاًعن أبي عبدالله عليه السلام قال : لا يكون شيء في الأرض ولا في السّماء إلاّ بهذه الخصال السّبع : بمشيّة ، و إرادة ، وقدر ، وقضاء ، و اذن ، و كتاب ، وأجل ، فمن زعم أنّه يقدر على نقص واحدة فقد كفر .

قال في مرآت العقول : يمكن حمل الخصال السبع على اختلاف مراتب التقدير في الألواح السّماويّة ، أو اختلاف مراتب تسبب الأسباب السّماويّة والأرضيّة ، أو يكون بعضها في الأمور التكوينيّة وبعضها في الأحكام التكليفيّة ، أوكلّها في

الأمور التكوينيّة .

فالمشيّة وهي العزم ؛ والارادة وهي تأكّدها في الأمور التكوينيّة ظاهرتان و أمّا في التكليفيّة فلعلّ عدم تعلّق الارادة الحتميّة بالترك عبّر عنه بارادة الفعل مجازاً .

والحاصل أنّ الارادة متعلّقة بالأشياء كلّها لكن تعلّقها بها على وجوه مختلفة إذ تعلّقها بأفعال نفسه بمعنى ايجادها و الرضا بها و الأمر بها ، و بالمباحات بمعنى الرّخصة بها ، و بالمعاصي إرادة أن لا يمنع منها بالجبر لتحقّق الابتلاء و التكليف كما قال تعالى :

« وَ لَوْ شَآءَ اللهُ ما أَشْرَكُوا » .

أو يقال تعلّقها بأفعال العباد على سبيل التجوّز باعتبار ايجاد الآلة والقدرة عليها وعدم المنع منها فكأنّه أرادها .

وبالقدر تقدير الموجودات طولا وعرضاً و كيلا ووزناً و حدّاً ووصفاً و كمّاً و كيفاً ، وبالقضاء الحكم عليها بالثواب و العقاب أو تسبيب أسبابه البعيدة كمامرّ والمراد بالاذن إما العلم أوالأمر في الطّاعات أورفع الموانع ، وبالكتاب الكتابة في الألواح السّماوية أو الفرض والايجاب كما قال تعالى : كتب عليكم الصّيام ، و كتب على نفسه الرّحمة ، وبالأجل الأمد المعيّن والوقت المقدّرعنده تعالى .

و في الكافي أيضاً عن الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : علم وشاء و أراد وقدّر و قضى و أمضى ، فأمضى ماقضى و قضى ما قدّر و قدّر ما أراد ، فبعلمه كانت المشيّة ، و بمشيّته كانت الارادة ، و بارادته كان التقدير ، و بتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الامضاء الحديث .

قال صدر المتألّهين في شرحه : هذا السّائل سأله عليه السلام عن كيفيّة علمه تعالى بالجزئيات الزّمانيّة و المكانيّة ، فأجابه عليه السلام عنها بما أفاده من المراتب السّتّة المرتّب بعضها على بعض .

أولها العلم ، لأنه المبدء الأول لجميع الأفعال الاختياريّة ، فانّ الفاعل المختار لا يصدر عنه فعل إلاّ بعد القصد والارادة ، ولا يصدر عنه القصد والارادة إلاّ بعد تصوّر ما يدعوه إلى ذلك الميل و تلك الارادة و التّصديق به تصديقاً جازماً أو ظناً راجحاً ، فالعلم مبدء مبادى الأفعال الاختياريّة ، و اعلم أنّ المراد بهذا العلم المقدّم على المشيّة و الارادة و مابعدهما بحسب الاعتبار أو التحقّق هوالعلم الأزليّ الذاتي الالهيّ أو القضائي المحفوظ عن التغيّر ، فينبعث منه ما بعده و أشار إليه بقوله : علم ، أى علم دائماً عن غير زوال وتبدّل .

وثانيها المشيّة ، والمراد بها مطلق الارادة سواء بلغت حدّ العزم و الاجماع أم لا ، و قد ينفكّ المشيّة فينا عن الارادة الجازمة كما نشتاق أو نشتهى شيئاً و لا نعزم على فعله لمانع عقليّ أو شرعيّ وإليها أشار بقوله : و شاء

و ثالثها الارادة ، و هي العزم على الفعل أو الترك بعد تصوّره و تصوّر غاية المترتبة عليه من خير أو نفع أولذّة ، لكنّ الله بريء عن أن يفعل لأجل غرض يعود إلى ذاته وإليها الاشارة بقوله : أراد .

ورابعها التقدير ، فانّ الفاعل لفعل جزئيّ من أفعال طبيعة واحدة مشتركة إذا عزم على تكوينه في الخارج كما إذا عزم الانسان على بناء بيت فلابدّ قبل الشروع أن يعيّن مكانه الذي يبنى عليه ، وزمانه الذي يشرع فيه ، و مقداره الذي يكوّنه عليه من كبر أو صغر أو طول أوعرض ، وشكله ووصفه ولونه وغيرذلك من صفاته وأحواله ، وهذه كلّها داخلة في التقدير .

وخامسها القضاء ، والمراد هنا ايجاب الفعل واقتضاء الفعل من القوّة الفاعلة المباشرة ، فانّ الشيء مالم يجب لم يوجد ، وهذه القوّة الموجبة بوقوع الفعل منّاهي القوّة التي تقوم في العضلة و العصب من العضو الذي توقع القوّة الفاعلة فيها قبضا وتشنّجا ؛ أوبسطاً وإرخاء أوّلا فيتبعه حركة العضو فتتبعه صورة الفعل في الخارج من كتابة أوبناء أوغيرهما ، والفرق بين هذا الايجاب و بين وجود الفعل في العين كالفرق بين الميل الذي في المتحرّك وبين حركته ، وقد ينفكّ الميل كما تحسّ

يدك من الحجر المسكن باليد في الهواء ، و معنى هذا الايجاب والميل من القوّة المحرّكة أنه لولاهناك اتفاق مانع أو دافع من خارج لوقعت الحركة ضرورة إذلم يبق من جانب الفاعل شيء منتظر فقوله عليه‌السلام : و قضى ، إشارة إلى هذا الاقتضاء والايجاب الذي ذكرنا أنه لابدّ من تحقّقه قبل الفعل قبليّة بالذّات لا بالزّمان إلاّ أن يدفعه دافع من خارج ، وليس المراد منه القضاء الأزلي لأنه نفس العلم ، ومرتبة العلم قبل المشيّة والارادة والتقدير .

وسادسها نفس الايجاد وهوأيضاً متقدّم على وجود الشيء المقدّر في الخارج و لهذا يعدّه أهل العلم و التحقيق من المراتب السّابقة على الوجود الممكن في الخارج فيقال أوجب فوجب . فأوجد فوجد .

فان قلت : أليس الايجاد و الوجود و كذا الايجاب و الوجوب متضايفين والمتضايفان معان في الوجود ؟

قلت : المتضايفان وإن كانا من حيث مفهوميهما الاضافيّين و من حيث اتّصاف الذاتين بهمامعا كما ذكرت ، لكنّ المراد ههنا ليس حال المفهومين ، فانّ كلاّ من الموجد بالفعل أوالمقتضى أوالمحرّك قد يراد به المعنى الاضافي والمفهوم النّسبي وحكمه كما ذكرت من كون تحقّقه مع تحقّق ما اضيف إليه من حيث إنه اضيف إليه ، وقد يراد به كون الشيء بحيث يكون وجوده مستتبعا لوجود شيء آخروهذا الكون لامحالة متقدّم على كون شيء آخر هو تابعه و مقتضاه الموجود بسبب هذا الاقتضاء أو الايجاد .

كما في تحريك اليد بحركتها للمفتاح ، تقول : تحرّك اليد فتحرّك المفتاح فانّ الفاء يدلّ على الترتيب وإن كانا معاً في الزّمان وربمايتقدّم المقتضي على المقتضي زمانافي عالم الاتفاقات إذا كان هناك مانع من خارج كمافي المثال الذي ذكرناه

و كما في اقتضاء الشمس لاضائة ما يحاذيها من وجه الأرض فحال بينهما حائل ، فعدم استضائة ذلك الموضع ليس لأجل فتور أو نقصان في جانب المقتضي ، لأنّ حاله في الاقتضاء و الاضائة لم يتغيّر عما كان ، و إنّما التخلّف في الاستضائة

لأجل شيء من جانب القابل ، فقوله عليه السلام : فأمضى ، اشارة إلى هذا الايجاد الذي بيّنا أنه قبل الوجود والصدور .

المقام الثاني

في تحقيق أنّ المشية والارادة من صفات الفعل لا من صفات الذات ، وتوضيح ذلك موقوف على رسم مقدّمة متضمنة لقاعدة كلّية بها يعرف الفرق بين صفات الذات و صفات الفعل ، وقد أشار إليها ثقة الاسلام الكليني عطّر الله مضجعه في الكافي أيضاً و هي :

أنّ الفرق بينهما من وجوه ثلاثة :

الأوّل أنّ كلّ صفة وجودية لها مقابل وجوديّ فهي من صفات الفعل لا من صفات الذات ، لأنّ صفاته الذاتية كلّها عين ذاته و ذاته مما لا ضدّ له ، فكذلك كلّما هوعين ذاته ، مثال ذلك أنّك تقول : إنّ الله سبحانه رضي و سخط و أحبّ و أبغض وأحيى وأمات ، وهكذا ولا يجوز أن تقول : علم وجهل وقدر وعجز وعزّ وذلّ ، فبذلك يعرف أنّ الحبّ والاحياء والرّضا من صفات الفعل لأنّ البغض والاماتة والسّخط مقابلاتها ناقضات لها ، فلوكانت من صفات الذّات لزم أن يكون مقابلاتها ناقضات للّذات الأحدية وهومحال ، لأنّه لاضدّ له كما لاندّ له فاتصاف ذاته بصفتين ذاتيّتين متقابلتين محال .

الثّاني أنّ كلّ صفة صحّ تعلّق القدرة بها فهي من صفات الفعل و كلّما لا تصحّ تعلّقها بها فهي صفة الذات ، وذلك لأنّ القدرة صفةذاتيّة تتعلّق بالممكنات لا غير ، فلاتتعلّق بالواجب ولا بالممتنع ، فكلّ ما هو صفة الذات فهو أزليّ غيرمقدور و كلّماهوصفة الفعل فهوممكن مقدور فيصح أن تقول : يقدر أن يخلق وأن لايخلق ويقدرأن يميت ويحيى وأن يثيب ويعاقب وهكذا ، ولايصحّ أن تقول : يقدرأن يعلم وأن لا يعلم ، لأنّ علمه بالأشياء ضروريّ واجب بالذّات ، و عدم علمه بها محال ممتنع بالذات ومصحّح المقدوريّة هوالامكان ، ومثله صفة الملك و العزّة والعظمة والكبرياء والجلال والجمال والجبروت وأمثالها .

الثالث أنّ كل صفة صحّ تعلّق الارادة بها فهي صفة فعل ، وما لايصحّ تعلّقها بها فهي صفة الذات ، و ذلك لأنّ الارادة من توابع القدرة إذ هي عبارة عن اختيار أحد طرفي المقدور و العزم عليه لأجل تحقّق الداعي ، فما لا يكون مقدوراً لا يكون مراداً ، و أيضاً الارادة صفة فعل حادثة والحادث لا يؤثر في القديم .

إذا عرفت هذه المقدّمة الشريفة فأقول :

إنّ الارادة كما حقّقه صدر المتألّهين في شرح الكافي تطلق على معنيين :

أحدهما ما يفهمه الجمهور ، وهو الذي ضدّه الكراهة ، وهي التي قد تحصل فينا عقيب تصوّر الشيء الملايم و عقيب التردّد حتى يترجّح عندنا الأمر الداعي إلى الفعل أو الترك فيصدر أحدهما منا ، وهذا المعنى فينا من الصفات النفسانية ، وهى والكراهة فينا كالشهوة و الغضب فينا ، وهذا المعنى لا يجوز على الله سبحانه ، بل ارادته نفس صدور الأفعال الحسنة منه من جهة علمه بوجه الخير و كراهته عدم صدور الفعل القبيح من جهة علمه بقبحه .

كما قال المفيد (ره) : إنّ الارادة من الله جلّ اسمه نفس الفعل ومن الخلق الضمير و أشباهه مما لايجوز إلاّ على ذوى الحاجة والنقص و ذلك لأنّ العقول شاهدة بأنّ القصد لايكون إلاّ بقلب كما لاتكون الشهوة والمحبّة إلاّ لذي قلب ولاتصحّ النيّة والضمير والعزم إلاّ على ذي خاطر يضطرّ معه في الفعل الذى يقلب عليه إلى الارادة له والنيّة فيه والعزم ولما كان الله تعالى يجلّ عن الحاجات و يستحيل عليه الوصف بالجوارح والأدوات ولايجوز عليه الدّواعى والخطرات ، بطل أن يكون محتاجا في الأفعال إلى القصود و العزمات ، و ثبت أنّ وصفها بالارادة مخالف في معناه لوصف العباد و أنها نفس فعله الأشياء وبذلك جاء الخبر عن أئمة الهدى.

ثمّ اورد رواية صفوان بن يحيى قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الارادة من الله و من الخلق ؟ قال : فقال عليه السلام: الارادة من الخلق الضمير (١) و ما يبدولهم بعد ذلك من الفعل ، و أما من الله تعالى فارادته إحداثه لاغير ذلك ، لأنه تعالى

١- الضمير أى تصور الشيء و توجّه الذهن اليه.

لايروّي ولايتفكّر ولايهمّ وهذه الصّفات منتفية عنه وهي صفات الخلق فارادة الله تعالى الفعل يقول له كن فيكون بلالفظ ولانطق بلسان ولاهمة ولاتفكر ولا كيف لذلك كما لا كيف له تعالى.

المعنى الثاني للارادة كون ذاته سبحانه بحيث يصدر عنه الأشياء لأجل علمه بنظام الخير فيها التابع لعلمه بذاته، لاكاتباع الضؤ للمضيء والسخونة للمسخن، ولا كفعل الطبايع لاعن علم و شعور، ولا كفعل المجبورين والمسّخرين، ولا كفعل المختارين بقصد زايد أوارادة ظنيّة يحتمل الطرف المقابل.

وقد تحقّقت أنّ قيّوم الكلّ إنّما يفعل الكلّ عن علم هو نفس ذاته العليم الذي هو أتمّ العلوم، فاذاً هو سبحانه فاعل للأشياء كلّها بارادة ترجع إلى علمه بذاته المستتبع لعلمه بغيره المقتضى لوجود غيره في الخارج لالغرض زايد و جلب منفعة أو طلب محمدة أوثناء أوالتخلّص من مذمّة، بل غاية فعله محبة ذاته فهذه الأشياء الصادرة عنه كلّها مرادة لأجل ذاته لأنها من توابع ذاته و علمه بذاته، فلو كنت تعشق شيئاً لكان جميع ما يصدر عنه معشوقالك لأجل ذلك الشّيء.

و إليه الاشارة بماورد في الحديث الالهي عن نفسه: كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن اُعرف فخلقت الخلق لاُعرف.

و إذا ظهر لك ذلك اتّضح عندك أنّ الارادة بالمعنى الثاني لاغبار على كونها من صفات الذّات لكونها عبارة اخرى للعلم بالأصلح والنّظام الخير والعلم صفة ذات له سبحانه، وبالمعنى الأول هي صفة فعل و لذلك صحّ سلبها عنه سبحانه.

و يشهد به ماروا في الكافي باسناده عن عاصم بن حميد عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

قلت: لم يزل الله مريداً قال: إنّ المريد لايكون إلاّ المراد معه، لم يزل الله عالماً قادراً ثم أراد.

فانّه كما ترى يدلّ على كونها من الصّفات الاضافيّة المتجدّدة كخالقيّته تعالى و رازقيّته، و يشهد به أخبار اخر أيضاً لا حاجة إلى إيرادها بعد وضوح المراد.

المقام الثالث

في تحقيق الحديث المعروف المرويّ في الكافي عن عليٍّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمربن اذينة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : خلق الله المشيّة بنفسها ثمّ خلق الأشياء بالمشيّة.

وقد ذكروا في تأويله وجوهاً أشار إليها المحدّث العلاّمة المجلسيُّ طاب رمسه في مرآت العقول.

الأوّل أن لايكون المراد بالمشيّة الارادة بل احدى مراتب التّقديرات التي اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشّيء ، كالتّقدير في اللّوح مثلاوالاثبات فيه ، فانّ اللّوح وماأثبت فيه لم يحصل بتقدير اخر فى لوح سوى ذلك اللّوح و إنما وجد ساير الأشياء بماقدّر في ذلك اللّوح وربما يلوح هذا المعنى من بعض الأخبار، و على هذا المعنى يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير.

الثّاني أن يكون خلق المشيّة بنفسها كناية عن كونها لازمة لذاته تعالى غير متوقّفه على تعلّق إرادة اخرى بها ، فيكون نسبة الخلق إليها مجازاًعن تحقّقها بنفسها منتزعة عن ذاته تعالى بلاتوقّف على مشيّة اخرى ، أو أنه كناية عن أنّه اقتضى علمه الكامل و حكمته الشّاملة كون جميع الأشياء حاصلة بالعلم بالأصلح، فالمعنى أنه لما اقتضى كمال ذاته أن لايصدر عنه شيء إلاّ على الوجه الأصلح و الأكمل فلذا لايصدر شيء عنه تعالى إلاّ بارادته المقتضية لذلك.

الثالث ما ذكره السّيد داماد قدّس الله روحه و هو : أنّ المراد بالمشيّة هنا مشيّة العباد لأفعالهم الاختيارية، لتقدّسه تعالى عن مشيّة مخلوقة زايدة على ذاته عزّ وجلّ وبالأشياء أفاعيلهم المترتّب وجودها على تلك المشيّة ، وبذلك تنحلّ شبهة ربما اُوردت ههنا ، وهى : أنه لوكانت أفعال العباد مسبوقة بارادتهم لكانت الارادة مسبوقة بارادة اخرى و تسلسلت الارادات لا إلى نهاية.

الرّابع ما ذكره بعض الأفاضل و هو : أنّ للمشيّة معنيين **احدهما** متعلّق بالشّائى و هي صفة كمالية قديمية هي نفس ذاته سبحانه ،و هي كون ذاته سبحانه

بحيث يختار ما هو الخير والصلاح **والاخر** يتعلّق بالمشيء و هو حادث بحدوث المخلوقات لاتتخلّف المخلوقات عنه ، وهو ايجاده سبحانه إيّاها بحسب اختياره ، و ليست صفة زايدة على ذاته عزّ وجلّ و على المخلوقات بل هي نسبة بينهما تحدث بحدوث المخلوقات لفرعيّتها على المنتسبين معاً فنقول إنه لما كان ههنا مظنّة شبهة هي : أنه إن كان الله عزّ وجلّ خلق الأشياء بالمشيّة فبم خلق المشيّة أبمشيّة اخرى فيلزم أن تكون قبل كلّ مشيّة مشيّة إلى مالانهاية له، فأفاد الامام عليه السلام أنّ الأشياء مخلوقة بالمشيّة و أما المشيّة نفسها فلايحتاج خلقها إلى مشيّة اخرى ، بل هي مخلوقة بنفسها لأنها إضافة و نسبة بين الشائي و المشيء تتحصّل بوجوديهما العيني والعلمي ، و لذا أضاف خلقها إلى الله سبحانه لأنّ كلّ الوجودين له و فيه و منه ، و في قوله : بنفسها ، دون أن يقول بنفسه إشارة لطيفة إلى ذلك ، نظير ذلك ما يقال : إنّ الأشياء إنما توجد بالوجود و أما الوجود نفسه فلايفتقر على وجود آخر بل إنما يوجد بنفسه.

الخامس ما ذكره بعض المحقّقين بعد ما حقّق :أنّ إرادة الله المتحقّقه المتجدّدة هي نفس أفعاله المتجدّدة الكائنة الفاسدة ، فارادته لكلّ حادث بالمعنى الاضافي يرجع إلى ايجاده ، و بمعنى المراديّة ترجع إلى وجوده.

قال: نحن إذا فعلنا شيئاً بقدرتنا و اختيارنا فاردناه أولاً ثمّ فعلناه بسبب الارادة فالارادة نشأت من أنفسنا بذاتها لا بارادة اخرى و إلّا لتسلسل الأمر لا إلى نهاية فالارادة مرادة لذاتها و الفعل مراد بالارادة ، و كذا الشهوة في الحيوان مشتهاة لذاتها لذيذة بنفسها و ساير الأشياء مرغوبة بالشهوة .

فعلى هذا المثال حال مشيّة الله المخلوقة وهي وجودات الأشياء ، فانّ الوجود خير و مؤثر لذاته ومجعول بنفسه والأشياء بالوجود موجودة والوجود مشيء بالذات والأشياء مشيئة بالوجود ، و كما أنّ الوجود حقيقة واحدة متفاوتة بالشدّة والضعف والكمال والنقص ، فكذا الخيرية والمشيئة ، و ليس الخير المحض الذي لايشوبه شرّ إلّا الوجود البحت الذى لايمازجه عدم و نقص ، و هو ذات الباري جلّ مجده فهو

المراد الحقيقى إلى آخر ما حققه.

قال المحدث المجلسي (ره) بعد ايراد هذه الوجوه : والأوفق بأصولنا هو الوجه الأول.

أقول : بل ماسوى الوجه الأخير كلّها أوفق و إن كانت متفاوتة بالقرب والبعد، و إنما الوجه الأخير الذى مرجعه إلى القول بوحدة الوجود مخالف للأخبار واصول الأئمة الأطهار سلام الله عليهم ما تعاقب اللّيل والنّهار ، والله العالم بحقايق صفاته والمتعالى عن مجانسة مخلوقاته.

الترجمة

بعضى ديگر از آن خطبهٔ شريفه اينستكه فرموده:

تقدير كرده خداوند تعالى هر چيزيرا كه آفريده پس محكم گردانيده اندازه و تقدير آنرا ؛ و تدبير نموده هر چيزيرا كه خلق فرموده ، پس لطيف گردانيده تدبير آنرا و توجيه نموده هر شيء را بسوى جهت خود ، پس تجاوز ننمود آن شيء از حدّ و سدّ مكان خود ، و قاصر نشد نزد منتهى نشدن بغايت خود، و صعب و دشوار نشمرد آنچه كه ايجاد فرمود مضى بر وفق ارادهٔ او را وقتيكه مأمور شد باين ، و چه طور ميباشد كه دشوار شمارد و حال آنكه جميع امور صادر شده از مشيّة قاهرهٔ خداونديكه انشاء و ايجاد فرموده أصناف و احساس اشياء را بدون روية و فكرى كه رجوع نمايد بآن ، و بدون استنباط طبيعتى كه اضمار نمايد و بغايت برسد در آن ، و بدون تجربه كه استفاده نموده باشد آن را از حوادثات روزكار و بيشر يك و معاونى كه اعانت و يارى نمايد او را بر ايجاد عجائب امورات.

پس تمام شد مخلوق او سبحانه و گردن نهاد بفرمان بردارى او ، و اجابت نمود بسوى دعوت او در حالتيكه حايل نشد نزد نفاذ امر او دير كردن دير كننده ، و نه توقف نمودن توقف نماينده، پس راست فرمود از اشياء كجى آن ها را ، و روشن نمود حدود آنها را ، والفت داد باقدرت خويش درميان اضداد آنها ، و متصل ساخت

اسباب نفوس آن ها را ، و متفرّق نمود آن ها را بأقسام مختلفه گونا گون در نهايات و مقادير و در طبيعتها و هيئتها ، عجايب مخلوقاتيكة محكم گردانيد صنعت آن ها را و آفريد آنها را بر وجهيكه اراده كرده ،وابداع فرموده آنها رااز كتم عدم باقدرت كامله وحكمت شامله.

والفصل الرابع

منها في صفة السّماء : وَ نَظَمَ بلا تعليقٍ رَهَواتِ فُرَجِها، وَلاحَمَ صُدُوعَ انْفِراجِها، وَوَشّجَ بَيْنَها وَبَيْنَ أزْواجِها، وَذَلّلَ للهابطينَ بِأمْرِهِ وَالصّاعدِينَ بِأعْمالِ خَلْقِهِ حزُونَةَ مِعْراجِها ، وَناداها بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرى أَشْراجِها ، وَفَتَقَ بَعْدَ الارْتِتاقِ صَوامِتَ أبْوابِها ، وَأقامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثّواقِبِ عَلى نِقابِها ، وَأمْسَكَها مِنْ أنْ تَمُورَ في خَرْقِ الْهَواءِ بِأيْدِهِ ، وَأمَرَها أنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأمْرِهِ ، وَجَعَلَ شَمْسَها آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهارِها ، وَقَمَرَها آيَةً مَمْحُوّةً مِنْ لَيْلِها ، وَأجْراهُما في مَناقِلِ مَجْراهُما ، وَقَدّرَ مَسيرَهُما في مَدارِجِ دَرَجِهِما ، لِيُمَيّزَ بَيْنَ اللّيْلِ وَالنّهارِ بِهِما ، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السّنينَ وَالْحِسابُ بِمَقاديرِهِما ، ثُمّ عَلّقَ في جَوّها فَلَكَها ، وَناطَ بِها زِينَتَها مِنْ خَفِيّاتِ دَرارِيّها ، وَمَصابيحِ كَواكِبِها ، وَرَمى مُسْتَرِقَ السّمْعِ بِثَواقِبِ شُهُبِها ، وَأجْراها عَلى أذْلالِ تَسْخيرِها، مِنْ ثَباتِ ثابِتِها، وَمَسيرِ سائِرِها ، وَهُبُوطِها وَصُعُودِها ، وَنُحُوسِها وَسُعُودِها .

اللغة

(الرّهوات) جمع رهوة و هي المكان المرتفع و المنخفض أيضاً يجتمع فيه ماء المطر ، و هو من الأضداد ، و عن النهاية تفسيرها بالمواضع المنفتحة ، و هو مأخوذ من قولهم رها رجليه رهواً أى فتح و (الفرج) جمع الفرجة و هي المكان الخالي و (لاحم) الصق و (الصدع) الشقّ و (وشّج) بتشديدالشين فالجيم المعجمة شبّكو (ذلل) البعيرجمله ذلولاً وهوضدّ الصّعب الذي لا ينقاد من الذلّ بالكسر وهواللّين و (الحزونة) خلاف السّهولة و (المعراج) السّلّموالمصعد و (العروة) من الدّلو و الكوز المقبض و من الثوب اخت زرّه كالعرى ويكسر و(الأشراج). جمع الشّرج محرّكة كالأسباب و السّبب ، و هي العروة للعيبة وقيل وقد تطلق الاشراج على حروف العيبة التي تخاط و هوالأنسب في المقام .

قال الشارح المعتزلي : و تسمّى مجرّة السّماء شرجاً تشبيها بشرج العيبة واشراج الوادي ما انفسح منه وانشقّ و (فتق) الثوب فتقاً شقّه ونقض خياطته حتّى انفصل بعضه عن بعض و(الرتق) ضدّ الفتق و (صوامت) الأبواب مغلقاتهاو(الرصد) جمع راصد كخدم و خادم او اسم جمع و يكون مصدراًكالرّصد بالفتح ،و الرّاصد هو القاعد على الطريق منتظراً لغيره للاستلاب أو المنع ،والمرصاد الطريقوالمكان يرصد فيه العدوّ و ارصدت له اعددت.

و (النقاب) بالكسر جمع نقب كسهام و سهم وهو الثقب والخرق والطريق في الجبل و (المور) الموج والاضطراب و الحركة قال تعالى : يوم تمور السّماء موراً و (الخرق) يكون بمعنى الثقب في الحايط والشقّ فى الثوب و غيره ، و هو في الأصل مصدر خرقته إذا قطعته ومزقته ، يكون بمعنى القفر و الأرض الواسعة تتخرّق فيها الرّياح أى تهب وتشتدّ و (الهواء) يقال : للجسم الذي هوأحدالعناصر و يقال : لكلّ خال قال سبحانه : و افئدتهم هواء ، أى خالية من العقل أو الخير و(الأيد) القوّة و (المنقل) في الأصل الطريق في الجبل و (المدارج) جمع المدرج و هو المسلك و (درج) الصّبي دروجاً و درجاناًمشى و درجهما بالتّحريك الطريق،

و في بعض النسخ درجيهما بصيغة التثنية ، و في نسخة الشارح البحراني درجتهما بالتّاء الفوقانية.

و (الجوّ) الهواء و(النياط) التعليق و (الدّراري)الكواكب المضيئة جمع الدّرى بتثليث الدّال نسبت إلى الدّرلبياضها ، و عن الفراء الكوكب الدّرى عند العرب عظيم المقدار ، و قيل : هو أحد الكواكب الخمسة السيارة ، ولايخفى أنّ وصفه عليه السلام الدّرارى بالخفيات ينافي القولين ظاهراً و (مسترق السمع) المستمع مختفياً ، وفي النسخ مسترقى السّمع بصيغة الجمع و (الأذلال) بفتح الالف و الذال المعجمة جمع الذلّ بالكسر يقال : أُمور الله جارية أذلالها بالنصب وعلى اذلالها أى مجاريها و يقال : دعه على اذلاله أى حاله بلا واحد و جاء على اذلاله أي وجهه.

الاعراب

فوله عليه السلام : و ناداها بعد إذهي دخان ، قال الشارح المعتزلي: روى باضافة بعد إلى إذ، و روى بضمّ بعد أى و ناداها بعد ذلك إذهى دخان والأوّل أحسن و أصوب، لأنّها على الضّم تكون دخاناً بعدفتور رهوات فروجها و ملائمةصدوعها والحال تقتضى أنّ دخانيّتها قبل ذلك لابعده اه.

و قوله : و أمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده الظرف الأوّل أعنى في خرق الهواء يجوز تعلّقه بأمسك و يجوز تعلّقه بتمور ، و أما الثاني فهو متعلّق بالامساك لاغير ، و من في قوله من ليلها إما لابتداء الغاية أو لبيان الجنس وتتعلّق بممحوّة أو بجعل ، و قوله عليه السلام ثمّ علّق في جوّها فلكها ، الظاهر كون ثمّ هنا للترتيب الذكرى ، و من خفيات دراريها إما متعلّق بناط أو بيان للزينة.

المعنى

اعلم أنه عليه السلام لما ذكر في الفصل السّابق عظمة قدرة الله سبحانه في الخلق والتقدير واللّطف والتدبير و كمال حكمته في الفطر والابداع والايجاد والاختراع على نحو الاجمال والاطلاق، عقّبه بهذا الفصل المتضمّن لعجيب خلقة السماء وبديع

ما أودعه فيها لدلالتها المخصوصة على عظمة بارئها ، وشهادتها المحسوسة على قدرة صانعها و كفايتها للمستبصر و غنيتها للمستهدي، وقدمرّ في تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبة الاولى ما فيه كفاية لشرح هذا المقام و دراية لذوى الأفهام إلاّ أنّا نعيد هنا بعض ما قدّمناه هناك و نزيد ههنا بعض مالم نورده ثمة باقتضاء المقام و توضيحاً لكلام الامام عليه السلام. فأقول:

قال: (ونظم بلا تعليق رهوات فرجها) أى جمع وألف أجزاء السماء المنفرجة المتصفة بالارتفاع والانخفاض فسوّاها بقدرته الكاملة من غير أن يعلّق بعضها ببعض بخياطة و علاقة كما ينظم الانسان ثوبا بثوب أو نحوهما بالقيد والتعليق ، و هو مناسب لما مرّ في شرح الخطبة الاولى من أنّ مادّتها الدّخان المرتفع من الماء إذ مثل ذلك يكون قطعا ذات فرج.

وأما ما في شرح البحراني من تأويل ذلك بتباين أجزاء المركّب لولا التركيب والتأليف ، أو بالفواصل التي كانت بين أطباق السماوات فخلقها الله سبحانه اكراً متماسّة لاخلا بينها ، فمبنيّ على قواعد الفلاسفة و تقليدهم (ولاحم صدوع انفراجها) هذا العطف بمنزلة التفسير و التّوكيد للجملة السابقة أى الصق أجزائها ذوات الصدوع بعضها ببعض و اضافة الصّدوع إلى الانفراج من اضافة الخاصّ إلى العامّ (و وشّج بينها و بين أزواجها) أي شبّك بينهما.

قال الشارح البحراني : أراد بأزواجها نفوسها التى هي الملائكة السّماوية بمعنى قرائنها و كلّ قرين زوج أى ربط ما بينها و بين نفوسها بقبول كلّ جرم سماويّ لنفسه التى لايقبلها غيره.

و أورد عليه المحدّث العلامة المجلسىّ (ره) بأنّ القول بكون السّماوات حيوانات ذات نفوس مخالف للمشهور بين أهل الاسلام ، بل نقل السّيد المرتضى رضى الله عنه اجماع المسلمين على أنّ الأفلاك لاشعور لها ولا إرادة ، بل هى أجسام جمادية يحرّكها خالقها.

ثمّ قال (ره): ويمكن أن يراد بالأزواج الملائكة الموكلون بها ، أوالقاطنون

فيها ، أو المراد أشباهها من الكواكب و الأفلاك الجزئية ، و يمكن أن يكون المراد أشباهها في الجسمية والامكان من الأرضيات و يناسب ماجرى على الألسن من تشبيه العلويات بالآباء والسّفليّات بالأمهات (و ذلّل للهابطين بأمره والصاعدين بأعمال خلقه حزونة معراجها) أى ذلّل للملائكة النّازلين بأمره التّكويني والتشريعي وللكرام الكاتبين الصّاعدين بأعمال خلقه حزونة المعراج إلى السماء.

و قد تقدّم شرح حال الفرقة الاولى أعنى المدبّرات أمراً في شرح الفصل التاسع من فصول الخطبة الاولى و شرح حال الفرقة الثانية في شرح الفصل الأوّل من الخطبة الثانية والعشرين في المقام الثاني من تكملة ذلك الفصل ، هذا.

و قال الشارح البحراني في شرح هذه الفقرة : قدسبقت الاشارة إلى أنّ الملائكة ليست أجساماً كساير الحيوان ، فاذن ليس هبوطها و صعودها الهبوط والصعود المحسوسين، وإلاّ لكان الباري جلّ قدسه عن أوهام المتوهّمين في جهة إليه يصعد وعنه ينزل، فاذن هو استعارة لفظ النزول من الجهة المحسوسة إلى أسفل للنزول المعقول من سماء جود الالهى إلى أراضى الموادّ القابلة للافاضات العالية، و بذلك المعنى يكون هبوط الملائكة عبارة عن ايصالها إلى كلّ مادونها كماله متوسطة بينه و بين مبدعه وموجده وهم المرسلون من الملائكة بالوحى و غيره، و كذلك الصاعدون بأعمال الخلق هم الملائكة أيضاً.

و أما معنى الصّعود بها فيعود إلى كونها منقوشة في ذوات الصّاعدين بها، وقدلاح فيما سبق أنّ علمه تعالي بمعلولاته البعيدة كالزمانيات والمعدومات التي من شأنها أن توجد في وقت و تتعلّق بزمان يكون بارتسام صورها المعقولة في تلك الألواح ، و هو أيضاً مستعار كلفظ الهبوط للمعنى الذى ذكرناه من أراضى النفوس إلى الألواح.

فامّا الانفراج الذى ذلل حزونته لهم و سهّل عليهم سلوكه فيعود إلى عدم حجبها ومنعها لنفوذ علوم الملائكة بأعمال الخلايق و ما يجرى في هذا العالم ، و كما أنّ الجسم المتصدّع لايمنع نفوذ جسم آخر فيه من حيث هو متصدّع والوصول

إلى ما ورائه ، كذلك السماء لاتحجب علوم الملائكة أن تتعلّق بما في هذا العالم من الموجودات، فجرت مجرى المنفرج من الأجسام فاطلق عليه لفظ الانفراج وتذليله لحزونة ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعة بوجه لجريان علوم الملائكة المقرّبين في هذا العالم.

أقول : و أنت خبير بما فيه ، فانّ ما ذكره كلّه تأويل لاداعي إليه موجب لطرح ظواهر الآيات المتوافرة ونصوص الأخبار المتواترة المثبتة للهبوط والصعود المحسوسين للملائكة ،بعيد عن لسان الشريعة ، و إنما دعاه إلى ذلك استيناسه بحكمة الفلاسفة المخالفة للكتاب و السنّة.

(و ناداها بعد إذ هي دخان فالتحمت عرى أشراجها) المراد بندائها حكمه و أمره التكويني النافذ فيها بالوجود و بالتحام عرى أشراجها تمام خلقها وفيضان الصور السماوية عليها، و ذلك باعتبار تركيبها وانضمام جزئها الصورى إلى جزئها المادّى كما يلتحم طرفا العيبة تبشريج عراها ، و فيه تلميح إلى قوله سبحانه:

« ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فَقَضٰيهُنَّ سَبْعَ سَمٰواتٍ »

فقوله عليه السلام : و ناداها إشارة إلى قوله : ائتيا طوعاً أو كرهاً ، و قوله عليه السلام : بعد إذ هى دخان ، موافق لقوله : و هي دخان ، و قوله عليه السلام : فالتحمت اه مساوق لقوله: فقضيهنّ الآية.

قال البيضاوى في تفسيرها : قصد نحو السماء وهي دخان أمر ظلماني، و لعلّه أراد بهمادّتها والاجزاء المتفرّقة التي ركبت منها، فقال لها وللأرض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير و التأثّر و ابرازما أودعتكما من الأوضاع المختلفة و الكاينات المتنوّعة أو ائتيا في الوجود أو اتيان السماء حدوثها و إتيان الأرض أن تصير مدحوّة ، طوعاً أو كرهاً شئتما ذلك أو أبيتما ، والمراد إظهار قدرته و وجوب وقوع مراده لا إثبات الطوع والكره لهما، قالتا أتينا طائعين منقادين بالذات والأظهر أنّ المراد تصوير

تأثير قدرته فيهماوتأثّرهما بالذات عنها و تمثيلها بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله : كن فيكون ، فقضيهنّ سبع سموات خلقهنّ حلقاً إبداعياً و أتقن أمرهنّ.

و قال الطبرسي في مجمع البيان أى ثمّ قصد إلى خلق السماء و كانت السماء دخانا ، و قال ابن عباس كانت بخار الأرض و أصل الاستواء الاستقامة ، و القصد التدبير المستقيم تسويةله:

« فَقالَ لَها وَ لِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ »

قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم ، و أتت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار و ليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا جواب لذلك القول بل أخبرالله سبحانه عن اختراعه السّماوات والأرض و إنشائه لهما من غير تعذّر ولا كلفة ولامشقّة بمنزلة ما يقال للمأمور افعل فيفعل من غير تلبّث ولاتوقّف فعبّر عن ذلك بالأمر والطاعة و هو كقوله:

« إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » .

و إنما قال أتيناطائعين ولم يقل أتيناطائعتين لأنّ المعنى أتينا بمن فينامن العقلاء فغلب حكم العقلاء و قيل إنه لما خوطبن خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل كما قال:

« وَ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » .

(و فتق بعدالارتتاق صوامت أبوابها) و هوإما كناية عن ايجادالأبواب فيها وخرقها بعد ما كانت رتقا لاباب فيها ، أو فتح الأبواب المخلوقةفيهاحين ايجادها ، وهذه الأبواب هي التى منها عروج الملائكة و هبوطها و صعود أعمال العباد و أدعيتهم و أرواحهم كما قال تعالى:

« وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ »

أوالتي تنزل منها الأمطار كما أشارإليه بقوله:

« فَفَتَحْنا أبوابَ السّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ »

و يؤيّد الأخير ما رواه الطبرسيّ (ره) في تفسير قوله سبحانه:

« أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما »

عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام و عكرمة و عطية و ابن زيدأنّ السماء كانت رتقا لاتمطر والأرض رتقا لاتنبت ففتقنا السماء بالمطر والأرض بالنّبات ، هذا.

ولايخفى عليك أنه بعددلالة كلام الامام عليه السلام كغيرواحد من الآيات والأخبار على أنّ للسماء أبوابا لايعبأ بما قاله الفلاسفة من استحالة الخرق والالتيام على الفلك المبتنية على قواعدهم الفاسدة و عقولهم الكاسدة.

و لعلّ الشارح البحراني ألجأه التقليدبهم إلى تأويل كلامه عليه السلام في هذا المقام بما لاينافي أُصولهم حيث قال : وافتتاق صوامت أبوابها بعد الارتتاق هو جعلها أسباباً لنزول رحمته و مدبرات تنزل بواسطة حركاتها على هذا العالم أنواع رحمةالله فكانت حركاتها تشبه الأبواب إذهى أبواب رحمته ومفاتيح جوده .

و مثله ما ذكره في شرح قوله عليه السلام: (و أقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها) حيث قال إنهاستعارلفظ النقاب لكونها بحيث لايمنع تعلّق العلوم بماوزرائها من الأجسام والمجرّدات ، و أنت خبير بأنّ كلّ ذلك تكلّف لاداعي إليه والأدلّة على امكان الخرق و وجود الأبواب فوق حدّ الاحصاء ، و لعلّنا نشبع الكلام في ذلك فى مقام مناسب ، و المهمّ الآن شرح معنى كلامه عليه السلام على مقتضى اسلوبنا و سليقتنا المفادةمن الآيات و الأخبار فأقول: مراده عليه السلام بنقابها طرائقها كما قال سبحانه :

« وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ »

فالمقصود بذلك إقامة الشّهب و إرصادها على المرصاد لطرد الشياطين عن استراق

السّمع كما حكى الله ذلك في سورة الجنّ بقوله:

«وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً».

قال الطبرسيّ: ثمّ حكى الله الجنّ و قولهم:

«وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ»

أي مسسْناها، و قيل: طلبنا الصعود إلى السّماء فعبّر عن ذلك بالمسّ مجازاً.

«فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً» أي حفظة من الملائكة شداداً

«وَ شُهُباً»

والتقدير ملئت السّماء من الحرس والشهب و هو جمع شهاب و هو نور يمتدّ من السّماء كالنار.

«وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ»

أي لاستراق السّمع أي كان يتهيّأ لنا فيما قبل القعود في مواضع الاستماع فنسمع صوت الملائكة و كلامهم:

«فَمَنْ يَسْتَمِعِ» منّا «الْآنَ» ذلك «يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً»

يرمي به و يرصد له، و شهابا مفعول به و رصداً صفته قال معمّر: قلت للزّهري أكان يرمي بالنجوم في الجاهليّة؟ قال: نعم قلت: أفرأيت قوله:

«أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها»

الآية قال: غلّظ و شدّد أمرها حين بعث النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم (و أمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده) أي أمسكها بقدرته وقوّته من الحركة والاضطراب في الهواء الذي هو أحد العناصر إذ لا دليل على انحصاره في الذي بين السماء والأرض في المكان

الخالى الموهوم أو الموجود طبعاً أو قسراً ، والمراد حركة أجزائها فيما بين السماء والأرض و يؤيّده قوله سبحانه :

« وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ »

(و أمرها أن تقف مستسلمة لأمره) أى أمرها بالوقوف و القيام و أراد منها ذلك منقادة لارادته كما قال تعالى:

« وَمِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ »

قال الطبرسيُّ : بلادعامة تدعمهما ولاعلاقة تتعلّق بهما بأمره لهما بالقيام كقوله تعالى :

« إِنَّما أَمْرُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »

و قيل بأمره أى بفعله وإمساكه إلاّ أنّ أفعال الله عزّ اسمه مضاف إليه بلفظ الأمر لأنه أبلغ في الاقتدار فانّ قول القائل أراد فكان أو أمر فكان أبلغ في الدلالة على الاقتدار من أن يقول فعل فكان ، و معنى القيام الثبات و الدّوام (و جعل شمسها آية مبصرة لنهارها ، و قمرها آية ممحوّة من ليلها) هو مأخوذ من قوله سبحانه في سورة الاسرى:

« وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً »

و فيه قولان : **أحدهما** أن يراد أنّ اللّيل و النهار آيتان في أنفسهما فتكون الاضافة في آية الليل و آية النهار للتّبيين كإضافة العدد إلى المعدود ، أى فمحونا الآية التي هي اللّيل فكانت مظلمة وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة **والثانى** أن يراد : و جعلنا آيتي اللّيل والنّهار أى نيّريهما آيتين ، فيكون المراد بهما الشمس والقمر و ظاهر كلام الامام عليه السلام ربما يشعر بهذا القول ، و يدلّ على القولين قوله سبحانه:

«وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلّهِ الَّذي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ»

أمّا كون الأوّلين آيتين فلأنّ كلّ واحد منهما مضادّ للآخر معاند له، فكونهما متعاقبين على الدوام من أقوى الدّلائل على أنّهما غير موجودين بالذات بل لابدّ لهما من فاعل يدبّرهما و يقدّرهما بالمقادير المخصوصة، مضافا إلى أنّ مقتضى التّضادّ بين الشيئين أن يتفاسد الاأن يتعاونا على سبيل المصالح، و هما مع تضادّهما و تنافيهما متعاونان على تحصيل منافع الخلق و مصالحهم، فلولا اللّيل لما حصل السكون والراحة، و لولا النهار لما أمكن الكسب والمعيشة، و لولا الليل لفسدت الزراعات بالحرارة، و لولا النّهار لفسدت بالبرودة، فهما من أقوى الآيات وأظهر البيّنات.

و أمّا كون الآخرين آيتين للصانع و دليلين على وجود القادر المختار فلأنّ الأجسام متماثلة فاختصاصهما بالحركة الدّائمة دون السّكون لابدّ له من مخصّص، و أيضاً ان كلّ واحدة من تلك الحركات مختصّة بكيفيّة معيّنة من البطوء و السّرعة فلابدّ له أيضاً من مخصّص على أنّ تقدير تلك الحركات بمقادير مخصوصة على وجه تحصل عوداتها و دوراتها متساوية بحسب المدّة حالة عجيبة و صنعة بديعة لابدّ لها من مدبّر مقدّر و مبدع مقتدر، هذا.

و أما المقصود بمحو آية اللّيل فلهم فيه قولان:

أحدهما أنه هو ما يظهر في القمر من الزّيادة والنقصان في النور فيبدو في أوّل الأمر في صورة الهلال ثمّ لايزال يتزايد نوره حتّى يصير بدراً كاملا، ثمّ يأخذ في الانتقاص قليلا قليلا و ذلك هو المحو إلى أن يعود إلى المحاق.

والثاني أنه هو الكلف في وجه القمر و كونه مطموس النّور، فانه بعدما كان مساويا للشمس في الضوء والنّور أرسل الله جبريل فأمرّ جناحه على وجهه فطمس عنه الضوء، ومعنى المحو في اللّغة إذهاب الأثر، وقد استظهرنا هذا القول في التذييل

السادس من تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبة الاولى ببعض الأخبار التي أوردناهاهناك.

و ربما يستظهر القول الأوّل بقوله سبحانه:

« لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ »

لأنّ المحو إنما يؤثّر في ابتغاء فضل الله إذا حملناه على زيادة نور القمر و نقصانه، فانّ أهل التجارب تبيّنوا أنّ اختلاف أحوال القمر في مقادير النور له أثر عظيم في أحوال هذا العالم و مصالحها، مثل أحوال البحار في المدّ والجزر ومثل أحوال البحرانات على ما يذكره الأطباء في كتبهم و أيضاً بسبب زيادة نور القمر ونقصانه تحصل الشهور و بسبب معاودة الشهور تحصل السنون العربية المبنيّة على رؤيه الأهلّة.

و أمّا المراد بجعل آية النهار مبصرة ففيه أيضا قولان:

أحدهما أنّ معنى كونها مبصرة كونها مضيئة نيّرة، قال الكسائي: العرب تقول: أبصر النّهار إذا أضاء أقول: و لعلّ ذلك من حيث إنّ الاضائة لما كان سببا للابصار فاطلق اسم الابصار على الاضائة إطلاقا لاسم المسبّب على السّبب.

و ثانيهما أنّ المبصرة التي أهلها بصراء فيها قال أبوعبيدة يقال: قد أبصر النّهار إذا صار النّاس يبصرون فيه، كقولهم رجل مخبث إذا كان أصحابه خبثاء و رجل مضعف إذا كان دوابه ضعفاء، هذا.

و بقى الكلام في إضافة اللّيل والنّهار إلى السماء في كلامه عليه السلام، ووجهها أنّ استنادهما لما كان إلى حركة الفلك أضافهما إليها لتلك المناسبة (وأجراهما في مناقل مجريهما و قدّر سيرهما في مدارج درجيهما) أراد بالمناقل والمدارج منازل الشمس و القمر.

قال ابن عباس: للشمس مأة و ثمانون منزلا كلّ يوم لها منزل وذلك في ستّة أشهر ثمّ إنها تعود إلى واحد واحد منها في ستّة أشهر مرّة اخرى، والقمر له ثمانية و عشرون منزلا.

و تحقيق المقام أنهم قسّموا دور الفلك الذى يسيرفيه الكواكب اثنا عشر قسماًوسمّوا كلّ قسم برجا كما قال سبحانه:

« وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ » وقال: « تبارَكَ الّذي جَعَلَ في السَّماءِ بُرُوجاً »

قال الرازي البروج هي القصور العالية سمّيت بروج الكواكب لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكّانها ، ثمّ إنّهم قسّموا كلّ برج ثلاثين قسماً وسمّوا كلّ قسم درجة وسمّوا البروج بهذه الأسماء:

الحمل ، الثور ، الجوزا ، السرطان ، الاسد : السنبلة، الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدى ، الدلو ، الحوت ، و الشّمس تسير كلّ برج منها في شهر واحد ، فتحصل تمام دورتها لتلك البروج في سنة كاملة وبه تحصل السّنة وهي ثلاثمأةوخمسةوستّون يوماً وشيء تنزل كلّ يوم في منزل وما قاله ابن عباس في كلامه الذي حكيناه لعلّه مبنىّ على ماهو الشّايع في ألسنة النّاس من تقدير السّنة بثلاثمأةوستّين يوما وإن لم يكن مطابقا لشيء من حركتي الشّمس و القمر فتأمل، هذا

وما ذكرناه في سير الشمس انّما هو بحسب حركتها الذاتية، وأماحركتها بسبب حركة الفلك الأعظم فتتمّ في اليوم بليلته ، وأمّاالقمر فيسير كلّ برج في أزيد من يومين ونقص من ثلاثة أيّام وتمام دورتها في ثمانية وعشرين ليلة ، وله في كلّ ليلة منزل .

فمنازله ثمانية وعشرون مسمّاة بتلك الأسماء:

الشرطين ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة ، الهنعة ، الذراع ، النثرة، الطرفة ، الجبهة ، الدبرة ، الصرفة ، العواء ، السماك ، الغفر ، الزبانا، الاكليل ، القلب ، الشولة ، النعايم ، البلدة ، سعدالذابح ،سعدبلع، سعدالسعود ، سعدالاخبية ، فرغ الدلوالمقدم ، فرغ الدلوالمؤخر ، الرشا، وهو بطن الحوت

وإلى تلك المنازل اُشير في قوله سبحانه :

« وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ »

أى قدّرنا مسيره منازل أو سيره في منازل ينزل كلّ ليلة في واحدة منها ، فاذا كان في آخر منازله دقّ و استقوس حتّى عاد كالعرجون أى كالشمراخ المعوج القديم العتيق.

قال نصير الملّة والدّين (ره) في محكيّ كلامه من التذكرة : و أمّا منازل القمر فهي من الكواكب القريبة من منطقة البروج جعلها العرب علامات الاقسام الثمانية والعشرين التي قسّمت المنطقة بها لتكون مطابقة لعدد أيام دور القمر .

وقال الخفرى في شرحه : والمراد من المنزل المسافة التي يقطعها القمرفي يوم بليلته ، و منازل القمر عند الهند سبعة و عشرون يوما بليلة وثلث ، فحذفوا الثلث لكونه أقل من النّصف كما هو عادة أهل التنجيم .

و أماعند العرب فهى ثمانية وعشرون ، لا لأنّهم تمّموا الثلث واحداً كما قال البعض ، بل لأنّه لمّاكان سنوهم لكونهاباعتبار الأهلّة مختلفةالأوايل بوقوعها في وسط الصّيف تارة و في وسط الشّتاء أخرى ، احتاجوا إلى ضبط سنة الشّمس لمعرفة فصول السنة حتّى يشتغلوا في استقبال كلّ فصل منها بما يهمّهم ، فنظروا إلى القمرفوجدوه يعود إلى وضعه من الشّمس في قريب من ثلاثين يوماً ويختفى في هذا الشّهر ليلتين أو أكثر أو أقلّ فأسقطوا يومين من الثلاثين فبقى ثمانية وعشرون وهو الزّمان الواقع في الأغلب بين رؤيته في العشيّات في أوّل الشّهر ورؤيته بالغدوات في آخره ، فقسّموا دور الفلك عليه ، فكان كلّ منزل اثنتى عشرة درجة و احدى و خمسين دقيقة تقريباً أى ستّة أسباع درجة فتصيب كلّ برج منزلان و ثلث .

ثمّ وجدوا الشّمس تقطع كلّ منزل في ثلاثة عشر يوماً في التقريب فسار المنازل في ثلاثمأة و أربعة وستّين يوماً ، لكن عود الشمس إلى كلّ منزل إنّما يكون في ثلاثمأة وخمسة وستّين يوماً ، فزادوا يوماً في أيّام منازل غفر وقد يحتاج

إلى زيادة للكبيسة حتّى تصير أيامه خمسة عشر ويكون انقضاء أيام السنة الشمسية مع انقضاء أيّام المنازل ورجوع الأمر إلى منزل جعل مبدء .

ثمّ إنّهم جعلوا علامات المنازل من الكواكب الظاهرة القريبة من المنطقة مما يقارب ممرّ القمر أو يحاذيه ، فيرى كلّ ليلة نازلا بقرب أحدها فان سترها يقال كفحه فكافحه أي واجهه فغلبه و لا يتفأّل به و إن لم يستره يقال : عدل القمر ويتفأّل به .

وقوله (ليميز بين اللّيل والنّهار بهماوليعلم عددالسنين والحساب بمقاديرهما) الظاهر كون التميز والعلم غايتين لمجموع الأفعال السابقة على حدّ قوله سبحانه في سورة الاسرى :

« وَجعلْنَا اللّيْلَ وَالنّهارَ آيتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللّيْلِ وَ جعلْنا آيَةَ النّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ »

وقوله في سورة يونس :« هُوَ الّذي جَعَلَ الشّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قدّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السّنِينَ وَ الْحِسابَ »

ويحتمل كون التميز غاية للأوّل والعلم غاية للأخير أو الأخيرين فيكون نشراً على ترتيب اللّف ، ومعناه على ذلك أنّه تعالى جعل الشمس آية مبصرة والقمر آية ممحوّة ليحصل التميز بين الليل والنّهار بهما ،وأجرى الشمس والقمر في منازلهما و قدّر سيرهما في مناقلهما ليحصل العلم بعدد السّنين و الحساب بمقادير سيرهما وتفاوت أحوالهما ، هذا .

و المراد بالحساب حساب مايحتاج إليه النّاس في امور دينهم ودنياهم ليتمكّنوا بذلك من إتيان الحجّ والصّوم والصّلوات في أوقاتها ، ويعرفوا عدّة المطلقة والمتوفّى عنها زوجها ، و مدّة حلول آجال الدّيون و انقضائها ،و يرتّبوا معاشهم بالزراعة والحراثة والفلاحة في ساعاتها ويهيّئوا مهمّات الشّتاء والصّيف وضروريّات العيش

في آنائها إلى غيرهذه ممّا يحتاجون إليها في الدّنيا والدّين

« إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ »

(ثمّ علّق في جوّها فلكها) هذه العبارة من مشكلات كلامه عليه السلام .

و جهة الاشكال فيها من ثلاثة وجوه : **أحدها** أنّه عليه السلام قال في صدر هذا الفصل : و نظم بلا تعليق رهوات فرجها ، فنفى التعليق في نظم الأجزاء ثمّة ينافي إثباته هنا **وثانيها** أنّ الجوّ عبارة عن مابين السّماء والأرض من الهواء فمامعنى تعليق الفلك فيه ، ثمّ ما معنى الاضافة، **و ثالثها** أنّ المشهور أنّ الفلك هوالسّماء والاضافة في كلامه عليه السلام يفيد التغاير

و يرفع الاشكال عن الأوّل بحمل التّعليق المنفيّ فيما سبق على التعليق بالعلايق المحسوسة والتعليق المثبت هنا على التّعليق بالقدرة، وعن الثّاني بحمل الجوّ على الفضاء الواسع الموهوم أو الموجود الذي هومكان الفلك ووجه اضافته إليها واضح، وعن الثّالث بجعل المراد بالفلك مدار النّجوم كما فسّره به في القاموس .

و قال الشّارح المعتزلي : أرادبه دايرة معدّل النهار ، وقيل : المراد به سماء الدّنيا ، وهو مبنيّ على كون النّجوم فيها على وفق قوله سبحانه

« إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ »

و على المشهور من عدم كون جميعها في السّماء الدّنيا فلعلّ الأظهر أن يراد بالفلك ما ارتكز فيه من السّماوات كوكب يتحرّك بحركته ، قاله في البحار ثمّ قال : و يمكن على طريقة الاستخدام أو بدونه أن يراد بضمير السّماء الذي أحاط بجميع ما ارتكزت فيه الكواكب المدبّرلها فكون فلكها في جوّها ظاهر أويراد بالسّماء الأفلاك الكلّية وبالفلك الأفلاك الجزئية الواقعة في جوفها (وناط بها زينتها من خفيّات دراريها و مصابيح كواكبها) أى علّق بالسّماء ما يزيّنها من الكواكب الخفيّة الّتي هي كالدّر في الصّفاء و الضياء ، و الكواكب التي هي بمنزلة المصباح يضيء و كونها زينة لها إمّا بضوئها أو باشتمالها على الأشكال

المختلفة العجيبة (ورمى مسترق السّمع بثواقب شهبها) وفيه تلميح إلى قوله سبحانه

« إلّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ »

أي إلاّ من حاول أخذ مسموع من السّماء في خفية فلحقه شعلة نار ظاهر لأهل الأرض بيّن لمن رآه ، وإلى قوله سبحانه :

« إِلّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ »

قال الطبرسيُّ : والتقدير لا يتسمّعون إلى الملائكة إلاّ من وثب الوثبة إلى قريب من السّماء فاختلس خلسة من الملائكة واستلب استلاباً بسرعة فلحقه وأصابه نار مضيئة محرقة ، والثاقب النيّر المضيء .

فان قلت : تقدّم ذكر الشهب في قوله : وأقام رصداً من الشّهب الثواقب على نقابها فما وجه إعادتها ؟

قلنا : إنّه عليه السلام ذكر سابقا أنه أقامها رصداً ، ونبّه ههنا على أنّ إرصادها لرمى مسترق السّمع ، روى عن ابن عباس أنه كان في الجاهليّة كهنة ومع كلّ واحد شيطان فكان يقعد من السّماء مقاعد للسّمع فيستمع من الملائكة ماهو كائن في الأرض فينزل و يخبر به الكاهن فيفشيه الكاهن إلى النّاس ، فلما بعث الله عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات ، ولمّا بعث محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم منعوا من السّماوات كلّها ؛ وحرست السّماء بالنّجوم والشّهاب من معجزات نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه لم ير قبل زمانه ، و قيل : إنّ الشهاب يقتل الشياطين ، وقيل لا يقتلهم .

قال الفخر الرّازي بعد ما عدّد جملة من منافع النجوم:

و منها أنه تعالى جعلها رجوماً للشياطين الذين يخرجون الناس من نور الايمان إلى ظلمة الكفر ، يروي أنّ السّبب في ذلك أنّ الجنّ كانت تسمع بخبر السّماء ، فلما بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم حرست السماء و رصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقا للسّمع رمي بشهاب

فأحرقه لئلاّينزل به إلى الأرض فيلقيه إلى الناس فيخلط على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أمره ويرتاب الناس بخبره ، و هذا هو السّبب في انقضاض الشّهب ،فهذا هو المراد من قوله تعالى و جعلناها رجوماً للشّياطين.

و من الناس من طعن في هذا من وجوه:

أحدها أنّ انقضاض الكواكب مذكورة في كتب قدماء الفلاسفة قالوا :إنّ الأرض إذا سخّنت بالشّمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها فتلك الشعلة هي الشّهاب.

و ثانيها أنّ هؤلاء الجنّ كيف يجوز أن يشاهدوا واحدا وألفاً من جنسهم يسترقون السّمع فيحرقون ثمّ إنهم مع ذلك يعودون لمثل صفتهم فانّ العاقل إذا رأى الهلاك في شيء مرّة و مراراً امتنع أن يعود إليه من غير فائدة.

و ثالثها أنه يقال : في ثخن السّماء مسيرة خمسمأة عام فهؤلاء الجنّ إن نفذوا في جرم السّماء و خرقوا له فهذا باطل لأنّه تعالى نفى أن يكون فيها فطور على ما قال : فارجع البصر هل ترى من فطور ، و إن كانوا لاينفذون في جرم السّماء فكيف يمكنهم أن يسمعوا أسرار الملائكة من ذلك البعد العظيم فلم لايسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الأرض.

و رابعها أنّ الملائكة إنما اطلعوا على الأحوال المستقبلة إما لأنهم طالعوها من اللّوح المحفوظ ، أو لأنّهم يتلقّونها من وحي الله تعالى إليهم، و على التّقديرين فلم لايمسكوا عن ذكرها حتّى لايتمكّن الجنّ عن الوقوف عليها.

و خامسها أنّ الشّياطين مخلوقون من النّار و النار لا تحرق النّار بل تقويها فكيف يحتمل أن يقال : الشّيطان زجر من استراق السّمع بهذه الشهب.

و سادسها أنه إن كان هذا القذف لأجل النّبوّة فلم دام بعد وفات الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم .

و سابعها أنّ هذه الرّجوم إنما تحدث بالقرب من الأرض بدليل أنّا نشاهد حركاتها بالغة ولو كانت قريبة من الفلك لماشاهدنا حركاتها كمالم نشاهد حركات

الكواكب ، و إذا ثبت أنّ هذه الشهب إنما تحدث بالقرب من الأرض كيف يقال إنّها تمنع الشّياطين من الوصول إلى الفلك.

وثامنها أنّ هؤلاء الشّياطين لو كان يمكنهم أن ينقلوا أخبار الملائكة من المغيبات إلى الكهنة فلم لا ينقلون أسرار المؤمنين إلى الكفّار حتّى يتوسّل الكفار بواسطة وقوفهم على أسرارهم إلى إلحاق الضّرر بهم.

و تاسعها لم لم يمنعهم الله ابتداء من الصعود إلى السّماء حتّى لا يحتاج في دفعهم عن السماء إلى هذه الشهب

والجواب عن السؤال الأوّل أنا لا ننكر أنّ هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النّبي صلى الله عليه وآله وقد يوجد بسبب آخر و هو دفع الجنّ و زجرهم ، يروى أنّه قيل للزّهرى أكان يرمي في الجاهلية؟ قال : نعم قال: أفرأيت قوله تعالى:

«أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا»

قال : غلظت و شدّد أمرها حين بعث النّبيّ صلى الله عليه وآله.

والجواب عن السّؤال الثاني أنه إذا جاء القدر عمي البصر ، فاذا قضى الله على طائفة منهم الحرق لطغيانها و ضلالها قيّض له من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضى إلى الهلاك والبوار.

والجواب عن السؤال الثالث أنّ البعد بين السّماء والأرض مسيرة خمسمأة عام فأما ثخن الفلك فلعلّه لا يكون عظيما .

والجواب عن السؤال الرابع ما روى الزهرى عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبيطالب عليهم السلام عن ابن عباس (ره) قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في نفر من أصحابه إذ رمى بنجم فاستنار فقال صلى الله عليه وآله : ما كنتم تقولون في الجاهليّة إذا حدث مثل هذا ؛ فالوا : كنا نقول : يولد عظيم أو يموت عظيم ، قال النّبيّ صلى الله عليه وآله : فانها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته ولكن ربّنا تعالى إذا قضى الأمر في السماء سبّحت

حملة العرش ثمّ سبّح أهل السّماء و سبّح كلّ سماء حتّى ينتهى التّسبيح إلى هذا السّماء و يستخبر أهل السّماء حملة العرش ماذا قال ربّكم ؟ فيخبرونهم ولايزال ينتهى ذلك الخبر من سماء إلى سماء حتّى ينتهى الخبر إلى هذه السماء و يتخطّف الجنّ فيرمون . فماجاؤوا به فهو حقّ ولكنّهم يزيدون فيه

والجواب عن السؤال الخامس أنّ النّار قد تكون أقوى من نار أخرى فالأقوى يبطل الأضعف.

والجواب عن السّؤال السادس أنه إنما دام لأنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر ببطلان الكهنة فلو لم يدم هذا القذف لعادت الكهانة و ذلك يقدح في خبر الرّسول صلى الله عليه وآله عن بطلان الكهانة.

والجواب عن السؤال السّابع أنّ البعد على مذهبنا غير مانع من السّماع فلعلّه تعالى أجرى عادته بأنهم إذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة.

والجواب عن السؤال الثامن لعلّه تعالى أقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكة و أعجزهم عن ايصال أسرار المؤمنين إلى الكافرين.

والجواب عن السّؤال التاسع أنه تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد، فهذا ما يتعلّق بهذا الباب على سبيل الاختصار انتهى.

و قال المحدّث المجلسيّ (ره) بعد نقل كلام الرازى و أجوبته : أقول الأصوب في الجواب عن الثالث أن يقال : قد ظهر أنّ للسماء أبوابا يصعد منها الملائكة و صعد منها نبيّنا صلى الله عليه وآله و عيسى و إدريس عليهما السلام بل أجساد ساير الأنبياء والأوصياء بعد وفاتهم على قول، وقد ورد في الأخبار أنّ الجنّ كانوا يصعدون قبل عيسى عليه السلام إلى ما تحت العرش و بعد بعثته كانوا يصعدون إلى الرابعة و بعد بعثة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم منعوا عن صعود السماء مطلقا بالشّهب ، فصعودهم إمّا من أبوابها أو لكونهم اجساماً لطيفة يمكنهم النفوذ في جرمها ولعلّ(١) المراد بالفطور فيها أن ترى فيها شقوق و ثقب أو تنهدم و تنحلّ أجزائها فلا إشكال في ذلك.

١-يعنى انّ ما ذكرناه لاينافى الفطور المنفى عنها فى قوله تعالى: فارجع البصر هل ترى من فطور .

(و أجراها على اذلال تسخيرها) أى على مجارى تسخيرها أو وجوه مقهوريّتها و فيه تلميح إلى قوله تعالى:

« وَالشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ »

قال الطبرسيّ (ره) : أى مذلّلات جاريات في مجاريهنّ بتدبيره و صنعه خلقهنّ لمنافع العباد.

وقال الفخر الرازيّ ، كون الشّمس و القمر و النّجوم مسخّرات بأمره يحتمل وجوها:

أحدها أنا قددللنا أنّ الأجسام متماثلة ، و متى كان كذلك كان اختصاص جسم الشمس بذلك النور المخصوص والضوء الباهر والتسخين الشّديد والتّدبيرات العجيبة فى العالم العلوى والسّفلى لابدّ و أن يكون لأجل أنّ الفاعل الحكيم و المقدّر العليم خصّ ذلك الجسم بهذه الصّفات ، فجسم كلّ واحد من الكواكب والنّيرات كالمسخّر في قبول تلك القوى والخواصّ عن قدرة المدّبر العليم .

و ثانيها أن يقال : إنّ لكلّ واحد من أجرام الشمس و القمر و الكواكب سيراً خاصّاً بطيئا من المغرب إلى المشرق و سيراً آخر سريعاً بسبب حركة الفلك الأعظم ، فالحقّ سبحانه خصّ جرم الفلك الأعظم بقوّة زايدة على أجرام ساير الأفلاك و باعتبارها صارت مستولية عليها قادرة على تحريكها على سبيل القهر من المشرق إلى المغرب، فأجرام الأفلاك والكواكب صارت كالمسخّرة لهذا القهر والقسر ثمّ ذكر با في الوجوه ولاطائل تحتها.

و قوله عليه السلام : (من ثبات ثابتها و مسير سائرها) بيان لوجه تسخيرها وثبات الثوابت بالنسبة إلى سير السيارات.

والمراد بالسيارات الكواكب السبعة وهي: القمر ، وعطارد ، وزهرة، والشمس والمرّيخ ، والمشترى ، و الزّحل ، و يسمّى الشمس والقمر بالنّيرين ، والخمسة

الباقية بالمتحيّرة لأنّ لكلّ واحد منها استقامة ثمّ وقوفاً ثمّ رجوعاً ثمّ وقوفاً ثانياً ثمّ عوداً إلى الاستقامة و ليس للنّيرين غير الاستقامة ، والمراد بالثّوابت إمّا ساير الكواكب على السماء غير هذه السّبعة أوخصوص ما في كرة البروج .

و في توحيد المفضّل قال : قال الصّادق عليه السلام : فكّر يا مفضّل في النّجوم و اختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك و لا تسير إلاّ مجتمعة ، و بعضها تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها ، فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين ، أحدهما عامّ مع الفلك نحو المغرب ، والآخر خاصّ لنفسه نحوالمشرق كالنملة التي تدور على الرّحا ، فالرّحا تدور ذات اليمين والنّملة تدور ذات الشمال و النّملة تتحرّك في تلك حركتين مختلفتين ، إحداهما بنفسه فتتوجّه أمامها ، والاخرى مستكرهة مع الرّحا تجذبها إلى خلفها ، فاسأل الزّاعمين أنّ النّجوم صارت على ما هي عليه بالاهمال من غيرعمد ولا صانع لها مامنعها كلّها أن تكون راتبة أوتكون كلّها متنقّله ؟ فانّ الاهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير ؟ ففي هذا بيان أنّ مسير الفريقين على مايسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير وليس باهمال كما تزعمه المعطلة .

فان قال قائل : ولم صاربعض النّجوم راتباً وبعضها متنقّلاً ؟

قلنا : إنّها لو كانت كلّها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدلّ بها من تنقّل المتنقّلة ومسيرها في كلّ برج من البروج كما قد يستدلّ على أشياء ممّا يحدث في العالم بتنقّل الشّمس و النّجوم في منازلها ، و لوكانت كلّها متنقّلةلم يكن لمسيرها منازل تعرف و لا رسم يوقف عليه ، لأنّه انما يوقف بمسير المتنقّلة منها لتنقلها في البروج الرّاتبة كما يستدلّ على سيرالسّاير على الأرض بالمنازل يجتازعليها ، ولوكان تنقّلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيهاولساغ لقائل أن يقول:إنّ كينونيّتها على حال واحدة توجب عليها الاهمال من الجهةالتي وصفنا . ففي اختلاف سيرها وتصرّفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها .

(وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها) المراد بالهبوط إما مقابل الشرف كما هو مصطلح المنجّمين ، أو التوجّه إلى حضيض الحامل فانّ للكواكب صعوداً في الأوج وهبوطاً في الحضيض أو التوجّه إلى الغروب فيكون الهبوط حسّا ويقابله الصعود فيما ذكر .

والمراد بالسعود والنحوس كون اتصالات الكواكب أسباباً لصلاح حال شيء من الأشياء من أحوال هذا العالم و أسبابا لفساده .

قال المنجّمون : زحل والمريخ نحسان أكبرهما زحل ، والمشتري والزّهرة سعدان أكبرهما المشتري ، وعطارد سعد مع السعود ونحس مع النحوس ، والنيّران سعدان من التثليث و التسديس نحسان من المقابلة و التربيع و المقارنة ، و الرّأس سعد و الذنب والكبد نحسان ، والله العالم بحقايق ملكه وملكوته .

الترجمة

بعض دیگر از این خطبه درصفت آسمان است میفرماید :

ترتیب داد حق سبحانه وتعالی بدون قید وعلاقه پست وبلندي فرجه‌هاي آنرا وملتئم نمودو بهم در آورد شکافهای گشاد گي آنرا و بهم پیوست میان آنهاو میان زوجهای آنها و ذلیل و آسان نمود بجهة ملائکه که نزول کننده اند بأمر او سبحانه وصعود نماینده‌اند باعملهای بندگان او دشواری نردبانهای آسمانهارا ، وندا نمود آنها را بعدازاینکه بود دود پس بهم آمد بندهای ریسمانهای آنها و گشود بعداز بهم پیوستن درهای بسته آنها را ، وبرپا نمود دیده‌بانها از شهابهای درخشان برراهها ومنفذهای آنها ، و نگه داشت آنهارا ازاین که حرکت نمایند و مضطرب گردند در شکاف هوا با قوت خود ، و أمر کرد آنها را باینکه بایستند در حالتي که انقیاد و تسلیم نمایند فرمان اورا .

و گردانید آفتاب آسمان را [illegible] ر برای روز آن ، وماه آنرا علامتي محوشده ازشب آن ، وجاری فرمود مهروماه را درمواضع انتقال که جای جریان ایشانست ، ومقدّر کرد سیر ایشانرا در راههای درجه‌های ایشان تا تمیز دهد شب

وروز را بآن مهر و ماه و تا دانسته شود شمارهٔ سالها وحسابها بمقدار حركات اين دو كوكب ، پس ازآن درآويخت درفضاى آسمان فلكرا كه محل دوران كوكب است ، و منوط ساخت بآن زينت آنرا از ستارگان پنهان كه مثل درّند در صفا وازچراغهاى ستارها وانداخت بسوى شياطين كه بدزدى وسرقت گوش دهند گانند تااينكه أسرارملائكه را مطّلع شوند بشهابهاى درخشنده سوراخ كننده وجارى ساخت ستارگانرا برمجارى تسخير ومقهوريت آنها ازثبات كواكب ثابته و سير كردن ستارگان رونده ، و ازهبوط كردن ايشان بحضيض حامل ، وصعود نمودن ايشان بأوج حامل واز سعادت آنها ونحوست آنها .

الفصل الخامس

منها في صفة الملائكة ثُمَّ خَلَقَ سُبْحانَهُ لِإِسْكانِ سَمٰواتِهِ ، وَعِمارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلىٰ مِنْ مَلَكُوتِهِ ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ ملائكَتِهِ ، مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجاجِها ، وَحَشابِهِمْ فُتُوقَ أَجْوائِها ، وَبَيْنَ فَجُوجاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ في حَظائِرِ الْقُدْسِ ، وَسُتُراتِ الْحُجُبِ ، وَسُرادِقاتِ الْمَجْدِ ، وَوَرآءِ ذٰلِكَ الرَّجِيجُ الَّذي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْماعُ سُبُحاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصارَ عَنْ بُلُوغِها ، فَتَقِفُ خاسِئَةً عَلىٰ حُدُودِها ، أَنْشَأَهُمْ عَلىٰ صُوَرٍ مُخْتَلِفاتٍ ، وَأَقْدارٍ مُتَفاوِتاتٍ ، أُولي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلالَ عِزَّتِهِ ، لا يَنْتَحِلُونَ ما ظَهَرَ فِى الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ ، وَلا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمّا

انْفَرَدَ بِهِ ، بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ ، لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

جَعَلَهُمْ فِيما هُنالِكَ أَهْلَ الأَمانَةِ عَلَى وَحْيِهِ ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهاتِ ، فَما مِنْهُمْ زائِغٌ مِنْ سَبِيلِ مَرْضاتِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوائِدِ الْمَعُونَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَواضُعَ إِخْباتِ السَّكِينَةِ ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْواباً ذُلُلاً إِلَى تَماجِيدِهِ ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَناراً واضِحَةً عَلَى أَعْلامِ تَوْحِيدِهِ ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِراتُ الآثامِ ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيالِي وَالأَيّامِ ، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوازِعِها عَزِيمَةَ إِيمانِهِمْ ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعاقِدِ يَقِينِهِمْ ، وَلا قَدَحَتْ قادِحَةُ الإِحَنِ فِيما بَيْنَهُمْ ، وَلا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ ما لاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمائِرِهِمْ ، وَما سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلالَتِهِ فِي أَثْناءِ صُدُورِهِمْ ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَساوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِها عَلَى فِكْرِهِمْ

مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمامِ الدُّلَّحِ ، وَفِي عِظَمِ الْجِبالِ الشُّمَّخِ ، وَفِي قُتْرَةِ الظَّلامِ الأَيْهَمِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدامُهُمْ تُخُومَ الأَرْضِ السُّفْلَى ، فَهِيَ كَراياتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخارِقِ الْهَواءِ ، وَتَحْتَها رِيحٌ هَفّافَةٌ تَحْبِسُها عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَناهِيَةِ ، قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغالُ عِبادَتِهِ ، وَوَصَلَتْ حَقايِقُ الإِيمانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، وَقَطَعَهُمُ الإِيقانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ تُجاوِزْ رَغَباتُهُمْ ما عِنْدَهُ إِلَى ما عِنْدَ غَيْرِهِ .

قَدْ ذاقُوا حَلاوَةَ مَعرِفَتِه، وَشَرِبُوا بالكَأسِ الرَوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِه، وَتمَكَّنتْ مِنْ سُوَيْداء قُلُوبِهِمْ وَشيجَةُ خيفَتِه، فَحَنُوا بِطُولِ الطّاعَةِ اعْتِدالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنفِدْ طولُ الرَّغبَةِ إِلَيْهِ مادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلا أَطْلَقَ عَنهُمْ عَظيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتوَلَّهُمُ الإِعْجابُ فَيستَكْثِرُوا ما سَلَفَ مِنْهُمْ وَلا تَرَكَتْ لَهُمْ اسْتِكانَةُ الإِجْلالِ نَصيباً في تَعْظيمِ حَسَناتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الفَتَراتُ فيهِمْ عَلى طُولِ دُؤُوبِهِمْ، وَلَمْ تَغِضْ رَغَباتُهُمْ فَيُخالِفُوا عَنْ رَجاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ المُناجاةِ أَسَلاتُ أَلسِنَتِهِمْ، وَلا مَلَكَتْهُمُ الأَشْغالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الجُؤارِ إِلَيْهِ أَصواتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ في مَقاوِمِ الطّاعَةِ مَناكِبُهُمْ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلى راحَةِ التَّقْصيرِ في أَمْرِهِ رِقابَهُمْ، وَلا تَعْدُوا عَلى عَزيمَةِ جِدِّهِمْ بَلادَةُ الغَفَلاتِ، وَلا تَنْتَضِلُ في هِمَمِهِمْ خَدائِعُ الشَّهَواتِ.

قَدِ اتَّخَذُوا ذا العَرْشِ ذَخيرَةً لِيَوْمِ فاقَتِهِمَ، وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطاعِ الخَلْقِ إِلى المَخْلُوقينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غايَةِ عِبادَتِه، وَلا يَرْجِعُ بِهِمُ الاسْتِهْتارُ بِلُزُومِ طاعَتِهِ، إِلاَّ إِلى مَوادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجائِهِ وَمَخافَتِه، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيَنُوا في جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الأَطْماعُ فَيُؤْثِرُوا وَشيكَ السَّعْيِ عَلى اجْتِهادِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا

ما مَضى مِنْ أعمالِهِمْ، و لَوِ اسْتَعْظَمُوا ذٰلِكَ لَنَسَخَ الرَّجاءُ مِنهُمْ شَفَقاتِ وَجَلِهِمْ وَ لَمْ يَخْتَلِفُوا في رَبِّهِمْ بِاسْتِحْواذِ الشَّيْطانِ عَلَيْهِمْ، وَ لَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقاطُعِ، وَلا تَوَلّاهُمْ غِلُّ التَّحاسُدِ، وَلا شَعَّبَتْهُمْ مَصارِفُ الرِّيَبِ، وَلا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيافُ الْهِمَمِ، فَهُمْ أُسَراءُ إيمانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَ لا عُدُولٌ، وَلا وَناً وَ لا فُتُورٌ، وَ لَيْسَ في أَطْباقِ السَّمٰواتِ مَوْضِعُ إِهابٍ إِلّا وَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ساجِدٌ، أَوْ ساعٍ حافِدٌ، يَزْدادُونَ عَلى طُولِ الطّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وَ تَزْدادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ في قُلُوبِهِمْ عِظَماً.

اللغة

(عمارة) المنزل جعله أهلا ضدّ الخراب الذى لا أهل له يقال عمره الله منزلك عمارة و أعمره جعله أهلاً و (الصفيح) السّماء و وجه كلّ شيء عريض قاله فى القاموس، و وصفه بالأعلى بالنسبة إلى الأرض لأنه الصفيح الأسفل، فما في شرح المعتزلي من تفسيره بسطح الفلك الأعظم ليس بشيء بل مخالف لكلام الامام عليه السلام مضافا إلى مخالفته لتفسير أهل اللغة إذ كلامه هنا و في الخطبة الأولى صريح في عدم اختصاص مسكن الملائكة بالفلك الأعظم، حيث قال ثمّة: ثمّ فتق ما بين السّماوات العلى فملأهنّ أطواراً من ملائكته، و ذكر هنا أنه تعالى ملأ بهم فروج فجاجها وحشابهم فتوق أجوائها.

و(الملكوت) كرهبوت العزّ والسلطان، قال بعض اللّغويين: إنّ أهل التحقيق يستعملون الملك في العالم الظاهر والملكوت في العالم الباطن، و قال: إنّ الواو والتاء فيه كما في رهبوت ورغبوت وجبروت وتربوت زيدتا للمبالغة فيكون معنى الملكوت الملك العظيم و(الفجاج) بكسر الفاء جمع فجّ بفتحها قال سبحانه:

«مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»

و هو الطريق الواسع بين الجبلين و (حشوت) الوسادة بالقطن جعلتها مملوّة منه و (الفجوات) جمع فجوة وهي الفرجة والموضع المتّسع بين الشيئين و (الزجل) محرّكة رفع الصّوت مصدر زجل كفرح و(الحظيرة) بالحاء المهملة والظاء المعجمة الموضع الذى يحاط عليه لتأوى إليه الابل والغنم و غيرهما ليقيها من الحرّ والبرد و (القدس) بسكون الدّال و ضمّها الطهر و (السترات) بضمّتين جمع سترة بالضّم وهومايستتربه كالسّتارة و(السرادق) الذى يمدّ فوق صحن البيت والبيت من الكرسف و (المجد) الشرف والعظمة و (الرجيج) الزلزلة والاضطراب و منه رجيج البحر و (استكّت) المسامع ضاقت و صمت قال الشّاعر:

و نبّئت خير النّاس أنّك لمتنى و تلك التى تستكّ منه المسامع

و (السّبحات) بضمّتين النور والبهاء والجلال والعظمة و قيل: سبحات الوجه محاسنه لأنّك إذا رأيت الوجه الحسن قلت سبحان الله تعجّباً و (ردعه) كمنعه كفّه ورده و (خسأ) البصر كلّ من باب منع والخاسىء من الكلاب و نحوها المبعد الذى لايترك أن يدنو من النّاس و (تسبّح) من التّسبيح و في بعض النسخ تسبح من السّباحة و في هذه النسخة (خلال) بالخاء المعجمة المكسورة و هو وسط الشّيء أو جمع خلل بالتحريك و هو الفرجة بين الشيئين ، و في بعضها جلال بحار عزّته و (انتحل) الشّيء إذا ادّعاه لنفسه و هو لغيره و (حمّلهم) بتشديد الميم و (الزّيغ) العدول عن الحق قال سبحانه:

«ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى»

و (استعنت به) فأعانني وقد يتعدّى بنفسه فيقال استعنته فأعانني والاسم منه العون والمعانة والمعونة بفتح الميم و ضمّ الواو على وزن مكرمة و بضمّ العين أيضا واتباع الواو على وزن مقولة.

قال الفيومى: وزن المعونة مفعلة بضمّ العين و بعضهم يجعل الميم أصلية ويقول

هي مأخوذة من الماعون و يقول هي فعولة و (اشعر) قلوبهم من شعرت بالشيء شعوراً من باب قعد علمت و قيل مأخوذ من الشعار و هو ما يلبس تحت الدثار أي الزم قلوبهم تشبيهاً بلزوم الشعار للبدن و (أخبت) الرجل خضع لله و خشع قلبه و (السكينة) الوقار والطمأنينة والمهابة و (الذلل) بضمتين جمع الذلول وهوضدّ الصعب و (مجّده) تمجيداً عظّمه و أثنا عليه والجمع للدلالة على الأنواع و(الأعلام) جمع علم بالتحريك و هوالجبل الطويل قال الشاعر:

ربما او فيت في علم ترفعن ثوبي شمالات

و (الاصر) الثقل و(العقب) جمع العقبة كغرف وغرفة و هى النوبة والليلوالنهار يتعاقبان أى يتناوبان و يجيء كل منهما بعد الآخر و (نوازعها) في بعض النسخ بالعين المهملة من نزع في القوس إذا مدها و في بعضها بالغين المعجمة من نزغ الشيطان بين القوم أى أفسد و (الاعتراك) الازدحام و (قدح) بالزندمن باب منع أي رام الايراء به و هواستخراج النار و (أحن) الرجل من باب تعب حقد و أضمر العداوة ، والاحنةاسم منه والجمع احن كسدرة و سدر و (لاق) الشيء بغيره أى لزق و منه الليقة للصوق المداد بها و (الاقتراع) الضرب بالقرعة والاختيار.

و في شرح المعتزلي هو من الاقتراع بالسهام بأن يتناوب كل من الوساوس عليها ، والأنسب أن يجعل المزيد بمعنى المجرد يقالقرعته بالمقرعة ضربته بها، و في بعض النسخ فتفترع بالفاء منفرعه أى علاه والأول أنسب بالطبع و (الرين) بالنون كما في بعض النسخ وهو الدنس والطبع والغطاء وران ذنبه علىقلبهرينا غلب ، و في بعضها بالباءالموحدة بمعنى الشك.

و (الغمام) جمع الغمامة و (الدلّح) بالحاءالمهملة جمع دالح كراكعوركّع يقاب سحاب دالح أى ثقيل بكثرة مائه و (الشمخ) بالخاء المعجمة جمع الشامخ و هو المرتفع العالى و(القترة) بالضمّ بيت الصايد الذي يستتر به عند تصيده من خص و نحوه ، والجمع قتر مثل غرفة وغرف و (الايهم) الذى لايهتدىفيهومنهفلاة يهماء و (تخوم) الأرض بالضم حدودها و معالمها، قال الفيومى : التخم حد الأرض

و الجمع تخوم مثل فلس و فلوس ، و قال ابن الاعرابي و ابن السكّيت الواحد تخوم والجمع تخم مثل رسول و رسل.

و (ريح هفافة) طيبة ساكنةو(وصلت)في بعض النسخ بالسين المهملة المشدّدة يقال و سّل إلى الله توسيلا و توسّل أى عمل عملاً يقرب به إليه و (الوله) محركة شدّة الوجد أوذهاب العقل و (شربوا بالكأس) بتثليث الرّاءوالكأس مؤنثةو(الرّوية) المروّية التي تزيل العطش و(سويداء) القلب و سوداؤه حبّته و(الوشيجة)في الأصل عرق الشجرة يقال : و شجت العروق والاغصان أى اشتبكت و (حنيت) العود ثنّيته و حنّيت ضلعي عوّجته و يقال للرّجل إذاانحنى من الكبر : حناه الدّهر.

و (اعجب) زيد بنفسه على البناء للمفعول إذا ترّفع و سرّ بفضائله وأعجبنى حسن زيد إذا أعجبت منه قال الفيومى : والتعجّب على وجهين أحدهما ما يحمده الفاعل و معناه الاستحسان والاخبار عن رضاه به ، والثاني ما يكرهه و معناه الانكار والذمّ له ففي الاستحسان يقال أعجبنى بالألف و في الذمّ والانكار عجبت وزان تعبت و(الفترات) جمع الفترة مصدر بنيت للمرّة من فتر الشيء فتوراً سكن بعد حدّة و لان بعد شدّة.

و (دأب) في عمله من باب منع دأباً و دأَباً بالتحريك و دؤُبا بالضمّ جدّ و تعب .

و (غاض) الماء غيضا من باب سار قلّ و نقص و (اسلة) اللسان طرفه و مستدقّه و (الهمس) محرّكة الصّوت الخفىّ و (الجؤار) و زان غراب رفع الصّوت بالدّعاء و التضرّع و (المقاوم) جمع مقام و (ثنا) الشيء يثنى و يثنو من باب رمى و دعا ردّ بعضه على بعض و ثنيته أيضاً أى صرفته إلى حاجته و (بلد) الرّجل بالضمّ بلادة فهو بليد أى غير فطن ولا ذكي و (ناضلته) مناضلة راميته فنضلته نضلا من باب قتل غلبته في الرّمى و انتضل القوم رموا للسبق و (الهمة) ما همّ بـه من أمر ليفعل و(يممّته)قصدته و(الأمد) المنتهىو قد يكون بمعنى امتداد المسافة و (رجع) يكون لازماً ومتعدّياتقول رجع زيد ورجعته أنا و(اهتر)

فلان بكذا و استهتر بالبناء للمفعول فهو مهتر و مستهتر بالفتح أولع بهلايتحدّث بغيره ولا يفعل غيره ، والاستهتار الولع بالشيء لايبالي بما فعل فيه وشتم له .

و (الوني) الضّعف والفتور من وني في الأمر من باب تعبووعدو(الوشيك) القريب و السّريع و (نسخ) الشيء إزالته و إبطاله و (استحوذ) عليه الشيطان استولى و (التقاطع) التعادي و ترك البرّ و الاحسان و (تولّيت) الأمر قمت به و (الغلّ) الحقد و (الشعبة) من كلّ شيء الطائفة منه وشعّبهم أى فرّقهم وفى بعض النّسخ تشعبّتهم على التفعّل و الأوّل أظهر و (الرّيب) جمع الرّيبة وهو الشّك .

و (أخياف) الهمم اختلافهاوأصله من الخيف بالتحريك مصدر من باب تعب و هو أن يكون إحدى العينين من الفرس زرقاء والاُخرى كحلاء ، فالفرس أخيف و النّاس أخياف أى مختلفون ، و منه قيل لاخوة الامّ :أخياف لاختلافهم من حيث الأب و (الاهاب) ككتاب الجلد و (الحافد) المسرع والخفيف في العمل ويجمع على حفد بالتحريك ويطلق على الخدم لاسراعه في الخدمة و (العظم) وزان عنب خلاف الصّغر مصدر عظم و فى بعض النّسخ بالضمّ و زان قفل و هو اسم من تعظّم أى تكبّر .

الاعراب

قوله : و بين فجوات آه الجملة حال من مفعول حشا ، و قوله : و وراء ذلك خبر قدّم على مبتدائه و هو سبحات ، و الابصار في بعض النسخ بالنصب على أنّه مفعول تردع و فاعلهراجعإلىسبحات ، و فيبعضها بالرّفععلىبناء تردع للمفعول ، و أنشأهم عطف على ملاء بهم ، واُولى أجنحة حال من مفعول أنشأ ، و جملة تسبح صفة لاُولىأجنحةأولأجنحة،وجملةلاينتحلون حال ، و اللاّم في قوله : بالقولعوض عن المضاف إليه أى لايسبقون الله بقولهم .

و قوله إلى المرسلين متعلّق بحملهم على تضمين معنى البعث أو الارسال أو نحوه ، وودائع أمره بالنصب مفعول حمّلهم ، وجملة لمتثقلهم استيناف بيانى ، والباء

في قوله عليه السلام : و شربوا بالكأس إمّا للاستعانة ، أو بمعنى من وربما يضمن الشّرب معنى الالتذاذ ليتعدّى بالباء و كلمة من في قوله عليه السلام : من قلوبهم ابتدائية أى إلى موادّ ناشئة من قلوبهم ، وفي قوله عليه السلام ، من رجائه بيانيّة ، فالمراد الخوف والرجاء الباعثان لهم على لزوم الطاعة ، ويحتمل أن يكون الأولى بيانية أوابتدائية والثانية صلة للانقطاع .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السلام متضمّن لبيان صفات الملائكة و كيفية خلقتهم وحالة عبوديّتهم وخشوعهم وذلّتهم لمعبودهم ، وقد مضى شطر وافٍ من الكلام على هذا العنوان في شرح الفصل التاسع من فصول الخطبة الأولى ، وتقدّم ثمّة ما ينفعك في هذا المقام ولماكان الغرض من هذه الخطبة الاشارة إلى عظمة الله سبحانه و قدرته والابانة عن الصّفات الجمالية والجلالية له تعالى ، وكان ملائكة السماوات من أفضل الموجودات و أشرف المجعولات و عجائب الخلايق و بدايع الصّنايع وعظم المخلوق كان دالاّ على عظم الخالق وبديع صنعة المصنوع كان دليلا على كمال قدرة الصّانع وتدبيره وحكمته ، لاجرم ساق عليه السلام هذا الفصل لبيان حالهم وضمنه ذكر أوصافهم المختلفة وشئوناتهم المتفاوتة بعبارات رائقة وبدائع فائقة .

قال الشّارح المعتزلي و لنعم ماقال : إذا جاء هذا الكلام الرّباني و اللّفظ القدسي بطلت فصاحة العرب و كانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النضار الخالص ، و لو فرضنا أنّ العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم المادّة التى عبرت هذه الألفاظ عنها و من أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وآله هذه المعانى الغامضة السّمائية ليتهيّأ لها التعبير عنها.

أما الجاهلية فانّهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أوفرس أوحمار وحش أوثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات و نحوذلك.

و أما الصّحابة المذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات

لايتجاوز السطرين أو الثلاثة إمافي موعظة تتضمّن ذكر الموت أو ذمّ الدّنيا و ما يتعلّق بحرب و قتال من ترغيب أو ترهيب.

فأمّا الكلام في الملائكة و صفاتها وعبادتها و تسبيحها و معرفتها بخالقها وحبّهاله وولهها إليه و ما جرى مجرى ذلك ممّا تضمّنه هذا الفصل بطوله فانّه لم يكن معروفا عندهم على هذا التّفصيل ، نعم ربّما علموه جملة غير مقسّمة هذا التقسيم ولامرتّبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم ، فثبت أنّ هذه الأمور الدقيقة مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلاّ لعليّ عليه السلام وحده، و اقسم أنّ هذا الكلام إذا تأمّله اللّبيب اقشعرّ جلده و رجف قلبه واستشعر عظمة الله العظيم في روعه و خلده و هام نحوه و غلب الوجد عليه و كاد أن يخرج من مسكه شوقاً و أن يفارق هيكله صبابة ووجداً.

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السلام فأقول : قال عليه السلام (ثمّ خلق سبحانه لإسكان سمواته و عمارة الصّفيح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته) ظاهر كلمة ثمّ المفيد للترتيب الحقيقي كون خلق الملائكة بعد خلقة السّماوات، ويدلّ عليه أخبار كثيرة إلاّ أنّ في بعض الرّوايات سبق خلقة الملائكة على خلقة السّماوات، و يمكن الجمع بالتخصيص ههنا بسكان السّماوات الذين لايفارقونها، والمراد بالصفيح الأعلى سطح كلّ سماء ، و يقابله الصفيح الأسفل الذى هو الأرض ، و يظهر من ذلك عدم تلاصق السّماوات على ما ذهبت إليه الفلاسفة من غير دليل يعتمد عليه.

و أمّا ما في شرح البحراني من أنّه يحتمل أن يشير عليه السلام بالصّفيح الأعلى إلى الفلك التاسع وهو العرش لكونه أعظم الأجرام وأعلاها وسكانه الملائكة المدّبرون له ، فمبنيّ على أصول الفلاسفة مخالف للأخبار و كلام أهل اللغة حسبما عرفت آنفاً في ترجمة لفظ الصفيح ، و مخالف أيضاً لظاهر قوله عليه السلام (فملأ بهم فروج فجاجها و حشابهم فتوق أجوائها) إذ المستفاد من ذلك أنّ ما بين السّماوات مملوّة بهم فيكون السّطوح المحدّبة منها محلّ إسكان الملائكة و مكان عبادتهم لله سبحانه

بأنواع العبادة و يستفاد منه أيضاً تجسم الملائكة و هو المستفاد من الأخبار المتواترة معنى.

والعجب أنّ شارح البحراني أوّل ذلك أيضاً بناء على الأُصول الفاسدة بأنه عليه السلام استعار لفظ الفروج و الفجاج و الفتوق لما يتصوّر بين أجزاء الفلك من التباين لولد الملائكة الذين هم أرواح الأفلاك و بها قام وجودها ، و بقاء جواهرها محفوظة بها ، و وجه المشابهة ظاهر ، ورشح تلك الاستعارة بذكر الملاء والحشو ، و أما فجاجها وفروجها فاشارة إلى ما يعقل بين أجزائها و أجوائها المنتظمة على التباس لولا الناظم لها بوجود الملائكة ، فيكون حشو تلك الفرج بالملائكة كناية عن نظامها بوجودها و جعلها مدبّرة لها انتهى.

وقد مضى فساد ذلك وبطلانه في شرح الفصل التاسع من فصول الخطبة الأولى فتذكّر (و بين فجوات تلك الفروج) ومتّسعاتها (زجل المسبّحين منهم) وأصواتهم الرفيعة العالية بالتضرّع والابتهال والمسكنة (في حظاير القدس و سترات الحجب و سرادقات المجد) لعلّ المراد بها المواضع المعدّة لعبادة الملائكة بين أطباق السّماوات و وصفها بالقدس من حيث اتصافها بالطهارة والنزاهة من الأدناس والأرجاس و يمكن أن يكون الاشارة بها إلى مافوق السماء السّابعة من الحجب والسّرادقات النورانية.

ففي الخبر أنّ مافوق السّماء السابعة صحارى من نور ، ولا يعلم فوق ذلك إلاّ الله.

و عن وهب بن منبه فوق السّماوات حجب فيها ملائكة لايعرف بعضهم بعضاً لكثرتهم يسبّحون الله تعالى بلغات مختلفة و أصوات كالرّعد العاصف ، هذا.

وقد أشار عليه السلام إلى تفصيل الحجب والسرادقات فيما رواه الصّدوق في التوحيد باسناده عن زيد بن وهب قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحجب ، فقال عليه السلام : أوّل الحجب سبعة غلظ كلّ حجاب منها مسيرة خمسمأة عام و بين كلّ حجابين مسيرة خمسمأة عام ، والحجاب الثاني سبعون حجابا بين كلّ حجابين مسيرة خمسمأة

عام و طوله خمسمأة عام حجبة كلّ حجاب منها سبعون ألف ملك قوّة كلّ ملك منهم قوّة الثقلين، منها ظلمة، ومنها نور، ومنها نار، ومنها دخان، ومنها سحاب، ومنها برق، و منها مطر ، و منها رعد ، و منها ضوء، و منها رمل ، ومنها جبل، و منها عجاج ، ومنها ماء، ومنها أنهار ، وهي حجب مختلفة غلظ كلّ حجاب مسيرة سبعين ألف عام .

ثمّ سرادقات الجلال وهي ستّون «سبعون» سرادقاً في كلّ سرادق سبعون ألف ملك بين كلّ سرادق وسرادق مسيرة خمسمأة عام ، ثمّ سرادقات العزّ ، ثمّ سرادق الكبرياء، ثمّ سرادق العظمة ، ثمّ سرادق القدس ، ثمّ سرادق الجبروت ، ثمّ سرادق الفخر، ثمّ سرادق النور الأبيض، ثمّ سرادق الوحدانية، وهو مسيرة سبعين ألف عام في سبعين ألف عام، ثمّ الحجاب الأعلى و انقضى كلامه عليه السلام وسكت ، فقال له عمر : لا بقيت ليوم لا أراك فيه يا أبا الحسن.

قال المجلسيّ (ره) بعد رواية ذلك في البحار : قوله عليه السلام: منها ظلمة، لعلّ المراد من مطلق الحجب لا من الحجب المتقدّمة كما يدلّ عليه قوله غلظ كلّ حجاب اه (و وراء ذلك الرجيج الذى تستكّ منه الأسماع) والزجل الذى تنسدّ منه الآذان (سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها) و تمنع الأعين عن وصولها لشدّة ضيائها و فرط بهائها (فتقف) الأبصار (خاسئة) حسيرة (على حدودها) أى حدود تلك السبحات ، و يستفاد من شرح المعتزلي رجوع الضمير إلى الأبصار ، قال : أى تقف حيث تنتهى قوّتها ، لأنّ قوّتها متناهية فاذا بلغت حدّها وقفت هذا .

والمراد بسبحات النور إما الأنوار التي تغشي العرش.

و يدلّ عليه ما روى عن ميسرة قال : لاتستطيع الملائكة الذين يحملون العرش أن ينظروا إلى مافوقهم من شعاع النور.

و عن زاذان قال : حملة العرش أرجلهم في التخوم لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور .

و في حديث المعراج قال : ورأيت في علّيين بحاراً وأنواراً و حجبا و غيرها

لولا تلك لاحترق كلّ ما تحت العرش من نور العرش، وإمّا حجب النّور التي دون العرش ، ويؤيّده ما في الحديث أنّ جبرئيل عليه السلام قال لله سبحانه : دون العرش سبعون حجاباً لودنونا من أحدها لاحترقتنا سبحات وجه ربّنا ، وفي حديث آخر من طرق المخالفين حجابه النّور و النّار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كلّ شيء أدركه بصره .

و قال الشّارح البحراني (ره) أشار عليه السلام بسبحات النّور الّتي وراء ذلك الرّجيج إلى جلال وجه الله وعظمته وتنزيهه أن يصل إليه أبصار البصاير ، و نبّه بكون ذلك وراء رجيجهم على أنّ معارفهم لا تتعلّق به كما هو ، بل وراء علومهم وعباداتهم أطوار أخرى من جلاله تقصر معارفهم عنها وتردع أبصار البصاير عن ادراكها فترجع حسيرة متحيّرة واقفة عند حدودها وغاياتها من الادراك .

أقول : وهو لا ينافي ما ذكرناه إذ ما ذكرته تفسير للظّاهر وما ذكره الشّارح تأويل للباطن ، و قد تقدّم في شرح الخطبة التي قبل هذه الخطبة (١) ما ينفعك ذكره في هذا المقام (أنشأهم على صور مختلفات و أقدار متفاوتات أولى أجنحة تسبّح جلال عزّته) قال الشّارح البحراني اختلاف صورهم كناية عن اختلافهم بالحقايق وتفاوت أقدارهم تفاوت مراتبهم في الكمال والقرب منه ، ولفظ الاجنحة مستعار لقواهم التي بها حصلوا على المعارف الالهيّة وتفاوتها بالزيادة والنّقصان كما قال تعالى :

« أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنىٰ وَثُلاٰثَ وَرُباعَ »

كناية عن تفاوت ادراكهم لجلال الله وعلومهم بما ينبغى له ، ولذلك جعل الأجنحة هي التي تسبّح جلال عزّته فانّ علمهم بجلاله منزّه عمّا لا ينبغي لكرم وجهه ولا يناسب جلال عزّته .

أقول : تسليط يد التّأويل على الظواهر من غير دليل هدم لأساس الشّريعة و حمل اللّفظ على المجازات إنّما هو عند تعذّر إرادة الحقيقة ، و امّا مع إمكانها

١- وهي المصدّرة بقوله : الحمدلله المعروف من غير رؤية، منه

و دلالة الدّليل عليها فهو خلاف السيرة المستمرة مناف لمقتضى الأُصول اللفظية المتداولة بين أهل اللّسان من العرب ومن حذاحذوهم من علماء الأُصول والأدب .

بل المراد انشاءهم على صور مختلفة و أشكال متشتّتة فبعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الحيوان من الأسد و الثور والدّيك وغيرها من أصناف الحيوان على ما ورد في الأخبار ، و بعضهم أُولى أجنحة مثنى وثلاث و رباع يزيد سبحانه عليها ما يشاء على وفق حكمته ومقتضى تدبيره وإرادته .

وايجادهم على أقدار متفاوتة في الصغر والكبر والطّول والقصر ، روى عليّ ابن إبراهيم القمّي (ره) في تفسيرقوله سبحانه :

« جاعِلُ ٱلمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولي أَجْنِحَةٍ مَثْنىٰ وَ ثُلاثَ وَرُباعَ »

عن الصّادق عليه السلام أنّه قال : خلق الله الملائكة مختلفين ، وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل و له ستّمأة جناح على ساقه الدّر مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السّماء والأرض ، وقال : إذا أمرالله ميكائيل بالهبوط إلى الدّنيا صارت رجله اليمنى في السّماء السّابعة والأُخرى في الأرض السّابعة ، وأنّ لله ملائكة أنصافهم من برد و أنصافهم من نار يقولون : يا مؤلّفا بين البرد والنّار ثبّت قلوبنا على طاعتك ، وقال : إن لله ملكا بعد ما بين شحمة اذنه إلى عينه مسير خمسمأة عام بخفقان الطير ، وقال عليه السلام : إنّ الملائكة لا يأكلون ولايشربون ولا ينكحون وإنما يعيشون بنسيم العرش وإنّ لله ملائكة ركّعاً إلى يوم القيامة وإنّ لله ملائكة سجّداً إلى يوم القيامة

ثمّ قال أبوعبدالله عليه السلام ما من شيء ممّا خلق الله أكثر من الملائكة و أنّه ليهبط في كلّ يوم أو في كلّ ليلة سبعون ألف ملك فيأتون البيت الحرام فيطوفون به ثمّ يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ يأتون أميرالمؤمنين عليه السلام فيسلّمون عليه ثمّ يأتون الحسين عليه السلام فيقيمون عنده ، فاذا كان وقت السّحر وضع لهم معراج إلى السّماء ثمّ لا يعودون أبداً .

و في التّوحيد باسناده عن زيد بن وهب قال : سئل أميرالمؤمنين عليّ بن

أبي طالب عليه السلام عن قدرة الله جلّت عظمته، فقام خطيباً فحمدالله وأثنا عليه ثمّ قال:

إنّ لله تبارك و تعالى ملائكة لوأنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظمة خلقته و كثرة أجنحته، ومنهم من لو كلّفت الجنّ والانس أن يصفوه ماوصفوه لبعد مابين مفاصله وحسن تركيب صورته، و كيف يوصف من ملائكته من سبعمأة عام مابين منكبيه و شحمة اذنيه، و منهم من يسدّ الافق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من السّماوات إلى حجزته (١)، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهواء الأسفل و الأرضون إلى ركبتيه، ومنهم من لو ألقى في نقرة ابهامه جميع المياه لوسعتها، و منهم من لو القيت السفن في دموع عينه لجرت دهر الداهرين فتبارك الله أحسن الخالقين.

و فيه باسناده عن ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ لله تبارك و تعالى ديكا رجلاه في تخوم الأرض السّابعة ورأسه عند العرش ثاني عنقه (٢) تحت العرش «إلى أن قال:» ولذلك الدّيك جناحان إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب، فاذا كان في آخر اللّيل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح يقول: سبحان الملك القدّوس الكبير المتعال لاإله إلاّالله الحيُّ القيّوم، فاذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض كلّها وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصّراخ، فاذا سكن ذلك الدّيك في السّماء سكنت الديكة في الأرض فاذاكان في بعض السحر نشر جناحيه فجاوز بهما المشرق والمغرب وخفق بهما وصرخ بالتسبيح سبحان الله العظيم «سبحان خ» العزيز القهار سبحان الله ذي العرش المجيد سبحان الله ربّ العرش الرّفيع، فاذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض فاذا هاج هاجت الدّيكة في الأرض تجاوبه بالتسبيح والتقديس لله عزّ وجلّ ولذلك الدّيك ريش أبيض كأشدّ بياض رأيته قطّ وله زعبا (٣) خضر تحت ريشه الأبيض كأشدّ خضرة رأيتها قطّ فما زلت مشتاقاً إلى أن أنظر إلى ريش ذلك الدّيك.

١- الحجزة معقد الازار

٢- ثانى عنقه اى عاطف وملتو لعنقه، منه

٣- الزعب شعيرات صفر على ريش الفرخ، منه

وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وآله قال : إن لله تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة نصف جسده الأعلى نار ونصفه الأسفل ثلج ، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج تطفىء النار و هو قائم ينادي بصوت رفيع : سبحان الله الذي كف حر هذه النار فلا يذيب الثلج و كف برد هذا الثلج فلا يطفىء حر النار اللهم يا مؤلفاً بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك هذا .

و بقي الكلام في قوله عليه السلام أولي أجنحة تسبح جلال عزته ، فأقول : إن كان تسبح بالتخفيف والخلال بالخاء المعجمة فالمراد سباحتهم وسيرهم في اطباق السماوات وفوقها أونزولهم وصعودهم لأداء الرسالات وغيرها أوسيرهم في مراتب القرب بالعبادة والتسبيح .

وأما على رواية التشديد و كون الجلال بالجيم فالجملة إما صفة لأولي أجنحة فالتأنيث باعتبار الجماعة والمقصود أنهم يسبحونه ويقدسون جلاله وعظمته وعزته وقوته سبحانه من النقايص .

وإما صفة لأجنحة فالمقصود بالتسبيح

إما التنزيه و التقديس بلسان الحال إذ كل جناح من اجنحتهم بل كل ذرة من ذرات وجودهم ناطقة بلسان حالها شارحة لعظمة بارئها ومبدعها ، برهان صدق على قدرته وقوته و كماله ، ودليل متين على تدبيره وحكمته وجلاله ، وهذا عام لجميع الملائكة .

وإما التنزيه بلسان المقال وهو مخصوص ببعض الملائكة .

و يشهدبه مارواه في التوحيد باسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال : إن لله تبارك و تعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا وهو يسبح الله عز وجل ويحمده من ناحية بأصوات مختلفة لا يرفعون رؤوسهم إلى السماء ولايخفضونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية لله عز وجل .

و عن جميل بن دراج قال : سألت أباعبدالله عليه السلام هل في السماء بحار ؟ قال عليه السلام : نعم أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :إن في

السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمأة عام فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عزّ وجلّ والماء إلى ركبهم ليس فيهم ملك إلاّ وله ألف وأربع مأة جناح في كلّ جناح أربعة وجوه في كلّ وجوه «وجه خ» أربعة ألسن ليس فيها جناح و لا وجه و لا لسان و لا فم إلاّ وهو يسبّح الله عزّ وجلّ بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه ، والله أعلم بحقايق ملكه وملكوته، وآثار جلاله وجبروته .

ثمّ وصف عليه السلام الملائكة بأنهم (لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون أنهم يخلقون شيئاً معه مما انفرد به) أي لا يدّعون الرّبوبية لأنفسهم كما يدّعيه البشر لهم ولأنفسهم فالفقرة الأولى لنفى ادّعاء الاستبداد والثانية لنفى ادّعاء المشاركة أو الاولى لنفى ادّعائهم الخالقية فيماهم وسايط وجوده ولهم مدخل فيه بأمره سبحانه و الثانية لنفى ذلك فيما خلقه الله سبحانه بمجرّد أمره من دون توسط الوسايط (بل) هم (عباد مكرمون لايسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون) وهو اقتباس من قوله سبحانه في سورة الأنبياء .

« وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ » الآية

قيل : نزلت في خزاعة حيث قالت : الملائكة بنات الله ، فنزّه الله سبحانه نفسه عن ذلك و قال سبحانه أنفة له : بل هؤلاء الّذين زعموا أنهم ولدالله ليسوا أولاده ، بل هم عباد مكرمون أكرمهم الله واصطفاهم لا يسبقونه بالقول ولا يتكلّمون إلاّ بما يأمرهم به ربّهم ، فكلّ أقوالهم طاعة لربّهم ويكفى بذلك جلالة قدرهم ، وهم بأمره يعملون ، ومن كان بهذه الصفة لايوصف بأنه ولد .

(جعلهم) الله (فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه ، وحملهم إلى المرسلين ودايع أمره ونهيه) لعلّ هذا الوصف مختصّ ببعض الملائكة ويشهد به قوله سبحانه

«أَللهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً »

ويكفي للنسبة إلى الجميع كون بعضهم كذلك وما هنالك عبارة عن مراتب الملائكة و يدلّ على الاختصاص بالبعض أيضاً قوله عليه السلام في الفصل التاسع من الخطبة الأولى: و منهم أُمناء على وحيه وألسنة إلى رسله و مختلفون بقضائه و أمره ، وقد تقدّم في شرح ذلك الفصل ما ينفعك ذكره في المقام و بيّنا ثمّة وجه الحاجة في أداء الامانة إلى وجود الواسطة من الملائكة و أشرنا إلى جهة وصفهم بالامانة.

و محصّله أنّه لما كان ذو الامانة هو الحافظ لما ائتمن عليه ليؤدّيه إلى مستحقّه و كانت الرّسالات النازلة بواسطة الملائكة نازلة كما هي محفوظة عن الخلل الصادر عن سهو لعدم أسباب السّهو هناك أو عن عمد لعدم الدّاعي إليه لقوله تعالى:

« يَخافُونَ رَبَّهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ »

صدق أنهم أهل الامانة على وحيه و رسالاته (وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته) هذا الوصف عام لجميع الملائكة لأنهم معصومون من الشكّ والاشتباه الناشي من معارضة النفس الأمارة للقوّة العاقلة إذ ليس لهم هذه النفس فلا يتصوّر في حقّهم العدول عن سبيل رضوان الله والانحراف عن القصد لانتفاء سببه الذي هو وجود هذه النفوس.

(و أمدّهم بفوائد المعونة و أشعر قلوبهم تواضع اخبات السّكينة) لعلّ المراد أنّه سبحانه أعطاهم المدد و القوّة و أيّدهم بأسباب الطاعات و القربات و الألطاف والمعارف الصّارفة لهم عن المعصية و أنه ألزم قلوبهم التواضع و الذلّة و الخضوع و الاستكانة لزوم الشعار للجسد أو أنه أعلمهم ذلك ، و محصّله عدم انفكاكهم عن الخوف و الخشوع و قد مرّ بعض الأخبار فيه في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى.

(و فتح لهم أبواباً ذللاً إلى تماجيده) أي فتح لهم أبوابا سهلة إلى تعظيماته و الثناء عليه ، والجمع باعتبار أنواع التحيات و فتح الأبواب كناية عن إلهامها

عليهم و تسهيلها لهم لعدم معارضة شيطان أو نفس أمارة بالسوء، بل خلقهم خلقة يلتذّون بها كما ورد: أنّ شرابهم التّسبيح و طعامهم التقديس.

(و نصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده) استعار لفظ الأعلام لأدلّة التّوحيد و براهين التفريد و وجه المشابهة ايصال كلّ منهما إلى المطلوب، ولعلّه أراد بالمنار الواضحة المنصوبة على تلك الأعلام ما يوجب لهم الاهتداء إلى تلك الأدلّة من الوحي و الالهام.

و ربما قيل في شرح ذلك: إنه استعار المنار الواضحة للوسايط من الملائكة المقرّبين بينهم و بين الحقّ سبحانه إذ إخباره عن الملائكة السّماوية ولفظ الاعلام لصور المعقولات في ذواتهم المستلزمة لتوحيده و تنزيهه عن الكثرة ، و وجه المشابهة أنّ المنار و الأعلام كما يكون وسايط في حصول العلم بالمطلوب كذلك الملائكة المقرّبون و المعارف الحاصلة بواسطتهم يكون وسايط في الوصول إلى المطلوب الأول محرّك الكلّ عزّ سلطانه، و هو قريب مما قلناه إلاّ أنّ ما قلناه أظهر و أشبه هذا.

و أمّا توصيف المنار بوصف الوضوح فمن أجل وفور أسباب الهداية و كثرة الدلائل في حقهم لقربهم من سياحة عزّه و ملكوته و مشاهدتهم ما يخفى علينا من آثار ملكه و جبروته.

(لم تثقلهم موصرات الآثام) أى مثقلاتها و أشار عليه السلام بذلك إلى عصمتهم من المعاصي لعدم خلق الشهوات فيهم و انتفاء النفس الامارة الداعيه إلى المعصية (ولم ترتحلهم عقب اللّيالى و الأيام) أى لم يزعجهم تعاقبهما ولم يوجب رحيلهم عن دارهم، و المقصود تنزيههم عما يعرض للبشر من ضعف القوى، أو القرب من الموت بكرور اللّيالى و مرور الأيام.

(ولم ترم الشّكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم) عزيمة ايمانهم مالزم ذواتهم من التّصديق بمبدعهم و ما ينبغى له ، و المراد أنه لم ترم الشكوك بمحركاتها و هي شهواتها ماعزموا عليه من الايمان و التّصديق ، هذا على رواية نوازعها بالعين المهملة

و أما على روايتها بالغين المعجمة فالمقصود عدم انبعاث نفوسهم الأمّارة بالشكوكات والشبهات والقائها الخواطر الفاسدة إلى أنفسهم المطمئنة.

(ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم) المراد بالظنّ إمّا الاعتقاد الراجح غير الجازم أو الشكّ أو ما يشملهما ، و لعلّ الأخير أظهر هنا ، فالمقصود نفى ازدحام الظنون والأوهام على قلوبهم التي هي معاقد عقائدهم اليقينية.

(ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم) أى لاتثير الأحقاد و العداوات بينهم فتنة كما تثير النّار قادحتها لتنزّههم من القوّة الغضبيّة (ولاسلبتهم الحيرة مالاق من معرفته بضمايرهم و سكن من عظمته و هيبة جلاله في أثناء صدورهم) لمّا كان الحيرة عبارة عن عدم الاهتداء إلى وجه الصواب من حيث تردّد العقل في أنّ أىّ الأمرين أولى بالطلب والاختيار ، و كان منشأ ذلك معارضة الوهم و الخيال للعقل ولم يكن لهم وهم ولا خيال ، لاجرم لاحيرة تخالط عقايدهم و تزيل هيبة عظمته من صدورهم.

قال المجلسي (ره) : و يحتمل أن يكون المراد بالحيرة الوله لشدّة الحبّ و كمال المعرفة كما سيأتي ، فالمعنى أنّ شدّة و لههم لايوجب نقصاً في معرفتهم و غفلة عن ملاحظة العظمة والجلال كما في البشر ، و على هذا فالسلب في كلامه عليه‌السلام راجع إلى المحمول كما أنه على ماقلناه راجع إلى الموضوع (ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم)أى لم تطمع فيهم الوساوس الشّيطانية و النّفسانية فتتناوب أو تضرب بأدناسها على قلوبهم، والغرض نفى عروض الوساوس على عقولهم كما تعرض للبشر لانتفاء أسبابها في حقّهم.

(منهم) أى من مطلق الملائكة (من هو في خلق الغمام الدّلح)أى السحاب الثقيلة بالمطر ، والمراد بذلك الصّنف هم الّذين مكانهم السحاب و هم خزّان المطر وزواجر السحاب المشار إليهم بقوله سبحانه : والزاجرات زجراً

قال ابن عباس : يعنى الملائكة الموكّلين بالسحاب فيشمل لمشيعي الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر إذا نزل و إن كان السحاب مكانهم قبل النّزول قال سيّد

السّاجدين عليه السلام في دعائه في الصّلاة على حملة العرش و ساير الملائكة من الصحيفة الكاملة : و خزّان المطروز واجر السحاب والّذى بصوت ز جره يسمع زجل الرعود وإذاسبحت به حفيفة السحاب التمعت صواعق البروق و مشيعى الثّلج والبرد والهابطين مع قطر المطر إذا نزل، هذا.

و يحتمل أن يكون المقصود تشبيههم في لطافة الجسم بالسحاب ، فيكون المعنى أنهم في الخلقة مثل خلق الغمام.

و كذلك قوله عليه السلام (وفي عظم الجبال الشّمخ) يحتمل أن يراد به الملائكة الموكّلون بالجبال للحفظ و ساير المصالح، و أن يراد به تشبيههم بالجبال في عظمة الخلقة.

و هكذا قوله (و في قترة الظلام الايهم) محتمل لأن يراد به الملائكة السّاكنون في الظلمات لهداية الخلق و حفظهم أو غيرذلك ، و لأن يراد به تشبيههم في السّواد بالظلمة.

(و منهم من قدخرقت أقدامهم تخوم الأرض السّفلى ، فهى كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء، وتحتها ريح هفّافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية) لعلّ المراد بهم الملائكة الموكّلون بالأرض يقول عليه السلام: إنهم قدخرقت أقدامهم حدود الأرض السفلى و معالمها و أقدامهم بمنزلة أعلام بيض قد نفذت في مخارق الهواء ، و أرادبها المواضع التي تمكنت فيها تلك الأعلام بخرق الهواء، و تحت هذه الأعلام ريح طيبّة ساكنة أى ليست بمضطربة فتموج تلك الرّايات تحبسها حيث انتهت هذا.

و قال الشّارح البحراني : يشبه أن يكون هذا القسم من الملائكة السّماوية أيضاً و استعار لفظ الأقدام لعلومهم المحيطة بأقطار الأرض السفلى و نهاياتها ، وجه الشبه كون العلوم قاطعة للمعلوم وسارية فيه واصلة إلى نهايته كما أنّ الأقدام تقطع الطريق و تصل إلى الغاية منها .

وتشبيهها بالرّايات البيض من وجهين **احدهما** في البياض لأنّ البياض لما استلزم

الصّفاء عن الكدر والسّواد كذلك علومهم صافية عن كدورات الباطل وظلمات الشبه، **الثاني** في نفوذ هافي أجزاء المعلوم كما تنفذ الرّايات في الهواء، وأشار بالريح التي تحبس الاقدام الى حكمة الله التي اعطت كلاّ مايستحقّه و قصرت كلّ موجود على حدّه و بهفوفها الى لطف تصرّفها و جريانهافي المصنوعات.

أقول : ولابأس به و إن كان خروجا عن الظاهر.

ثمّ أشار إلى استغراقهم في العبادة و ثباتهم في المعرفة والمحبّة بقوله: (قد استفرغتهم أشغال عبادته) أى جعلتهم فارغين عن غيرها (و وصلت حقايق الايمان بينهم و بين معرفته) أراد بحقايق الايمان العقايد اليقينية تحقّ أن تسمّى إيمانا أو البراهين الموجبة له، وكونها وصلة بينهم و بين معرفته من حيث إنّ التّصديق بوجود الشّيء الواجب تحصيله أقوى الأسباب الباعثة على طلبه فصار الايمان والتصديق الحق بوجوده جامعاً بينهم و بين معرفته و وسيلة لهم إليه.

(و قطعهم الايقان بهالى الوله إليه) أى صرفهم اليقين بوجوب وجوده عن التوجه و الالتفات إلى غيره إلى ولههم إليه و تحيّرهم من شدّة الوجد (ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره) أى رغباتهم مقصورة على ما عنده سبحانه من قربه و ثوابه وكرمه ، فانه منتهى رغبة الراغبين و هو غاية قصد الطالبين.

(قد ذاقوا حلاوة معرفته) استعار عليه السلام لفظ الذّوق لتعقّلاتهم ورشّحه بذكر الحلاوة وكنّى بها عن كمال مايجدونه من اللذّة بمعرفته كما يلتذّ ذايق الحلاوة بها (وشربوا بالكأس الرّويّة من محبّته) استعار لفظ الشرب لما تمكن في ذواتهم من كمال المحبّة و رشّحه بذكر الكأس الرّويّة أى من شانها أن تروى وتزيل العطش (وتمكنت من سويداء قلوبهم و شيجة خيفته) لما كان كمال استقرار العوارض القلبيّة من الحبّ والخوف و نحوهما عبارة عن بلوغها إلى سويداء القلب و تمكنها فيها عبّر عليه السلام بها مبالغة و أشار عليه السلام بوشيجة خيفته إلى جهات الخوف المتشعّبة في ذواتهم الناشئة من زيادة معرفتهم بعزّته و قدرته و مقهوريّتهم تحت قوّته.

(فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم) أى عوّجوا ظهورهم المعتدلة المستقيمة بطاعاتهم الطويلة ، و هو كناية عن كمال خضوعهم.

(ولم ينفد طول الرّغبة إليه مادّة تضرّعهم) أراد به عدم إفناء طول رغبتهم إليه دواعي تضرّعهم له سبحانه كما في البشر فانّ أحدنا إذا كان له رغبة في أمر و أراد الوصول إليه من عند أحد تضرّع إليه و ابتهل و إذا طال رغبته و لم ينل إلى مطلوبه حصل له الملال والكلال و انقطع دواعي نفسه و ميول قلبه و ينعدم ما كان سببا لتضرّعه و ابتهاله ، ولمّا كان الملال والكلال من عوارض المركبات العنصرية و كان الملائكة السماوية منزّهة عنها لاجرم حسن سلبها عنهم .

(ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم) لما كان من شأن مقرّبي الملوك والسّلاطين أنهم كلّما ازداد زلفاهم و قرباهم إليهم انتقص خضوعهم و خشوعهم و تواضعهم من أجل أنه يخفّ هيبتهم و سطوتهم في نظرهم لكونهم بشراً مثلهم ولم يكن كذلك حال من كان مقرّبي الحضرة الرّبوبيّة بل هم كلّما ازداد وا قرباً ازدادوا خشوعاً من حيث عدم انتهاء السّلطنة الالهيّة و عدم انتهاء مراتب العرفان واليقين الدّاعيين إلى التضرّع والعبادة و عدم وقوفها على حدّ ، لاجرم لم يطلق عظم قربهم أعناق ذلّهم عن ربقة الابتهال ، فهم بقدر صعودهم في مدارج الطاعة يزداد قربهم ، و كلّما ازداد قربهم تضاعف علمهم بعظمته فيحصل بزيادة العلم بالعظمة كمال الخشوع والذلّة.

(و لم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم ، ولاتركت لهم استكانة الاجلال نصيبا في تعظيم حسناتهم) المراد بذلك نفي استيلاء العجب عليهم والاشارة إلى أنهم لايستعظمون ما سلف منهم من العبادات ، ولا يستكثرون ما تقدّم منهم من الطاعات ، و أنهم لم يترك لهم خضوعهم الناشي عن ملاحظة جلال الله و ولههم النّاشي من شدّة المحبّة إليه نصيبا في تعظيم الحسنات و حظا في إعظام القربات ، لأنّ منشأ العجب هو النّفس الأمارة و هو من أحكام الأوهام والملائكة السماوية مبرّؤون منها و منزّهون عنها .

(ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم) يعني أنهم على طول جدّهم في العبادة لايحصل لهم فتور ولا قصور، وقد مضى بيان ذلك في شرح الفصل التاسع من الخطبة الاولي قال زين العابدين و سيّد السّاجدين عليه السلام في الصلاة على حملة العرش

اللّهمّ و حملة عرشك الذين لايفترون عن تسبيحك ولايملّون عن تقديسك.

والعجب من الشارح البحراني حيث قال في شرح هذه الفقرة : قد ثبت أنّ الملائكة السّماوية دائمة التّحريك لأجرامها حركة لايتخلّلها سكون ولايكلّها و يفترها إعياء و تعب ، و لبيان ذلك بالبراهين أُصول ممهّدة في مواضعها و امّا بالقرآن فلقوله تعالى:

« يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتَرُونَ» انتهى

أقول : و هو تأويل من غير دليل مقبول مبتن على أُصول الفلاسفة الجاعلين الملائكة بالنسبة إلى أجرام السّماء بمنزلة النفوس الناطقة بالنّسبة إلى أبدان البشر القائلين بكونها مدّبرة لأمرها كما أن النّفوس مدّبرة للأبدان ، و هو مخالف للأُصول الشّرعية موجب لطرح ظواهر الأدلّة من الكتاب والسّنة، فالأولى الاعراض عنه والرّجوع إلى ماقاله المفسّرون في تفسير الآية الشريفة.

قال الطبرسيّ : أي ينزّهون الله عن جميع مالايليق بصفاته على الدّوام في اللّيل والنهار لايضعفون عنه ، قال كعب جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النّفس في السّهولة ، وقيل : معنى لايفترون لايتخلل تسبيحهم فترة أصلا بفراغ أو بشغل آخر، و اورد عليه أنهم قديشتغلون باللّعن كما قال تعالى:

« أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَ الْمَلائِكَةِ »

و اجيب بأنّ التّسبيح لهم كالتنفس لنا لا يمنعهم عنه الاشتغال بشيء آخر.

و اعترض بأنّ آلة التّنفس لنا مغايرة لآلة التكلّم فلهذا صحّ اجتماع التنفس والتّكلّم، واجيب بأنّه لايستبعد أن يكون لهم ألسن كثيرة أو يكون المراد بعدم الفترة أنهم لايتركون التسبيح في أوقاته اللاّيقة به.

(ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم) أي لم تنقص رغباتهم إلى ما عنده فيعدلوا عن الرّجاء إليه ، و ذلك لأنّ أشواقهم إلى كمالاتهم دائمة و علمهم بعظمة خالقهم و بحاجتهم إليه و بأنّه مفيض الكمالات و واهب الخيرات لايتطرّق

إليه نقص فلا ينقطع رجائهم عنه ولا ييأسون من فضله.

(و لم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم) أراد عليه السلام به عدم عروض الفتور والكلال عليهم في مناجاتهم كما يعرض علينا ويجف ألسنتنا بسبب طول المناجاة (و لا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم) أي ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة حتى تنقطع لأجلها أصواتهم بسبب خفاء تضرعهم إليه، وبعبارة أخرى ليست لهم أشغال خارجة فتكون لأجلها أصواتهم المرتفعه خافية ساكنة.

(ولم يختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم) أي لم ينحرف مناكبهم أولم يتقدم بعضهم على بعض في مقامات الطاعة وصفوف العبادة (ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمره رقابهم) يعني لم يصرفوا رقابهم من أجل تعب العبادات و كثرتها إلى الراحة الحاصلة باقلال العبادة أوتركها بعد التعب فيقصروا في أوامره، والمقصود نفى اتصافهم بالتعب و الراحة لكونهما من عوارض الأجسام البشرية و توابع المزاج الحيواني.

(و لا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات) المراد أنهم لا تغلب على عزيمتهم و جدهم في العبادة بلادة ولا غفلة لكونهما من عوارض هذا البدن (و لا تنتضل في هممهم خدايع الشهوات) أي لا ترمي الشهوات بسهام خدايعها هممهم، والمقصود نفى توارد وساوس الشهوات الصارفة عن العبادة وتتابعها عنهم لبرائتهم من القوة الشهوية.

(قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم) ذو العرش هو الله سبحانه كما في غير واحدة من الآيات القرآنية، والمراد بيوم فاقتهم يوم حاجتهم وهو يوم قبض أرواحهم كما يظهر من بعض الأخبار.

قال المجلسي (ره) و لا يبعد أن يكون لهم نوع من الثواب على طاعاتهم بازدياد القرب و افاضة المعارف وذكره سبحانه لهم و تعظيمه إياهم و غير ذلك، فيكون إشارة إلى يوم جزائهم (ويمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم) أي قصدوه بتضرعهم إليه سبحانه عند انصراف الخلق وانقطاعهم منه إلى المخلوقين

ويحتمل رجوع ضميررغبتهم إلى الخلق و إليهم وإلى الملائكة على سبيل التنازع .

(لا يقطعون أمد غاية عبادته) أراد أنّه لا يمكنهم الوصول إلى منتهى نهاية عبادته الذي هوعبارة عن كمالمعرفته، وذلكلكون مراتب العرفان ودرجاته غير متناهية فلا يمكنهم قطعها (و لا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته إلاّ إلى موادّ من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته)أى لايرجعهم الولع بلزوم طاعته سبحانه إلاّ إلى موادّ ناشئة منقلوبهمغيرمنقطعةو هذه الموادّ هو رجائه و مخافته الباعثان لهم على لزوم طاعته ، و الغرض إثباتدوام خوفهم ورجائهم الموجبين لعدم انفكاكهم عن الطاعة بل لزيادتها كمايشعربه لفظ الموادّ .

قال الشّارح البحراني : لما كانوا غرقىفى محبّتهعالمين بكمال عظمته وأنّما يرجونـه من جوده أشرف المطالب و أربح المكاسب و ما يخشى من انقطاع جوده و نزول حرمانه أعظم المهالك والمعاطب ، لاجرم دام رجائهم له وخضوعهم في رقّ الحاجة إليه و الفزع من حرمانه ، و كان ذلك الخوف والرّجاء هو مادّة استهتارهم بلزوم طاعتهالتي يرجعون إليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها .

(لم تنقطع أسباب الشفقّة منهم فينوا في جدّهـم) أى لم تنقطع أسباب الخوف منهم فيفتروا فيالجدّ في العبادة و أسباب الخوف هي حاجتهم إليه سبحانه وافتقارهم إلى إفاضته وجوده ، فانّ الحاجة الضّرورية إلى الغيرفي مطلوب يستلزم الخوف منه فيعدم قضائه ويوجب الاقبال علىالاستعداد بجوده بلزوم طاعته والقيام بوظايف عبادته .

(ولم يأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيكالسّعى على اجتهادهم) أى لمتجعلهم الأطماع اسراء و ليسوا مأسورين في ربقة الطمع حتّى يختاروا السّعى القريب في تحصيل المطموع من الدّنيا الفانية على اجتهادهم الطويل في تحصيل السّعادة الباقية كما هوشأن البشر ، وذلك لكون الملائكة منزّهين عن الشهوات ومايلزمها من الاطماع الكاذبة .

(ولم يستعظموا مامضى من ذلك) قد مرّ معناه في شرح قوله : ولم يتولهم الاعجاب آه و إنّما أعاد ذلك مع إغناء السّابق عنه و كفايته في الدلالة على نفى العجب للاشارة إلى دليله وهو قوله (ولواستعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات و جلهم) يعني أنهم لو استعظموا سالف أعمالهم لأوجب ذلك اغترارهم و زيادة رجائهم لثواب أعمالهم فيبطل ذلك و يزيل ما دات وجلهم و خوفهم ، ألا ترى أن الانسان إذا عمل لبعض الملوك عملا يستعظمه فانه يرى في نفسه استحقاق أجزل جزاءله ويجد التّطاول به فيهون ذلك ما يجده من خوفه ، و كلّما ازداد استعظامه لخدمته ازداد اعتقاده في قربه من الملك قوّة وبمقدار ذلك ينقص خوفه و يقلّ هيبته في نظره ، لكن الملائكة خائفون دائماً لقوله سبحانه :

« وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ »

فينتج أنّهم لايستعظمون سالف عباداتهم (ولم يختلفوا في ربّهم باستحواذ الشيطان عليهم) أى لم يختلفوا فيه من حيث الاثبات والنفى أو التعيين أو الصّفات كالتّجرّد والتجسّم و كيفيّة العلم وغيرذلك ، وقيل : أى في استحقاق كمال العبادة ، والمقصود نفى الاختلاف عنهم باستيلاء الشّيطان كما هوفي الانسان لأنّه :

« لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ(١) »

(ولم يفرقهم سوءالتقاطع) والتعادي وترك البرّوالاحسان (ولاتولاّهم غلّ التحاسد) الناشي من النفس الامارة بالحقد والعدوان (ولا شعّبتهم مصارف الرّيب) ووجوهات شكوك الأذهان (ولا اقتسمتهم أخياف الهمم)واختلافاتها لانحصار همّهم في طاعة الله الرّحيم الرّحمن (فهم اسراءالايمان لم يفكهم من ربقته زيغ) و جور (و لا عدول ولاونا) ووهن (ولا فتور)

١-اقتباس من الاية في سورة الاسرى، منه

ثمّ أشار عليه السلام إلى كثرة الملائكة بقوله : (وليس في أطباق السموات موضع اهاب) و جلد (إلاّ و عليه ملك ساجد) خاشع لربّه (أوساع) مسرع (حافد) في طاعة معبوده (يزدادون على طول الطاعة بربّهم علماً) و يقيناً (و تزداد عزّة ربّهم في قلوبهم عظماً) و كمالا .

قال الشّارح البحراني : اعلم أنّ للسماء ملائكة مباشرة لتحريكها ، وملائكة أعلى رتبة من اُولئك هم الآمرون لهم بالتحريك ، فيشبه أن يكون الاشارة بالساجدين منهم إلى الآمرين ، والسجود كناية عن كمال عبادتهم كناية بالمستعار ، ويكون الاشارة بالساعين المسرعين إلى المتولّين للتحريك ، فأمّا زيادتهم بطول طاعتهم علماً بربّهم فلماثبت أنّ حركاتهم إنما هو شوقيّة للتشبّه بملائكة أعلى رتبة منهم في كمالهم بالمعارف الالهية وظهور ما في ذواتهم بالقوّة إلى الفعل ، وزيادة عزّة ربّهم عندهم عظما بحسب زيادة معرفتهم له تابعة لها .

أقول : و قد مضى الاشارة منّا إلى أنّ هذا كلّه مبنيٌّ على الاُصول الحكميّة وعدول عن طريق الشريعة النبويّة على صادعها آلاف الصّلاة و السّلام و التحيّة وقدّمنا الأخبار المناسبة للمقام في شرح الفصل التّاسع من الخطبة الاُولى فتذكّر و ينبغي تذييل المقام بأمرين مهمّين :

أحدهما في عصمة الملائكة

وهو مذهب أصحابنا الاماميّة رضوان الله عليهم وعليه دلّت الآيات القرآنيّة والأخبار الكثيرة من طرقنا ، ولنقتصر على رواية واحدة ، وهو :

ما رواه في الصّافي قال : قال الرّاوي : قلت لأبي محمّد عليه السلام : فانّ قوماً عندنا يزعمون أنّ هاروت و ماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم ، وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدّنيا ، و أنهما افتتنا بالزّهرة وأرادا الزنا وشربا الخمر وقتلا النفس المحرّمة ؛ وأن الله يعذّبهما ببابل ، وأنّ السحرة منهما يتعلّمون السّحر و أنّ الله مسخ تلك المرئة هذا الكوكب الذي هو الزّهرة .

فقال الامام عليه السلام : معاذالله من ذلك إنّ ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبايح بألطاف الله تعالى قال الله فيهم :

« لاٰ يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ » وقال : « وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ » يعني الملائكة « لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلاٰ يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتَرُونَ »

و قال في الملائكة أيضاً : « بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » إِلىٰ قوله « مُشْفِقُونَ »

ومثله في البحار عن يوسف بن محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن سيّار عن أبويهما أنهما قالا: فقلنا للحسن أبي القائم عليهما السلام : فانّ قوما إلى آخر الخبر ، ورواه أيضاً في الاحتجاج عن أبي محمّد العسكري عليه السلام مثله .

نعم في بعض الرّوايات مايدلّ على خلاف ذلك ، وهو ماروواه عليّ بن إبراهيم القمّي (ره) عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن عليّ بن رئاب عن محمّد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال : سأله عطا ونحن بمكّة عن هاروت وماروت ، فقال عليه السلام : إنّ الملائكة كانوا ينزلون من السّماء إلى الأرض في كلّ يوم و ليلة يحفظون أعمال أوساط أهل الأرض من ولد آدم عليه السلام والجنّ ويسطرونها ويعرجون بها إلى السّماء قال : فضجّ أهل السّماء من معاصي أوساط أهل الأرض فتوامروا فيمابينهم ممّا يسمعون ويرون من افترائهم الكذب على الله تبارك وجرأتهم عليه ونزّهوا الله تعالى ممّا يقول فيه خلقه ويصفون ، فقال طائفة من الملائكة : يا ربّنا ماتغضب ممايعمل خلقك في أرضك و ممّا يصفون فيك الكذب ويقولون الزّور ويرتكبون المعاصي ، و قد نهيتهم عنها ، ثمّ أنت تحلم عنهم و هم في قبضتك وقدرتك وخلال عافيتك ، قال عليه السلام : فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يرى الملائكة سابق علمه في جميع خلقه ويعرّفهم

مامنّ به عليهم ممّا عدل به عنهم من صنع خلقه وماطبعهم عليه من الطاعة و عصمهم به من الذّنوب .

قال عليه السلام : فأوحى الله إلى الملائكة أن انتدبوا منكم ملكين حتّى اهبطهما إلى الأرض ثمّ أجعل فيهما من طبايع المطعم والمشرب والشّهوة والحرص و الأمل مثل ما جعلته في ولد آدم ، ثمّ اختبرهما في الطّاعة ، قال عليه السلام : فندبوا لذلك هاروت و ماروت و كانا أشدّ الملائكة قولا في العيب لولد آدم و استيثار غضب الله عليهم .

قال عليه السلام : فأوحى الله إليهما أن اهبطا إلى الأرض فقد جعلت فيكما من طبايع المطعم والمشرب والشّهوة والحرص والأمل مثل ماجعلت في ولد آدم قال عليه السلام ثمّ أوحى الله إليهما : انظرا أن لا تشركا بي شيئاً ولا تقتلا النّفس التي حرّم الله ولا تزنيا ولا تشربا الخمر .

قال عليه السلام : ثمّ كشط (١) عن السّماوات السّبع ليريهما قدرته ، ثمّ اهبطا إلى الأرض في صورة البشر ولباسهم ، فهبطا ناحية بابل فرفع لهما بناء مشرف فأقبلا نحوه فاذا بحضرته امرأة جميلة حسناء مزيّنة معطّرة مسفرة مقبلة .

قال عليه السلام فلمّا نظرا إليها و ناطقاها وتأمّلاها وقعت في قلوبهما موقعاً شديداً لموضع الشّهوة التي جعلت فيهما ، فرجعا إليها رجوع فتنة وخذلان وراوداها عن نفسها ، فقالت لهما : إنّ لي ديناً أدين به وليس أقدر في ديني على أن اُجيبكما إلى ماتريدان إلاّ أن تدخلا في ديني الذي أدين به ، فقالا لها : ومادينك ؟ قالت : لي إله من عبده و سجد له كان لي السبيل إلى أن اُجيبه إلى كلّ ما سألني ، فقالا لها : و ما إلهك ؟ قالت : إلهي هذا الصّنم .

قال عليه السلام: فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال : هاتان خصلتان ممانهينا عنها الشّرك والزّنا ، لأنّا إن سجدنا لهذا الصّنم وعبدناه أشركنا بالله وإنّما نشرك بالله لنصل

١ـ الكشط رفعك الشيء عن الشيء قد غشاه قال تعالى: و اذا السماء كشطت و كشط الجلّ من الفرس كشفه منه

إلى الزّنا وهو ذا نحن نطلب الزّنا فليس نعطى إلاّ بالشّرك .

فقال عليه السلام : فائتمرا بينهما فغلبتهما الشّهوة التي جعلت فيهما ، فقالا لها نجيبك إلى ماسألت ، فقالت : فدونكما فاشربا هذا الخمر فانّه قربان لكما وبه تصلان إلى ماتريدان ، فائتمرا بينهما فقالا : هذه ثلاث خصال ممّا نهينا ربّنا عنها : الشرك و الزّنا ، و شرب الخمر ، و إنّما ندخل في شرب الخمر والشّرك حتّى نصل إلى الزّنا ، فائتمرا بينهما فقالا : ما أعظم البليّة بك قد أجبناك الى ما سألت ، قالت : فدونكما فاشربا من هذا الخمر ، واعبدا هذا الصّنم ، واسجدا له ، فشربا الخمر وعبدا الصّنم ثمّ راوداها عن نفسها .

فلمّا تهيّأت لهما وتهيّآ لها دخل عليها سائل يسأل هذه ، فلمّا رآهما ورأياه ذعرا (١) منه ، فقال لهما : إنكما لامرءآن ذعران ، فدخلتما بهذه المرأة المعطّرة الحسناء إنكما لرجلا سوء ، وخرج عنهما ، فقالت لهما : وإلهي ماتصلان الآن إليّ وقد اطلع هذا الرجل على حالكما وعرف مكانكما ، ويخرج الآن ويخبر بخبركما ولكن بادرا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحكما ويفضحني ثمّ دونكما فاقضيا حاجتكما وأنتما مطمئنّان آمنان .

قال عليه السلام : فقاما إلى الرّجل فأدركاه فقتلاه ثمّ رجعا إليها فلم يرياها و بدت لهما سوآتهما و نزع عنهما رياشهما و اسقطا (٢) في أيديهما ، فأوحى الله إليهما أن اهبطتكما إلى الأرض مع خلقي ساعة من النّهار فعصيتماني بأربع من معاصي كلّها قد نهيتكما عنها وتقدّمت إليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحييا منى ، وقد كنتما أشدّ من نقم على أهل الأرض بالمعاصي واستجرّ أسفي وغضبي عليهم لما جعلت فيكما من طبع خلقي و عصمتي إيّاكما من المعاصي فكيف رأيتما موضع خذلاني فيكما .

اختارا عذاب الدّنيا أو عذاب الآخرة ، فقال أحدهما لصاحبه : نتمتّع من

١ـ ذعرا أي خافا منه

٢ـ سقط في يده واسقط مضمومتين ظلّ وأخطا أو ندم وتحيّر ، ق

شهواتنا في الدّنيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخرة ، فقال الآخر : إنّ عذاب الدّنيا له مدّة و انقطاع وعذاب الآخرة قائم لا انقطاع له فلسنا نختار عذاب الآخرة الشديد الدّائم على عذاب الدّنيا المنقطع الفاني .

قال عليه السلام : فاختارا عذاب الدّنيا فكانا يعلّمان النّاس السّحر في أرض بابل ثمّ لما علّما النّاس السّحر رفعا من الأرض إلى الهواء ، فهما معذّبان منكّسان معلّقان في الهواء إلى يوم القيامة ، ورواه في البحار عن العيّاشى عن محمّد بن قيس مثله ، و بمعناه أخبار اخر ، ويمكن حملها على التقيّة ، و يشعر به كون السائل في هذه الرّواية من علماء العامة .

وما رواه في البحار عن العلل عن الصّادق عليه السلام في حديث قال : وأمّا الزّهرة فانّها كانت امرئة تسمّى ناهيد(ناهيل خل)وهي الّتي تقول النّاس إنّه افتتن بها هاروت وماروت ، فانّ في نسبة افتتانهما إلى النّاس إشارة إلى ما ذكرناه كما لا يخفى .

وقال بعض أهل العرفان بعد ما أورد الرّوايات الدّالّة على تكذيب أمر هاروت وماروت والرّوايات الدّالّة على صحّة قصّتهما :

و الوجه في الجمع و التوفيق أن يحمل روايات الصّحة على كونها من مرموزات الأوايل وإشاراتهم ، وأنّهم عليهم السلام لمّا رأوا أنّ حكاتها كانوا يحملونها على ظاهرها كذّبوها ثمّ قال : و أمّا حلّها فلعلّ المراد بالملكين الرّوح والعقل فانّهما من العالم الرّوحاني اهبطا إلى العالم الجسمانى لاقامة الحقّ فافتتنا بزهرة الحياة الدّنيا ، ووقعا في شبكة الشهوة ، فشربا خمر الغفلة ، وعبدا صنم الهوى ، و قتلا عقلهما النّاصح لهما بمنع تغذيته بالعلم والتقوى ، ومحو أثر نصحه عن أنفسهما ، وتهيّئا للزّنا ببغي الدّنيا الدّنيّة التي تلى تربية النشاط و الطرب فيها الكوكب المسمّى بالزّهرة ، فهربت الدّنيا منهما وفاتتهما لماكان من عادتهما أن تهرب من طالبيها لأنّها متاع الغرور و بقي اشراق حسنها في موضع مرتفع بحيث لا تنالها ايدى طلابها مادامت الزّهرة باقية في السّماء و حملهما حبّها في قلبهما إلى أن وضعها طرائق مر السّحر و هو ما لطف مأخذه ودقّ ، فخيّرا للتخلّص منها

فاختارا بعد التنبّه وعود العقل إليهما أهون العذابين ، ثمّ رفعا إلى البرزخ معذّبين و رأسهما بعد الى أسفل إلى يوم القيامة .

هذا ما خطر بالبال في حلّ هذا الرّمز والله الهادي .

الثاني

اختلف المسلمون في أنّ الأنبياء و الملائكة أيّهم أفضل أي أكثر ثواباً ، فذهب أكثر الأشاعرة إلى أنّ الأنبياء أفضل ، وقال المعتزلة كما في شرح المعتزلي إنّ نوع الملائكة أفضل من نوع البشر ، والملائكة المقرّبون أفضل من نوع الأنبياء و ليس كلّ ملك عند الاطلاق أفضل من محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، بل بعض المقرّبين أفضل منه ، وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم أفضل من ملائكة أخرى غير الأوّلين .

و لا خلاف بين علماء الاماميّة قدّس الله أرواحهم في أنّ الأنبياء و الأئمّة صلوات الله عليهم أفضل من جميع الملائكة ، و أخبارهم على ذلك مستفيضة ، و قد حقّقوا ذلك في كتب الأُصول ولا حاجة لنا الآن إلى بسط الكلام في ذلك المقام ، وإنّما نقتصر على رواية واحدة توضيحاً للمرام .

وهو ما رواه الصّدوق في كتاب إكمال الدّين و إتمام النّعمة قال : حدّثنا الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشمي ، قال : حدّثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي قال : حدّثنا محمّد بن عليّ بن أحمد الهمداني ، قال : حدّثني أبو الفضيل العبّاس ابن عبدالله البخاري ، قال : حدّثنا محمّد ين القاسم بن إبراهيم بن عبدالله بن القاسم بن محمّد بن أبي بكر ، قال : حدّثنا عبدالسّلام بن صالح الهروي عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي قال عليّ عليه السّلام : فقلت: يارسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل ؟ فقال : إنّ الله تبارك وتعالى

فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين والفضل بعدي لك يا عليّ و الأئمّة من بعدك ، فانّ الملائكة لخدّامنا و خدّام محبّينا يا عليّ

«الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا»

بولايتنا ، ياعليّ لولا نحن ماخلق الله آدم عليه السلام ولا حوّا ولا الجنّة ولا النّار ولا السّماء ولا الأرض ، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التّوحيد ومعرفة ربّنا عزّ وجل وتسبيحه وتقديسه وتهليله ، لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ أرواحنا ، فأنطقنا بتوحيده وتمجيده ثمّ خلق الملائكة فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا امورنا فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون و أنّه منزّه عن صفاتنا فسبّحت الملائكة لتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا .

فلمّا شاهد و اعظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلاّ الله فلمّا شاهدوا كبر محلّنا كبّرنا الله لتعلم الملائكة أنّ الله أكبر من أن تنال وأنّه عظيم المحلّ فلمّا شاهدوا ما جعل الله لنا من القدرة والقوّه قلنا : لاحول ولاقوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، لتعلم الملائكة أن لاحول ولاقوّة إلاّ بالله .

فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه من فرض الطاعة قلنا : الحمدلله ، لتعلم الملائكة ما يحقّ الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمدلله فبنا اهتدوا إلى معرفة الله و تسبيحه و تهليله وتحميده ، ثمّ إنّ الله تبارك و تعالى خلق آدم عليه السلام و أودعنا صلبه و أمر الملائكة بالسّجود له تعظيماً لنا و إكراماً ، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبوديّة ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لانكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم عليه السلام كلّهم أجمعون .

وأنّه لما عرج بي إلى السّماء أذّن جبرئيل عليه السلام مثنى مثنى ثمّ قال : تقدّم يا محمّد ، فقلت : يا جبرئيل تقدّم عليك ؟ فقال : نعم لأنّ الله تبارك و تعالى

اسمه فضّل أنبيائه على ملائكته أجمعين وفضّلك خاصّة ، فتقدّمت وصلّيت بهم ولافخر فلمّا انتهينا إلى حجب النّور قال لي جبرئيل عليه السلام : تقدّم يا محمّد و تخلّف عني ، فقلت : ياجبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني ؟ فقال : يامحمّد إنّ هذا انتهاء حدّي الّذي وضعه الله لي في هذا المكان فان تجاوزته احترقت أجنحتي لتعدّى حدود ربّي جلّ جلاله ، فزجّ بي ربّي زجّة في النّور حتّى انتهيت إلى حيث ماشاء الله عزّ و جلّ من ملكوته .

فنوديت : يا محمّد ، فقلت : لبّيك ربّي وسعديك تباركت وتعاليت ؛ فنوديت يا محمّد أنت عبدي و أنا ربّك فإيّاى فاعبد و عليّ فتوكّل فانّك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجّتي في بريّتي، لمن تبعك خلقت جنّتي ولمن عصاك وخالفك خلقت ناري ، ولأوصيائك أوجبت كرامتي ، ولشيعتك أوجبت ثوابي .

فقلت : يا رب ومن أوصيائي ؟ فنوديت : يامحمّد إنّ أوصيائك المكتوبون على ساق العرش ، فنظرت وأنا بين يدي ربّي إلي ساق العرش فرأيت اثناعشر نوراً في كلّ نور سطر أخضر مكتوب عليه اسم كلّ وصيّ من أوصيائي أوّلهم عليّ بن أبي طالب و آخرهم مهديّ أمّتي .

فقلت : يا ربّ هؤلاء أوصيائي من بعدي ؟ فنوديت : يا محمّد هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي حجّتي بعدك على بريّتي ، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخيرخلقي بعدك ، وعزّتي وجلالي لأظهرنّ بهم ديني ، ولأعلينّ بهم كلمتي ولأطهّرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي ، ولا ملكنّه مشارق الأرض ومغاربها ، ولأسخّرنّ له الرّياح ولأذلّلنّ الرّقاب الصّعاب ، ولا رقيه في الأسباب ، ولأنصرنّه بجندي ، ولأمدّنه بملائكتي حتّى يعلو دعوتي و يجمع الخلق على توحيدي ، ثمّ لأديمنّ ملكه ولأداولنّ الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة .

والحمدلله ربّ العالمين والصّلاة على نبيّنا محمّد وآله الطّيّبين الطاهرين وسلّم تسليماً و إنّما ذكرت الرّواية بطولها مع كون ذيلها خارجاً عن الغرض لتضمّنه مناقب أهل البيت الأطهار ، وكونه نصّاً في خلافة الأئمة الأبرار ولعاً منّي بايراد

فضايلهم ومناقبهم ما تعاقب على اللّيل و النّار ، سلام الله عليهم أجمعين ، ولعنة الله على أعدائهم ومنكري فضائلهم إلى يوم الدّين .

التّرجمة

بعضي ديگر ازاين خطبهٔ شريفه درصفة ملائكه است ميفرمايد :

بعداز خلق آسمان بيافريد حق سبحانه و تعالى ازبراى ساكن فرمودن در آسمانهاى خود و معمور ساختن صفحهٔ پهن بلند از ملكوت خود خلقي عجيب از ملائكه خود پس پرساخت بايشان فرجهاى گشادگيهاى آسمانرا ، ومملوّ نمود بايشان گشادگيهاى فضاهاى آنرا ، وميان وسعتهاى اين گشادگيها است صوتهاى بلند تسبيح كنندگان از ايشان درحرمهاى قدس و طهارت وپردههاى حجابهاى عظمت وسراپردهاى بزرگي وعزّت ؛ ودر پس اين زلزله واضطرابى كه كرميشود از آن گوشها ، اشراقات نورى است كه بازميدارد ديدها را از رسيدن بآن ، پس مىايستد آن ديدهاذليل ومتحيّر برحدود آن .

آفريدخداوند متعال آن ملائكه را برصورتهاى مختلفه واندازهاى متفاوته درحالتيكه صاحبان بالهاهستند كه تسبيحميكنند بزرگىعزّت اورا ، درحالتيكه بخودنمىبندند آنچه كه ظاهرشده درمخلوقات ازصنع قدراو، وادّعانميكنند اينكه ايشان مىآفرينند چيزيرا باآفريدگارازآنچيزيكه يگانه است اوسبحانهبآفريدن آن ، بلكه ايشان بندگاني هستندگرامى داشته شده درحالتي كه پيشينميگيرند بخدادرگفتارخودشان ، وايشان بفرمان اوسبحانه عمل مينمايند .

گردانيد حقتعالى ايشانرا درآنجا كه هستند ، يعنى در مقامات خودشان كه حظاير قدس است أهل أمانت بروحى خود وتحميل نمود ايشانرا درحالتيكه ارسال ميشوند بسوى پيغمبران أمانتهاى أوامر ونواهي خودرا ، و معصوم ساخت ايشانرا ازشك كردن درشبهها ، پس نيست ازايشان ميلكننده ازراه رضاى او ، ومدد نمود ايشان را بفايدههاىاعانت بسوى طاعات ، ولازم فرمود قلبهاىايشانرا تواضع خضوع وقاررا ، وگشود بجهت ايشان درهاى سهل وآسان بسوى تمجيدات

خود ، وبرپا نمود از برای ایشان منارهای آشکار بر نشانهای توحید خود .

گران نکرد ایشانرا گران سازندهای گناهها ، وضعیف ننمود ایشان را تعاقب وتناوب شبها وروزها ، ونینداخت شکها بمحرّکات فاسدهٔ خود محکمی ایمان ایشانرا ، و عارض نشد ظنّها و وهمها بر مواضع عقد یقین ایشان ، و بر نیفروخت برافروزندگیهای حقد وحسد درمیان ایشان ، وسلب نکرد ازایشان حیرت چیزی را که چسبیده ازمعرفت او بقلب ایشان ، وساکن شده ازعظمت وهیبت او در میان سینهای ایشان ، و طمع ننموده در ایشان وسوسهها تااینکه بکوبد بااستیلای خود یا اینکه تناوب نماید با چرك خود بفکرهای ایشان .

بعضی از ایشان آنانند که قرار گرفته در أبرهای مخلوق شده گران بار بباران ، ودر کوههای بزرك بلند ، ودرسیاهی تاریکی که هدایت یافته نمیشود در آن ، وبعضی دیگر آنانند که دریده است قدمهای ایشان حدود زمین پائین را ، پس آن قدمها بمنزلهٔ علمهای سفیدند که فرو رفته باشند درمواضع خرق هوا و شکاف آن ، ودر زیر آن علمها است بادی که ساکن است و پاکیزه که بازداشته است آن علمها را برمکانی که منتهیشده آن علمها از حدود بنهایت رسیده .

بتحقیق که فارغ نموده ایشانرا ازماسوا شغلهای عبادت اوسبحانه ، ووصل نموده است حقیقتهای ایمان میان ایشان ومیان معرفت آنرا ، وبریده است ایشانرا یقین واذعان بخدا ازغیرآن ، ومایل ساخته ایشانرا بسوی حیرانی او ، ودرنگذشته است رغبتهای ایشان ازآن چیزیکه نزد اواست بسوی آنچیزیکه نزد غیراواست.

بتحقیق که چشیده اند شیرینی معرفت او را ، و آشامیده اند با کاسهٔ سیراب کننده از شراب محبّت او ، و متمکّن و برقرار شده ازته دلهای ایشان رگهای خوف وخشیت او ، پس خم کرده‌اند بدرازی عبادت راستی پشتهای خودشان را ، و تمام نکرده درازی رغبت بسوی او مادّهٔ تضرّع ایشان را ، ورها نکرده از گردنهای ایشان بزرگی قرب ومنزلت بحضرت ربّ العزّة ریسمان خشوع وذلّترا وغالب نشده برایشان عجب و خود پسندی تا اینکه بسیار شمارند آنچه که پیش

گذشته از ایشان از طاعات و عبادات ، و نگذاشته از برای ایشان خواری که ناشي شده از ملاحظهٔ جلال پروردگار نصیب و بهره در تعظیم و بزرگ دانستن حسنات خودشان ، و جاری نشده سستیها در ایشان بادرازي جدّ وجهد ایشان .

و ناقص نگشته رغبتهای ایشان تا مخالفت کنند وعدول نمایند از امیدواری پروردگار خودشان ، و خشك نگشته بجهة طول راز ونیاز اطراف زبانهای ایشان و مالك نشده است ایشانرا شغلهای خارج از عبادت تا اینکه منقطع شود بسبب پنهاني تضرّع ایشان بسوی او آوازهای بلند ایشان ، و مختلف نشده درصفهای عبادت دوشهای ایشان ، و ملتفت نساخته‌اند بسوی راحتی که باعث تقصیر در امر او است گردنهای خودشانرا ، و غالب نمیشود برعزم جدّ وجهد ایشان بیخردي غفلتها ، وتیر نمیاندازند در همّتهای ایشان فریب دهندگان شهوتها .

بتحقیق که اخذ نموده اند صاحب عرش را ذخیره بجهة روز حاجت شان ، و قصد کرده‌اند اورا نزد بریده شدن خلق بسوی مخلوقات بر غبتشان ، قطع نمیتوانند کنند پایان غایه‌عبادت اورا ، وباز نمیگرداندایشان را حرص ومحبّت بلزوم طاعت او مگر بسوی مادّهائي که بریده نمیشوند آن مادّها که از دل ایشانست که عبارت اند از خوف ورجا آن، بریده نشده اسباب ترس از ایشان تاسست شوند درجدّ وجهد خودشان .

وأسیر ننموده ایشان را طمعهای دنیوي تا اینکه اختیارنمایند سعی نزدیك درتحصیل دنیارابر کوشش خودشان درتحصیل سعادت آخرت ، و بزرك نمیشمارند آنچه که گذشته از اعمال ایشان ، و اگر بزرك شمارند أعمال خودشان هرآینه باطل و زایل مینماید رجاء و امیدواري ایشان ترسهای ایشان را ، و اختلاف نمي‌نمایند در ذات و صفات پروردگار بسبب غلبهٔ شیطان برایشان ، و پراکنده نساخته ایشان را بدي بریدن از یکدیگر ، و مالك نشده ایشان را خیانت حسد

بردن بيكديگر ، ومتفرّق نساخته ايشان را مواضع صرف شكّ وگمان ، ومنقسم نگردانيده ايشان را اختلافهاي همّتها .

پس ايشان أسيران ايمانند كه رها ننموده ايشان را از بند ايمان ميل نمودن از حق و نه عدول كردن از منهج صدق و نه سستى در عبادت و نه كاهلي در طاعت ، و نيست در طبقهاي آسمان جاى پوستىمگر كه براو است ملك سجده كننده يا سعى نماينده شتابنده كه زياده ميگردانند بر درازي طاعت بپرورد گار خودشان علم و يقين را ، و افزون ميگرداند عزّت كرد گار ايشان در دلهاى ايشان عظم وشأن را .

هذا آخر الجزء السادس من هذه الطبعة النفيسة وقدتمّ تصحيحه وتهذيبه بيدالعبد «السيدابراهيمالميانجى» عفى عنه وعن والديه فياليوم الثانى منشهر ذى الحجة الحرام سنة ١٣٧٩ ويليه انشاء الله الجزءالسابع واوله : «الفصل السادس» منالمختار التسعين والحمدلله أولاوآخراً .

فهرس الجزء السادس من شرح نهج البلاغة

العنوان	الصفحة
الفصل السادس	٢
فضل صلاة اللّيل	٥
الفرق بين الخوف والرهبة	٧
في كون القرآن خصيماً للانسان	٨
كيفية تزيين الشّيطان وتهوينه	
السيئآت والموبقات	١٠
في تحقيق الصراط وبيانه	١٣
في تحقيق ذكر الله عزّ وجلّ	١٧
في تحقيق معنى الرجاء والخوف	٢١
الترجمة	٢٤
الفصل السابع	٢٥
في صفة خلق الانسان	٢٥
اختلاف الشراح في كلمة أم في	
قوله عليه السلام : أم هذا الذي «الخ»	٢٨
ترتيب أحوال الانسان	٣١
تفصيل حالات الانسان عند موته	٣٣
في تحقيق بدو خلق الانسان	٣٦
في تحقيق السؤال في القبر	
وذكر شبهة المنكرين له ودفعها	٤٠
تحقيق حالة الاحتضار	٤٢
صفة ملك الموت وكيفية	
قبض الرّوح	٤٧
تفصيل حالات الانسان بعد موته	٤٨
في التغسيل والتكفين	٥٠
حالات الانسان إذا حمل على سريره	٥١
حالات الانسان بعد وضعه في القبر	٥٣
في سؤال القبر	٥٣
في ضغطة القبر وضمته	٥٨
فيما يوجب ارتفاع ضغطة القبر	٦٠
الترجمة	٦٣
الفصل الثامن	٦٣
في التذكير بحال السلف والأمر	
بالكفّ عن المعاصي	٦٥
في الحثّ على ذكر الموت	٦٩
الترجمة	٧١
المختار الثالث والثمانون	٧٣
في ذكر عمرو بن العاص ودفع تهمته	٧٣
الأوصاف الخبيثة التي اتّصف	
بها عمرو بن العاص وذكر الأخبار	

العنوان	الصفحة
الوازدة في قبح الكذب	٧٦
في نسب عمرو بن العاص	٨٠
الأخبار المجعولة لعمرو بن العاص	٨٣
مافعله عمرو بن العاص وبسر بن أرطاة من كشف العورة في صفين	٨٤
ذكر كلامه عليه السلام على رواية غير السيد «ره»	٨٦
نقل كلام للشارح المعتزلي واعتراضات المصنف «قد» عليه	٨٧
تحقيق الكلام في جواز المزاح وعدمه	٩٢
ذكر طائفة من طرايف الكلم وطرايف الحكم	٩٥
الترجمة	**١١١**
المختار الرابع والثمانون	**١١٢**
في ذكر بعض صفاته تعالى وفي التذكير والموعظة، وفي صفة الجنة	١١٢
ذكر بعض صفاته تعالى	١١٥
في التذكير والموعظة	١١٨
في صفة الجنّة	١١٩
الترجمة	**١٢٢**
المختار الخامس والثمانون	**١٢٣**
في ذكر بعض أوصافه تعالى وفي التذكير والموعظة	١٢٣
في ذكر بعض أوصافه تعالى	١٢٦
في التذكير والموعظة والأمر بالطاعات والتحذير عن الخطيئات	١٢٩
في النهى عن مجالسة أهل الهوى والمعاصي و ذكر بعض الأخبار الواردة فيه	١٣٥
في النهى عن الحسد	١٣٨
في النهى عن العداوة والبغضاء ونقل بعض الأخبار	١٣٩
تحقيق الكلام في الكذب وأقسامه	١٤٢
في الكذب الجايز الشرعي	١٤٨
في الحسد وما ورد في قبحه من الآيات و الأخبار	١٥٠
ذكر الأسباب الباعثة للحسد وهي سبعة	١٥٥
ذكر سبب كثرة الحسد بين بعض الأفراد دون بعض	١٥٨
في معالجة الحسد	١٦٠
الترجمة	**١٦٥**
المختار السادس والثمانون	**١٦٧**
الفصل الاول	**١٦٧**
في شرح حال الكملين من عباد الله الصالحين	١٦٧

العنوان	الصفحة
في بيان أوصاف عباد الله الصالحين المذكورة في الفصل الأول من المختار	١٧٠
الترجمة	**١٧٨**
الفصل الثاني	**١٧٩**
في ذمّ العلماء السوء وشرح حالهم	١٧٩
نقل الآيات والأخبار الواردة فيه	١٨٣
الترجمة	**١٨٨**
الفصل الثالث	**١٨٨**
في عترة النبيّ صلّى الله عليه وآله و أنّهم أعلام الدّين	١٨٨
في عترة النبيّ صلّى الله عليه وآله وأنّهم أزمة الحقّ وألسنة الصّدق	١٩٥
في الأمر بتعظيم العترة الطاهرة و اجلالهم	١٩٦
كلام الفخر الرازى في آل النّبي صلّى الله عليه وآله	١٩٩
اعتراض المصنف «قد» على الرازي	٢٠١
توجيه الحديث النبويّ المشهور: انّه يموت من مات منا و ليس بميّت «الخ»	٢٠٢
جواز الحياة على الأبدان الأصلية للنبيّ والأئمة عليهم السلام	٢٠٥
عدم جواز البلى على أبدان النبيّ والأئمة عليهم السلام	٢٠٩
سرّ تسمية القرآن بالثقل الأكبر والعترة بالأصغر	٢١٥
حديث ورود الأمّة على النبيّ صلّى الله عليه وآله يوم القيامة على خمس رايات	٢١٦
جملة من مكارم أخلاق أمير المؤمنين عليه السلام	٢١٩
شطر من كرامات العترة الطاهرة ومعجزاتهم عليهم السلام	٢٢١
إعجاز عجيب لأمير المؤمنين عليه السلام	٢٢١
معجزة اخرى لأمير المؤمنين عليه السلام	٢٢٤
معجزة للصادق عليه السلام	٢٢٦
معجزة للجواد عليه السلام	٢٢٧
حديث البساط المعروف	٢٢٨
معجزة اخرى لأمير المؤمنين عليه السلام	٢٣٥
الترجمة	**٢٣٦**
الفصل الرابع	**٢٣٧**
في بيان حال بني امية ومدّة ملكهم	٢٣٧
الترجمة	**٢٤٠**
المختار السابع والثمانون	**٢٤٠**
في توبيخ الناس وذمّهم على الاختلاف	٢٤٠

العنوان	الصفحة
نقل الخطبة على رواية الكافي	٢٤٩
توضيح الخطبة على مانقل عن الكافي	٢٥١
في شرح الخطبة وتفسيرها على سبيل الاحتمال	٢٥٣
الترجمة	**٢٥٧**
المختار الثامن والثمانون	**٢٥٩**
في الاشارة الى حالة النّاس حين البعثة وأيام الفترة والتحذير من الغرور والفتنة	٢٥٩
في الموعظة والنّصيحة	٢٦٥
نقل الخطبة على رواية الكافي	٢٦٦
بيان مانقل عن الكافي	٢٦٧
الترجمة	**٢٦٨**
المختار التاسع والثمانون	**٢٦٩**
في قدم الخالق وعظم مخلوقاته	٢٦٩
تحقيق الحجب والسرادقات	٢٧٣
ذكر بعض صفاته تبارك وتعالى	٢٧٧
قصة أبي الدحداح وصدقته حديقته	٢٧٩
في ذكر نبذ من الأخبار الواردة في محاسبة النفس وبيان كيفيّة المحاسبة	٢٨١
الترجمة	**٢٨٣**
المختار التسعون	**٢٨٤**
الفصل الاول	**٢٨٥**
في وصف الله تعالى	٢٨٥
معنى الحنّان والمنّان	٢٨٩
تحقيق معنى الرزق	٢٩٢
في أنّ الرزق هل يقبل الزيادة والنقصان	٢٩٤
جملة من صفات الله تعالى	٢٩٧
الترجمة	**٣٠١**
الفصل الثاني	**٣٠٢**
في تنبيه السائل على خطائه في سؤاله	٣٠٢
في النهى عن التعمّق في ذات الله تعالى وصفاته	٣٠٧
تفسير معنى الغيب المحجوب	٣١٣
في عدم امكان معرفته تعالى حقّ المعرفة	٣١٤
في أنه سبحانه جلّ شأنه عن مشابهة مصنوعاته	٣١٩
الترجمة	**٣٢٤**
الفصل الثالث	**٣٢٧**
في دلائل قدرته و آثار تدبيره	

العنوان	الصفحة

وحكمته ٣٢٧
في معنى المشية والارادة والفرق
بينهما ٣٣٣
تحقيق أنّ المشية والارادة من صفات
الفعل لا من صفات الذات ٣٣٩
تحقيق الحديث المعروف الوارد
في المشية ٣٤٢
الترجمة ٣٤٤

الفصل الرابع ٣٤٥

في صفة السماء وبديع ما أودع الله
فيها ٣٤٥
في أنّ للسّماء أبواباً ٣٥١
في كون اللّيل والنهار آيتين
و جعل القمر آية ممحوّة
والشّمس آية مبصرة ٣٥٤
في بروج الكواكب ومنازل القمر ٣٥٧
من منافع النجوم كونها رجوماً
للشياطين ٣٦١
طعن بعض الناس في كون النجوم
رجوما من وجوه وجواب الفخر
الرّازي ٣٦٢
كلام الفخر في كون الشّمس
والقمر والنّجوم مسخّرات بأمره ٣٦٥
الترجمة ٣٦٧

الفصل الخامس ٣٦٨

في صفة الملائكة ٣٦٨
كلام ابن أبي الحديد في فصاحة
كلام أمير المؤمنين عليه السلام ٣٧٦
تفصيل الحجب و السّرادقات
وتحقيق معنى السبحات ٣٧٨
في صفة الملائكة و اختلاف
صورهم ٣٨٠
في صفة الملائكة و عصمتهم من
الشك والاشتباه ٣٨٥
في صفة الملائكة واختلاف خلقتهم ٣٨٧
في صفة الملائكة وعبادتهم ٣٨٩
في أنّ الملائكة معصومون ٣٩٥
قصّة هاروت وماروت وتأويلها ٣٩٦
في أنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام
أفضل من الملائكة ٤٠٠
حديث شريف في أنّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام
أفضل من الملائكة ٤٠٠
الترجمة ٤٠٣